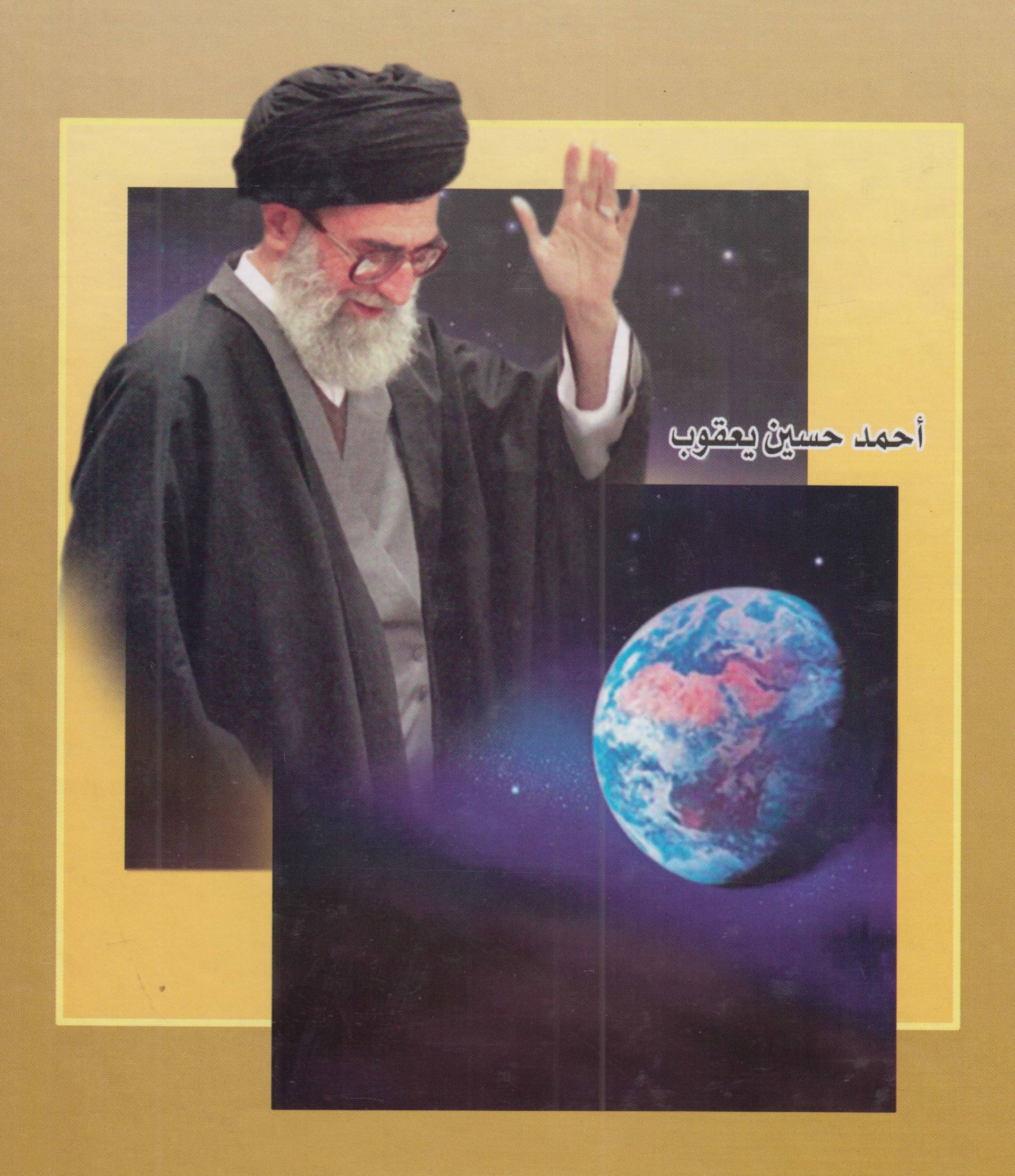
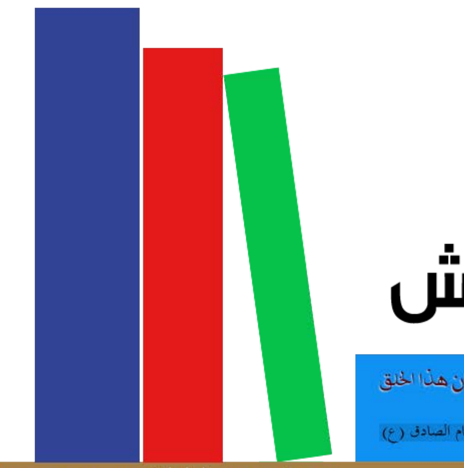
فكر الإمام الخامنئي

في القضايا السياسية والإجتماعية



أحمد حسين يعقوب

الدار الإسلامية



مكتبة

مؤمن قريش

لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .

الإمام الصادق (ع)

فكر الإمام الخامنئي
في
القضايا الاجتماعية والسياسية

١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

ISBN (9953 - 22 - 040)



حارة حريك ـ شارع دكاش ـ مقابل مدرسة الليسيه أميكال مودرن

هاتف: ٥٥٣٨٦٣ / ٠١ ـ ٣٨٩١٦٦ / ٠٣ - ص. ب: ٥٦٨٠ / ١٤

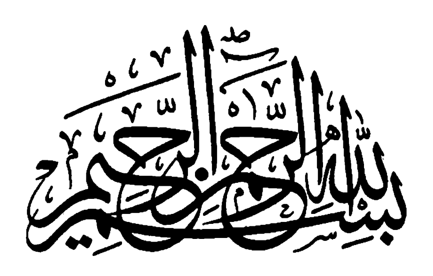
فكر الإمام الخامنئي
في
القضايا الاجتماعية والسياسية

تأليف

المحامي أحمد حسين يعقوب

الدار الإسلامية

بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين اصطفاهم من عباده المسلمين، فجعلهم نجوم الهدىٰ، ومصابيح الدجى، وسفن النجاة، وأحد ثقلي دين الإسلام، فكانوا وما زالوا أعدال الكتاب، وحملة راية الحق والصواب أما بعد:

لقد اهتديت

فقبل أن يتألق نجم الإمام الخميني، طيب الله ثراه، كنت قد توصلت إلى قناعة تامة، بأن أهل بيت النبوة ومن والاهم وأخلص لولايتهم على الحق، وهم الفئة الناجية، ومع أن قلبي وروحي ومشاعري أصبحت مع أهل البيت ومع أوليائهم إلا أنني كنت أقف داخل أسوار المعسكر الآخر، وكنت متهيباً من فكرة الانتقال من معسكر إلى معسكر، ومن جماعة إلى جماعة، كان عزيزاً علي أن أترك أهلي وعشيرتي، وأولئك الذين أحبوني ومنحوني ثقتهم، وأجلسوني في الصدارة، ثم أنسل إلى المعسكر الآخر وبكل هذه البساطة، وما زاد كاهلي ثقلاً، أطفالي وهم صغار كزغب القطا، ولو تواجد المعسكران معسكر الحسين ومعسكر يزيد، لما وجدت غضاضة ولا حرجاً لو انسليت ليلاً إلى معسكر الحسين، وفاجأت الجميع بهذا الانتقال، ولكن معسكر يزيد قد صار دماراً ومعسكر الحسين قيد الإنشاء، ثم لم أكن أعرف

أين هو معسكر الإمام الحسين، كل ما أعرفه أنني قد عرفت الطريق، وأنني قد اهتديت ومن المحال بأن أقبل الانخراط في جيش يزيد، أو أن أُساهم بترميم معسكره، أو أن أترك الإمام الحسين وحيداً، كنت مستعداً أن أرى أولادي العشرة يقتلون دفاعاً عنه وبين يديه، ثم اقتحم الهول بشيبتي، وأخوض بحار الموت مشرقاً ومغرباً حتى أنال شرف القتل بين يديه، ولكن المشكلة التي كانت تواجهني أيضاً، أين رحل الحسين!! وأين معسكره!!

وتالق نجم الإمام الخميني

ثم قامت الثورة الإسلامية الإيرانية، وتألق نجم الإمام الخميني، وأيقنت أن الإمام الخميني هو حفيد الإمام الحسين، وتابعت أنباء الحفيد ساعة بساعة ودقيقة بدقيقة، وثانية بثانية، ثم كشفتني مشاعري، وعرف الجميع بأني مع أهل بيت النبوة، واجتزت حاجز الخوف، وانتقلت جهاراً ونهاراً من معسكر يزيد إلى معسكر الحسين، ثم وضعت على صدري أرفع الأوسمة التي حملها المؤمنون وهو وسام موالاة أهل بيت النبوة، فعرف الجميع أني من موالي أهل البيت الكرام فرمقتني الأحزاب الدينية التي انبثقت من معسكر يزيد بنظرات الاستخفاف والاستهجان، واستعظمت انتقالي إلى المعسكر الجديد ولم أحْنِ رأسي لأني ما فعلت ما يوجب الخجل، لقد واجهتهم، شاهت وجوهكم، ألا بُعداً لكم كما بعُدت ثمود!! إذا كنتم تفتخرون ببقائكم في معسكر يزيد، فلماذا لا افتخر بانتقالي إلى معسكر الإمام الحسين، معسكر الإسلام النقي، معسكر الحق، معسكر الهدى!!! كان انتقالي إلى معسكر الإمام الحسين أفضل ما حدث لي في حياتي، فأشكرك يا مولاي على هذه النعمة الكبرى شكراً يتكرر على عدد الرمال والحصى.

انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية

لقد انتصر حفيد الإمام الحسين، ونجحت الثورة الإسلامية الإيرانية،

وتمخضت عن حكومة اسلامية تبنت الشريعة الإسلامية الإلهية، وصارت دولة الثورة هي الدولة الوحيدة في العالم التي تتبنى منظومة حقوقية إلهية، لقد سقط الطاغية وتهاوى نظامه، وهزمت الدول الكبرى التي كانت تدعمه وذاقت مرارة الهزيمة لأول مرة.

لقد بهرتني قيادة هذه الثورة، وأخذتني عبقريتها القيادية الفذة، التي لا نظير لها في العصر الحديث، ولكن العجب يزول إن عرفنا بأن القائد هو حفيد الإمام الحسين، لقد أسرتني أساليبها الشرعية الشريفة، فلا عنف ولا قتل ولا اغتيال ولا إرهاب ولا رعب، فلم يحمل الإمام القائد، ولا أعضاء مجلس قيادة الثورة، ولا أي فرد من منتسبي الثورة أي سلاح، حتى ولو كان سكيناً، لقد كان سلاح الجميع الإيمان والكلمة الطيبة المجردة، لقد تمكن هذان السلاحان من أن يواجها أعظم طاغية في الشرق تدعمه الدول الكبرى في الشرق والغرب معاً!!!

مثلما بهرتني الأهداف النبيلة التي أعلنتها الثورة، اسقاط الشاه، واسقاط نظامه وإقامة حكومة إسلامية. مثلما اخذني الوفاء لهذه الأهداف، فبعد أن تحولت الثورة إلى دولة، تشكلت الحكومة الإسلامية، وتم تدوين الدستور، ووضعت الشريعة الإسلامية موضع التطبيق.

وما زاد افتتاني بهذه الثورة هو صمودها الفذ، وقدرتها الفائقة على مواجهة الأعداء في الداخل والخارج، أُولئك الأعداء الذين قادتهم الدول الكبرى بكل امكانياتها، فبعد أقل من سنة وتسعة أشهر شنت الدول الكبرى حرباً دموية مريرة على إيران وبأقل من أُسبوع تم احتلال منطقة خوزستان بأسرها وتوغلت القوات المعادية أكثر من ٩٠ كيلومتراً داخل الأراضي الإيرانية، بالوقت الذي كانت فيه الثورة تواجه أعداءها القتلة في الداخل، ووضع تحت تصرف جيش الغزاة، أحدث ما وصلت إليه عقول الشرق والغرب معاً من أسلحة الدمار بالوقت الذي حاصرت فيه الدول الكبرى إيران

الثورة حصاراً اقتصادياً رهيباً، وتآمرت على عدم بيعها حتى الأسلحة الدفاعية، وبهذا المناخ الدموي وطوال ثماني سنوات عجاف استمرت تلك الحرب المجنونة، ومعنى هذا أن العالم كله قد أعلن عملياً الحرب على إيران الثورة، ودخل بحرب معها، وكان من المفترض أن تستسلم إيران الثورة، وأن تنتصر الدول الكبرى، ولكن هذا لم يحدث بل صمدت إيران وحاربت حتى طردت الغزاة من كل ترابها الطاهر.

في بداية هذه الحرب أذكر أنني اجتمعت مع إحدى الشخصيات البارزة في الأردن الذي كانت تربطه بالنظام العراقي علاقات خاصة، «لقد انتقل إلى رحمة الله» فقال لي: إذهب لأصحابك وقل لهم «ليوقفوا القتال وليتفاوضوا والعراق على استعداد أن ينسحب من كل سنتمتر من الأراضي الإيرانية، أنا سأرتب لك السفر، وسأدعو السفير العراقي إلى مكتبي» فأجبته، لا الإمام الحسين، ولا الإمام الخميني، ولا قادة الثورة، ولا الشعب الإيراني، ولا أنا يمكن أن نقبل ذلك، لأن وقف إطلاق النار بمثل هذه الظروف يشكل إهانة للإسلام، وإهانة للإمام الحسين، وإهانة للإمام الخميني ولكل من يواليهم، قل لأصحابك لينسحبوا أثناء القتال من كل سنتمتر من الأراضي الإيرانية، عندئذ ستوقف إيران القتال وتبدأ بالتفاوض لمعاقبة المعتدي حتى لا يتعدى في ما بعد على بلد آخر كالسعودية أو الأردن، ثم إن الأمر ليس بيد أصحابك إنما هو بيد الدول الكبرى التي دفعت أصحابك لهذا العدوان، ويمكن لقيادة الثورة إن شاءت أن تتفاوض مع المتبوع وليس مع التابع.

الرجال العظام الذين قادوا الثورة الإسلامية في إيران

الرجال العظام الذين قادوا الثورة الإسلامية، من نصر إلى نصر، وهزموا الذين مكروا ـ وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ـ هؤلاء الرجال ظواهر عجيبة في تاريخ البشرية، ومن حق أبناء الجنس البشري أن يعرفوا شيئاً

عن هذه الظواهر التي فتحت أمام العقل البشري آفاقاً كانت مِغلقة، وفجرت طاقات الإنسان ومواهبه.

وفي هذا السياق، وخدمة لهذه الغاية، فقد وضعت كتابي الخامس عشر «الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران» وبعد أن طبع ثلاث طبعات خلال شهر واحد.

صممت أن أضع كتابي السادس عشر «فكر الإمام الخامنئي في القضايا الإجتماعية والسياسة» وكما أن الإمام الخميني من أحفاد الحسين، فإن الإمام الخامنئي من أحفاد الحسين أيضاً، كان الإمام الخميني يقود الثورة ويحقق الإنجاز العظيم تلو الانجاز، بالوقت الذي كان فيه الإمام الخامنئي يقف على يمينه، شريك بأمره، يشد أزره منذ اللحظة التي بدأ فيها الإمام الخميني تمرده على الشاه وطوال المراحل التي مرت بها الثورة.

كان المقربون يعرفون أن الإمام الخميني هو قائد الثورة ورجل إيران الأول وأن الإمام الخامنئي هو نائبه ورجل إيران الثاني، وكانوا يرسلون ذلك إرسال المسلمات، وبعد انتقال الإمام الخميني إلى جوار ربه آلت قيادة إيران الثورة إلى الإمام الخامنئي.

كتاب فكر الإمام الخامنئي في القضايا الإجتماعية والسياسية

قبل أن أبدأ بالاستعداد لكتابة هذا الكتاب، كنت أطلق على الإمام الخامنئي لفظ أو مصطلح القائد، أو ولي أو مرشد الثورة، وأستثقل أن أُطلق عليه لفظ أو مصطلح «الإمام» لاعتقادي أن كلمة إمام كبيرة عليه ولكن عندما وقفت على فكر الرجل، وعلى جهاده، وعبقريته، وتواضعه وزهده وسلوكه، وعلومه، أيقنت بما لا يدع مجالاً للشك بأن الرجل إمام بالفعل، وأنه قدوة، فأحببته، وواليته، بالحق والولاء اللذين يعرفهما، فهو يحب بكل طاقته، ويوالي بكل وجوده.

محتويات كتاب فكر الإمام الخامنئي في القضايا الإجتماعية والسياسية

لو أردنا أن نحيط بفكر الإمام الخامنئي في القضايا الإجتماعية والسياسية لضاق بذلك هذا الكتاب المحدود بحجمه، ولاحتجت إلى عدة مجلدات للإحاطة بهذا الفكر العظيم، ولكن هذا الكتاب بمثابة معالم لفكر الإمام الخامنئي في القضايا الإجتماعية والسياسية، آمل أن يأتي غيري، فيكمل ما بدأت به، ويتوسع في ما اختصرته، ويفصّل ما أجملته.

لقد فتحت على هذا العنوان ستة أبواب

الباب الأول: خصصته لسيرة الإمام الشخصية، فقسمته إلى ثلاثة فصول.

تناولت في **الفصل الأول**: نسبه الشريف، مولده وتربيته، طبقته الاجتماعية، زهده.

تناولت في **الفصل الثاني**: علومه، ومؤلفاته، وممارسته للتدريس وشغفه بالقرآن الكريم وباللغة العربية.

أما **الفصل الثالث فيحتوي**: علوم ومعارف الإمام الأخرى وثقافته الواسعة.

الباب الثاني: فقد خصصته لعلاقة الإمام بالثورة الإسلامية، وقسمته إلى خمسة فصول.

تناولت في **الفصل الأول**: المناخ الذي بدأت به الثورة وهو يتألف من عدة عناوين غطت طبيعة نظام الشاه، والقوى العاملة فوق الساحة الإيرانية وأخطاء الشاه القاتلة، . . .

في **الفصل الثاني**: أول الثوار تناولت جاهزية الإمام للثورة تحت عدة عناوين.

أما **الفصل الثالث**: فقد خصصته لملامح كفاح الإمام ونشاطاته الثورية، تحت مجموعة من العناوين.

أما **الفصل الرابع**: فقد عالجت فيه محاولة اغتيال الإمام وقصة الثورة مع القتلة واعدائها.

أما **الفصل الخامس**: فقد خصصته للمسؤوليات والمناصب التي تولاها الإمام قبل أن يصل إلى منصب القيادة.

الباب الثالث: فقد خصصته لعرض معالم الفكر السياسي للإمام الخامنئي وقسمته إلى سبعة فصول.

الفصل الأول: الإمام الخميني والإمام الخامنئي بابان لشيء واحد، وله عدة عناوين.

الفصل الثاني: الإمام الخميني والحكومة الإسلامية، تحت عدة عناوين.

الفصل الثالث: الإمام الخامنئي والحكومة الإسلامية تحت عدة عناوين.

الفصل الرابع: الإمام أو ولي الأمر في الحكومة الإسلامية تحت عدة عناوين.

الفصل الخامس: القانون والقضاء في الحكومة الإسلامية تحت عدة عناوين.

الفصل السادس: الولاية في الحكومة الإسلامية تحت عدة عناوين.

الفصل السابع: الحكومة الإسلامية الشرعية تحت عدة عناوين.

الباب الرابع: قيام الحكومة الإسلامية وتطبيق الأفكار السياسية للإمام الخامنئي وقد قسمته إلى ست فصول.

الفصل الأول: دستور الحكومة الإسلامية في إيران تحت عدة عناوين.

الفصل الثاني: قيام الحكومة الإسلامية والسلطة التشريعية في إيران/ عناوين متعددة.

الفصل الثالث: الإمام أو ولي الأمر في الحكومة الإسلامية الإيرانية/ مباحث متعددة.

الفصل الرابع: السلطتان التنفيذية والقضائية في الحكومة الإسلامية الإيرانية/ مباحث عدة.

الفصل الخامس: دور الشعب في الحكومة الإسلامية الإيرانية/ عدة عناوين.

الفصل السادس: شكل الحكومة الإسلامية الإيرانية وسماتها العامة/ عدة عناوين.

الباب الخامس: في بعض أفكار الإمام الخامنئي وقسمته إلى خمسة فصول.

الفصل الأول: الولاية أو قيادة المجتمع في فكر الإمام الخامنئي/ عدة بحوث.

الفصل الثاني: عملية بناء وتشكيل المجتمع في فكر الإمام الخامنئي/ عدة بحوث.

الفصل الثالث: فكرة سياسية كبرى للإمام الخامنئي الخواص والعوام/ عدة بحوث.

الفصل الرابع: نماذج من مواقف بعض خواص الحق/ عدة بحوث.

الفصل الخامس: أفكار سياسية تبناها الإمام الخامنئي/ عدة عناوين.

الباب السادس: فهو دراسة تركيبية لبعض أفكار الإمام الخامنئي السياسية والإجتماعية وقد قسمته إلى ثلاث فصول.

الفصل الأول: فكر الإمام الخامنئي والعالم/ تحت عدة عناوين.

الفصل الثاني: فكر الإمام الخامنئي والأمة الإسلامية/ تحت عدة عناوين.

الفصل الثالث: الحقوق الأساسية للإنسان في فكر الإمام الخامنئي، معالم الحرية في فكر الإمام الخامنئي، المرأة في فكر الإمام الخامنئي، وقد اشتمل كل بحث على عدة عناوين.

والكتاب كما أسلفت يشكل معالم فكر الإمام الخامنئي، ونقطة انطلاق للراغبين بدراسة هذا الفكر العظيم والتوسع فيه، ويمكنك القول بكل ارتياح أن الكتاب قد غطى بالكامل عنوانه، لقد وقفت على كافة ما كتب حول هذا الموضوع، وتجشمت مشاقاً كبيرة للحصول على المراجع اللازمة، وبعد أن منّ الله تعالى علي باتمام هذا الكتاب، أشعر بالسكينة والاطمئنان وراحة البال، والثقة التامة، بأن هذا الكتاب على صغر حجمه، إلا أنه أوحد زمانه من حيث المضمون والشمول.

أسألك يا مولاي بحق محمد وآل محمد صلى الله عليهم اجمعين أن تجعله خالصاً لوجهك الكريم، وهدية خالصة لمحمد ولآل محمد تقربني بها إليك زلفى، إنك ودود رحيم، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

١٣ ـ رمضان ١٤٢١هـ

الموافق ٩/ ١٢/ ٢٠٠٠م

المؤلف/ المحامي أحمد حسين يعقوب

الأردن ـ جرش

الباب الأول

السيرة الشخصية للسيد علي الخامنئي

الفصل الأول

النسب الشريف للسيد علي الخامنئي

بينما كان النبي يجلس مع طائفة من أصحابه مرت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين عليهما السلام، فلما رآهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التزمهم، وهملت عيناه بالدموع ثم قال: «. . . . وإنه سيلقى أهلي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد»[1] أو قال: «. . . إن أهلي سيلقون من بعدي من أُمتي قتلاً وتشريداً، وان أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم»[2] أو قال «. . . إن أهل بيتي سيلقون من بعدي أثرةً وشدةً وتطريداً في البلاد حتى يأتي قوم من هاهنا وأشار بيده نحو المشرق أصحاب رايات سود. . . »[3].

السيد علي الخامنئي ينحدر من إحدى الأسر الهاشمية التي شردت وطردت، عبر تاريخ دولة الخلافة التاريخية، واضطرت لترك جوار المصطفى، والهجرة من بلاد العرب كلها.

لقد استقرت اسرة السيد علي الخامنئي في إيران التي كانت إحدى ولايات دولة الخلافة التاريخية، ولكنها كانت عصية على الانقياد التام،

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٤٦٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٤٨٧.

(٣) دفاتر العقبى للطبري، ص١٧.

وعندما عرفت إيران المكانة الشرعية السامية لأهل بيت النبوة، ووقفت على الظلم والتقتيل والتشريد الذي أصابهم، تحولت إيران من «التسنن» إلى التشيع ومن موالاة الخلفاء التاريخيين إلى موالاة أهل بيت النبوة، لقد تشيعت الأكثرية الساحقة من الشعب الإيراني، واحتضنت الأُسر الهاشمية التي التجأت إلى إيران، وقاسمتها رغيف العيش، وعامل الشعب الإيراني أفراد هذه الأسرة الهاشمية بكل المحبة والتقدير والتبجيل، لأنهم سادات، ومن ذرية النبي الأعظم، واعتبرهم الإيرانيون مصدر بركة، فاندمجوا مع الشعب الإيراني، وصاروا جزءاً لا يتجزأ من هذا الشعب.

والده هو آية الله السيد جواد من علماء مشهد المجتهدين والمشهورين، كان يقيم صلاة الجماعة في مسجد كوهر شاه صباحاً وفي مسجد بازار مشهد ظهراً ولسنوات طويلة، وتوفي وهو في الثالثة والتسعين من عمره.

وجده هو السيد حسين الخامنئي من علماء اذربيجان، ومن أهل العلم والتقوى اشتغل في التدريس والبحث، وقضى عمره زاهداً قانعاً، كان يعيش في حي خيابان في تبريز، ثم هاجر إلى النجف الشريف.

ووالدته هي السيدة كريمة السيد هاشم نجف أبادي من علماء مشهد المعروفين، وهي سيدة عفيفة عالمة بالمسائل الدينية وتتمتع باخلاق اسلامية رائعة انتقلت إلى رحمته تعالى وهي في السادسة والسبعين من عمرها بعد وفاة زوجها بثلاث سنين.

ويعود نسب السيد علي الخامنئي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، فهو حفيد النبي الأعظم، وابن الحسين.

عندما تعرض السيد علي الخامنئي في ما بعد لمحاولة اغتيال أبرق له الإمام الخميني برقية جاء فيها «. . . والآن وبعد أن قام أعداء الثورة بالاعتداء عليكم، وأنتم من ذرية الرسول الأكرم ومن آل بيت الحسين بن علي، ولم

تقترف ذنباً سوى خدمة الإسلام والوطن الإسلامي. . . »[1].

مولد السيد علي الخامنئي وتربيته الخاصة

ولد السيد علي الخامنئي في مدينة مشهد عام ١٩٣٩[2]. بجوار سيدنا الإمام الرضا وتربى في أحضان هذه الأُسرة الهاشمية تربية خاصة، فوالده سيد ويحمل رتبة آية الله، والوالد مجتهد ومدرس يرى أن نشر العلوم الدينية لوناً من ألوان الجهاد، وتعلم هذه العلوم واجباً دينياً، لذلك وجّه ابنه السيد علي الخامنئي وبقية أخوته توجيهاً خاصاً، وأرادهم أن يكونوا علماء في الدين، لقد تولى بنفسه في مرحلة من المراحل شخصياً تدريس أولاده بالرغم من فارق السن بينه وبينهم، وبالرغم من رتبته العلمية، لقد أراد السيد الخامنئي بعد زيارته للنجف الأشرف أن يتابع دراسته هنالك، ولكن الوالد أصر على عودته لأنه أراده أن يتعلم تحت إشرافه، وأن يكون قريباً منه، كذلك فإن السيدة والدته كانت متعلمة، وواعية بالمسائل الدينية، وتتمتع بمزايا اخلاقية رفيعة، أما أخوته، فقد اتجهوا اتجاهاً دينياً، وتربوا كالسيد علي الخامنئي تربية اسلامية خاصة، ولأنهم سادات، والعيون معلقة بهم فكان من الضروري أن يعوا الخطوط العريضة لتاريخ أهل بيت النبوة، حلوه ومره، وأن يكونوا من شيعة أهل البيت، فليس من المعقول ولا من المقبول أن يكون الإنسان من أهل البيت الكِرام وأن لا يكون من شيعتهم أو من (حزبهم) ففي مناسبات أهل بيت النبوة السعيدة كانت أسرة السيد علي الخامنئي تفرح معاً، وتحتفل معاً الزوج والزوجة والأولاد، وفي الذكريات الحزينة، كمقتل الإمام الحسين، كانت هذه الأسرة تبكي معاً، كانت أسرة جدية متماسكة، لا وقت لديها، للهو أو اللعب، فكانت هذه التربية الإسلامية الهاشمية الخاصة من

---

(١) شمس الولاية ص٦٣ ـ ٦٤ مركز بقية الله بيروت الطبعة الأولى.

(٢) مرجعية سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي، ص٣٧.

حوافز اندفاع السيد علي الخامنئي، ومن دواعي وعيه العفوي المبكر، ومن الأسباب التي كونت شخصيته تكويناً من طراز خاص، ورسمت آفاق ثقافته وفكره وخطت بلا غموض وبكل الوضوح منهجه الحياتي.

طبقته الاجتماعية

في كل مجتمع من المجتمعات البشرية، التي عُرفت، تجد الغنى الفاحش، جنباً إلى جنب مع الفقر المدقع، تجد طبقة قليلة العدد تكاد أن تموت من فرط السمنة والتخمة، وبنفس المجتمع تجد الأكثرية الساحقة، تعاني من الحاجة أو من الجوع أو من شظف العيش، وبالمناسبة فإن الحكم الرشيد هو الذي ينجح بتخفيف حدة الفوارق بين الطبقات في المجتمع، ويؤمن الحاجات الضرورية لجميع أفراده، ويتساوى فيه الحاكم والمحكوم بمستوى المعيشة.

كانت أسرة السيد علي الخامنئي من الطبقة الفقيرة المعدمة في المجتمع الإيراني، تدرك رغيف العيش اليابس بعسر بالغ. وقد وصف السيد علي الخامنئي وضع أسرته المادي بقوله:

«لقد قضيت طفولتي في عسر شديد، خصوصاً أنها كانت مقاربة لأيام الحرب وعلى الرغم من أن مشهد كانت خارجة عن حدود الحرب، وكان كل شيء فيها أكثر وفرة، وأقل سعراً نسبة إلى سائر مدن البلاد، إلا أن وضعنا المادي كان بصورة بحيث لم نتمكن من أكل خبز القمح، وكنا عادة نأكل خبز الشعير، وأحياناً نخلط القمح والشعير معاً، ونادراً ما كنا نأكل خبز القمح وحده، إنني أتذكر بعض ليالي طفولتي حيث لم يكن في البيت شيء نأكله على العشاء، فكانت والدتي تأخذ النقود التي كانت جدتي تعطيها لي أو لأحد أخواني أو اخواتي أحياناً وتشتري بها اللبن أو الزبيب لنأكله مع الخبز.

ويضيف السيد علي الخامنئي قائلاً: لقد كانت مساحة بيتنا الذي ولدت

فيه وقضيت فيه ٤ ـ ٥ سنوات من عمري تتراوح بين ٦٠ ـ ٧٠ متراً، في حي فقير بمشهد، وفيه غرفة واحدة وسرداب مظلم وضيق، وعندما كان يحل علينا ضيف كان علينا الذهاب إلى السرداب حتى يذهب الضيف، وبما أن والدي كان عالماً ومرجعاً لشؤون الناس فقد كان دائم الضيوف، وبعد فترة اشترى بعض المريدين لوالدي قطعة أرض بجوارنا، والحقوها ببيتنا فاتسع البيت إلى ثلاث غرف!!

ويتابع السيد علي الخامنئي وصف حالة تلك الأسرة بقوله: «ولم يكن ملبسنا أفضل من ذلك، فقد كانت والدتي تخيط لنا من ملابس والدي القديمة شيئاً عجيباً وغريباً، يصل إلى أسفل الركبة، ويحتوي على عدة وصلات، وكان والدي لا يغير ملابسه بهذه السرعة، فعلى سبيل المثال بقي أحد ملابسه بلا تغيير لمدة أربعين عاماً...»[١].

صحيح أن هذا هو الوصف الحقيقي لحالة الطبقات الفقيرة المعدمة في المجتمعات البشرية، وأن هذا واقع الأكثرية الساحقة من أبناء الطبقة الفقيرة في إيران، ولو مد السيد جواد يده، وطلب العون من تلاميذه ومريديه، لاختلفت الأمور، ولكن والد السيد علي الخامنئي أرفع وأنبل من أن يمد يده أو أن يشعر الآخرين بعوزه وفقره المدقع، لقد اطمأن بهذا المستوى من المعيشة لأنه مستوى الأنبياء والأئمة والعالمين، لقد أراد والد السيد الخامنئي أن يتربى أولاده على هذا المستوى من المعيشة تأسياً بأجداده الأكرمين، وتعبيراً عن الزهد بهذه الدنيا الفانية، ونفوراً منها، وتعلقاً بما هو عند الله، وقد تحققت الغاية التي أرادها والد السيد علي الخامنئي، فصار الزهد والنفور من زخارف الحياة ومظاهرها والتأسي بأئمة أهل بيت النبوة من المزايا

---

(١) مرجعية آية الله العظمى السيد الخامنئي/ مركز الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية قم المقدسة ص٣٧ ـ ٣٨.

والصفات اللصيقة بالسيد علي الخامنئي، التي تكونت تكوناً طبيعياً وعفوياً وبغير تكلف.

زهد السيد علي الخامنئي

من الطبيعي جداً أن يتأثر السيد علي الخامنئي بطبقته، وبمستوى معيشته السابقة، وبتربيته الدينية، وبخلق أجداده وزهدهم، وأن ينعكس هذا التأثر على حياته، ويبقى ملازماً له كصفة لصيقة به، وكسمة بارزة من سماته بالرغم من اختلاف أوضاعه، وامتلاكه لإمكانيات التوسعة والتغيير في مستوى المعيشة، لكنه صار بطبعه من المنافرين من الدنيا، العازفين عن متعها وشهواتها أو بتعبير أدق صار من أُولئك الذين تيقنوا أن مستقبلهم في الآخرة لا في الدنيا، وأن الدنيا لا مستقبل لها.

لم يطلب عضوية مجلس الثورة ولم يطمع بها كان يكافح ليل نهار من أجل خدمة الإسلام، وخدمة عباد الله وخدمة أرض الإسلام، وهو يحس بأن هذا من صميم واجبه، ومن مقتضيات الانتماء إلى دين الإسلام، ومن وسائل الحصول على رضوان الله وعندما فاجأه الإمام باختياره عضواً لمجلس الثورة، قبل ذلك من قبيل الطاعة لولي الأمر.

وبعد انتصار الثورة كلفه الإمام بالترشيخ لعضوية مجلس الشورى فقبل، ثم كلفه بأن يترشح لمنصب رئيس الجمهورية فرفض السيد علي الخامنئي، وناشده أعضاء مجلس الثورة ليقبل ولكنه رفض، فاستعانوا بالإمام الخميني، فقال له الإمام يجب أن تقبل.

وعندما انتقل الإمام الخميني إلى جوار ربه عارض أن يكون هو القائد أو حتى أن يكون عضواً في مجلس القيادة، ولكنه قبل مع الإلحاح طاعة لله، وخدمة لعباده وتأدية للفريضة.

إن الرجل بطبيعة تربيته وثقافته وتكوينه، ونسبه الشريف عازف عن

الدنيا ومظاهرها، ومتعها، زاهداً فيها.

قال حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر الحسيني ممثل طهران في مجلس الشورى حول زهد السيد علي الخامنئي «حسب معرفتي الشخصية القريبة بالشخصية العظيمة لسماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي، فقد رأيته زاهداً حقيقياً راغباً في الآخرة وأن الزهد والبساطة تحكمان حياته الشخصية. بحيث لا يمكن للناس القبول والتصديق بذلك أحياناً، ففي أيام تصديه لرئاسة الجمهورية قلت لسماحته: إن المشرفين على برنامج الأخلاق في الأسرة في التلفزيون الإيراني يرغبون في إجراء مقابلة معكم ومع عائلتكم لعرضها للناس من على شاشة التلفزيون إن سمحتم بذلك، فتأمل سماحته قليلاً ثم قال: لكن هنالك مشكلة!! فقلت وما هي؟ قال: قد لا يصدق الناس أن حياتي الشخصية بسيطة وعادية لو عرض عليهم فيلم عن ذلك!!

قال رئيس مؤسسة معوقي الثورة الإسلامية محسن رفيق دوست «إنه لم تكن في بيت سماحة آية الله العظمى الخامنئي ثلاجة فترة رئاسته للجمهورية، فاحضرت له ثلاجة، وبعد فترة تعطلت هذه الثلاجة، لكن سماحته لم يبين إلى نهاية فترة رئاسته للجمهورية أن الثلاجة قد تعطلت، وعاش كل هذه الفترة بدون ثلاجة»[1].

ويقول رفيق دوست: وذهبت مرة إلى بيته أثناء رئاسته للجمهورية فرأيت أطفاله يتناولون في الافطار الجبنة ولكن بشهية كبيرة، فقال سماحته لم يكن في البيت جبنة منذ فترة، لأنه لم يعلن عن بطاقة التأمين الخاصة بالجبنة أما الآن وبعد أن حصلنا على الجبن تلاحظ أن الأطفال هكذا يتناولون»[2].

---

(١) جريدة (رسالت) بتاريخ ٤ رجب لسنة ١٤١٥هـ.

(٢) مجلة باسدار اسلام العدد ١٥٤، والمؤلف يقول أن رئاسة السيد الخامنئي للجمهورية كانت أثناء فترة الحرب العراقية الإيرانية.

وقال أيضاً: «كان بيت السيد علي الخامنئي مفروشاً ببسط بالية وقديمة وممزقة، فجمعناها في غيابه، وقمنا ببيعها، واضفنا عليها مبلغاً من أموالي الشخصية، واشترينا له سجاداً حديثاً فرشنا به البيت، لكن عندما عاد سماحته إلى البيت قال لي: ما هذا يا محسن؟ قلت إننا بدلنا البسط القديمة!! فقال سماحته لقد أخطأتم بفعلكم هذا، اذهبوا وأعيدوا تلك البسط، فذهبنا وبعد عناء كبير عثرنا عليها وأعدناها إلى بيته»[1].

لقد وعى السيد علي خامنئي سيرة رسول الله، وسيرة الأئمة الكرام وبهرته شخصية الرسول الأعظم، وشخصيات الأئمة الكرام الذين تأسوا برسول الله وعلى وجه الخصوص شخصية الإمام علي، فاعتبرهم صفوة الجنس البشري، وعنوان الكمال الإنساني، وقد تناول السيد علي الخامنئي شخصية الإمام علي في سلسلة أحاديث جمعت بكتاب خاص اسمه «شخصية الإمام علي في نظر السيد علي الخامنئي»[2] تمكن من خلاله السيد علي الخامنئي من كشف بعض جوانب العظمة في شخصية الإمام علي ـ وكل جوانب شخصيته عظيمة ـ وتحت عنوان الخاصية الثانية لحكومة الإمام علي، اعتبر السيد علي الخامنئي أن الزهد هو البعد الثاني في حياة أمير المؤمنين علي وعالج هذا الموضوع على الصفحات ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢ من كتابه آنف الذكر، فذكر شواهد على زهد أمير المؤمنين، ثم قال: «إن زهد أمير المؤمنين هو في الواقع زهد عجيب، أيها الأخوة يقول أمير المؤمنين: يجب أن تسير الحياة باتجاه الزهد وعندما قاله له سويد بن غفلة: يا أمير المؤمنين: أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال وليس في دارك سوى حصير رث تجلس عليه، وتأتيك الوفود، فقال له الإمام علي: يا

---

(١) مجلة باسدار اسلام العدد ١٥٤، ومرجعية سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي ص٨٤، مكتب الإعلام الاسلامي في الحوزة العلمية بقم المقدسة.

(٢) طبعة دار الهادي هذا الكتاب.

سويد إن اللبيب لا يتأثث في دار النقلة، وأمامنا دار المقامة قد نقلنا إليها متاعنا، ونحن منقلبون إليها قريباً».

والسيد الخامنئي يحاول جاهداً أن يتأسى بزهد أمير المؤمنين، لأن الوالي الصالح يجب أن يكون مستوى معيشته كمستوى أفقر فرد من أفراد رعيته ويبدو أن السيد علي الخامنئي يحاول ذلك جاهداً، وهذا يُفهم بوضوح من كلامه يقول السيد علي الخامنئي في كتابه آنف الذكر «بل أقول مهما فعلنا، فلا نصل إلى زهد أمير المؤمنين، فأمثالي أصغر من ذلك، وهذا لا يعني أن نترك الزهد، وحتى أمير المؤمنين لم يحمل هذا الزهد في زمانه لعياله، ولم يجبرهم عليه، كان علياً زاهداً بمعنى الكلمة ولم يصل إلى درجة زهده هذه، الإمام الحسن والإمام الحسين ولا زوجاته سلام الله عليه، ليس في الدنيا في أي وقت مثل أمير المؤمنين، لقد عاش في بيته بهذا الشكل فقد كان يقدم له جراباً مختوماً فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً فيأكل...»[1].

والخلاصة أن السيد علي الخامنئي كولي للأمر في إيران يحاول جاهداً أن يحيا في مستوى معيشته حياة أفقر فرد من أفراد رعيته متأسياً برسول الله وبالإمام علي، وهو يعتقد أن هذا أفضل ومن مصلحته ويسوق قصة علقمة مع الإمام علي فيقول: «إن علقمة قد دخل على الإمام علي فوجده يأكل رغيفاً يكسره بركبته ويلقيه في لبن حاذر يجد ريحه من حموضته، فقال علقمة لجاريته فضه أما تتقون الله في هذا الشيخ، فتنخلون له طعاماً لما رأى فيه من النخالة؟ فسمعه الإمام علي، فتبسم وقال: «إن هذا أفضل لترويض النفس واذلالها»[2] هذه جوانب من الغايات التي يتوخاها السيد علي الخامنئي من زهده!!

(١) شخصية الإمام علي في نظر السيد الخامنئي، ص٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص٦٩.

الفصل الثاني

علوم السيد علي الخامنئي

بدأ السيد علي الخامنئي دراسته وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره، حيث بدأ دراسته بالكتاتيب لتعلم القرآن الكريم، وبعد فترة التحق وأخوه الأكبر السيد محمد بمدرسة ابتدائية دينية اسمها «دار التعليم الديني» وهي نمط من المدارس الخاصة، التي أوجدها المؤمنون لغايات تربية الطلبة تربية دينية، ولم تكن تلك المدارس تملك صلاحيات اعطاء الشهادات، وهذه المدرسة كانت تدرس مناهج المدارس الإبتدائية، بالإضافة إلى القرآن، ودروس من كتب معينة مثل حلية المتقين، وحساب السياق، ونصاب الصبيان. وقد أكمل السيد دراسته الابتدائية في هذه المدرسة.

وبعد أن أكمل السيد الخامنئي دراسته الابتدائية في هذه المدرسة الدينية الخاصة، التحق مساء ودون علم والده في مدرسة حكومية، وحصل منها على شهادة الدراسة الابتدائية، وخفية أكمل السيد خامنئي دراسته الثانوية مساء وحصل خلال سنتين على شهادة الدراسة الثانوية من مدارس الحكومة.

أما على صعيد العلوم الدينية، فقد شرع بتعلم القواعد العربية في المدرسة الدينية، وقرأ شرح الأمثلة عند والدته، كما قرأ كتابي «صرف مير

والتصريف» عند والده، ودرس «العوامل» والانموذج في المدرسة عند اثنين من المعلمين، وفي الرابع عشر من عمره التحق السيد علي الخامنئي بمدرسة «سليمان خان للعلوم الدينية»، ودرس كتابي «الصمدية» و«السيوطي»، وقليلاً من «المغنى»، كما حضر درس الشرائع عند والده، وعندما وصل إلى كتاب الحج طلب منه والده الإلتحاق بدرسه «شرح اللمعة كتاب الحج»، والتباحث مع أخيه السيد محمد. وبعدها التحق سماحته بمدرسة «نوآب للعلوم الدينية» وأكمل السطوح هنالك، ثم حضر بحث الخارج عند المرحوم آية الله العظمى الميلاني.

ونادراً ما يحدث أن يشارك شاب في السادسة عشر من عمره في بحث الخارج، ويرى سماحته أن الفضل في ذلك يعود لاهتمام والده، فيقول السيد الخامنئي «لقد كان والدي العامل الرئيسي في انتخابي طريق العلم النيّر والعلماء، ولقد شوقني ورغبني إلى ذلك، . . . وعندما شرعت بالدروس الدينية كان الفارق في العمر بيني وبين والدي شاسعاً (٤٥ سنة) إضافة إلى ذلك فقد كان لوالدي مكانة علمية بارزة، وكانت لديه اجازة اجتهاد، وتخرج على يديه الكثير من طلبة العلوم الدينية في مستويات عالية، لذا لم يكن من المناسب وهو في هذه المكانة العلمية أن يدرسني وأنا في المرحلة الأولى من دراستي، ولم تكن لديه الرغبة ولا الصبر على ذلك، ولكن نظراً لاهتمامه بتربيتنا، فقد درسني وأخي الأكبر، ومن بعدنا أخانا الأصغر، فحقه عظيم علينا في مجال التدريس والتربية، خصوصاً علي، لأنه لو لم يكن موجوداً لما وفقنا في تحصيل الفقه والأصول، وقبل ذهابي إلى قم حضرت علاوة على دراستي عند والدي الدروس العامة في مشهد، وفي العطلة الصيفية، كان والدي يضع لنا برنامجاً دراسياً ويباشرنا بالتدريس، ولهذا السبب لم يحصل توقف في دراستي خلافاً للذين كانوا يدرسون في الحوزات العلمية التي كانت تعطل في شهري محرم وصفر وشهر رمضان المبارك، والعطلة الصيفية

فانهيت دروس السطح وشرعت بالبحث الخارج وأنا في السادسة عشر من عمري»[1].

لقد تتلمذ على يد أبيه، وتلقى دروس السطح والخارج من العلماء المعروفين في مشهد كالشيخ هاشم القزويني، وآية الله الميلاني، وفي عام ١٩٥٧ ذهب السيد علي الخامنئي إلى النجف الأشرف وسمع من الآيات العظام، الحكيم والخوئي، والشهرودي والزنجاني، والبنجودي، واستهوته دروسهم وطلب من أبيه الاذن لمتابعة دراسته في النجف الأشرف إلا أن والده لم يأذن له، فاضطر للعودة إلى مشهد.

وفي عام ١٩٥٨ ترك مشهد وعزم على الإقامة في قم ليكمل دراسته العلمية في معاهدها الدينية، وهنالك تتلمذ على يد الأساتذة المعروفين في قم في الفقه والأصول والفلسفة، وحضر دروس الآيات العظام البروجردي، والحائري والخميني وامتدت دراسته وإقامته في قم من عام ١٩٥٨ ـ ١٩٦٤، وفي عام ١٩٦٤ اضطر للعودة إلى مشهد، على الرغم من نصيحة اساتذته الكبار بضرورة البقاء لكنه اضطر للعودة لأن والده قد فقد بصره.

السيد علي الخامنئي يتحدث عن علومه وأساتذته

تحدث السيد علي الخامنئي عن علومه وأساتذته قائلاً:

«في مشهد مع أنني كنت بالمدرسة الابتدائية إلا أنني كنت مستمراً في دراستي الحوزوية وكنت احضر درس الفقه بصورة مستمرة. . .

لقد قرأت كتابي «الأنموذج والصمدية» في مدرسة سليمان خان بمشهد عند علوي نامي. . .

---

(١) مرجعية آية الله العظمى/ مكتب الاعلام الاسلامي في الحوزة العلمية بقم ص ٣٩ ـ ٤١ وشمس الولاية ص٣٠ وما فوق.

ثم قرأت السيوطي وقليلاً من المغني في المدرسة نفسها عند شخص اسمه مسعود. . .

وفي مدرسة نواب شرعت بدراسة كتاب المعالم إلى جانب دراستي للسيوطي والمغني. . .

وفي هذه الأثناء اقترح علي والدي أن يدرسني كتاب الشرائع، فدرسني إياه، ودرسني ٣/ ٤ كتاب شرح اللمعة. . . وأكملت بقية الكتاب عند المرحوم ميرزا أحمد مدرس اليزدي الذي كان مدرساً معروفاً بشرح اللمعة والقوانين في مدرسة نواب. . .

وحضرت درس المكاسب والرسائل عند المرحوم آية الله الشيخ هاشم القزويني الذي كان من تلامذته المرحوم ميرزا الاصفهاني ويقول السيد الخامنئي أن القزويني كان من أهل رياضة النفس ومدرساً من الطراز الأول. . . وعالماً جامعاً حسن البيان بحيث أنني لم أرَ مثله. . . لقد قرأت القسم الأعظم من الرسائل والمكاسب والكفاية عنده. . . وأكملت الباقي عند والدي. . .

لقد كان لدعم والدي النصيب الأوفر في تقدمي الدراسي، فبلغت دراستي منذ اللحظة الأولى في طلبي العلم حتى شروعي ببحث الخارج خمس سنوات ونصف أي أنني أنهيت السطوح في خمس سنوات ونصف. . . وشرعت في حضور بحث الخارج عند المرحوم آية الله العظمى الميلاني، الذي كان عالماً محققاً ومن مراجع مشهد فحضرت دروسه في الأصول لمدة سنة، وفي الفقه لمدة سنتان ونصف، . . .

وحضرت في مشهد دروس الفلسفة عند آية الله الميرزا جواد الطهراني وكان درسه في الحقيقة رداً على المنظومة إلى أن قال لي أحد الأصدقاء الذي درس الفلسفة في قم: إن هذا ليس صحيحاً وهو أن تحضر درس المنظومة

عند استاذ يرد على المنظومة، لأنك بهذه الطريقة لا يمكنك أن تتعلم مفاهيم الحكمة، لذا يحسن أن تحضر دروس عند من يعتقد بالحكمة وبالفعل قبلت كلامه، وحضرت درس الفلسفة عند شخص اسمه رضا آيسي في مشهد وكان عالماً فاضلاً وحكيماً معتقداً بالحكمة.

ثم ذهبت إلى النجف الأشرف وحضرت دروس الآيات الحكيم، والخوئي، والشاهرودي والميرزا باقر الزنجاني، والمرحوم ميرزا حسن اليزدي، والسيد يحي اليزدي، لكن من بين كل الدروس ارتحت كثيراً لدرس آية الله الحكيم، والآخر درس آية الله ميرزا حسن البجنوردي الذي كان يدرس في مسجد الطوسي، . . .

وقررت البقاء في النجف لمتابعة دراستي، وكتبت رسالة إلى والدي أطلب منه الموافقة، لكن والدي لم يوافق، لهذا رجعت إلى مشهد وبعد فترة توجهت إلى قم، وهنالك قررت الإطلاع على جميع الدروس حتى أحضر الدرس الذي يعجبني، فحضرت درس الإمام، ومن بعده درس آية الله الحاج مرتضى الحائري، ودرس آية الله البروجردي، ومن بين كل تلك الدروس كنت أشارك في درس الأصول للإمام بصورة مستمرة، واستفدت قليلاً في الفلسفة من بحوث الطباطبائي في الاسفار والشفاء»[(١)].

وفي عام ١٩٧٤م حصل سماحة السيد علي الخامنئي على رتبة الاجتهاد على يد استاذه آية الله العظمى الحائري بعد حضوره البحث الخارج لمدة تتجاوز الخمسة عشر عاماً.

مؤلفات السيد علي الخامنئي

لم يكتف السيد علي الخامنئي بذلك، بل كان يعكف على البحث

---

(١) المرجعين السابقين، ص٤٣ ـ ٤٥.

والتأليف بالوقت اليسير المخصص لراحته، وقد بدأ بالتأليف منذ عام ١٩٦٣م وله العديد من المؤلفات المطبوعة منها:

١ ـ صلح الإمام.
٢ ـ المسلمون في نهضة الهند.
٣ ـ مقالات في باب الصبر.
٤ ـ المستقبل في إطار الإسلام.
٥ ـ رسالة إدانة للحضارة الغربية.
٦ ـ من أعماق الصلاة.
٧ ـ مشروع عام للفكر الإسلامي في القرآن.
٨ ـ الحياة السياسية للإمام الصادق.
٩ ـ الفهم الصحيح للإسلام.
١٠ ـ الولاية.
١١ ـ آلام الإمام علي وآلامنا.
١٢ ـ القرآن والعترة.
١٣ ـ دروس في معرفة الإسلام.
١٤ ـ عنصر الجهاد في حياة الأئمة.
١٥ ـ دروس في الحديث.
١٦ ـ الهجرة.
١٧ ـ التوحيد.
١٨ ـ تفسير القرآن.
١٩ ـ دروس في القرآن الكريم.
٢٠ ـ خصائص الإنسان المسلم.

٢١ ـ سؤال وجواب (خمسة مجلدات).

٢٢ ـ الشيخ المفيد وهوية التشيع.

٢٣ ـ شخصية الإمام علي.

٢٤ ـ الإيمان.

٢٥ ـ الاستفتاءات (مجلدان).

٢٦ ـ الحكومة في الإسلام (أربعة مجلدات).

٢٧ ـ دروس في الأخلاق.

٢٨ ـ قبس من نهج البلاغة.

٢٩ ـ جهاد الإمام السجاد.

٣٠ ـ الفن الثامن.

٣١ ـ الفن عند قائد الثورة.

٣٢ ـ ترجمة تفسير في ظلال القرآن.

٣٣ ـ الغزو الثقافي.

٣٤ ـ الخواص.

٣٥ ـ الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت.

٣٦ ـ تذكرة لمن يشاء.

٣٧ ـ الإمام الخميني.

٣٨ ـ نداءات بمواسم الحج.

٣٩ ـ الفكر الإسلامي الأصيل.

٤٠ ـ مناسك الحج... الخ.

تدريسه ومحاضراته (السيد المعلم والمحاضر)

قال السيد علي الخامنئي: لقد شرعت بالتدريس حتى وأنا في الأيام

الأولى من دراستي الحوزوية، أي بعد إتمام المرحلة الابتدائية، وبدأت بتدريس كتاب الأمثلة «أو صرف مير» لاثنين من ملالي مشهد المسنين، وحتى عام ١٩٥٨م حيث كنت أقيم في مشهد قمت بتدريس «النحو، والمعاني، والبيان، والأصول، والفقه».

وفي قم قمت بالتدريس إلى جانب دراستي، كان التدريس أحد برامجي الرئيسية والدائمة، وطوال هذه السنوات وحتى عام ١٩٧٧م قمت بتدريس السطوح العليا «الكفاية والمكاسب، والتفسير، والعقائد»[١] في الحوزة العلمية بمشهد.

وعندما عاد السيد الخامنئي من قم إلى مشهد عام ١٩٦٤م، أخذ يدرس السطوح والتفسير والحديث والفكر الإسلامي، وبنفس الوقت كان يلقي محاضرات في مساجد الإمام الحسن، والكرامة، وميرزا جعفر، ووسع السيد نشاطات محاضراته لتشمل مدن خراسان الأخرى، وسائر أرجاء البلاد.

ثم أوجد السيد علي الخامنئي اسلوباً حديثاً لنشر الوعي عن طريق محاضرات كان يلقيها في مسجد الإمام الحسن ونشرات خاصة تحمل اسم اشعة نهج البلاغة مما أتاح الفرصة أمام الجميع ليتداولوا فكر الإمام علي بن أبي طالب، وكلامه المؤثر.

وعندما عاد السيد علي الخامنئي من قم إلى مشهد عام ١٩٦٤ كان يحمل في قلبه جنين الثورة، ومن خلال تدريسه في الحوزه العلمية تمكن من إيصال الفكر الإسلامي للكثير من الطلاب الشباب ذوي القابلية والاحتمال ومن خلال الدروس التي كان يلقيها في المساجد، والمحاضرات التي كان يلقيها في المدن والمساجد تمكن السيد علي الخامنئي من التعرف بالشباب

---

(١) مرجعية سماحة آية الله العظمى الخامنئي ص ٣٩ ـ ٤٠.

المؤمن، ومن توطيد علاقته بهم، وتعميق فكرة الثورة في نفوسهم، وظل يمارس التدريس والقاء المحاضرات حتى أواخر عام ١٩٧٧، وفي هذا التاريخ اعتقل السيد علي الخامنئي ونفي إلى إيرانشهر لمدة ثلاثة سنوات انتهت في أواسط عام ١٩٧٨ على أثر تصاعد الثورة العامة، ثم عاد إلى مشهد ليقطف ثمار تدريسه ومحاضراته وكفاحه ويتصدر الثورة.

أنس وشغف السيد الخامنئي الخاص بالقرآن الكريم

بدأ اهتمام السيد الخامنئي بالقرآن الكريم منذ الطفولة، وعندما كان السيد علي الخامنئي في الثانية عشر من عمره، كان يعقد جلسات قرآنية يُدرّس فيها زملاءه قواعد القرآن الصحيحة، ولم يشغله أي شيء آخر عن القرآن الكريم، فبدأ درس التفسير لطلبة العلوم الدينية، وكلما أغلق نظام الشاه باباً فتح السيد علي الخامنئي باباً جديداً لمعرفة القرآن، ولما آلت القيادة إليه، قاد بنفسه نهضة قرآنية، ليقينه بأن طريق الهداية والنجاة هو بالتمسك بالقرآن الكريم، ونتيجة ذلك أقبل الشعب الإيراني على حفظ وتلاوة القرآن الكريم، حتى بلغ عدد الذين دخلوا المسابقة الدولية لحفظ وقراءة القرآن سبعة ملايين، وبعد سنتين أي عام ١٤١٦هـ تضاعف هذا العدد، والفضل في ذلك يعود إلى اهتمام السيد علي الخامنئي، ومن مظاهر اهتمامه بالقرآن الكريم، توسيع المسابقات القرآنية السنوية، وحرصه على حضور الكثير من جلساتها، وتكريمه للفائزين بها. وتأسيس دائرة لطباعة وترجمة معانيه وتوزيع نسخه على العالم كله بمعدل ثلاثة ملايين نسخة سنوياً، وتأسيس إذاعة للقرآن الكريم عام ١٩٨٣ باهتمام ومتابعة خاصة منه، وإقامة مجالس خاصة سنوية خلال شهر رمضان لتلاوة القرآن الكريم».

كان الأساس في الحوزات العلمية هو الفقاهة، إلا أن السيد علي الخامنئي قد أمر بأن يكون القرآن جزءاً من دروس الحوزات العلمية، مؤكداً على ضرورة أن يحفظ طلاب الحوزات القرآن كله أو جزءاً منه، لأن مفاهيم

الإسلام من القرآن، وليشجع طلاب الحوزة العلمية أكد السيد الخامنئي «بأن من حفظ القرآن وأنس به كان به أقرب إلى فهم المعارف الاسلامية ممن لم يحفظه ويأنس به»[1] وخلال فترة الإعداد للثورة، ألف السيد الخامنئي كتاباً اسمه «القرآن والعترة» وكتاباً آخر اسمه «دروس في القرآن «وكتاباً ثالثاً اسمه «المشروع العام للفكر الاسلامي في القرآن»، كما قام بترجمة تفسير القرآن لسيد قطب، ولأن سنة الرسول الأعظم تحتوي على بيان القرآن قام السيد علي خامنئي بوضع كتاب عن السنة أبرز الصلة العميقة بين القرآن والسنة، وحمل هذا الكتاب اسم دروس في الحديث.

ونادراً ما ألقى السيد علي الخامنئي خطاباً دون أن يضمنه آيات من القرآن الكريم، وباختصار فإنه يجسد عملياً وصية الرسول الأعظم النهائية بالتمسك بالثقلين، كتاب الله وعترة النبي أهل بيته وهو موقن بأن الهدى لا يدرك إلا بالتمسك بهذين الثقلين، وأن الضلالة لا يمكن النجاة منها إلا بالتمسك بهذين الثقلين. وهما المصدر الرئيسي لفكر وتوجهات السيد الخامنئي.

عشق السيد الخامنئي الخاص للغة العربية

قادة الثورة الإسلامية الإيرانية يحبون اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، ولا يمكن فهم القرآن الكريم ومقاصده الحقيقية إلا بالإحاطة التامة باللغة العربية، ويحبونها أيضاً لأنها لغة الرسول الأعظم، ولغة الأئمة الطاهرين، وكلام الرسول، وكلام الأئمة باللغة العربية، فالوقوف عليها أمر ضروري لمعرفة مغزى ومعنى كلامهم الذي يحمل البيان اليقيني للقرآن الكريم، وبما أن دستور الجمهورية الإسلامية قد وضع تحت إشراف قادة الثورة الإسلامية، فكان من الطبيعي أن ينعكس حبهم للغة العربية في هذا الدستور.

---

(١) مرجعية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي ص٨٨.

فقد تضمن دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية نصاً مفاده «بما أن لغة القرآن والعلوم الإسلامية هي اللغة العربية، وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل لذا يجب تدريسها بعد المرحلة الابتدائية حتى نهائية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والحقول الدراسية».

وكان السيد الخامنئي أحد قادة الثورة، وهو اليوم قائدها الأعلى، ومن الطبيعي أن يكون له دور رئيسي بادخال هذا النص بالدستور الإسلامي الإيراني، وبجعل تعلم اللغة العربية الزامياً إلى جانب اللغة الفارسية.

إن السيد علي الخامنئي يتقن اللغة الفارسية والعربية والتركية والانجليزية، ولكنه يحب اللغة العربية إلى درجة العشق للأسباب الدينية الآنفة الذكر ولأنها لغة القرآن وأجداده الأكرمين.

قال الدكتور محمد علي اذرشب المستشار الثقافي لسماحة السيد علي الخامنئي في ندوة إذاعة طهران العربية حول ملامح الأدب في زمن الصحوة الإسلامية ما يلي وبالحرف «آية الله الخامنئي يعشق الأدب واللغة العربية، وأنه حتى اليوم مع زحمة الأعمال التي تحيط به يعقد جلسات بحث اسبوعية في الأدب والشعر العربي، يتعرض خلالها لقليل من الشعر القديم وكثير من الشعر الحديث، وخلالها سمعته مراراً يقول: طالما تمنيت أنني ولدت في بلد عربي، يمكنني من الكلام باللغة العربية، وقال المستشار أن السيد الخامنئي قد طالع موسوعات بأجمعها بالأدب العربي، ووضع عليها هوامشَ وتعليقاتٍ من ذلك كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني فقد طالعه بأجمعه، ووضع على حواشيه تعليقات وملاحظات هامة، كما وضع فهرساً كاملاً بنفسه قبل أن تبادر دار الكتب إلى طباعة فهرس الأغاني، وحاول السيد علي الخامنئي منذ سن مبكرة أن يقرأ جبران خليل جبران وأن يترجم له ويقرأ ديوان الجواهري ويعلق عليه، وحتى في السجن لم يفوت فرصة الارتباط بمن له ذوق بالأدب العربي، من ذلك أنه التقى في سجن القلعة عام ١٩٦٣ بمجموعة من السجناء

العرب الخوزستانية، فأنس بهم، وأنسوا به، وكان منهم المرحوم باقر النزاري، ولا يزال السيد القائد يردد ما سمعه منهم من أشعار، ويقول سماحته أن السيد النزاري كان يردد كثيراً هذين البيتين.

أتتّ وحياض الموت بيني وبينها　　وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل
سأصبر حتى يعلم الصبر أنني　　صبرت على شيء أمر من الصبر

وقال المستشار أن السيد الخامنئي كان يحفظ عن اولئك السجناء العرب حتى الشعر العامي مثل:

البدر بجبينك والله ليله　　والبرد بشفاك يدعج والله ليله
مضت ليلة بوصالك والله ليله　　عشر بي الدهر وهواك ليه!!

وقال المستشار أن سماحته قد ذكر أنه كان دائماً يحاول أن يتكلم مع هؤلاء العرب ويتحدث معهم، وكان يُعلّم بعضهم قواعد اللغة العربية، ويتعلم منهم المحادثة العربية، حتى أنه حينما خرج من السجن عملوا له هوسه «يا سيد جدك ويانه».

وقال المستشار واختم كلامي ببيتين سمعتهما من سماحته:

ثقلت زجاجات أتينَّك فرغاً　　حتى إذا ملئت بطيب الراح
خفت وكادت أن تطير بما حوت　　إن الجسوم تخف بالأرواح

قال السيد علي الخامنئي أن اللغة العربية مفتاح كنوز المعارف الإسلامية[1].

(١) مرجعية سماحة آية الله العظمى السيد علي خامنئي ص٩٠ ـ ٩٣.

الفصل الثالث

علوم ومعارف السيد الخامنئي الأخرى

قبل الثورة وأثنائها، كان السيد علي الخامنئي وثيق الصلة بالمجتمع الإيراني مطلعاً تماماً على ما يجري فيه، يعرف الأفكار والآراء المطروحة في المجتمع الإيراني ويعرف التيارات المنبثقة عنها، ومسار تلك التيارات، بل ويعرف أولئك الذين كانوا يقودون تلك التيارات، لقد تسابقوا على ود السيد علي الخامنئي، وطمع كل تيار بضم السيد إلى صفوفه، وعرض كل تيار أفكاره وآراءه على السيد طمعاً بإقناعه بصواب تلك الأفكار والآراء، ولم لا يفعلون ذلك، فالسيد علي الخامنئي سيد من فروع الشجرة المباركة، وعالم دين، ومطلع، ومثقف من الطراز الأول، وهو شاب ومندفع بكل قوة، ويطمع بالأحسن والأفضل له ولمجتمعه، فضلاً عن كونه رجلاً معروفاً على مستوى خراسان كلها، وعلى مستوى الأوساط الدينية والعلمية في إيران كلها، وتلك امور لا يختلف عليها إثنان، هذه الأمور كلها دفعت أصحاب التيارات الفكرية للتهافت على السيد الخامنئي، ومحاولة ضمه إليها، ومن الطبيعي أن يعرض أصحاب تلك التيارات أفكارهم وآراءهم ونظرياتهم على السيد بكلياتها وتفاصيلها، ومن الطبيعي أن يستوعب السيد الذكي تلك الأفكار والآراء والنظريات، وأن يقوّمها ويحكم عليها على ضوء ما سمعه من حملتها، ومن الطبيعي أن يتأثر بها السيد سلباً أو إيجاباً، وأن تساهم بشكل

مباشر أو غير مباشر بتكوين ملكاته الفكرية وآرائه السياسية والاجتماعية، هذا يقودنا إلى القول بأن السيد علي الخامنئي قد عرف العقيدة التحررية الرأسمالية ووقف على فكرها السياسي والإجتماعي كما عرف العقيدة الماركسية الشيوعية ووقف على فكرها السياسي والإجتماعي أيضاً، كما عرف الجهود التي بذلت لإيجاد تحالف بين التيار الذي سمى نفسه اسلامياً وبين التيار التحرري الليبرالي بدعوى أن هنالك قواسم مشتركة بين التيارين!! ومن الطبيعي أن يقف السيد علي الخامنئي على حقيقة نظام الشاه، وفحوى وطبيعة العقيدة السياسية التي استند عليها ذلك النظام.

والوقوف على هذه الاتجاهات الثلاثة (الرأسمالية التحررية والماركسية الشيوعية ونظام الشاه) يجر معه كماً هائلاً من المعارف والمعلومات، وزيادة في الايضاح سنتوقف وقفة قصيرة عند كل توجه من هذه التوجهات، لنتعرف على حجم المعلومات والمعارف التي كونها السيد علي الخامنئي من دراسته الخاصة لكل توجه من هذه التوجهات.

اطلاعه على المرتكزات الأساسية للمذهب التحرري الرأسمالي

تتألف المرتكزات الأساسية للمذهب التحرري الرأسمالي من سبعة مرتكزات، وهي بنفس الوقت أهدافه والإطار العام لوسائله وهي كما يلي:

١ ـ **الفردية**: وتعني أن المجتمع والحكم في خدمة المصالح الفردية، وهذه المصالح هي القيم العليا في المجتمع، وتعني التحرر من السلطة خارج الإنسان وداخله أي أن حرية الشخص بماله وفكره وعقيدته وحركته مضمونة بمواجهة السلطة.

٢ ـ **التحررية**: ومعناها الصيغة التي من خلالها وفيها يمكن التوفيق بين التحررية والسلطة وهي:

أ ـ الديمقراطية: وهي عبارة عن الأسلوب الذي يقول بتمليك

السلطة للمواطنين عن طريق الانتخاب بحيث يكون الفرد حاكماً ومواطناً بنفس الوقت، فيكون الحكم وقراراته وقوانينه من صنع الافراد.

ب ـ التجريد: يتحقق بإصدار قوانين مجردة فيسري القانون على الجميع وتتحقق المساواة.

جـ ـ وجود قطاعات محجوزة في وجه السلطة كالحقوق الطبيعية.

د ـ عند التصادم بين الحرية والسلطة ترجح الحرية.

٣ ـ **التعددية**: السلطة للأكثرية عن طريق الانتخاب، وللأقلية حق المعارضة، لكن القرار للأكثرية.

٤ ـ **الرأسمالية**: المذهب التحرري يُعطي الأفراد حق تملك وسائل الانتاج بدون حد وهكذا تتكون فئة قليلة تملك كل شيء، وأكثرية ساحقة لا تملك إلا الكفاف بأقل حدوده.

٥ ـ **العقل**: مستقل عن الدين والأخلاق، ويمنع القانون من الوصول إلى حريات الناس في عقائدهم وضمائرهم والعقل مصدر كل خير.

٦ ـ **الدولة القومية**: لأن الدولة تضم تحت سلطانها كل الأفراد والجماعات والقوى الخاضعة لها وهي مفهوم قومي شامل وليس مفهوماً طبقياً كالماركسية والدولة لجميع مواطنيها لأنها صيغة المصالحة بين الطبقات[(١)].

السيد علي الخامنئي يعرف كليات وتفاصيل التحررية الرأسمالية

السيد علي الخامنئي محيط بكليات وتفاصيل التحررية الرأسمالية، ومحيط ببناتها، وبالظروف التي ظهرت بها، ويعرف كيف انتقلت من مرحلة

---

(١) راجع البنى الدستورية للدكتور حسن الجلبي ص٦٥ ـ ٨٠ وكتابنا مرتكزات الفكر السياسي ص١٤٥ ت.

الفكر إلى الواقع التطبيقي، وهو على علم بالنتائج السلبية والايجابية التي أسفر عنها هذا التطبيق، والدليل على ذلك أنه قد ناقش أدق تفاصيلها من خلال خطبه ومؤلفاته وتصريحاته، ففي الكلمة التي ألقاها سماحته أمام طلاب اعداد الأساتذة الجامعيين بتاريخ ١٩٩٨/٩/٣م ناقش سماحته فكرة الحرية على مستوى العالم، ومع أن الخطاب مرتجل إلا أنه قد نجح نجاحاً ساحقاً بالإحاطة بهذا الموضوع وبحثه بحثاً علمياً شاملاً، ويناقش السيد علي الخامنئي في كتابه الحكومة الاسلامية مسألة الانتخاب في الأنظمة التحررية وغيرها مناقشة الخبير المطلع، والعالم الملم بأدق التفاصيل، فيسخر من كون الشعب هو المسجل بجداول الناخبين، ويسخر من نظام الأقلية والأكثرية فيقول: وعلى سبيل المثال إذا كان ثمة شعب يبلغ عدد نفوسه عشرين مليوناً، فلو فرضنا أنه قد طلب من العشرين مليون إبداء رأيهم والإدلاء بأصواتهم كلهم بشأن أمر معين، طبعاً فإن استجابة هؤلاء الناس جميعاً للطلب الموجه إليهم ضرب من المحال، بيد أننا لو فرضنا جدلاً أن عشرة ملايين شخص وواحد أبدوا رأيهم بالإيجاب لصالح هذا الأمر، وأن العشرة ملايين الباقية إلا شخصاً واحداً صوتوا بالسلب ضد هذا الأمر المذكور فالنتيجة هي أن المجموعة الأخيرة التي تقل شخصاً واحداً عن المجموعة الأولى ستكون مضطرة للانصياع والطاعة نزولاً عند رغبة المجموعة الأولى!! هذا في الوقت الذي نعلم فيه أن المقترعين والمدلين بأصواتهم يشكلون دائماً النسبة الأقل من سكان كل بلد، حيث نستثني الأطفال والعاجزين عن الاشتراك في الاقتراع والتصويت ففي البلدان الغربية الديمقراطية تدل الإحصاءات الرسمية أن عدد المشاركين في التصويت أقل دائماً من الأشخاص المؤهلين والقادرين على المشاركة بكثير أما في الجمهورية الاسلامية فإن الذي حصل كان أمراً آخر لا نظير له في العالم إذ الأغلبية الساحقة والأكثرية العظمى من المؤهلين والقادرين على الإدلاء بأصواتهم قد شاركوا في الاستفتاء العام على قيام

الجمهورية وفي انتخاب مجلس الخبراء ورئاسة الجمهورية وغيرها»[1] والخلاصة بأن من يتتبع مؤلفات السيد الخامنئي، وخطبه وتصريحاته، لا يخالجه أدنى شك بأن السيد الخامنئي على علم بكليات وتفاصيل المذهب التحرري الرأسمالي.

إطلاعه على المرتكزات الأساسية للمذهب الماركسي الشيوعي

يقوم المذهب الماركسي الشيوعي على ستة مرتكزات أساسية، وهي بنفس الوقت أهدافه والإطار العام لوسائله وهي كما يلي:

١ ـ **المادية الجدلية التاريخية**: وتعني أن المادة هي جوهر كل شيء، وهي قاعدة كل شيء، وكل النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية منبثقة عنها، ومعنى الجدلية أن التغييرات كلها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تحدث على أساس ما يقوم من تناقض بين القاعدة أو الواقع المادي وبين ما يجب أن يقوم عليه هذا الواقع في الجوهر والحقيقة وتعني التاريخية أن التاريخ البشري ما هو إلا صراع طبقي مستمر وهذا هو الجانب الفلسفي للشيوعية.

٢ ـ **دكتاتورية البروليتاريا**: ومهمتها نقل السلطة من الطبقة الرأسمالية إلى البروليتاريا التي تمثل الأغلبية في المجتمع أي نقل السلطة من البرجوازية الحاكمة في الأنظمة الرأسمالية إلى البروليتاريا التي ينبغي أن تحكم في النظام الشيوعي وهذا هو الجانب السياسي من الشيوعية.

٣ ـ **الاشتراكية**: تتحقق بنقل ملكية وسائل الإنتاج برمتها إلى الدولة والغاء الملكية الخاصة وقصرها على النطاق الاستهلاكي.

٤ ـ **الشيوعية**: الشيوعية الدنيا هي الاشتراكية، والشيوعية العليا تتمثل

---

(١) الحكومة في الإسلام للسيد علي الخامنئي ص٣٢ ـ ٣٣.

بإدراك التطور الاجتماعي مرحلة الشيوعية بفضل دكتاتورية البروليتاريا، عندئذ تختفي الطبقة ويكون الناس متساوين وتختفي الدولة، لأنها أداة بين الطبقة الحاكمة، وبالشيوعية يتحرر الإنسان من الدولة ومن الطبقة ومن الدين ومن الاقتصاد ومن الاسرة!!

٥ ـ **الأممية**: ومعنى ذلك إنشاء ما يسمى بدولة الطبقة الواحدة وهي طبقة البروليتاريا، فتتحد الطبقات الحاكمة في كل دول (البروليتاريا) لتشكل دولة عالمية.

٦ ـ **الدين وهم**: وترى الشيوعية ـ يلعنها الله ـ أن الدين مجرد وهم، والله مجرد قوة خفية، لا يُسلمّ العقل والعلم بوجوده على حد تعبير كارل ماركس ـ اللهم إنا نعوذ بك من كفرهم[1].

وما يعنينا في هذا المقام هو التأكيد على أن السيد علي الخامنئي قد أطلع على كليات وتفاصيل الماركسية الشيوعية، فالحزب الشيوعي الإيراني كان مدعوماً من دولة عظمى وهي الاتحاد السوفياتي، والصين أيضاً وله نشاط اعلامي هائل في إيرانٍ، ومن الطبيعي أن يُصدر الكتب بصورة مستمرة، وأن يوزع النشرات التي تحمل فكر وتطلعات الماركسية الشيوعية، وكان بامكان المواطن الإيراني العادي أن يطّلع على مفاهيم الماركسية الشيوعية، فكيف بالسيد علي الخامنئي الذي يعتبره أعداؤه وأصدقاؤه على السواء من خواص الخواص ومن النجوم المتألقة، فضلاً عن ذلك فإن السيد الخامنئي متعطش للمعرفة، تواق لمعرفة طريقة الآخرين بالتفكير، لأنه بدون معرفة ذلك يتعذر مواجهتهم ودحض حجتهم، ثم إن القرآن الكريم أبرز رأي الكافرين، وحججهم، بل أبرز أقوال الشيطان وحججه، ثم دحضها بالحجة البالغة

(١) راجع البنى الدستورية للدكتور حسن الجلبي ص١١١ ـ ١١٥ وكتابنا مرتكزات الفكر السياسي ص١٤٥ ـ ١٤٧.

وتركهم بلا حجة وعلى أي حال فإن الشعب الإيراني بطبعه لم يستسغ العقيدة الماركسية الشيوعية، لأنه شعب متدين، وينفر بفطرته من الأفكار الشيوعية القائمة على الإلحاد وتجاهل وجود الدين بل ومقاومته، لذلك خلقت الشيوعية ميتة في إيران والخلاصة أن السيد علي الخامنئي قد عرف واطلع على الأفكار السياسية السائدة في العالم، وكلماته وخطبه وتصريحاته وتحليلاته الدقيقة، تؤكد هذه الحقيقة، ومعنى ذلك أن السيد علي الخامنئي قد وعى الإسلام وفهمه فهماً كاملاً ومن خلال الإسلام فهم المسيحية وفهم اليهودية أيضاً ثم اطلع على كليات وتفاصيل الفكر السياسي في العالم المتمدن أما من العقيدة التحررية الرأسمالية أو من الماركسية الشيوعية أو من عملية التزاوج غير الشرعي بين هاتين العقيدتين والذي ظهر بصورة مهجنة في العالم الثالث[١].

وبتعبير أدق لقد أحاط السيد علي الخامنئي علماً بالمذاهب السياسية فوعى المذهب الإلهي الديني، المتمثل عملياً بالإسلام، ووعى المذاهب الوضعية التي تنتسب بوضعها للبشر، بوجوهها المختلفة، مذهب السلطان المطلق، والمذاهب السياسية المهجنة كنظام الشاه، والمذهب التحرري الغربي الرأسمالي، والمذهب الشيوعي الشرقي، وكل هذا أثرى ثقافته وعلومه، وأهّله لأن يكون رئيس دولة من الطراز الفريد من نوعه، لأنه مثقف ثقافة عالمية كاملة.

ومن الطبيعي أن السيد علي الخامنئي قد فهم نظام الشاه على حقيقته، فهو نظام دكتاتوري بوليسي غاشم، وادعاءات الشاه التحررية والاشتراكية والثورات البيضاء، أصباغ على الدول والشعوب الأخرى، ولكن لا تنطلي على الفئة الواعية من الشعب الإيراني لقد كشفت هذه الفئة نظام الشاه على حقيقته البشعة، وحتى أن بشاعة هذا النظام كانت واضحة أمام العوام.

---

(١) راجع كتابنا مرتكزات الفكر السياسي ص١٢٥.

ثقافة السيد علي الخامنئي الواسعة

خلال مدة ١٩ عاماً من الدراسة والبحث المكثف والمتواصل عن الحقيقة، وخلال ١٤ عاماً من التدريس والمحاضرات واللقاءات الدائمة والمتواصلة مع العلماء الأعلام في إيران، تمكن السيد علي الخامنئي من تكوين ثقافة واسعة، قل أن تجد لها نظيراً، لم يكن السيد علي الخامنئي متعلماً فحسب، بل كان فوق هذا وذاك مثقفاً من الطراز الأول.

لقد تمكن السيد علي الخامنئي خلال هذه المدة من فهم الإسلام كعقيدة وشريعة، ومن استيعابه بكلياته وتفاصيله الدقيقة، لقد تلقى الإسلام من أوثق وأنقى مصادره وهم أهل بيت النبوة أعدال الكتاب، كما استوعب السيد علي الخامنئي تاريخ الإسلام حلوه ومره ووقف على أدق تفاصيل هذا التاريخ، ووقف على كافة أنماط الحكم التي طبقت عبر تاريخ دولة الخلافة، والحجج التي استند عليها منظرو تلك الأنماط، وتوقف طويلاً عند حكومة الرسول الأعظم، وحكومة الإمام علي والترابط المحكم بينهما، ثم وقف على أسباب الانحراف، وتعرف على قادته، وعلى أساليبهم الملتوية لقد تعرف على الخواص والعوام ودور الفريقين بالاستقامة أو الانحراف.

كما تمكن السيد علي الخامنئي من الوقوف على العقيدة التحررية الرأسمالية، والتعرف على بناتها الأوائل، والوقوف على أفكارهم، ومواكبة هذه الأفكار وهي تتحول إلى بنى دستورية وأنماط حكم مختلفة، وإن تشابهت كلياتها كما وقف على النتائج المتواضعة التي اسفرت عن التطبيقات المختلفة لهذه العقيدة، وعندما تطلّع على كتابه الغزو الثقافي، أو الحكومة الاسلامية، أو كلماته وخطبه ستكتشف بكل يسر أن السيد علي الخامنئي، ملم بأدق تفاصيل هذه العقيدة، وقادر على نقضها علمياً، وبأساليب البرهنة المعاصرة.

كذلك فإن السيد علي الخامنئي قد وقف على العقيدة الماركسية الشيوعية وتعرف على بناتها الأوائل، ووقف على أفكارهم، ووعى تاريخ تحول هذه الأفكار إلى بنى دستورية، وأنماط حكم مختلفة ومتناقضة بالرغم من وحدة مصدرها، كما أحاط علماً بالنتائج المدمرة التي أسفر عنها تطبيق هذه العقيدة المناقضة لطبيعة الإنسان وفطرته.

كما كان السيد علي الخامنئي على علم بطبيعة وتاريخ الصراع الدائر بين الدول التي اتبعت هاتين العقيدتين للسيطرة على العالم، ونشر هذه الأفكار المتناقِضة، وعلى علم ببداية ونهاية ونتائج هذا الصراع، لقد تأثر إلى أبعد الحدود بنوعية وحجم الآلام والمعاناة التي أسفر عنها هذا الصراع.

هذه المعلومات والمعارف الهائلة التي اكتسبها السيد علي الخامنئي بمدة قصيرة نسبياً جعلت منه مثقفاً عالمياً من الطراز الفريد من نوعه لقد وقف على خلاصات الفكر الديني بمختلف مراحله، كما وقف على كليات وتفاصيل الفكر الإنساني في العالم مما أهّله ليكون مرجعاً وعالماً ورئيس دولة من الطراز الخاص والنادر، فإذا أضفت إلى ذلك أن السيد علي الخامنئي خطيب مفوّه، ورابط الجأش، تيقنت من حجم تأثيره من هذه الثقافة العالمية الواسعة.

الباب الثاني

السيد الخامنئي والثورة الإسلامية الإيرانية

الفصل الأول

الإمام الخميني يعلن الثورة على الشاه ونظامه

طبيعة نظام الشاه والقوى السياسية فوق الساحة الإيرانية

الشاه ليس حاكماً عادياً، إنما كان جباراً في الأرض ومن المشرفين، لقد علا شأنه، وجاملته دول الغرب والشرق معاً، ودول الجوار دفعاً لشروره وغروره وطمعاً بالاستفادة من موقع إيران المتميز، ومن امكانيات الشعب الإيراني الهائلة التي كان يتصرف بها الشاه تصرف المالك بملكه، واكتشاف البترول في إيران والتوسع في انتاجه وتسويقه، أفقد الشاه توازنه، وجعله يُصاب بجنون العظمة، فبنى جيشاً كبيراً، وُصف بأنه عديل لجيوش الدول العظمى، وقدم نفسه كشرطي للخليج، وكحارس لمصالح الدول العظمى، فهابته الدول المجاورة، وطلبت وده، لاعتقادها أنه مفتاح الغرب والشرق معاً، فلم يعد بوسع دول الشرق أن ترتب أمراً، أو تفكر بتدبير أو تحالف دون أن يكون الشاه على رأسه، أو الطرف الرئيسي فيه.

وتكونت للشاه على المستوى الداخلي هيبة خاصة قوامها الرعب والخيفة، فلم يكن بوسع أي كان أن يخاطب الشاه باسمه الشخصي، دون أن يشتمل ذلك على الفاظ معينة من التبجيل، مثل يا صاحب الجلالة، أو جلالتكم أو يا ملك الملوك، أو يا مولاي المعظم، أو أي مصطلح آخر يؤدي

إلى هذه المعاني، ويحرس هذه الهيبة المفتعلة قوة عسكرية هائلة تستنفد الجزء الأكبر من الموارد التي تصل الخزينة، وتتألف هذه القوة الهائلة من جيش نظامي، وشرطة ومخابرات «سافاك» لها القدرة على معرفة ما يقوله أحد الزوجين للآخر، وأن تمحو من الوجود مدناً بأكملها، وهي قوة أرادت أن تنال نصيباً من موارد حكومة الشاه، ومفتاح ذلك هو الولاء أو التظاهر بالولاء، أو التطرف بموالاة صاحب الجلالة!! وحكومته!!

لقد انقلب الشاه إلى فرعون حقيقي إلا أنه لم يطلب من الإيرانيين صراحة أن يعبدوه من دون الله، ولم يدعِ صراحة الألوهية، ولكن الشاه كان يعتقد أن بإمكانه أن يدوس أقدس المقدسات أو أن يتجاهل وجودها ولم تكن هنالك من حواجز أمام ما يريد الشاه أن يبدله أو يغيره أو يعدله، فصار قوله الفصل، وكلمته هي العليا واقعياً وإرادته هي القانون من الناحية الفعلية هذه هي حقيقة الحال، وتلك هي طبيعة نظام الشاه، ولكن لغايات الدعاية والاستعراض أمام الدول والشعوب الأخرى فقد كان لنظامه مجلس نواب ومجلس أعيان، ومجلس وزراء مسؤول أمام المجلسين، فنظام الشاه من حيث الظاهر والشكل كالنظام البريطاني، أما من حيث المضمون فهو نظام فرعوني، ولم يكتفِ بتمويه المجالس الثلاثة بل فكر بإنشاء حزبين ليحاكي النظام الأمريكي من الناحية الشكلية، وأخذ يتحدث عن إعطاء المرأة حقوقها، ويتحدث عن الاصلاح الزراعي كما تتحدث الدول الاشتراكية!! وإذا كان الشعب الإيراني غير قادر على الثورة أو غير أهل لها!! فإن بإمكان الشاه أن يثور على نفسه ونظامه ثورة سماها الثورة البيضاء!! لقد كان نظام الشاه الشكلي مرقعاً بألف رقعة كل رقعة تختلف عن الأخرى بالكم والكيف، ربما خدع من هم خارج إيران بهذا النظام، لكن الإيرانيين، كانوا على علم بطبيعة هذا النظام وحقيقته، كان الخواص على حد تعبير السيد الخامنئي قد يئسوا من اصلاح هذا النظام ولكنهم كانوا عاجزين عن تغييره.

انتاج البترول على نطاق واسع وارتفاع أسعاره جعل الثروة تتدفق على إيران، فقفزت إلى مصافي الدول الغنية، ولم تكن هنالك فوارق عملية بين أموال الدولة وأموال الشاه الشخصية، فإيران كلها ملك خاص للشاه وعائلته يعطي بغير حساب ما يشاء لمن يشاء، فلا رقيب من الناحية العملية على تصرفات الشاه، ولم تكن مهمة الجيش أن يسترجع الأراضي التي احتلها الاتحاد السوفياتي، ولكن كانت مهمته أن يكون بمثابة حرس خاص للشاه الذي أغدق عليه العطايا التي نقلت ضباطه من حال إلى حال، وأوجد إعلام الشاه حالة من الانبهار العام صوّرت الشاه بصورة السيد والوالد ورب النعمة، والفضل كله له، فصار حبيب الشاه حبيب الجيش، حتى ولو كان من بني إسرائيل أو المجوس وصار عدو الشاه عدو الجيش حتى ولو كان سيداً من أهل بيت النبوة يغضب الجيش والشرطة والسافاك لغضبه ويرضون لرضاه، وما أصاب القوة العسكرية أصاب الجهاز الإداري كله، أما طواقم الحكومة والنواب والأعيان فقد تحركوا ضمن الدائرة التي رسمها الشاه، وكان هدفهم منصباً بالدرجة الأولى والأخيرة على أخذ قسم من المال والجاه والنفوذ، وتلك أمور لا تُدرك مع السلامة إلا برضا الشاه وبطانته الأقربين، وواقعياً كان هنالك تحالف بين كافة المنتفعين من نظام الشاه، وصار لهذا التحالف آليته، وحرماته الخاصة والمنتفعون من نظام الشاه كانوا هم قاعدته الشعبية الوحيدة!!

لقد تمكن الشاه بعد عودته عام ١٩٥٣ من أن يحطم بهذا التحالف المعارضة الإيرانية تحطيماً كاملاً، فقد بطش بحزب توده بطشة كبرى وما تبقى من أعضائه صاروا دمى وموظفين لدى الإتحاد السوفياتي وبعضهم كان يتقاضى رواتبَ من خزانة الشاه ومن خزانة الاتحاد السوفياتي معاً، لأن هذا البعض كان مزدوج الولاء أو هكذا ظهر أما القوى العلمانية، فلم يكن لها تأثير يذكر، وكان هدفها المشاركة بلعبة الحكم الشكلية، وأخذ نصيبها من منافعه، وبقيت المؤسسة الدينية على حالها تعمل وفق المخطط الذي بقيت

وفيّة له طوال القرون الماضية ومضمونه رفض السلطة الواقعية، وعدم الاعتراف بها وبشرعيتها من جهة ومسالمتها وموادعتها دفعاً لشرورها من جهة ثانية، وتمتين علاقتها بالفئة المؤمنة وتكريس استقلالها عن السلطة الفعلية من جهة ثالثة.

وأقصى ما كانت تطمع فيه كافة القوى السياسية العاملة فوق الساحة الإيرانية أن يكون لنظام الشاه دستور، يلتزم به، وأن لا يستفز الشاه ونظامه مشاعر الإيرانيين الدينية والوطنية بشكل لا يمكن تأويله!! لم يخطر ببال أي زعيم قط أن يتحدى الشاه أو أن يفكر باسقاطه، أو اسقاط نظامه، من الجائز أن تخطر هذه الأفكار بالبال، أو أن ترد على الخواطر، ولكنها تبقى دائماً ضمن أسوار الفكر الشخصي، ومن الجائز أن تكون هنالك فلتات لسان من فرد أو أكثر في ثورة عاطفة أو هياج شخص، لكن مثل هذه الفلتات كانت كزوبعة في فنجان بلا أثر ولا تأثير، لقد أصيب الشعب الإيراني بالاحباط، «وضبع» الشاه كافة القوى العاملة فوق الساحة الإيرانية، ويأسها تماماً من إمكانية تحديه أو التفكير الفعلي باسقاط نظامه، وقدّرت القوى السياسية العاملة أن نظام الشاه من الظواهر الطبيعية كالجبال والبحار والأنهار التي لا يمكن للإنسان تغييرها، وخففت عن نفسها بأن الدولة كائن معنوي يلد وينمو ويشب ويهرم ويشيخ وأنه بعد قرن أو قرون سيشيخ نظام الشاه ويسقط تلقائياً دون أن تتكلف تلك القوى عناء مواجهة خاسرة معه، وإلى أن تأتي ساعة الفرج بعد قرن أو قرون ليت الشاه يلتزم بالدستور!!

أخطاء الشاه القاتلة

لقد ارتكب الشاه مجموعة كبيرة من الأخطاء القاتلة، وسجن نفسه ضمن تصورات عقيمة تجاوزها الزمن اسهمت كلها بسقوط نظامه، ورحيله عن إيران واسهمت بنجاح الثورة الإيرانية الإسلامية ومن أهم هذه الأخطاء:

١ ـ اعتقاده بأن إيران كلها ملكه الخاص: فالشاه في الواقع كان يعتقد أن إيران كلها الأرض والبحر والجو ممتلكاته الخاصة به، ورثها عن أبيه، وأن الإيرانيين كلهم، أقنان أو عبيد، أو موالي يعيشون فوق أرضه الخاصة، ويتلقون نعمه ومننه، وهو يعاملهم معاملة خاصة، مع أنه ليس مديناً لهم بشيء!! فأبوه هو الذي أورثه إيران والشاه هو الذي حافظ على هذه التركة وحماها في ظروف صعبة، فالايرانيون مدينون للشاه، ببقائهم وبنعمه التي أغدقها عليهم!! ولم تتغير عقلية الشاه حتى بعد أن جاء نظام الوزارة، ونظام التمثيل النيابي، فواجب الوزارة ومجلس النواب أن يسترشدوا بآراء الشاه وأن يهتدوا بهديه، وأن يدوروا في الفلك الذي رسمه لأن الشاه وحده هو الرقم الصحيح وغيره كسور لا يكادون يفقهون قولاً!! كان في قرارة نفسه يحتقر فكرة الديمقراطية وفكرة الشورى، ويعتبرها أفكاراً منحلة، ولكنه مضطر أن يأخذ بظواهرها باعتبارها تقليعة أو موضة تأخذ بها الدول الكبرى الغربية، ومع أن الشاه حبيب الغرب وربيبه إلا أنه بعد ارتفاع أسعار البترول عقد مؤتمراً صحفياً بتاريخ ٢٣ كانون الأول ١٩٧٣ ومما قاله في هذا المؤتمر «ثمة انحلال في الغرب، وليس لديهم شيء نتعلمه منهم، وهم يريدون تصدير أفكارهم المنحلة إلينا!! تلك التي يسمونها ديمقراطية، لكن ذلك الشيء لا يمكن أن نقبله» فالشاه لا يقر للشعب بأي دور حقيقي في حكم نفسه، ويرى أن الديمقراطية أفكار منحله!! وأن حكمه المطلق هو الحكم الصائب، وهو الفكر الوحيد غير المنحل، قد يقول قائل ربما كان الشاه لا يفهم معنى الديمقراطية ولكن هذا مستبعد جداً، والحقيقة أن الشاه حاكم مطلق، ورجل فردي وحتى في الأوقات العصيبة التي كانت تهدد عرشه بالسقوط، وملكه بالزوال، كان الشاه مستغنياً عن غيره، معتمداً على قوته، قانعاً بفرديته المطلقة، لقد ترك تفكير الشاه، ونمط حكمه بصمات كئيبة على الحياة الإيرانية كلها، ظلت تعمل وتعتمل في النفوس، وساهمت مع أخطائه

الأخرى في خلق بواعث الثورة، وإثارة الايرانيين ضده.

٢ ـ التمسك بظاهر العظمة الفارغة، كان الشاه يعتقد في قرارة نفسه أنه أعظم ملوك الأرض، أو على الأقل هكذا ينبغي أن يكون لذلك تلقب بلقب «شاهنشاه» أي ملك الملوك، وبإيحاء منه صار الجميع يخاطبونه بالفاظ تحمل كل التفخيم والتبجيل، ويمثلون بين يديه، ويتصرفون في حضرته وفق مراسم وطقوس توحي للناظر غير المتبصر، بأن الشاه أحد فراعنة مصر الأقدمين الذين أشاعوا بأنهم آلهة حقيقية، وأرغموا رعاياهم على عبادة تلك الآلهة الزائفة كان الشاه يعتبر نفسه كسرى زمانه، أو خليفة كسرى، ويعتبر حكمه امتداداً لحكم الأكاسرة، لذلك سمى حرسه الخاص «بالخالدين» وهو عين المصطلح الذي كان يطلق على الحرس الخاص لكسرى!!.

ومع أن عنده تيجاناً متعددة إلا أنه عندما أراد أن يحتفل بتتويجه صنع في باريس تاجاً خاصاً له ليضعه على رأسه وزينه بـ٣٣٨٠ جوهرة، وصنع تاجاً لزوجته رصعه أيضاً بالاف المجوهرات وبعد سنة واحدة من تتويجه لنفسه احتفل بمناسبة مرور الفين وخمسمائة عام على قيام الحكم الملكي الكسروي، ودعا لهذا الاحتفال ٨٦ ملكاً وأميراً ورئيس دولة، وأنفق خلال أيام الاحتفال الثلاثة على ضيوفه وحاشيتهم ما يكفي لاطعام الشعب الإيراني بأكمله لمدة سنة كاملة لقد كان هم الشاه منصباً بالدرجة الأولى والأخيرة على إثبات عظمته لشعبه ولجيرانه وللعالم كله، واقناع الجميع بأنه ملك الملوك فعلاً وليس لديه ما يمنع من أن يلجأ إلى كل وسائل الإثبات التي يراها مناسبة بما فيها التشبه بكسرى أو بقيصر!! كان يفخر بأن بريطانيا العظمى مدينة له بالنقود!!

٣ ـ تجاهل مشاعر الشعب الإيراني تجاهلاً يصل إلى درجة الاستهتار: والاعتماد على القوى المعزولة عن الشعب، صحيح أن الشاه هو ملك الايرانيين لكنه كان يعتقد أنه ليس مديناً للإيرانيين بهذا الملك فهم لم يتوجوه ملكاً، ولم يساهموا بإنشاء ملكه، لقد انتزع أبوه الملك من غيره، وبنى هذا

الملك بساعده وجهوده الشخصية دون أن يكون للشعب الإيراني أي دور!!
كان الشعب الإيراني شأنه شأن غيره من الشعوب الإسلامية يتفرج على «الأبطال» الذين يتغالبون على هذا الملك، وكان هذا الشعب على استعداد ليصفق للغالب كائناً من كان، وعندما مات أبوه انتقل إليه هذا الملك باعتباره تركة والده لا والد الاخرين!! وكان من المفترض بعد وفاة أبيهَ أن تقتلع الأعاصير هذا الملك، وأن تخرجه من أسرة بهلوي ولكن الشاه غالب كل الأعاصير وغلبها!! وحافظ على ملكه الذي ورثه من أبيه، وعندما تصدى الشاه لكافة الأعاصير كان الشعب الإيراني يتفرج عليه، والذين ساعدوه من أفراد الشعب قبضوا أجورهم!! ثم إن إقليم الدولة نفسه ليس أكثر من ممتلكات شخصية للشاه، والشعب الإيراني نفسه ليس أكثر من مجموعة منظمة من الناس اذن لها الشاه مشكوراً باستغلال املاكه الخاصة مقابل أن ينالوا شرف رعويته!! ومكين حمايته، وتلقى منه ونعمه، ولكن هؤلاء الناس لم يقدروا نعمته حق قدرها، فتعاطفوا مع الدكتور مصدق، وخانوا ولي نعمتهم ولم يجد الشاه يومذاك إلا القوى الأجنبية التي أعادته إلى عرشه بعد أن كاد يخسره!! فالشعب الإيراني ليس جديراً بثقة الشاه! أو الشاه ليس مديناً للشعب الإيراني ولا بأي شكل من الأشكال،!! وحتى الحفنة القليلة من الإيرانيين التي التفت حول الشاه ووقفت معه لم تقف معه من منطلق المبادىء، أو الاقتناع بعظمته، إنما وقفت معه طمعاً بما في يديه، وسعياً وراء مصالحها، ومقابل أجرة معينة، وقد ربحت هذه القلة من هذا الوقوف معه، إذ دخلت في خدمة الشاه وهي جائعة ومعدمة، وبعد فترة قليلة غمرها الشاه بنعمه فتحولت من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش، ومن الحاجة إلى الترف، فحتى هذه البطانة مدينة للشاه والشاه ليس مديناً لها!!.

هذه حقيقة مشاعر الشاه وتصوراته واعتقاداته الحقيقية لهذا كان الشاه لا يثق بالشعب الإيراني، ولا يعتمد عليه، وينظر له نظرة مليئة بالشك والحذر،

وحتى طواقم حاشيته وعماله وحكومته كان يعتبرها طواقم مرتزقة، تعمل مقابل المنافع والنعم التي تتلقاها منه لذلك اعتمد في كل قرارته على اليهود والبهائيين وعلى الأجانب!!

٤ ـ لقد بلغ عدد المستشارين الأمريكيين الذين استوردهم الشاه قرابة أربعين ألف مستشار، ومع أن أكثر من ٩٧٪ من الشعب الإيراني مسلم، ومع أن كافة المسلمين في العالم كانوا في حالة نقمة على إسرائيل لأنها احتلت الأرض المقدسة وأولى القبلتين وثالث الحرمين، إلا أن الشاه قد تحدى مشاعر الإيرانيين، وأقام علاقات وثيقة، واستراتيجية مع الدولة اليهودية، بالوقت الذي لم يجرؤ فيه أي حاكم إسلامي في العالمين العربي والإسلامي على مجرد التفكير بذلك، لقد سار على خطى أتاتورك تركياً وفوق ذلك قام باستقدام الخبراء اليهود، وأعطى اليهود حرية التحرك في إيران، لقد كانت العلاقة مع اليهود من الأسباب التي آذت مشاعر المسلمين في إيران، واحتضنت بذرة الثورة في ما بعد!!

٥ ـ ثم قام الشاه بإلغاء التقويم الهجري الاسلامي واستبدله بالتقويم المجوسي، وقد صدم هذا الإجراء مشاعر كافة المسلمين في إيران، وأثار سخطهم، واعتبروه عملاً استفزازياً وإهانة بالغة للإسلام والمسلمين بل وشكل خطراً يهدد وجود الإسلام نفسه، ومما رسخ هذا الاعتقاد أن صحيفة اطلاعات قد نشرت في عددها رقم (١٥٥٧٥) رسالة من المجوس موجهة إلى شاه إيران جاء فيها «إن المجتمع المجوسي في جميع أنحاء العالم يشكر الشاهنشاه آريا مهر، ويرى من واجبه رد الجميل، لأنه لم يأت غيره منذ هجرة المجوس من إيران من أحياء الثقافة المجوسية وحفظ التاريخ المجوسي باخلاص[1]».

---

(١) إيران من الداخل، ص٢٢ نقلاً عن دروس في الجهاد والرفض ص٣٢٩.

وكانت مرحلة الانفتاح على الغرب التي بدأها نظام الشاه عام ١٩٦٠ مصدراً إضافياً لاستفزاز المشاعر الإسلامية، إذ لم تقف خطى الالتحاق بالغرب عند حدود شراء الاسلحة، والمصانع، واستقدام افواج المستشارين العسكريين وغيرهم، بل تعدى ذلك إلى استيراد مفاسد الغرب وفضائحه، فقد كانت هنالك قناة تلفزيونية خاصة لا تذيع إلا البرامج والأفلام الأمريكية، مما يستفز مشاعر أي مجتمع مسلم، بل وأي مجتمع شرقي!! وطبقاً للإحصاءات الرسمية فقد كان في طهران وحدها ٨٦ نادياً للاجتماعات الرخيصة، و٨ صالونات لعرض البرامج الخليعة، و٧ مدارس لتعليم الرقص، وبلغ عدد الحانات في العاصمة وحدها ٢٠٧٥ حانة تبيع الخمور المحلية العادية و٨٢ حانة لبيع الخمور الأجنبية الراقية»[١].

٧ ـ ويبدو واضحاً أن الشاه قد خطط لتكون إيران دولة علمانية كتركيا تماماً، وخطط أيضاً ليجرد عملياً الشعب الإيراني من أية صلة تربطه بالإسلام، وصمم أن يحمله على ترك كافة ما أمر الله به، وإتيان كافة ما نهى الله عنه، فإن فعل الإيرانيون ذلك، فيعني أن إيران صارت متمدنة وأن الشعب الإيراني صار جزءاً من الغرب! والحياة الغربية والغرب هما مثل الشاه الأعلى في كل شيء!!

٨ ـ وطبقاً لسجلات الشرطة فإن بيوت الدعارة غير المرخصة قد بلغت ١٨٧٦ داراً قبل خمس سنوات من الثورة، بمعنى أن هنالك بيوت للدعارة كانت تحصل على رخص رسمية من الدولة!! لقد انتشرت تجارة المخدرات، وكثر الذين يتعاطونها، وشقيقة الشاه اشرف بهلوي هي التي كانت تدير وتسيطر على تجارة الأفيون في إيران، وكانت مدينة شيراز تشهد سنوياً مهرجاناً عاماً للثقافة والفنون تتخلله مشاهد في غاية الفحش وفي عام

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٠ ـ ٣١.

١٩٧٧ شاهد الناس عرضاً مسرحياً عارياً لفرقة أجنبية، وأصدرت وزارة التعليم العالي أمراً إلى كافة الجامعات بعدم قبول تسجيل النساء اللواتي يرتدين الشادور.

٩ ـ وفي سنة ١٩٦١ نشرت جريدة كيهان أمراً لرئيس وزراء الشاه أسد الله تناول تعديل قانون المجالس المحلية وأهم ما في هذا التعديل أنه قد «ألغى شرط الإسلام بين المرشحين، وألغى القسم على القرآن الكريم عند الترشيح لتلك المجالس على أن يحل محله أي كتاب سماوي آخر معترف به!!».

كانت هذه الخطوة الأخيرة سبباً في تفجير الموقف في قم، إذ ظهر اسم روح الله الموسوي الخميني على مسرح الأحداث لأول مرة. والخلاصة أن الشعب الإيراني قد اقتنع بأن الإسلام حقيقة في خطر، وأن السيل قد بلغ الزبى، وأن الشاه قد تجاوز كل الحدود، وأنه لا يدري من الناحية الفعلية إن كان في إيران شعب، أو كان في إيران مؤسسة دينية!![١].

وبدت استحالة تحدي نظام الشاه

على الرغم من أن الشاه قد علا في الأرض فعلاً، وتجاوز كل الحدود المألوفة في زمانه وتنكر تنكراً كاملاً لوجود الشعب الإيراني، وداس كل القيم التي آمن بها ذلك الشعب إلا أنه وبكل المعايير الموضوعية، لم تكن هنالك إمكانية لتحدي الشاه، أو خدش هيبته، فضلاً عن محاولة خلعه واسقاط نظامه، فليس بإمكان زعيم أو حزب أو جماعة إيرانية أن تتحدى الشاه، أو تشكك بسلطته، أو بشرعية تلك السلطة، أو تفكر مجرد تفكير علمي بإمكانية اسقاط نظامه وإقامة نظام بديل له!! لقد استقر في أذهان الإيرانيين أن الشاه ونظامه من ظواهر الحياة الطبيعية، فهو سلسلة من الجبال، أو محيط من

---

(١) راجع كتابنا «الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران» ص٦٥ ـ ٧١.

المحيطات، أو نظام الليل والنهار الذي لا مجال لتبديله أو تعديله أو تغييره والمتاح الوحيد هو تلطيفه، وحصر آثار بلائه!!

(وإسلاماه!!)

لقد سمعت إيران كلها أن الشاه قد استبدل التقويم الهجري بالتقويم المجوسي وعرفت إيران كلها أن نظام الشاه يُعطي تراخيصاً رسمية لفتح بيوت الدعارة، وفتح الحانات وبيت المشروبات الروحية علناً، وأنه وعائلته يرعون تجارة الأفيون ويروجون لها!! وأنه قد ألغى شرط الإسلام للمرشحين للمجالس البلدية، وألغى القسم على القرآن الكريم وأحل محله كل كتاب سماوي معترف به!! . . . إن الشاه يريد أن يجعل إيران مثل تركيا!! ويخطط ليجرد الشعب الإيراني من كل صلة تربطه بالاسلام وبالقرآن!! لقد أيقن الإيرانيون أن الإسلام والقرآن في خطر حقيقي، لقد نزلت هذه الأنباء المتلاحقة على أسماع الإيرانيين نزول الصاعقة!! خاصة على أسماع وقلوب علماء الدين ومنتسبي المؤسسة الدينية، إن دين الإيرانيين هو حياتهم، فإذا ذهب الإسلام، فأي معنى للحياة!! إن القرآن الكريم هو سر حياتهم، فإذا قضى الشاه على القرآن في إيران، فسيعيشون في ظلمة لا يبصرون شيئاً، وأي معنى للحياة في الظلمات!!

لقد أحست المؤسسة الدينية بأن من واجبها أن تتحرك فإن لم تتحرك بذلك الوقت العصيب فمتى يمكنها أن تتحرك!! ولكن من يحركها!! وكيف!! وإلى أين!! وما هي نتائج هذا التحرك!! تلك اسئلة لا طاقة لاركان المؤسسة الدينية بالإجابة عليها!! إنها لا تعرف الأجوبة!!

واقع المؤسسة الدينية

نعني بالمؤسسة الدينية الإيرانية قبل الثورة الإسلامية: المراجع الأعلام والعلماء، والحوزات العلمية الدينية، وطلابها، والأنظمة المنبثقة عنها وكافة

القوى التي كانت تحدد موقفها من الأمور على ضوء موقف المؤسسة الدينية.

لقد نشأت المؤسسة الدينية في إيران زمن الصفويين، وإليها يعود فضل هداية الشعب الإيراني إلى الإسلام وموالاة أهل بيت النبوة وقد نمت المؤسسة الدينية خلال القرون الثلاثة الماضية، وألقت أجرانها في بلاد فارس، فمنها يعرف الإيرانيون الحكم الشرعي لأمور الدين والدنيا، وبها يقتدون، وقد أصبحت واقعياً من أعظم مراكز القوى البشرية الفاعلة فوق الساحة الإيرانية.

المؤسسة الدينية بقيت وفية لصيغة «رفض السلطة الفعلية لها وعدم الاعتراف بشرعيتها، وبالوقت نفسه موادعتها ومسالمتها دفعاً لها وحقناً لدماء المسلمين، وبقياً منها على المؤمنين» وكانت المؤسسة قائمة على نظام المرجعية الذي أثبت جدواه.

وأقصى ما كانت تتمناه أن يتم الإلتزام بمبادىء دستور عام ١٩٠٦م الذي أيدته غالبية الفقهاء، وقد جاء في المادة الأولى من هذا الدستور أن الدين الرسمي هو الإسلام، وأن المذهب الجعفري هو مذهب الدولة الإيرانية ومذهب رئيسها، كما تضمنت المادة الثانية تشكيل مجموعة من الفقهاء لها الحق بمناقشة مشروع أي قانون، ورده إن كان مخالفاً للشريعة الإسلامية.

وكان مطلب المؤسسة الدينية منصباً على تطبيق المادة الثانية من الدستور، فإذا نفذت الدولة المادة الثانية من الدستور، وطبق الدستور فإن الأمور ستستقيم بين الدولة الإيرانية والمؤسسة الدينية الإيرانية وهذا ما أعلنه شريعة مداري في السنة الأولى من الثورة.

وكان الشاه خاصة بعد عودته سنة ١٩٥٣ يحاول أن يسترضي المؤسسة الدينية، وأن يتودد إليها، فرئيس وزراء يقبل يد الكاشاني علناً وعين الشاه نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الدينية، وكان الشاه يكثر من زيارة الأماكن المقدسة

كمرقد سيدنا الإمام الرضا عليه السلام، ومرقد السيدة المعصومة عليها السلام ليضفي طابعاً إسلامياً على شخصه ونظام حكمه، ويتباهى بعدد حجاته إلى بيت الله الحرام وعدد عمراته!! وكان أحياناً يستمزج على سبيل الدعاية رأي المرجع الديني في بعض الأمور ومن ذلك، استمزاجه لرأي آية الله العظمى بروجردي حول بعض الأمور الواردة ببنود «ثورته البيضاء» وحق المرأة بالتصويت!! فأجابه المرجع البروجردي:

«أخبرني يا صاحب الجلالة ألا يزال حق التصويت للرجال قائماً في هذه المملكة...» وعندما سأله الشاه عن الإصلاح الزراعي أجابه قائلاً «إن الدول التي قامت بتغيير نظام الحكم تغييراً جذرياً هي التي نجح فيها الإصلاح الزراعي!!».

في مرحلة من المراحل ظهر تجمع ديني جديد منبثق قطعاً من المؤسسة الدينية باسم علماء الدين المناضلين، ويهدف هذا التجمع إلى إيجاد مبرر للمشاركة بالعمل السياسي خارج إطار المؤسسة الدينية أو بالتنسيق معها، وتدخلت السلطة فانقسم هذا التجمع إلى قسمين قسم برئاسة بهبهاني يتعاطف مع الشاه وحكومته، والقسم الآخر برئاسة آية الله الطالقاني يناضل من أجل تحسين الأوضاع فعلاً، وأعلن المرجع الأعظم آنذاك البروجردي ادانته للعلماء الذين يتعاطفون مع الشاه، وأعلن عدم رضاه عن سياسة الشاه أيضاً، في عهد رضا خان كُمَّت الأفواه، وقلت فاعلية الفقهاء، لأنه حكم البلاد حكماً مطلقاً، واذل الشعب بالفعل، ولم يخلص الناس منه غير الحلفاء الذين خلعوه بتهمة اتصاله مع هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية!

ويمكنك القول أن المؤسسة الدينية من بداية الأربعينات حتى بداية الثورة كانت ترى، أن تقيد الشاه بالدستور، ووجود رقابة فقهية على موافقة القوانين للشريعة الإسلامية هي الصيغة الأكثر قبولاً عندها لضمان تعايش الشعب مع الشاه وحكومته.

وليس معنى ذلك أن المؤسسة الدينية كانت تعترف بشرعية حكم الشاه، لقد كانت من أشهر الرافضين لهذا الحكم، ولا ترى له أي نصيب من الشرعية، لكنها كانت مضطرة للموادعة والمسالمة عملاً بسياسة قد استقرت عليها، وذلك دفعاً للشر، وحقناً للدماء، وحفاظاً على الذين آمنوا، لأن دفع المفاسد أولى من جلب المصالح»[1].

لكن الصورة قد اختلفت الآن، إن الإسلام، والقرآن في خطر، والشاه لم يتقيد لا بالدستور ولا بالذوق، إنه يسعى لاقتلاع الإسلام في إيران من جذوره، ولا يمكن أن تبقى المؤسسة الدينية على موقفها، يجب أن تنهض، ويجب أن تتصدى للخطر ويجب أن تواجه الشاه ونظامه دفاعاً عن الإسلام، وليكن ما يكون فما معنى الحياة بعد ذهاب الإسلام والقرآن، ولكن من الذي يقود المواجهة، ومن الذي يتصدى للخطر!!

حيرة إيران والمؤسسة الدينية وهدايتها

قبل أن يتألق نجم الإمام الخميني، كان هنالك اجماع بين الإيرانيين بأن كافة الصيغ والأفكار والمبادىء والوسائل التقليدية الموجودة على الساحة الإيرانية للتعامل مع الشاه ونظامه لم تعد صالحة، ولم تعد كافية، وكانوا لا يعرفون الهدف من المواجهة مع الشاه، وما هي طبيعة هذه المواجهة، وما هي حدودها، وما هو البديل للشاه، وما هو البديل لحكومته ونظامه، ثم من يقود المواجهة، ومن له القدرة على المواجهة ضد الشاه، والأخطر فما هي نتائج هذه المواجهة؟!

لم تملك القوى السياسية الموجودة فوق الساحة الإيرانية أجوبة محددة على مثل هذه الأسئلة، ولم يكن بوسع هذه القوى بما فيها المؤسسة الدينية

(١) راجع كتابنا الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران ص٢٩ ـ ٣١.

أن تقدم بديلاً متكاملاً للشاه، ولنظامه، لقد كانت تلك القوى خاصة المؤسسة الدينية التي أحست بفداحة الخطر، حائرة في أمرها، وغير قادرة على تقديم الحل المتكامل لرفع المعاناة عن الشعب الإيراني، ودفع الخطر المحدق بالإسلام والقرآن، أو لإيجاد صيغة للتعايش بين الشاه ونظامه وبين الشعب الإيراني.

وعندما ظهر الإمام الخميني وتألق نجمه، قدم الحل المتكامل القائد، والعقيدة، والوسيلة، لقد قدم البديل للشاه ونظامه!!.

قيادة الإمام الخميني للثورة

لقد تجاوزت جرأة الإمام الخميني على الشاه ونظامه حديّ التصور والتصديق، فقد أعلن الإمام الخميني أن هيبة الشاه مصطنعة، وأن الشاه نمر من ورق، وأنه في الحق والحقيقة ضعيف وبائس وعليل، وأنه ليس لنظام الشاه جذور، أو أي وجود في النفوس، وإن كان له وجود فهو وجود مفروض بالقوة الغاشمة، وأنه ليس بوسع القوة أن تقف أمام الشريعة الإلهية التي تمثل التوجهات الحقيقية للشعب، كانت مهمة الإمام الخميني أن يكسر حاجز الخوف من الشاه، وأن يدوس علناً هيبته المصطنعة، وأن يكتشف الحقائق الزائفة التي يستند عليها الشاه ونظامه، وكان يجهر علناً بهذا ويعلنه أمام عشرات ومئات الألوف التي كانت تستمع لخطبه وبياناته وفتاويه، مع أن الإمام الخميني كان يعلم بأن عناصر النظام مندسة في الصفوف، وتسجّل كل كلمة من كلماته، وتحصي عليه أنفاسه وحركاته، ولكن الإمام لم يعبأ بوجود تلك العناصر، كان يتصرف كأنها غير موجودة، لأنه يعتقد جازماً بأن وجودها واقعي لا شرعي وأن الوجود لا أساس له، فتراه يخاطب الجموع قائلاً: «. . . انهضوا للثورة والجهاد والإصلاح، فنحن لا نريد الحياة في ظل المجرمين» وهو يعني بالمجرمين الشاه ومن حوله، وتراه يعلن فتاويه التي تجرد وجود الشاه من أية شرعية ويخاطب الشاه قائلاً: «. . . إنني أحذرك

أيها الملك من مغبة تلك الأعمال والأساليب، وأنا أُريد أن يشكر الناس ربهم إذا قرر اسيادك في الغرب ابعادك عن البلاد، إنني أرى مصيرك كمصير أبيك. . . » ويفجر الإمام علناً علاقة الشاه باسرائيل ويتساءل أمام عشرات الآلاف من سامعيه « . . . ما هي العلاقة التي تربط الشاه بإسرائيل حتى تحذرنا اجهزة الأمن من انتقادها؟ هل الشاه هو إسرائيل بنظر أجهزة الأمن؟ هل هو عندهم يهودي وصهيوني؟ . . . ومثل قول الإمام في خطبةٍ له مخاطباً الشاه « . . . . أيها البائس العليل استمع إلى نصحي. . . وليكن مصير أبيك درساً تتلقنه. . . تتهمنا بالرجعية إنما أنت الرجعي الأسود. . . قيل للإمام أن الشاه على استعداد لمقابلته وحل كل المشاكل شريطة أن يبدي الإمام بعض التعقل، فأعلن الإمام جوابه على هذا العرض قائلاً « . . . لقد أخبروني بأنني إذا قابلت الشاه، فإن ذلك سيكون كفيلاً بحل كل شيء، لكنهم يعلمون جيداً أن الأمة كلها قد رفضت الشاه، وقد أشاعوا أن صدر الشاه في سعة البحر، بإمكانه أن يضم كل من يريد العودة إليه، لكنه بحر مسمم وأي شخص يغمس فيه حتى مجرد طرف اصبعه فسوف يسري فيه السم، لقد حاولوا أن يقنعوني بمقابلة الشاه حتى يسمموا سمعتي»[1].

بهذا العنف الذي لا هوادة فيه، وبهذا الوضوح الذي لا غموض فيه حطم الإمام الخميني كبرياء الشاه، ومزق بيده استار عظمته الزائفة، كان الشعب الإيراني بمختلف اتجاهاته وطبقاته، مأخوذاً بما يسمع ويكاد أن لا يصدق ما يسمع، فكيف يجرؤ سيد هاشمي لا حول له ولا قوة أن يتحدى بهذا العنف والوضوح أعظم طاغية من طغاة الشرق!! وأن يهينه، ويهين حكومته، ويقرعهم علناً وعلى رؤوس الأشهاد، ويُعلن عدم شرعية وجود الشاه وحكومته!! هذه جرأة تفوق حد التصور والتصديق، لكن الشعب

---

(١) راجع كتابنا الخميني والثورة الإسلامية في إيران ٤٩ ـ ٥١.

الإيراني صدقه لتكرار حدوثه وتكرار سماعه.

لقد كان الشاه نفسه مأخوذاً تماماً بما يسمعه من الإمام الخميني حائراً ماذا يصنع!! وروى المقربون منه أنه كان يطلب من جهاز مخابراته أن يصوروا له الإمام الخميني، ويسجلوا له كل كلمة يقولها ويصوروا له لقطات شاملة للجموع التي كانت تستمع إليه وهو يخطب ويسجلوا له هتافات وشعارات وانفعالات تلك الجموع. حتى إذا جاءته تلك الأشرطة المسجلة خلا بنفسه وقضى ساعات طوال وهو يسمع ويرى، ويكرر السمع والرؤية لتلك الأشرطة!! لقد كان الشاه مضبوعاً بالفعل، فلم يعد يدري ما ينبغي أن يفعله لمواجهة هذا النجم الهاشمي الصاعد المتألق لقد أصيب الشاه بحالة من الإكتئاب والذهول، وانعكس هذا على قراراته وقرارات حكومته، وأحس الشعب الإيراني بذلك.

وألقى في روع الإيرانيين أن العناية الإلهية، قد دلت الشعب الإيراني على القائد المؤهل والمنقذ، الذي سيخلص إيران من محنتها ويقودها إلى شاطىء الأمان، وألقى بروع الإيرانيين أيضاً بأن العناية الإلهية قد تكفلت بحفظ الإمام الخميني ورعايته، والقاء رداء الهيبة والحماية عليه، فهل يعقل أن ملك ملوك الشرق غير قادر على مواجهة سيد هاشمي أعزل!! وما الذي يمنعه من أن يرسل أحد رجال السافاك فيغتاله!! وما الذي يمنع الشاه من أن يهدم منزل الخميني على ساكنيه!! إنها العناية الإلهية التي تحفظ الإمام في حلّه وترحاله، ونومه ويقظته، وبعضهم قد توصل إلى نتيجة مفادها أن الإمام الخميني هو المكلف إلهياً بالتوطيد لإمام الزمان المهدي المنتظر!! لقد اختلط فرح الزمان بألمه، والواقع التاريخي بالطموحات، والممكن بالمعجزات، ومن هذا الخليط ارتسمت في أذهان الإيرانيين صورة الإمام الخميني المعجزة، فتحول إلى سفينة تحمل الفرح والطموح والمعجزة، وتتسع لكل الإيرانيين.

وكلما تكلم الإمام الخميني سواء على شكل خطاب أو بيان أو فتوى

فتحت آلاف المسجلات لتسجيل كلامه، وبعد انتهاء الإمام من كلامه تنسخ من هذه الأشرطة مئات الألوف من النسخ، ويطبع هذا الكلام على مئات الألوف من النسخ، ثم توزع هذه الأشرطة والمنشورات، في مختلف مدن إيران وقراها، ليسمعها أو يقرأها أُولئك الذين لم يسمعوا الإمام مباشرة، ومن خلال الأشرطة والمنشورات أُتيحت الفرصة لكل الإيرانيين ليتابعوا يوماً بيوم كل ما يقوله الإمام، ودخلت كلماته وخطبه وفتاويه وتصريحاته إلى كل بيت وصارت نغماً يتردد على كل لسان.

وعندما انتشرت كلمات الإمام الخميني وأفكاره في أوساط الشعب الإيراني هذا الانتشار الواسع صار الإمام الخميني هو الملجأ وهو الملاذ، للشعب الإيراني بأسره، وصارت قم قبلة الوفود، فقد أقبلت وفود الشعب الإيراني من كل حدب وصوب، لتشاهد الإمام ولتسمع منه مباشرة ولتعلن تأييدها له، والتفافها حول قيادته. واستعدادها للسير تحت لوائه حتى النهاية، وهي تقبل بإحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة وهذا أحد الشعارات التي أعلنها الخميني أكثر من مرة في معرض تحديه للشاه ونظامه، وصار الإمام الخميني هو المرجع السياسي الوحيد للشعب الإيراني، وصارت توجيهاته بمثابة القوانين النافذة التي تنفذها الجماهير برضى وطوعية، وفي سبيل تنفيذ هذه التوجيهات كان بعضهم يقبل على الموت وهو يضحك، ويعتبر بعضهم موت الأبناء والأخوان والأخوات والأقارب أوسمة شرف على صدورهم ويسعدون لأن الذين ماتوا شهداء ومن جند الثائر السيد الخميني الهاشمي. لقد تحول الإمام الخميني إلى ملجأ وملاذ ومرجع لكل الإيرانيين، وقائد لهم ينفذون أوامره، كأنه الممثل الشرعي الوحيد لصاحب الزمان الإمام المهدي، فعندما يظهر صاحب الزمان أو ممثله الشرعي، تتوحد كل الاتجاهات، إذ سيتحد الواقع مع الشرعية الإلهية فالطبقات المسحوقة والطبقات الغنية تلتقي عند النقطة المركزية الواحدة والوحيدة وهي الإمام

الخميني، والشاب المؤمن، والشاب العلماني يلتفون حول الإمام والزعيم، ويهتفون معاً، وينفذون توجيهات الإمام معاً، ورجال الدين الأعلام يجتمعون معاً، ويمنحون الإمام مرتبة علمية جديدة «آية الله العظمى» ليفرضوا على الشاه وحكومته أن يتعاملوا مع الإمام بما يليق بالمرتبة العلمية التي حصل عليها، رجال إيران ونساؤها يعلنون عن بكرة أبيهم ولاءهم المطلق للإمام باعتباره القائد والمرجع الوحيد الذي استطاع أن يتحدى الطاغية وأن يحجّمه.

من خلال الوفود التي زحفت إلى قم وأعلنت ولاءها للإمام والتفافها حوله، ومن خلال التزام الشعب الإيراني بمختلف طبقاته وتوجهاته بتنفيذ توجيهات الإمام، واستعداد كل الشعب للسير مع الإمام وخلف قيادته حتى نهاية الدرب، كان واضحاً كل الوضوح بأن الشعب الإيراني كله قد بايع الإمام بيعةً عفوية ليكون قائداً وزعيماً، ولأن البيعة قد تمت بالرضا وبدون ضغط ولا إكراه، فإن قيادة الإمام شرعية من جميع الوجوه، بل وقيادة متميزة بحجم شرعيتها، لأن الشعب الإيراني، كله قد بايع الإمام باستثناء تلك القلة القليلة التي بقيت على ولائها للشاه رغبة أو رهبة، صحيح أن الجيش، كان يخضع رسمياً لقيادة الشاه وآلية تلك القيادة، وكذلك قوات الشرطة والسافاك، لكن قلوب الأكثرية من ضباطها وضباط صفها وأفرادها كانت مع الإمام، لأن الآباء والأمهات والزوجات والأخوة والأخوات كانوا معه، لقد تمكن الإمام من خلال الإعلاميات التي أوصلها للجيش من أن يحطم ولاء ذلك الجيش للشاه لقد التف الإيرانيون حول الإمام وأعطوه القيادة، لأنه يمثل دينهم ودنياهم تاريخهم ومستقبلهم.

كان الشاه يعلم ذلك علم اليقين، لذلك كان حريصاً أن يصدر أوامر قابلة للتنفيذ، ولا تترك مضاعفات تلحق الأذى بما تبقى من هيكل نظامه، ولو كان الشاه يعلم أن كل أمر يصدره ينفذ لما وجد حرجاً ولا غضاضة من أن يصدر أوامره بهدم قم كاملة على الإمام الخميني وعلى كل ساكنيها، كان

الإمام الخميني قد فهم بأن الشعب الإيراني قد اختاره قائداً، ليحدث التغيير الشامل، وايجاد البديل النهائي الأصوب لنظام الشاه، وعلى هذا الأساس تصرف الإمام الخميني تصرف القائد الشرعي الذي لا تعلو عملياً على قيادته قيادة، وكان ذلك واضحاً في فتاوى الإمام وخطبه وتصريحاته وبياناته وكافة توجيهاته، فقد أرسل برقيتين إلى رئيس الوزراء تحدث فيهما عن السيطرة الأجنبية، واتهم رئيس الوزراء بأنه قد وقف علناً ضد الإسلام، وأنه قد أراد أن يستبدل «الاوست» كتاب الزرادشت والانجيل بالقرآن الكريم، وأن هذا لن يحدث طالما بقي في إيران عالم دين واحد.

وأصدر الإمام الخميني بياناً جاء فيه «إنني بحكم مسؤوليتي الشرعية أعلن الخطر المحدق بشعب إيران والمسلمين في العالم إن القرآن الكريم والإسلام معرضان للسقوط في قبضة الصهيونية التي ظهرت في إيران في صورة الطائفة البهائية»، وقال مقربون من الإمام أنه قد قصد بقوله «بحكم مسؤوليتي. . .» أي بحكم كوني القائد الذي بايعته الأمة بالرضا وفوضته عملياً سلطة المواجهة والتحدي، ووفاءً لهذه المسؤوليات قال الإمام يوماً في إحدى خطبه «إن الشعب مستعد لما هو فوق التظاهر، وما هو ابعد من الاضراب، وأنه شخصياً مستعد لحمل كفنه بين يديه لكي يتحقق للشعب استقلاله وللإسلام بقاؤه وفي نهاية خطبته خاطب الشاه قائلاً «. . . إن الشعب لا يموت وينبغي أن تسير الدولة على الجادة، وإذا لم يسمع الشاه ونظامه فسيعرف من الذي سيموت، فالإمام يتصرف في تعامله مع الشاه ونظامه تصرف القائد الأعلى، ومن يملك سلطة إصدار التوجيهات وقد تجلى هذا الإحساس في فتاوى الإمام مثل قوله «لا يجوز لطلاب العلوم الدينية دخول المؤسسات الحكومية التي أسست تحت اسم مدارس دينية. . .» ومثل قوله إن القوانين التي صدق عليها ويصدق عليها المجلسان بأمر من عملاء الأجانب والتي تخالف صراحة القرآن الكريم وسنة الرسول هي قوانين ملغاة،

ومثل قوله عن قانون الاسرة «إنه غير قانوني وغير شرعي، ومخالف لأحكام الإسلام ومن أمر به أو صوت عليه مجرم في نظر الإسلام»[1].

والخلاصة أن الإمام أثناء خطبه، وتصريحاته، وفتاويه وبياناته، أثناء مخاطبته للشاه وأركان نظامه كان يتصرف كقائد أعلى، وكممثل شرعي للشعب، ولكن بصيغة ضمنية، تتفق مع الفطرة ولا تثيرها، إنما تشبع حاجاتها إلى القيادة المثلى.

مرجعية الإمام الخميني

برز الإمام الخميني كقائد للأمة، والقيادة بوجه من وجوهها مرجعية، فالولي أو الإمام أو القائد أو المرجع بالمفاهيم الإسلامية النقية هو الأعلم وهو الأفضل، وهو الأفهم، لقد تعمقت وترسخت قيادة الإمام الخميني من خلال مرجعيته ومن خلال الفقه السياسي والفتاوي السياسية التي كان يصدرها الإمام من حين لآخر.

وتعني الفتوى جواب المرجع الديني على سؤال مطروح أو مفترض أو مطالعته على أمر من الأمور، كانت الفتاوي قبل ظهور الإمام الخميني وتألق نجمه وعلى الأعم والأغلب مقتصرة على الأمور التي تتعلق بالعبادات أو المعاملات، ونادراً ما كانت الفتاوي تتناول اموراً سياسية، لأن السياسة محسومة سلفاً عند الشيعة ومعروفة الأحكام جملة وتفصيلاً فلا مشروعية ولا شرعية إلا لسلطة حكم إمام أهل بيت النبوة، والسلطة الفعلية مرفوضة عند الشيعة، وغير شرعية من جميع الوجوه، ولكن بناء على توجيهات الأئمة الكرام وممارستهم الفعلية، رأت الشيعة ضرورة موادعة السلطة الفعلية القائمة ومسالمتها حقناً للدماء، وبقياً على الفئة المؤمنة، ثم إن الشيعة لم تكن تطمح بالسلطة، أو الاستيلاء عليها لأن الإمام الشرعي وصاحب الزمان غائب،

(١) المسائل ٢٧٩٩ و٢٨٠١ و٢٨٣٥ و٢٨٣٧ و٢٨٣٧ وراجع كتابنا الإمام الخميني.

وليس من حق أي كان أن يحل محله، لذلك لم يرَ المراجع الأعلام ولا خاصة الشيعة وعامتها ضرورة للتوسع بالفقه السياسي أو الفتاوى السياسية، لأنها قد تستفز السلطة الفعلية، وتجر الفئة القليلة المؤمنة إلى مواجهة مع السلطة القائمة محسومة سلفاً ومعروفة النتائج، وقد نال الشيعة من الكوارث والمحن عبر التاريخ ما فيه الكفاية، ولا داعي للمزيد، ولكن إذا كان تصرف السلطة الفعلية يهدد الإسلام، أو ديار الإسلام أو يمس بالقرآن الكريم، أو شرف الإسلام بشكل لا يقبل التأويل، هنا فقط تبرز ضرورة الفقه السياسي، فكان الفقهاء والمراجع بهذه الحالة يصدرون فتاوي سياسية تتضمن الحكم الشرعي، والتوجيه، أما بغير هذه الحالات وأمثالها، فلم تكن هنالك ضرورة للفقه السياسي، ولا للفتاوى السياسية.

ولكن عندما برز الإمام الخميني، وبدأ مواجهته التاريخية مع الشاه وحكومته، انتعش الفقه السياسي، واستعمل الإمام الخميني الفتاوي السياسية كسلاح فتاك أشهره بوجه السلطة الفعلية، وكعنصر إثارة واستقطاب للقوى المؤمنة والواعية، فالفقه السياسي والفتاوي السياسية كماً ونوعاً مدينة بوجودها وفاعليتها للإمام الخميني، فعلاوة على أنها قد ساهمت بتقديم الإمام وإبرازه بوصفه القائد الأعلى للأمة الإيرانية ومرجعها السياسي، فقد احتلت مكان الصدارة في مجال الفقه، وصارت من أعظم اسلحة علماء الدين لمواجهة انحراف السلطة الفعلية.

وقد سقنا في البحوث السابقة نماذج مختصرة لفتاوي الإمام الخميني لقد كانت فتاوى تواكب الأحداث حدثاً حدثاً، فعندما أعلن الشاه، بأنه سيجري استفتاء على بنود «ثورته البيضاء» أصدر الإمام فتوى بتحريم الاشتراك بهذا الاستفتاء، وعندما بدأت احتفالات رأس السنة الإيرانية، أصدر الإمام فتوى أعلن فيها هذا العيد يوم حداد لكي ينبه المسلمين إلى الخطر المحدق في إيران والإسلام.

الإمام الخميني يعلن انتهاء التقية، ويدعو الأمة للمواجهة العلنية

لم يكتفِ الإمام الخميني بتحدي الشاه ونظامه علناً، واعلان حقيقة ما يؤمن به، بل أعلن انتهاء التقية، ودعا الإيرانيين إلى المواجهة السافرة مع الشاه ونظامه، قائلاً «آن الأوان لأن تنتهي التقية، وأن نقف ونعلن ما نؤمن به. . . وانني انتهز هذِهِ الفرصة لأعلن نهاية التقية» وهذا الإعلان من الأمور الجذرية التي تفرد بها الإمام الخميني من دون المراجع.

ولا بد من الإشارة بأن التقية رخصة إلهية ثابتة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولها أحكامها الشرعية الخاصة بها، وفي مرحلة من المراحل التاريخية التي كانت فيها شيعة آل محمد مهددة بالإبادة أعلن الأئمة الكرام «أن من لا تقية له لا دين له» لأن بعض الحكام قد صمموا على إبادة شيعة آل محمد حتى لا يبقى للحق شهوداً، فلو عرف معاوية ابن أبي سفيان مثلاً أفراد شيعة آل محمد، لما تردد لحظة واحدة بقتلهم وذبحهم، فرداً فرداً، ذكراً وأنثى، شيخاً وطفلاً كما تذبح الأضاحي، وباعصاب هادئة، ولاعتبر أموالهم غنيمة، يأخذ خمسها ويوزع الباقي بين المقاتلين، ولسبي نساءهم وأولادهم في أحسن الأحوال.

فلولا التوسعة الإلهية المتمثلة بالتقية لما بقي على وجه الأرض شيعي واحد، لقد كانت التقية الحصن المنيع الذي حفظ أنفس وأحوال الشيعة، قال الإمام الصادق «التقية ديني ودين آبائي وأجدادي ومن لا تقية له لا دين له» واكتشفت الشيعة بركات التقية، وبالغت في كثير من الأحيان، حتى قال الإمام الصادق يوماً مخاطباً بعض شيعته «وايم الله لو دعيتم لتنصرونا، قلتم إنا نتقي، ولكانت التقية أحب إليكم من آبائكم وامهاتكم. . . » لقد استقرت التقية بالفكر الشيعي، واصبحت من الحقائق الشرعية التي لا تقبل التأويل، فهي سلاح دفاعي وضعه الله سبحانه وتعالى، بأيدي القلة المؤمنة لتحتمي به من

بطش الطغاة الظالمين كانت التقية مقبولة ومرخصة عندما كانت الشيعة قلة مطاردة، يخشى أفرادها أن يتخطفهم الناس، أو أن يبطش بهم الخليفة الطاغية أو الذين لا يعرفون من الدين إلا اسمه، ومن الإسلام إلا رسمه، وهي مقبولة عندما تكون هنالك استهانة بالنفس البشرية التي حرم الله قتلها إلا بالحق.

كان الإمام الخميني يرى أن الأمور مختلفة في إيران بالذات وأن الظروف العامة لا تبرر التقية، لأن ٩١٪ من الشعب الإيراني شيعة إمامية، والحاكم الجائر وحكومته الظالمة يدعون بأنهم شيعة أيضاً إذا كانت التقية ستبقى نافذة في إيران وهي معقل الشيعة وبلدها، أين يمكن للشيعي أن يعلن ما يؤمن به وأن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر!!

ومع أن الإمام الخميني ليس المرجع الوحيد للشيعة في العالم هنالك مراجع أقدم منه، إلا أنه وبثقة بالغة أعلن نهاية التقية وهي فتوى مستحدثة تماماً كما قلنا، لم يصدرها إمام ولا زعيم ديني نظراً لظروف القهر والاستضعاف التي كانت تمر بها الشيعة ويذكر أن أياً من المراجع الدينية الأعلام لم يعارض الفتوى أو لم يقل بأن هذه الفتوى ليست صحيحة، أو ليست مناسبة إنما سكت الجميع في معرض الحاجة إلى البيان»[١].

الإمام يعلن النظام الإسلامي بدلاً من نظام الشاه، والفقيه العارف بدلاً من الشاه نفسه

لم يكتفِ الإمام الخميني بتحديه للشاه علناً، وتعريته وتعرية نظامه، وتحريض الشعب الإيراني على خلعه واسقاط نظامه الطاغوتي، ولم يكتف بخطبه وتصريحاته وبياناته... التي الهبت مشاعر الجميع، والقت في إيران بذور الثورة، ولا بفتاويه التي اعتبرت الرضا بالشاه ونظامه وقبولها، والتعامل

---

(١) راجع كتابنا مساحة الحوار ص١٧٧، وكتابنا الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران ص٣٨ ـ ٣٩.

معها قبولاً وتعاملاً مع الكفر، واعتبرت السكوت على الشاه ونظامه عاراً وإثماً وحراماً، وخيرت الإيرانيين بين الإسلام والقرآن وبين الشاه ونظامه، فاستمرار وجود الشاه، يعني القضاء على الإسلام والقرآن في إيران، لم يكتف الإمام الخميني بذلك بل اقترح على الإيرانيين بديلاً للشاه، وبديلاً لنظامه، فكانت ثورة الإمام الخميني شاملة، دعت لتغيير الواقع السياسي برمته، وقدمت نظاماً سياسياً أو ايديولوجية بديلة.

لقد أعلن الإمام الخميني أن الفقيه العارف بأمور العصر، التقي الشجاع والذي تقبل بولايته وقيادته الأكثرية الساحقة من الأمة هو بديل الشاه وهو الذي ينبغي أن يحل محل الشاه برئاسة الأمة والدولة هذا على صعيد القيادة أو الولاية.

أما على صعيد النظام السياسي، فقد أعلن الإمام بأن الحكومة الإسلامية هي البديل المناسب لنظام الشاه.

هذه بدائل مقبولة بالفعل والفطرة والدين، ومعقولة وعامة ومختصرة، وتروي حاجات الجماهير، وتصلح كشعارات ثورية، فأي إنسان عادي محايد يعرف بأدنى جهد بأن قيادة أو ولاية الفقيه التقي الشجاع العارف بأمور العصر أفضل بسبعين ألف مرة من قيادة أو ولاية الشاه الفاسد. وأي مسلم يعرف بأن نظام الإسلام هو أفضل بسبعين ألف مرة من نظام الشاه ولم يكن في ذهن الإمام الخميني أي تصور لفقيه معين بالذات، فأي فقيه تنطبق عليه هذه المواصفات فهو البديل، ولم يكن في ذهن الإمام الخميني أي مخطط تفصيلي لحكومة اسلامية بالذات، لقد طرح الإمام الخميني فكرة رئاسة الفقيه والحكومة الإسلامية كبديلين لرئاسة الشاه، ونظام حكمه، ولم يدخل بالتفاصيل لأنها ثانوية وفنية ولأنه كان يريد أن يستقطب كل الإيرانيين حول هذين الهدفين الرئيسيين، وهما خلع الشاه نهائياً، واسقاط نظام حكمه، والعموم بهذه الحالة أقرب لتحقيق الاستقطاب!!

الفصل الثاني

السيد الخامنئي أول الثوار

جاهزية السيد الخامنئي للثورة

خلال الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٤٩ ـ ١٩٦٤ سمع السيد علي الخامنئي مع العلماء الأعلام في زمانه، المتواجدين في مشهد، والنجف، وقم، وطهران، وبعد أن أنهى دراساته، بل وأثناء دراساته العليا، اتيحت له الفرصة ليجلس مع العلماء الأعلام جلسة العالم مع العلماء، فهو سيد شاب عالم يتوقد ذكاء وحماساً واخلاصاً للإسلام، لقد انتزع بيسر وسهولة اعجاب علماء زمانه، فتسابقوا على ودّه، وتبادلوا معه الآراء والأفكار، وكان للسيد الخامنئي حكمه الخاص بآراء وأفكار كل عالم من العلماء.

واتيحت للسيد الخامنئي الفرصة ليجتمع مع اولئك الإيرانيين، الذين تبنوا الآراء والأفكار المنبثقة من التحررية الرأسمالية، فأصغى لهم واصغوا له وكون حكمه الخاص بتلك الآراء والأفكار.

كما أُتيحت للسيد الخامنئي الفرصة ليجتمع مع أُولئك الإيرانيين، الذين تبنوا الأفكار والآراء الماركسية الشيوعية، فسمع منهم، وأصغى إليهم مشفقاً، ثم أسمعهم رأيه ونصحهم وأخلص النصيحة، لقد وقف السيد الخامنئي على حقيقة هذا الفكر، فقيمه وأبدى مطالعته الواضحة عليه، تلك المطالعة التي

تحمل في ثناياها كل النفور والإنكار.

السيد الخامنئي من علماء دين الإسلام الفطناء الأذكياء المتبحرين وهو سيد ورث من آبائه الطيبين، واستوعب عن طريق العلماء الأعلام الإسلام، والفهم الصحيح للإسلام من أنقى وأوثق مصادره، كان السيد على يقين بأن الإسلام هو الحل لكل ما تعاني منه إيران وما يعاني منه العالم الإسلامي، وهو وحده القادر على إنقاذ العالم كله، وكان السيد على يقين بأن الإسلام لو وجد من يفهمه على حقيقته، ويطبقه، لدخلت الإنسانية عصرها الذهبي، عصر الكفاية، والعدل، والرخاء، والتوازن، والإنسجام المطلق.

لقد صارت مبادىء الإسلام عند السيد هي الموازين والمقاييس المثلى التي يمكن بواسطتها معرفة الغث من السمين، والحق من الباطل والنور من الظلمات، أو معرفة حقيقة كل شيء، لقد ملأ الإسلام قلب السيد وعقله وروحه ونفسه، وصار سمعه وبصره، حياته وموته، لقد أيقن السيد أن كافة العقائد الوضعية، من تحررية وماركسية ومنهجية وكافة أنماط الحكم المنبثقة عنها، قاصرة تماماً عن إدراك حاجات الجنس البشري، وتلبيتها، وعاجزة عن تحقيق الرفاه، والعدل، وخلق التوازن بين الاحتياجات المادية والمعنوية، لسبب بسيط وهو أن هذه العقائد من صنع البشر بكل ما في البشر من قصور ونقص، بينما العقيدة الإسلامية من عند الله، ومفصلة تفصيلاً دقيقاً على واقع وتطلعات الإنسان، ومعدة إلهياً لتحكم العالم بأسره، لأنها عالمية بطبيعتها...

السيد على الخامنئي ليس مسلماً عادياً، فهو عالم اسلامي، بل من العلماء المعدودين الأفذاذ الذين أثبتوا قدراتهم الخلاّقة في كل مجال، ثم إنه قد فهم الإسلام من أنقى وأوثق مصادره، ووعى تاريخ الإسلام والعوائق التي حالت دون سيادته، والأسباب التي أدت عملياً إلى استبعاده عن واقع الحياة، وهو من المؤمنين بضرورة عودة الإسلام للحياة، ليؤدي الدور الذي أراده الله

أن يؤديه، وهو على يقين بأن هذه العودة لن تتم إلا بسواعد الخواص من المؤمنين، الذين تمكن الإيمان من قلوبهم، وفهموا الإسلام على حقيقته، ووعوا الحوادث التاريخية، ونجحوا باستخلاص العبر منها.

كان السيد الخامنئي يعيش تحت وطأة حكم الشاه ونظامه، وقد وزن السيد الخامنئي الشاه ونظام حكمه بموازين الإسلام، فوجده أحد الفراعنة، ووجد نظامه نظام حكم فرعوني، ورأى الشاه وهو يقذف الإيرانيين بالتحدي تلو التحدي، ويستخف بأقدس مقدسات الإسلام، ويقود الإيرانيين ضمن خطة مرسومة ليتحللوا من دينهم وليتركوا قرآنهم.. إنه يُسخّر كافة موارد دولته لإذلال المسلمين والقضاء على الإسلام والقرآن، لقد أدرك السيد علي الخامنئي أن الإسلام في خطر، وتمنى لو تمكن من أن يفجر الشاه ونظامه!! ولكن هذه الأفكار كانت تعتمل في جانب قصي من نفسه، وينفس منها بحجم استيعاب من يصغي إليه.

لقد انبهر السيد الخامنئي بشخصية الرسول الأعظم، كما بهرته شخصية الإمام علي، وشخصيات بقية الأئمة الكرام صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين، لقد وعى تاريخهم، كان السيد علي الخامنئي جاهزاً للثورة مستعداً للتضحية، ومتأهباً للعطاء بغير حدود، واثقاً بأنه على بينة من ربه.

وكانت تتابع في مخيلته صور مواقف الحسين وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، وهي صورة نابضة بالحياة كأنه يشاهدها بالحقيقة والعيان، وكانت هذه الصور تشحنه بكل الهمة والإقدام. كان جاهزاً ليلبي دعوة الحسين، أو يسير خلف ممثل الحسين.

صحيح أن السيد علي الخامنئي كان عالماً فذاً، فاهماً للإسلام، ملتزماً به ومخلصاً له، ووفياً لقضية أهل بيت النبوة، محيطاً بتاريخهم، وواعياً لعلوم عصره، كارهاً للظلم، ويفضل الموت على الحياة تحت حكم الظالمين

ومؤهلاً للقيادة، ويتوقد عزيمة ومضاء ولكنه ما زال فتى في العشرين من عمره، ثم إنه بطبيعته يكره القيادة إلا إذا تعينت تعييناً، أي إذا لم يكن من يقوم بها غيره!!

السيد الخامنئي يبحث عن القائد العظيم الذي يحلم به!!

كان السيد علي الخامنئي جاهزاً للثورة، مستعداً للتضحية بروحه، وللعطاء بغير حدود، ولكنه كان بحاجة إلى قائد عظيم ومن نوع خاص، يشق الطريق أمامه ويرشده، ويفتح ملكاته ومواهبه، ويوصله بوقت يطول أو يقصر إلى الهدف الذي أراد وهو اجتثاث الظلم من جذوره وعودة الإسلام إلى واقع الحياة وتطبيقه تطبيقاً دقيقاً ولو على مراحل، أو يموت شهيداً دون ذلك.

عندما كان السيد علي الخامنئي في السابعة عشر من عمره تقريباً، كاد أن يعثر على القائد الذي حلم ولنترك سماحته ليروي بنفسه ذلك قال سماحته «سمعت أن المرحوم نواب صفوي قد جاء إلى مشهد، وكأن شيئاً خفياً يجذبني إليه، وكنت أود رؤيته كثيراً، إلى أن علمنا أن نواب ينوي المجيء إلى مدرسة سليمان خان التي كنت أحد طلابها، ويعتبر يوم مجيء نواب إلى مدرسة سليمان خان من الأيام التي لا تنسى في حياتي.

فعندما دخل نواب صفوي المدرسة مع بعض أعضاء منظمة «فدائيو الإسلام» الذين كانوا واضعين قبعات خاصة على رؤوسهم بدأ بالقاء خطاب قوي وهو قائم، وكان مضمون خطابه، هو إحياء الإسلام، وإقامة حكومة إسلامية، وشن في خطابه هجوماً عنيفاً على الشاه والإنجليز، واتهم مسؤولي البلاد بالكذب، وقال إن هؤلاء المسؤولين ليسوا بمسلمين!!

ويتابع قائلاً: «إنني كنت أسمع بأذني هاتين هذه الأقوال من لسان المرحوم نواب فوقع كلامه في قلبي، وتمنيت أن ألازمه دوماً، وأعلن أن نواب سيتحرك غداً من المهدية باتجاه مدرسة نواب، وفي اليوم التالي تحرك

في حشد من المهدية إلى المدرسة، وفي الطريق كان يخاطب الناس بصوت عال ويردد: أخي المسلم الغيور يجب أن يحكم الإسلام ثم دخل المدرسة وألقى خطاباً مفصلاً ومثيراً، وبعد انتهاء الخطاب اقترحوا عليه إقامة صلاة الجماعة، فوافق على ذلك، وصلينا الجماعة بإمامته، ثم غادر مشهد، ولم نعلم شيئاً بعد ذلك اليوم إلى أن بلغنا نبأ استشهاده، فغضبنا لذلك، وبدأنا نردد شعارات ونشتم الشاه، والنقطة الملفتة للنظر هي أن المرحوم آية الله الحاج هاشم القزويني كان العالم الوحيد في مشهد نظراً إلى طهارة سريرته وهمته العالية الذي أبدى ردة فعل تجاه استشهاد المرحوم نواب صفوي، ورفاقه، وانتقد في درسه نظام الشاه بشدة، وأبدى تأثره وحزنه على استشهادهم وقال إن بلادنا قد وصلت بهذه الحالة إلى درجة يقتل فيها ابن رسول الله لا لشيء سوى قوله الحق.

فكان نواب صفوي أول من أوقد شرارة نهضة اسلامية في نفسي ذاك الزمان، ولا يختلجني شك بأن نواب هو أول من أوقد هذه الشعلة في نفوسنا، ولهذا أصبح تقليد المرحوم نواب سبباً لبدء أول تحرك جهادي عام ١٩٥٦، وكان تحركنا الجهادي بهذه الصورة وهي حينما بُعث شخص باسم فرح محافظاً لمدينة مشهد، وكان هذا الشخص لا يحترم أياً من المظاهر والروابط الإسلامية، ومن جملتها أنه كان من المقرر رسمياً أن تعطل السينما في مشهد شهري محرم وصفر، ففي البداية أعلن عن تعطيل السينما إلى اليوم الرابع عشر من محرم، لكن بعد أن ارتفعت أصوات الاحتجاج، مددها إلى العشرين من محرم، لهذا السبب عقدنا جلسة وكنا عدة أفراد وكتبنا اعلاناً حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأرسلناه بطريق البريد إلى أماكن متعددة»[1].

---

(١) شمس الولاية ص٣٩ ـ ٤٠ للسيد علي الخامنئي.

ثم وجد السيد الخامنئي القائد العظيم الذي تمناه وعلاقة من نوع خاص

لقد جلس السيد علي الخامنئي مع كل عالم من العلماء المعروفين في عصره، وتلقى منه العلم كمتعلم، وبعد أن أكمل علومه جلس معه وناقشه وحاوره حوار العالم مع العالم، ولكنه لم يجد بغيته، ولم يكتشف القائد الذي يحلم به، السيد علي الخامنئي رقيق، ونبيل العاطفة، ومتواضع بسلوكه، لطيف في معاملته، كيّس في مجاملته، ودود مع من أحب، طيب القلب، غزير الدمعة، ولكنه من جانب آخر معتد بنفسه، واثق منها، ولا يسلم مقادته لغيره بيسر، كان يبحث عن قائد مثالي، له عزم وروح أهل بيت الحسين وأنصار الحسين عليه السلام، يبحث عن قائد من نوع خاص ليسلمه قيادة نفسه، ليقاتل بين يديه دفاعاً عن الإسلام حتى يقتل أو ينتصر فإن عرف ذلك القائد أعطاه الحب كله، والإخلاص كله والوفاء كله، والإحترام كله.

أثناء وجود السيد علي الخامنئي في مدينة قم المقدسة خلال الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٥٨ ـ ١٩٦٤ تعرف السيد الخامنئي على السيد الإمام الخميني، سمع منه، وتتلمذ بعض الوقت على يديه، ثم أنس به وأحبه حباً يفوق حب الوالد لولده، وشعر السيد الخامنئي، بل لقد أحس إحساساً قلبياً وعقلياً أن السيد الإمام الخميني هو بعينه القائد العظيم الذي تمناه، وهو بعينه الذي يقبل راضياً مرضياً بقيادته، ولا يرى غضاضة ولا حرجاً من أن يسلمه مقادة نفسه ويأتمنه على مصيره ومستقبله.

وبالفعل فقد وضع السيد علي الخامنئي مصيره وحياته ومستقبله فوراً وبدون تردد تحت تصرف القائد الذي ارتضاه الإمام الخميني، لقد أحس الإمام الخميني بدفق عواطف السيد الفتي، وعرف اخلاصه، وتوثبه واندفاعه في سبيل الله، فقربه إليه، وأعطاه اعتباراً خاصاً، واعتبره بمثابة ابنه الخاص جداً، وتنبأ له بمستقبل واعد، وبذل عليه جهداً خاصاً.

كان السيد الخامنئي يلازم الإمام، ويتابع كل كلمة من كلماته، وخطبه

وتصريحاته وبياناته وفتاويه، ويراقب كل حركات الإمام وسكناته، حارساً ومقلداً ومقتدياً.

فإذا استطاع الإمام الخميني أن يملك بسحر بيانه قلوب الخواص والعوام من المؤمنين، إذا استطاع الإمام الخميني أن يشد اسماع الشاه وبطانته، وأن يأسر قلوب العلمانيين بسحر بيانه فكيف يكون وقع هذا البيان على قلب السيد الخامنئي الفتى، وهو الفتى المؤمن والعالم المخلص، والباحث عن القائد والقدوة!!

لقد كان تأثير الإمام الخميني على السيد الخامنئي تأثيراً بالغ الشمول والعمق، لقد أحبه كما أحب أنصار الحسين في كربلاء الإمام الحسين عليه السلام، كان السيد الخامنئي على استعداد تام لأن يبذل حياته وأن يموت دفاعاً عن الإمام الخميني ودعوته، كان إحساس السيد الخامنئي عميقاً بأن الإمام الخميني بموقف يشبه موقف الإمام الحسين في كربلاء، وأن على السيد الخامنئي أن يتخذ موقفاً مشابهاً لموقف أبناء الحسين، وأخوان الحسين، وأنصار الحسين، لم يكن النصر وارداً في ذهن السيد الخامنئي، ولم تكن المثوبة الدنيوية مطروحة، كان المطروح الوحيد في ذهن السيد الخامنئي هو التضحية، وطاعة الإمام، وإعداد العدة، وبذل كل الجهد، والدفاع عن الحق، وعن الإمام الخميني الذي كان يمثل خط الإسلام الصحيح وكان يحلو للسيد الخامنئي، أن يقول للإمام «يا سيدي ومقتداي» وعلى الرغم من أن الإمام الخميني قد انتقل إلى جوار ربه، إلا أن السيد الخامنئي ما زال وفياً له، وما زال يعتبره القائد، والمرشد وما زال يعتبر الموازين التي أعلنها الإمام الخميني هي الموازين الصالحة، وما ذلك إلا نوعاً خاصاً من التأثر بالإمام، وعرفاناً بدوره المركزي بإنقاذ الأمة، ودرء الخطر الذي كان يتهدد الإسلام والقرآن، وتعبيراً عن امتنان السيد الخامنئي للرجل القائد الذي أعاد الإسلام إلى واقع الحياة، بعد أن أخرجه الظالمون من هذا الموقع.

السيد علي الخامنئي أنجب أتباع الإمام الخميني

لقد تابع السيد علي الخامنئي خطب الإمام وتصريحاته وفتاويه بشغف خاص، ويبدو واضحاً لكل محايد ومنصف أن الإمام الخميني قد ملك ناحية البيان بالفعل، وإن من البيان لسحراً، فحتى أعداؤه قد شهدوا له، بأنه الخطيب المفوه الذي لا يشق له غبار، فكلماته من السهل الممتنع، ومن النوع الذي يحرك كوامن النفس البشرية، ويشدها، ثم يأسرها، إن لكلماته تأثيراً صاعقاً على القلوب والنفوس، فإذا حضرت نفسك ووقفت موقفاً محايداً ومنصفاً، وتابعت الجموع التي كانت تستمع إليه ستلاحظ وبصورة واضحة، أن الجموع مشدودة إليه وأسيرة بين يديه، كأنها مسحورة، خاصة وأن الإمام الخميني، كان يتحدث بلغة القرآن، ويخاطب شعاع الإيمان، والإحساس بالحزن والألم المقيم في قلوب المؤمنين من اتباع مذهب أهل البيت، إنه يهيج برفق واقتدار مشاعرَ تكاد أن تكون منسية، ولكنها مستقرة في أعماق النفوس المؤمنة، يخاطب الروح والقلب والعاطفة، والعقل والفطرة معاً، وبالأدوات اللغوية الصالحة لخطاب كل واحدة من هذه القوى.. فيثيرها، ويستنهضها دفعة واحدة، وهو يستعمل المصطلحات الواردة في القرآن الكريم، كأن كل واحد من السامعين حفي بها.. ومع أن هذه المصطلحات مرفوعة من الواقع العملي للحياة، ومهجورة عملياً، ومع هذا فتراه، لا يعترف بهذا الرفع والهجر ويستعمل هذه المصطلحات بكثافة كمصطلح المنافقين، والمستكبرين، وحزب الله، وحزب الشيطان، والمفسدين في الأرض والمؤمنين، والفاسقين، والولاية، والإمامة... فتتحول هذه المصطلحات، إلى شواخص نابضة بالحياة، وتحدث التأثير الذي أراد القرآن إحداثه في نفوس المخاطبين.. ثم أن لأسلوب الإمام الخميني العفوي في اختيار الكلمات واخراجها هيبة خاصة بحيث تسلك طريقها إلى القلب مباشرة، وتُحدث التأثير الذي يتوخاه ويتناسب هذا التأثير

طردياً مع ثقافة السامع، وعمق إيمانه، ومقدار تعلقة بشخص الإمام لقد كانت كلماته تحدث وقعاً وتأثيراً خاصاً وصاعقاً في قلوب الشباب المؤمن.

لقد كان تأثير الإمام الخميني بالسيد على الخامنئي تأثيراً شاملاً، وعميقاً إلى أبعد الحدود، فالسيد الخامنئي كان شاباً مؤمناً، في العشرينات من عمره، ومثقفاً من الطراز الأول، وسيداً معتداً بنفسه، مندفعاً بكل قواه، غير آبه بالحياة، متأثراً بإقدام الحسين وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، عاشقاً لمحاكاة هذا الإقدام، غير آبه بالعوائق التي تعترض طريقه، وتعيق حركته، والنتيجة لم تكن غايته، كان مطلبه أن يبذل كل الجهد والعناية في سبيل الإسلام، لقد نمت بذرة الثورة في نفس السيد الخامنئي ونضجت تماماً وأصبح مستعداً للتضحية الفورية هذا هو الطراز الذي كان الإمام الخميني يبحث عنه، وتلك هي المواصفات التي كان يتمناها لطلائع ثورته الإسلامية المباركة، لقد اكتشف الإمام الخميني مواهب السيد علي الخامنئي وقدراته واستعداداته المدهشة، فاصطفاه لنفسه، وقربه إليه واعتبره أحد أبرز اتباعه، وأكثرهم تأثيراً، وأبعدهم نظراً وأعمقهم فهماً لأهداف الثورة، وأصفاهم ذهناً وفهماً للإسلام وقد اكتشف الإمام الخميني أن السيد علي الخامنئي خطيب مفوه لا يدانيه خطيب بعد الإمام، وأنه قوي الشخصية، ورابط الجأش، فكلفه الإمام بأصعب المهام، وأعده، وأهله، ومع الأيام، وبالتجارب الحية تأهل السيد علي الخامنئي ليكون عن جدارة وبالفعل المرشح الأول لخلافة الإمام الخميني، والرجل الثاني في إيران، وباختصار شديد لقد وجد السيد علي الخامنئي نفسه في صميم الثورة، ومن أوائل المؤيدين للإمام إن لم يكن هو الأول.

أسلوب السيد علي الخامنئي بالكفاح والعمل الثوري

إن اسلوب السيد علي الخامنئي وأسلوب كافة أركان الثورة المخلصين لها هو صورة طبق الأصل عن أسلوب الإمام الخميني، لأنهم نهلوا من

مشكاة واحدة، واعتنقوا عقيدة واحدة وهي الإسلام، وتكون لهم مفهوم واحد عن الإسلام وهو مفهوم أهل بيت النبوة، وتبعاً لذلك تكونت لديهم ثقافة متشابهة ونفسية متشابهة.

فأسلوب الإمام الخميني هو عينه أُسلوب السيد علي الخامنئي وإذا أردت أن تقف على أسلوب السيد علي الخامنئي بالكفاح والعمل الثوري يتوجب أن تعرف اسلوب الإمام الخميني، فالسيد الخامنئي يفخر بأن الإمام الخميني قائده، وقدوته الحية، فطالما ردد السيد الخامنئي عند خطابه للإمام «سيدي ومقتداي» وحتى بعد موت الإمام الخميني، فالسيد الخامنئي يعتبره قدوته، وهذا يستدعي بحث اسلوب الإمام الخميني بالكفاح والعمل الثوري.

من الواضح لأي منصف بأن الإمام الخميني قد تربى تربية دينية صالحة، وتثقف بالثقافة الإسلامية، من أنقى مصادرها، وحصل على العلوم الإسلامية المعروفة في عصره، ونال أكبر المراتب العلمية المتعارف عليها في زمانه، وله عشرات المؤلفات، كما أنه قد أحب الرسول، وأحب الأئمة المعصومين من ذريته، ودرس كليات وتفاصيل تاريخهم، وتأثر إلى أبعد الحدود بهذا التاريخ الطافح بالألم والأمل، وانعكس كل ذلك على شخصية الإمام الخميني وخلقه ومنهجه في الحياة، لقد أصبحوا مثله الأعلى، فتخلق بأخلاقهم أو بتعبير أدق تخلق بخلق الإسلام الذي كان خلقهم.

فقد كان يتمنى الهدى والرشد حتى لأعدائه، فإذا هدى الله بعضهم صاروا سريعاً وفق موازينه من أحبابه، وتناسى حجم الألم الذي الحقوه به سابقاً!! قبل اهتدائهم إلى الصراط المستقيم وهذا حال وخلق السيد علي الخامنئي، بل هذه اخلاق الصفوة الصادقة التي التفت من البداية حول الإمام كبهشتي والمطهري ورفسنجاني وغيرهم من الذين قضوا نحبهم أو من ينتظر منهم!!

كان هدف الإمام منصباً بالدرجة الأولى والأخيرة على إنقاذ الشعب الإيراني من الظلم، وإقامة حكومة إسلامية تعطي العدل للصديق والعدو معاً وتقود المسلمين في إيران، والعالم إن أمكن، على طريق الله المستقيم، وهذا عين هدف السيد علي الخامنئي والصفوة التي أحاطت بالإمام منذ البداية.

كان الإمام الخميني يؤمن بالكلمة الطيبة الصادقة التي تخرج من القلب، وتبتغي مرضاة الله وحده، ويؤمن بأثرها وتأثيرها على السامع، فإذا أمكن هداية الناس عن طريق الكلمة الطيبة، فإنه ينتقلون من معسكر الظلم إلى معسكر العدل، فإن فعلوا ذلك فإن الظالم يبقى وحيداً أو معه حفنة لا وزن لهم فيسقط ويسقطون معه سلماً، لأنه يصبح كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار» وهكذا تحقق الكلمة الطيبة المقصود، وهذه هي عين قناعات واعتقاد السيد علي الخامنئي، ونواة الثورة المخلصة، لقد كان سلاحهم الفتاك هو الكلمة الطيبة التي تخرج من قلب المتكلم، وتستقر في قلب المخاطب لتحدث التأثير المطلوب الرامي لنقل المخاطب قلبياً وعقلياً وجسدياً من معسكر الباطل إلى معسكر الحق، وبعد نقله تأتي مرحلة التنظيم والتوجيه.

وهذا هو الأسلوب الذي اعتمده الإمام، ثقافات الإمام وتربيته، وصفاء نفسه، ورحمة الله، وبركات أهل البيت، وأخلاقهم أهلته مجتمعة ليملك ناصية البيان كما أشرنا في البحث السابق، وطيبة القلب وصدقه وعفويته واخلاصه، والعناية الإلهية أضفت على أسلوبه بطرح البيان تأثيراً خاصاً على نفوس وقلوب سامعيه سواء أكانوا من المريدين أو من المحايدين.

قال الاستاذ محمد حسنين هيكل، ولشهادته أهمية خاصة لأنه رجل قومي علماني، ولم يتثقف بالثقافة الإسلامية من مصادرها الصحيحة بل كانت ثقافته مستقاة من الثقافتين الرأسمالية والماركسية باجتهاداتها المختلفة، وفوق ذلك هو من الأعلام الصحفية المعدودة في العالم قال الاستاذ هيكل ما نصه حرفياً «وخطب الإمام الخميني وكتاباته لها وقع غريب على الآذان. . .».

وقال يصف أحد مشاهداتة لخطب الإمام:

«بدأ الحديث بنبرة خفيفة، لكني لم أسمع قط صوتاً هادئاً ومؤثراً إلى هذا الحد، كان الصوت يبدو كأنه يداعب آذان سامعيه بموجات رقيقة، ويجعلهم في حالة أقرب إلى النشوة»[1].

إذا كانت هذه هي أحاسيس الاستاذ هيكل العلماني، القومي، العربي، فكيف تكون أحاسيس المسلم المتدين السائر على درب أهل البيت العارف بأسرار اللغة الفارسية.

الإمام الخميني، لا يؤمن بالعنف، ولا يؤمن بالقتل، ولا بالاغتيال، ولا بالارهاب، وهذه عين عقيدة السيد علي الخامنئي، والصفوة من نواة الثورة الاسلامية.

لقد قتل الشاه أباه، وقتل ابن الشاه «الذي أصبح الشاه» في ما بعد ابنه، كان بإمكان الإمام الخميني أن يقتل الشاه لو أراد، فمئات الآلاف من المؤمنين كانوا ينتظرون إشارة منه ليموتوا في سبيل الله!!

ولكن الإمام الخميني لم يفكر أبداً بقتل الشاه، إنما فكر بخلعه وطرده من البلاد، ولو وقع الشاه في قبضة الإمام الخميني لأحاله على القضاء ليحكم فيه بحكم الله.

حتى أن الإمام الخميني لم يفكر بتهديد الشاه بالموت إلا مرة واحدة حيث قال في خطبة له بالجامع الأعظم «إن الشعب لا يموت وينبغي أن تسير الدولة على الجادة، وإذا لم يسمع الشاه ونظامه فسيعرف من الذي سيموت»[2] هذه هي المرة الوحيدة التي هدد فيها الإمام الخميني الشاه

---

(١) مدافع آية الله محمد حسنين هيكل ص١٨٣ وما فوق وكتابنا الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران ص٥٦ ـ ٥٨.

(٢) راجع كتابنا الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران ص٥٨ وما فوق.

بالموت، وقطعاً فإن الإمام لم يقصد أنه سيقتل الشاه بدليل أن الإمام قد قال في ما بعد من على نفس منبر المسجد الأعظم في قم مخاطباً الشاه «إني أرى مصيرك كمصير أبيك» أي أنه سيبعد عن إيران كما أبعد الانكليز أباه، والمدهش حقاً أن هذا الكلام قد صدر من الإمام الخميني عام ١٩٦١، والمدهش حقاً أن ما قاله الإمام قد تحقق فصار مصير الشاه كمصير أبيه!!

على كثرة أعداء الإمام الخميني وشانئيه، فلم يروِ راوٍ قط أن الإمام الخميني قد أمر بقتل أو إغتيال أي واحد من خصومه، فالقتل والاغتيال كانا ضد طبيعته وضد خلقه، وضد طبيعة السيد علي الخامنئي، وضد طبيعة وأهداف الثورة التي قاداها.

جاء سفير إيران لدى الفاتيكان إلى الإمام الخميني وأخبره بأن أحد الشبان المصريين أبلغه أنه ينتمي إلى تنظيم اسلامي مقره بالقاهرة وأن أحد أعضاء التنظيم قد درس إمكانية تنفيذ الإعدام في زوجة الشاه التي كانت مقيمة في قصر القبة في مصر، وتنفيذ العملية ممكن، ولكن ذلك قد يؤدي إلى قتل الابن الأصغر للشاه، وطلب هذا الفتى الرجوع إلى الإمام الخميني لمعرفة جواز تنفيذ العملية في ظل احتمال قتل الطفل الأصغر؟!

فكان رد الإمام الخميني ما نصه «انتم تعتقدون أنهم مفسدون في الأرض فما ذنب الأطفال؟ عليكم أن تمنعوهم من القيام بالمحاولة!» وتناهى الأمر إلى المتشددين في ما بعد ولاموا السفير، ومرة ثانية قال السفير للإمام، «إنكم منعتم قتل اطفال الشاه، ظناً أن الإمام في المرة الأولى قد أباح قتل زوجة الشاه، وحرّم قتل طفله، وقبل أن يكمل السفير حديثه قال الإمام «أنا لم أوافق على قتل الكبار، وعندما تكلمت عن كونهم مفسدين في الأرض أشرت إلى اعتقادكم في ذلك وليس اعتقادي»!! فسأل خسرو شاه الإمام قائلاً: هل يستطيع أن ينقل عنه هذا الكلام إلى الآخرين في طهران؟ فكان رد الإمام «تستطيع أن تنقله وأن تكتبه إذا شئت»!!

والقصة الثانية: تتعلق بالرئيس السابق أبو الحسن بني صدر ونشاطاته في باريس بعد هروبه إليها، ويبدو أن احدى المجموعات العاملة في أوروبا، قد بحثت أمر اغتياله، وكلفت خسرو شاه باستفتاء الإمام في الأمر، فتوجه إلى سؤال الإمام عما إذا كان بني صدر يعد مفسداً في الأرض ويجوز إعدامه؟ فاستفسر منه الإمام عن السبب في اعتبار بني صدر من المفسدين؟ فقال خسرو شاه لأنه يكتب في جريدته التي يصدرها في باريس منددا بقيادة الثورة الإسلامية، حيث كتب سلسلة من المقالات تحت عنوان «ولاية الفقيه ولاية للسفيه»!! عندئذ قال الإمام لقد طالعت المقالات ووجدته يهاجمني فيها!! ولكن هل يكفي ذلك لقتله؟! واستطرد الإمام متسائلاً: هل طالعتم في ما كتب ارتداداً عن الدين، أو إنكاراً لما هو معلوم بالضرورة مثلما فعل الخبيث ـ يقصد مسعود رجوي رئيس جماعة مجاهدي خلق ـ فسكت خسرو، فأعاد الإمام السؤال عليه، فرد خسرو قائلاً: لم يرتد ولم ينكر!! فقال الإمام طالما ظلت معارضة بني صدر في تلك الحدود، فلا يُعد مفسداً في الأرض، ولا يجوز قتله، وأضاف الإمام «إن بعض علمائنا يعارضون ولاية الفقيه أيضاً، ولكن ذلك لا يجرح اعتقادهم، ولا يطعن في دينهم»[1].

كان الإمام الخميني واضحاً في هذه الناحية، وموقناً بأنه ملزم بتنفيذ أحكام الله تعالى، وأنه ملزم بالعدل للعدو والصديق معاً!!

كان صدر الإمام لا يضيق بتعدد الآراء، ولا ينفر من اختلافها كان سعيداً بتعدد آراء رجاله واختلاف وجهات نظرهم، كان يتركهم وينظر بالمحبة للجميع، وهو يرى كل فرقة متمسكة برأيها، وتدافع عنه بكل فنون الدفاع، كان لا يتدخل إلا إذا طلبوا منه التدخل، فإذا طلبوا ذلك أصدر حكمه،

---

(١) إيران من الداخل ص٢١٠ ـ ٢١١ لفهمي هويدي وكتابنا الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران ص٥٩ ـ ٦٠.

ووضع حداً للخلاف والإختلاف وتباين الآراء في هذه المسألة أو تلك، فيقبل الجميع بحكمه، وينسون الآراء التي تبنوها، ويتبنى الجميع من جديد حكم الإمام المقنع.

لم يقل الإمام أبداً أن المعارضة خطأ، وأن الاختلاف بالرأي خطيئة إنما يعتبر ذلك مظهراً من مظاهر الاهتمام بأمر المسلمين، وتوخي الصواب في ما ينبغي عمله، وخلال فترة ثورتة، وفترة حكمه هكذا عامل أعداءه في الداخل كما عامل «أبو الحسن بني صدر» «طالما ظلت معارضته بهذه الحدود فلا يعد من المفسدين في الأرض» وهو يقتدي بذلك بالإمام علي بن أبي طالب ومعاملته للخوارج «دعوهم مالم يقاتلوا» وسارت شيعة علي على هذا النحو مع خصوم الثورة، لقد كانوا أحراراً يقولون ما يشاؤون ويفعلون ما يشاؤون، وبقوا يتمتعون بكامل حريتهم، حتى بدأوا سلسلة من الاغتيالات الرهيبة عندئذٍ تصدى لهم رجال الإمام، ووضعوا حداً لشرورهم.

كان الإمام لا يؤمن بالحلول الوسط فهو يحدد الغايات الكبرى التي ينبغي أن يسعى الشعب الإيراني لتحقيقها كاملة غير منقوصة أو يموت دونها!!

لقد أعلن في بداية الثورة أن أهدافه تتلخص بثلاثة أهداف

١ ـ خلع الشاه.

٢ ـ إسقاط نظامه.

٣ ـ إقامة حكومة اسلامية.

وبالفعل تم خلع الشاه، وتم اسقاط نظامه، وكانت لدى الجميع رغبة بالاكتفاء بذلك مرحلياً، إلا أن الإمام قد رفض ذلك رفضاً مطلقاً وأصر إصراراً بالغاً على ضرورة إقامة الحكومة الإسلامية مهما كلف الثمن.

كان الإمام يسعى إلى مرضاة الله، ولم يسع إلى أي نفع دنيوي، ولو

أراد النفوذ الدنيوي لحصل من الشاه ومن القوى الكبرى على ما يريد «ولما نجحت الثورة رحل الإمام إلى قم وهم بمتابعة التدريس لكن قادة الثورة وجموع الأمة رجته» بأن يحكم، وأن يكون أول رئيس للدولة وولي أمر فيها، وأمام الحاحهم قبل أن يكون حكماً لا حاكماً، وانتقل إلى رحمة الله ولم يبن لنفسه منزلاً، ولم يترك درهماً ولا ديناراً، كان رزقه قوت يوم بيوم».

هذه هي أساليب الإمام بالكفاح والثورة، وهذه أيضاً هي أساليب أنجب وأعظم اتباع الإمام السيد علي الخامنئي وهي عين الأساليب المتوجب على دولة الثورة الإسلامية أن تتبعها.

الفصل الثالث

كفاح السيد الخامنئي ونشاطاته الثورية

السيد الخامنئي يتولى تعميم خطب وتصريحات وبيانات الإمام الخميني وفتاويه

لقد أدرك السيد علي الخامنئي، ونواة المؤمنين الذين التفوا حول الإمام أهمية كلام الإمام، لذلك صاروا يسجلون كل كلمة يقولها، وينسخون منها آلاف الصور على أشرطة الكاسيت وفي منشورات خاصة، ويوزعونها على الناس، وعلى نطاق واسع، بحيث كانت تصل إلى كل مدينة وبلدة وقرية، وتشق طريقها إلى قلوب الناس بأيسر السبل، وتترك في نفوسهم الأثر البالغ، وكان الإمام الخميني يجيب على كل الأسئلة التي تطرح عليه، وبشجاعة نادرة، وكأن الشاه ونظامه غير موجودين وكأنه هو ولي الأمر بالفعل.

ولم تكن خطب وتصريحات وبيانات وفتاوي الإمام الخميني مجرد كلمات، أو جمل، بل كانت جمرات وشواظاً من نار تكوي قلب الشاه، وأركان نظامه، كانت صرخات مدوية ثورية تبعث الحياة بالقلوب الميتة، وتوقظ النيام، وكانت لمسات مباركة تبعث الأمل، وتطرد الإحباط من قلوب اليائسين والمحبطين، ودفقات همة وعزيمة تشحذ همم القاعدين وتقوي عزائمهم، إنها أعاصير إذلال للمستكبرين، ونسائم رحمة وتباشير

خير وفلاح للمؤمنين، لقد كان الكل مأسوراً بما يقول الإمام الخميني، وتلك نعمة إلهية يجب نشرها وتعميمها والاستفادة منها إلى أبعد الحدود، لتحدث في نفوس الإيرانيين الأثر الذي أراد الله احداثه، ولتغرس بذور التمرد والثورة ولتشرك الإيرانيين عن بكرة أبيهم بالثورة، ودفع الخطر المحدق بالإسلام وبالقرآن، ليقفوا وقفة رجل واحد في وجه الشاه عدو الإسلام والقرآن وفي وجه نظامه الطاغوتي الظالم!! لقد أيقظت كلمات الإمام الإيرانيين من سباتهم، فنهضوا، لقد اكتشف الإيرانيون القائد، والولي والإمام وهذا الاكتشاف كان أول أركان النهضة لقد أيقن الإيرانيون أن قائدهم من نوع خاص، فهو الزعيم الوحيد الذي تحدى الشاه علناً، وبمنتهى الحزم والإصرار والوضوح وهو أول زعيم ينادي علناً والشاه في أوج عظمته بضرورة خلع الشاه واسقاط نظامه، وأكد امكانية ذلك، وهو أول زعيم يقدم البديل المنطقي المقبول للشاه، إن تصريحاته وخطبه وبياناته كانت تحمل مشروعاً كاملاً للنهضة.

لقد أثارت كلمات الإمام ذهول الشعب الإيراني وإعجابه، بمختلف طبقاته وتوجيهاته الدينية والعلمانية، الوطنية، والقومية، الفقراء والأغنياء، كلهم كانوا يفخرون بأن الإمام إيراني، وأنه قائدهم الشرعي، لقد أيقظ الإيرانيون من غفوتهم بالفعل، ووضعهم أمام مسؤولياتهم.

بل لقد أثار إعجاب المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، وحتى الشاه نفسه وبطانته الخاصة، قد انتابهم الذهول من جرأة الإمام وقدرته، واستخفافه بالشاه ونظامه، ومن سحر بيانه.. وبالتالي فقد احتاروا أي الأساليب أفضل لمواجهة هذا الكوكب الهاشمي الذي تألق فجأة في سماء إيران، هذا البدر الذي اكتمل بدون مقدمات..

لقد ذهل العالم كله، وتساءل ما قوة هذا الرجل، أي سحر في بيانه!! كيف يمكنه أن يواجه بالبيان أعظم وأقوى طاغية في العصر الحديث!! لقد

أيقن العالم كله العدو والصديق أن الإمام الخميني، رجل من نوع خاص، وظاهرة فريدة من نوعها في العصر الحديث، سواء من حيث الدعوة، أو من حيث الأسلوب أو من حيث طريقة الاستهانة بالموت، أو من حيث حجم الاتباع أو من حيث القدرة على التأثير والاستقطاب، فكانت جملة واحدة تخرج من فم الإمام لها القدرة على إخراج الملايين من بيوتهم بمدة لا تتجاوز الساعة.. وتلك ميزة لم تتحقق لأي إنسان في إيران أو في العالم قديمه وحديثه[1].

وما كان لهذا البيان العظيم أن ينتشر لولا الجهود الهائلة التي بذلها السيد الخامنئي وصحبه، كان السيد الخامنئي أول من تنبه إلى أهمية نشر وتعميم كل كلمة يقولها الإمام، وقد نبه الإمام إلى ذلك، فأيده، وبارك جهده، فتشكلت الطواقم المختصة بنشر وتعميم كافة كلمات الإمام وتصريحاته وبياناته وفتاويه وعندما ذاق الايرانيون حلاوة هذا البيان المدهش، صاروا بأنفسهم يبحثون عنه ويقتنونه ويشاركون بشرف تعميمه ونشره.

مقاطع من كلمات الإمام التي عمل السيد الخامنئي على تعميمها ونشرها في كل أنحاء إيران.

... من العار أن نسكت على هذه الأوضاع، وننزوي جانباً أمام الظالمين المارقين الذين يريدون النيل من كرامة الدين والقرآن وشريعة الإسلام، انهضوا للثورة والجهاد والاصلاح، نحن لا نريد الحياة في ظل المجرمين.

.... لسد حاجات الأرامل والأيتام هؤلاء الذين ترملوا وتيتموا من جراء حكم الشاه وحكم أبيه من قبله، وإني انتهز هذه الفرصة لأعلن نهاية التقية».

(١) راجع كتابنا الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران ص٧١ وما فوق.

. . . إن تلك الحكومة ما هي إلا حكومة ظالمة وأن التعاون معها إن هو إلا تعاون مع الكفر».

. . . . يا ليتني مت قبل هذا وما شاهدت ذلك العار، فليس لإيران بعد اليوم عيد، لقد حولوا العيد إلى مأتم، لقد باعونا وباعوا استقلالنا فلو أن أحداً دهس كلباً امريكياً بسيارته، فإنه سيكون عرضة للتحقيق والملاحقة القضائية، حتى ولو كان ذلك الشخص هو الشاه نفسه، أما إذا دهس طباخ أمريكي شاه إيران نفسه أو أي رجل من كبار الشخصيات فلا يمكن ملاحقته. . . إن هنالك مؤامرة خطرة تحاك خلف الستار. . . ماذا بقي من الشر لم يفعلوه. . . فانفعلت الجماهير وتوالت صيحاتها المجلجلة بهتاف «الله أكبر» ونادى الإمام قائلاً: يا رجال الإسلام انقذوا اسلامكم، يا علماء النجف هبوا لكرامة دينكم، يا علماء قم انهضوا فإن الإسلام في خطر، أيتها الشعوب الإسلامية، يا زعماء ورؤساء المسلمين النجدة النجدة. . .

. . . وامصيبتاه إني لا أستطيع الإفصاح عن كل مساوىء هذا النظام الفاسد في حديث أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة، إننا نعارض الفساد ونقول بصراحة إن برامج الحكومة تنظمها اسرائيل».

. . . . وقال مخاطباً الشاه: احذركم من مغبة مخالفة الإسلام، وأحب أن أذكركم بأن علماء إيران والأعلام والمراكز الدينية وسائر المسلمين لن يسكتوا عما يخالف الشرع ولن يعترفوا بأي أمر يخالف الإسلام بحول وقوة من الله تعالى.

. . إنني أحذرك أيها الملك من مغبة تلك الأعمال والأساليب، وأريد أن يشكر الناس ربهم، إذا قرر أسيادك في الغرب إبعادك عن البلاد إني أرى مصيرك كمصير أبيك».

ويقول مخاطباً الشاه. . . أيها البائس العليل استمع إلى نصحي. . .

وليكن مصير أبيك درساً تتلقنه . . . تتهمنا بالرجعية إنما أنت الرجعي الأسود. . .».

وألقى بروع الإيرانيين أن العناية الإلهية قد تكفلت بحفظ الإمام، ورعايته، والقاء رداء الهيبة والحماية عليه!! فهل يعقل أن ملك ملوك الشرق غير قادر على مواجهة سيد هاشمي أعزل!! وما الذي يمنعه من أن يرسل له أحد رجال السافاك فيغتاله!! وما الذي يمنع الشاه من أن يهدم منزل الخميني على ساكنيه!! إنها العناية الإلهية!! التي تحفظ الإمام في حله وترحاله، في نومه ويقظته!!

وبعضهم قد توصل إلى نتيجة مفادها بأن الإمام الخميني مكلف إلهياً بالتوطيد لإمام الزمان المهدي المنتظر!!

لقد اختلط فرح الزمان بألمه، والواقع التاريخي بالطموحات والممكن بالمعجزات!!

ومن هذا الخليط ارتسمت في أذهان الإيرانيين صورة الإمام الخميني المعجزة، فتحول إلى سفينة تحمل الفرح والطموح و. . . تتسع لكل الإيرانيين.

وما كان لذلك أن يحدث لولا نجاح السيد الخامنئي ونواة الثورة من المؤمنين، بتعميم ونشر بيانات الإمام وخطبه وتصريحاته وفتاويه.

ونتيجة لذلك تدفقت جموع المؤيدين على قم، ووضعت نفسها تحت تصرف الإمام، وبايعته منقذاً وقائداً وإماماً ووليّاً لأمرها.

نشاطات السيد الخامنئي في قم

أثناء فترة إقامة السيد الخامنئي في قم دارساً ومدرساً تعرف على علمائها وطلابها، وكون شبكة هائلة من العلاقات والصداقات مع الجميع

الذين كانوا يحترمونه، لأنه سيد، ومعلم ومتعلم، ولأنه كان يتمتع بذكاء خارق وشخصية محبوبة، لذلك ألفه الجميع وأحبوه، وعندما جهر الإمام بدعوته كان السيد الخامنئي أول من بايعه، وأعلن تأييده له، ووضع حياته ومستقبله بين يديه ومباشرة انطلق السيد الخامنئي في قم، وأخذ يدعو أحبابه وأصدقاءه لإعلان تأييدهم للإمام ومبايعته والإلتفاف حوله، وتمكن السيد الخامنئي من استقطاب المئات من أصدقائه، في قم وتجنيدهم في صفوف الثورة، بنفس الوقت الذي كان يضع نفسه تحت تصرف الإمام وينفذ توجيهاته، ويعينه على استقبال الوفود التي بدأت تتدفق على قم، ويوطد له.

وكان السيد الخامنئي ونواة الثورة المؤمنين وراء تحويل مدينة قم إلى قاعدة، متينة يتحرك بها الإمام تحرك القائد في عاصمة دولته، وكانوا وراء اجماع أهل قم، واجماع الحوزات العلمية بأساتذتها وطلابها على احتضان الإمام وحمايته والذود عنه، وأثناء وجوده في قم كان يعمل الترتيبات اللازمة مع المخلصين للإمام لحراسة الإمام وحراسة منزله ليل نهار لأنهم كانوا يخشون على حياته ويتوقعون أن يرسل له الشاه من يغتاله، وكان يراقب الإمام وهو يتكلم، ويرصد تأثير كلام الإمام بالجموع، ويلخص له الموقف ويتداول وإياه، ونواة الثورة في ما ينبغي فعله لتوسيع نشاطات الثورة وفاعليتها، وبإختصار لقد كان السيد الخامنئي يمين الإمام في قم.

نشاطات السيد علي الخامنئي في مشهد أثناء وجود الإمام بقم

قبل أن يسافر السيد الخامنئي عام ١٩٥٨ للدراسة والإقامة في قم، كان قد درس في الحوزة العلمية، ومدرسة سليمان خان والمدرسة الإبتدائية قرابة أربعة عشر سنة، وكان قد أكمل دراسته الثانوية في المدارس الحكومية مساء، فضلاً عن ذلك فهو سيد وابن آية الله العظمى السيد جواد وأمه سيدة فاضلة من السيدات المعروفة في مشهد، كل هذا قد مكن السيد علي الخامنئي من أن

يقيم علاقات ود وصداقة مع المئات من زملائه الطلاب الذين صاروا شباباً ورجالاً، ولما نبتت بذرة الثورة في قلب السيد الخامنئي، واتبع الإمام وبايعه بدأ جهداً مكثفاً لتعميم فكرة الثورة عليهم وتجنيدهم في صفوف الثورة فاستجابت له الأكثرية الساحقة منهم لأنهم يثقون بذكائه وخلقه ودينه، واخلاصه للإسلام ولقضية أهل بيت النبوة العادلة فأخذت الثورة تشق طريقها في مشهد بثبات واستمرار، ويتكاثر انصارها يوماً بعد يوم.

وهذا هو المطلوب فالإمام الخميني لا يريد مالاً إنما يريد رجالاً يحملون الإسلام ويدافعون عنه، ويحملون فكر وأسلوب القائد الذي فجر الثورة.

في سنة ١٩٦٣ كلف الإمام السيد علي الخامنئي بالذهاب إلى مشهد لإيصال ثلاثة نداءات مصيرية حول شهر محرم الذي وقعت فيه انتفاضة ١٥ خرداد، النداء الأول كان موجهاً إلى العلماء والخطباء ورؤساء الهيئات الدينية يحثهم فيه بالتهجم على إسرائيل، واستذكار اقتحام الفيضية، أما النداء الثاني فقد كان موجهاً إلى آية الله العظمى الميلاني، أما الثالث فقد كان موجهاً إلى أحد العلماء في مشهد وهو بدء الكفاح العلني في شهر محرم، وقد تم انجاز هذه المسؤولية بالصورة المطلوبة، وأدت هذه النداءات الثلاثة إلى تشديد وتوسيع الكفاح في خراسان.

وكان السيد الخامنئي أثناء سفره ينقل إلى أبناء الشعب في المدن التي يمر بها في طريقه، ومن على المنابر، جوانبَ من هذه النداءات، فاستطاع بعمله هذا نشر بذور الثورة في كل مكان مر عليه، ثم قرر السيد مع جمع من زملائه الملتزمين السفر إلى مختلف مدن المحافظة من اليوم السابع من محرم تلك السنة، وتنفيذ البرنامج الذي أعده الإمام، والقيام بشرح القضايا الراهنة والأوضاع السياسية والإجتماعية، وفاجعة الفيضية وقضايا الاستفتاء الشعبي المزور للنظام ومحاربة هذا النظام للإسلام وللعلماء، وخاصة فاجعة الفيضية

وكذلك الحداد العام واستغل الإمام والعلماء شهر محرم في تلك السنة، ووضعت البرامج لتبين الأمور بشكل مجمل من الأول من محرم حتى السادسة منه وفي اليوم السابع القيام ببيان المطالب الرئيسية والحقائق بكل صراحة للشعب، ليكشف عن وجه الشاه الكريه من تحت غطاء الاصلاحات...»[1].

السيد علي الخامنئي في مدينة بيرجند

أراد الإمام الخميني أن يستثمر شهر محرم، فوضع برامج معينة، وكلف الخلص من اتباعه بتنفيذ هذه البرامج، في إيران كلها دفعة واحدة، وكان من نصيب السيد علي الخامنئي مدينة بيرجند التي كانت مركز قوة لنظام الشاه، وخاضعة بالكامل لسيطرته، حتى أن الناس كانوا يطلقون عليها مصطلح «إقطاعية» أسد الله، رئيس الوزراء الإيراني، آنذاك.

كانت مهمة السيد علي الخامنئي ومن معه أن يبينوا من اليوم الأول من محرم حتى اليوم السادس من الأمور بشكل مجمل، وفي اليوم السابع وما فوق يتم بيان المطالب الرئيسية والحقائق بكل صراحة للشعب، ليكتشف الوجه الحقيقي للشاه، وليقف على زيف ثورته الاصلاحية البيضاء!!

ارتقى السيد الخامنئي المنبر في بيرجند في اليوم الثالث من محرم وأشعل فتيل الثورة، وذلك ببيان القضية لأبناء الشعب، وفي اليوم السابع من محرم حيث شارك جمع غفير في المجلس، بدأ ببيان مثير وجذاب لفاجعة الفيضية، فبكى الناس كثيراً.

يقول السيد علي الخامنئي «في ذلك اليوم أطال الخطيب الأول بيانه،

---

(١) سماحة آية الله العظمى السيد خامنئي، مكتب الإعلام الإسلامي حوزة م ص ٤٩ ـ ٥٠ وشمس الولاية ص٤١ ـ ٤٢.

وتأخر عن النزول من المنبر، فلم يبق لي غير نصف ساعة، وعندما بدأت الموضوع كنت ارتعش من شدة الإثارة، مع أنني لم أكن خائفاً أبداً، كانت أحوال الناس تؤثر بي أيضاً، كان الناس يبكون بصورة عجيبة، وعندما نزلت من المنبر أحاطوا بي كي لا أعتقل، فكان لهذا المنبر صدى عظيم في المدينة وفي صباح اليوم التالي حضر جمع غفير في مجلس آخر أقيم في منزل أحد الأشخاص وهنالك أيضاً طرحت قضايا الساعة».

وقال سماحته كان في بيرجند عالم شهير اسمه تهامي، قال لي: مع أنني الأكثر اطلاعاً على الأمور في هذه المدينة، لكنني لم أكن أعلم بهذه القضايا، ولولاك لما صدقت هذه القضايا، وأنني لم أبكِ في أي من الحوادث بهذه الصورة ونتيجة هذا انقلبت الأوضاع في مدينة بيرجند في هذين اليومين بشدة، وأصبح الناس على استعداد تام، وفي صباح اليوم التاسع من محرم، ارتقى السيد علي الخامنئي المنبر والقى خطاباً حماسياً، أقلق السلطات بشدة، فقامت باعتقاله مع أن العلماء لا يعتقلون عادة في يومي التاسع والعاشر من محرم وتم حجز السيد الخامنئي يومين في بيرجند، ثم نقل إلى مشهد، وهناك تم تسليمه للسافاك، وكان لهذا الاعتقال الأثر الكبير في يقظة الناس.

وكان لهذه النشاطات والنداءات أكبر الأثر بحيث احتلت مشهد في محرم تلك السنة المكانة الثانية بعد طهران في زعزعة أركان النظام ولذلك فقد تعامل النظام مع سماحته بعنف ووحشية لم يسبق أن عومل العلماء بها من قبل، لقد سلم منذ البداية للسافاك، ثم نقل إلى سجن خرب في القلعة، وحرم حتى من الوسائل الأولية في السجن، وهددوه بحلق لحيته بالموسى، ثم غيروا رأيهم فقصبروها بماكنة حلاقة.

قال السيد خامنئي: بعد تقصير لحيتي، وعندما ذهبت لأغسل وجهي، جاءني ملازم متكبر مغرور، وبدأ بالاستهزاء والقهقهة وقال: أرأيت كيف حلقنا لحيتك؟ قلت بسكينة: بل لم يكن سيئاً فإني لم أرَ ذقني منذ

فترة طويلة!! وأجبروا السيد علي الخامنئي على العمل بالمعسكر، وأعطوه عربة لنقل الآجر، ومعولاً ومسحاة لحفر الأرض وتسطيحها، وقطع الأعشاب بيديه، وأمثال هذه الأعمال التي لم يسبق أن عومل بها العلماء من قبل، واستمرت فترة الاعتقال هذه عشرة أيام، قال السيد خامنئي: لم يكن السجن شيئاً، كان تجربة جديدة وعالم آخر مع السافاك ومع التحقيقات والدعاوى والأوقات المريرة والإهانات الشديدة، وخلاصة القول مع الكفاح»[1].

بعد خروج السيد علي الخامنئي من السجن

قال السيد علي الخامنئي: بعد خروجي من السجن، عقدنا جلسة وقررنا مع الزملاء هذه المرة برنامجاً ومخططاً دقيقاً، بأن يذهب كل واحد منا إلى نقطة من البلاد ليكشف الحقائق للشعب، كانت المراقبة شديدة، وأجهزة النظام على استعداد لقمع الشعب بشدة، وقد أدت جرائم النظام إلى تراجع البعض، وإن كانت قد دعت البعض الآخر إلى مقاومة أكثر وجهاد أكبر».

ففي مثل هذه الأوضاع كانت صرخة العلماء هي الصوت الوحيد الذي يدعو أبناء الشعب إلى المقاومة والجهاد.

ويتابع سماحته قائلاً: «لقد تواجد طلبة الإمام الخميني في جميع المدن والقرى الصغيرة والنائية، وفي أي مكان يرزح تحت وطأة ظلم الشاه وأياديه، وتحت سيطرة أصحاب المال والنفوذ المتسلطين على أموال وأعراض وعقيدة وإيمان أبناء الشعب، وكشفوا الحقائق للشعب دون خوف ولا وجل من الاعتقال والتعذيب.

لقد كانت هذه السفرات والتحركات الجماعية خصوصاً بعد انتفاضة

---

(١) شمس الولاية ص٤١ وما فوق، وآية الله العظمى السيد الخامنئي ص٥٠ وما فوق.

١٥ خرداد وبعد اعتقال الإمام الخميني، قيمة جداً، واتسعت هذه التحركات لتشمل أكثر المدن وبعض القرى بصورة أرعبت النظام ولهذا كانت ردة فعل النظام بالمقابل عنيفة جداً»[١].

السيد علي الخامنئي ومناسبة مرور عام على الاستفتاء المزور

في شهر رمضان عام ١٩٦٣ كان يتصادف مع ذكرى مرور عام على الاستفتاء المزور الذي أجراه الشاه، كان الإمام الخميني خلال ذلك الوقت محاصَراً ولم يتمكن من وضع برنامج عمل لذلك الشهر المبارك.

ومع هذا فقد تمكن السيد علي الخامنئي بالتعاون مع العلماء المقربين من الإمام ومع طلبة الحوزة العلمية من وضع برنامج لمواصلة العمل، وإبقاء شعلة الثورة مضيئة.

قال السيد علي الخامنئي: «تحركنا من قم في باص، وكنا ثلاثين طالباً للعلم، وكانت مستويات الطلبة الجالسين في الباص مختلفة، فكانوا ينزلون من الباص الواحد تلو الآخر، وكنت آخر من يجب أن ينزل في كرمان.

وفي كرمان شرع السيد الخامنئي بالقاء الخطب والاجتماع بالعلماء والطلبة والمجاهدين، والتباحث معهم لمدة ثلاثة أيام، ثم توجه بالسيارة إلى زاهدان، وهنالك ارتقى المنبر في المسجد الجامع، فلقي استقبالاً حاراً من الناس.

وفي السادس من الشهر بدأت خطاباته أكثر صراحة، وعندما بلغ اليوم الخامس عشر من شهر رمضان ذكرى مولد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ألقى السيد علي الخامنئي كلمة قوية ومثيرة، فقام السافاك بإعتقاله ليلة السادس عشر من شهر رمضان، ونقل بالطائرة إلى طهران، فاحتجزوه ليلة في معسكر سلطنة آباد ثم سلم في اليوم الثاني إلى السجن «سجن قزل قلعة المشهور» حيث يمارس فيه أبشع أنواع التعذيب، فقضى شهرين في سجن انفرادي

---

(١) سماحة آية الله العظمى الخامنئي ص٥٢ ـ ٥٣.

واهانات شديدة، وتهديد بالقتل، والتعذيب البشع مع سائر المصاعب، ثم اطلق سراحه»[1].

مقابلة الإمام الخميني

كان أول عمل فعله السيد الخامنئي بعد إطلاق سراحه هو الذهاب لمقابلة الإمام، في منزله الواقع في منطقة القيطرية والذي كان في الواقع سجناً، ونجح بمقابلة الإمام برفقة السيد مصطفى الخميني وبقي ربع ساعة في حضرة الإمام.

قال السيد علي الخامنئي: لقد أذهب الإمام التعب عن جسمي، وبكيت من شدة شوقي له، فلاطفني الإمام كثيراً، فقلت لسماحته لم نستفد من شهر رمضان بالصورة المطلوبة نظراً لغيابك، لذا يجب علينا التفكير في محرم القادم من الآن»[2].

السيد علي الخامنئي يشكل خلايا ثورية سرية، واختفاء السيد قرابة سنة

لغايات تنظيم الخطط ووضعها، وتنظيم نشاطات الحوزة العلمية في قم، ولغايات الاستمرار بابقاء شعلة الثورة مضيئة والاستمرار بالسير على خط الإمام حتى أثناء غيابه، دعا السيد الخامنئي إلى اجتماع خاص حضره جمع من العلماء العاملين، منه آية الله المشكيني، وآيا الله القدوسي، وآية الله رباني الاملشي، وآية الله رباني الشيرازي، وآية الله الأذري القمي، وآية الله أميني النجفي وغيرهم.

وبعد التداول تم الاتفاق على تشكيل خلايا سرية منظمة لتحقيق الأهداف آنفة الذكر، وتم وضع ميثاق لها، وانتخب آية الله مصباح يزدي سكرتيراً

---

(١) شمس الولاية ص٤٥ وما فوق، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) شمس الولاية ص٤٥ وما فوق، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي ٥٣ ـ ٤٥.

للجلسات، ليكتب المحضر، والميثاق وسائر المطالب بخط يده وبخط يشبه الأدعية القديمة بحيث لا يمكن لأحد غيره قراءتها، فحتماً لو وقعت بأيدي السافاك، سيظنون أنها أدعية وطلاسم قديمة في عام ١٩٦٥ أعتقل آية الله الآزدي القمي لسبب آخر، فعثر السافاك على الميثاق في منزله، وتم تعذيبه، واعتقل آخرون، وفر آخرون ومنهم السيد علي الخامنئي والشيخ هاشمي رفسنجاني وآية الله مصباح إلى طهران، واختفى السيد الخامنئي عن عيون السافاك قرابة عام عاش خلاله والشيخ هاشمي رفسنجاني في منزل واحد معاً.

وكان السيد الخامنئي قد فر قبل ذلك من مشهد بسبب ترجمته لكتاب «المستقبل لهذا الدين» وذلك لما يحتويه هذا الكتاب وبالخصوص المقدمة والحواشي، لقد أقلق هذا الكتاب السافاك وأغضبه كثيراً، لذلك صادر الكتاب، وتم اعتقال اثنين من رجال المطبعة، ومع هذا تمكن السيد الخامنئي من طبع وتوزيع الكتاب عن طريق آخر، لذلك غضب السافاك على السيد خامنئي كثيراً، وقرر مطاردته، واعتقاله خصوصاً بعد كشف علاقته بالخلايا السرية في قم، وهذا أيضاً من دواعي اختفائه.

وقد اعتقل آية الله القدوسي في تلك الأيام، ثم اطلق سراحه بعد التحقيق معه، واستطاع آية الله القدوسي أن يعلم أثناء التحقيق أن السافاك قد كشف بالفعل الخلايا السرية، لذلك أخبر القدوسي السيد الخامنئي بذلك بعد اطلاق سراحه.

فعقد السيد الخامنئي اجتماعاً ضم الشيخ هاشمي رفسنجاني، وأميني النجفي أبادي في منزل الشهيد باهنر، تم فيها مناقشة القضايا وقرروا أن لا يظهر أحد منهم في الملأ العام، وأن يأخذوا حذرهم وأن لا يذهب السيد الخامنئي إلى مشهد، وهذا ما تم بالفعل»[١].

---

(١) راجع شمس الولاية ص٤٨ـ ٥١، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي ص٤٦ ـ ٤٧.

اعتقال السيد علي الخامنئي

في أواخر عام ١٩٦٦ سقطت حدة القضية بإطلاق سراح عدد من المعتقلين فخرج السيد وسافر إلى مشهد، وما إن استقر بها قليلاً حتى عاود نشاطه من جديد، ولما علم السافاك بأن السيد علي الخامنئي قد عاود نشاطه تم اعتقاله في بداية عام ١٩٦٧ بذريعة ترجمة كتاب «المستقبل لهذا الدين» لكنه تمكن من التحايل على السافاك والصمود أمام ضغوطهم وتعذيبهم ولم يتمكن السافاك من الحصول على أية معلومات فأطلق سراحه وقرر السيد الخامنئي البقاء في مشهد ومتابعة نشاطاته منها بدلاً من الذهاب إلى قم أو طهران لأن مشهد مسقط رأسه وله فيها تأثير عظيم.

السيد علي الخامنئي يضع درسين لتفسير القرآن في مشهد

بعد أن استقر السيد علي الخامنئي في مشهد أخذ يدرس في الحوزة العلمية ومن خلال دروسه كان ينشر أفكار الثورة.

وبنفس الوقت وضع السيد علي الخامنئي درساً لتفسير القرآن مقتصراً على طلاب العلوم الدينية، كما وضع درساً خاصاً بالجامعيين والشباب، ومن خلال هذين الدرسين، كان السيد علي الخامنئي يقوم بابلاغ أحكام الإسلام وتعاليمه الثورية.

ومن خلال هذين الدرسين كان بإمكانه أن يتعرف على الملتزمين بالإسلام، والعناصر الثائرة، فيرتبط بهم ويضمهم إلى صفوف الثورة، لقد انقلب هذا الدرس إلى قاعدة للجهاد والنشاطات الثورية، وبنفس الوقت مقر دائم لتوعية وإيقاظ الشعب، لقد أدرك السافاك خطورة ما يفعله السيد، لذلك عطل درسه عدة مرات، وكان السيد يُدرّس في مكان آخر كلما عطلوا درسه في مكان.

السيد علي الخامنئي يشكل لجنة إغاثة!!

بمبادرة من السيد علي الخامنئي، وبدعم معنوي من علماء مشهد، ودعم مادي من أهل البازار الثوريين والملتزمين قام السيد علي الخامنئي بتشكيل لجنة العلماء للإغاثة، فجمع طلبة العلوم الدينية في مشهد، وشكل منهم لجنة إغاثة لمساعدة أهالي مناطق فردوس وسماخك وكناباه بعد أن تعرضت هذه المناطق إلى زلزال مدمر أسفر عن أضرار مادية وبشرية هائلة قال سماحة السيد علي الخامنئي: رأيت أنه يجب تربية جمع من الطلبة، يؤمنون بالجهاد من أعماق قلوبهم، ويبذلون كل ما بوسعهم في هذا الطريق، لهذا بدأنا العمل، ووضعنا برنامجاً مع الطلبة، وعندما وقع الزلزال، انتهزنا هذه الفرصة انطلاقاً من تفكيرنا هذا، واتصلنا ببعض الأخوة، وعرضنا عليهم قصدنا في الذهاب إلى فردوس، فحظيت هذه الخطوة بتأييد البعض فاجتمعنا من ٧٠ ـ ٨٠ رجلاً بما فيهم الشيخ الطبسي، والشهيد هاشمي نجاد وجمع من طلبة العلوم الدينية، وأهل البازار وتحركنا في خمسة عشر إلى عشرين سيارة باتجاه منطقة الزلزال، وعندما شاهدنا آية الله الشيخ علي مرواريد الذي كان قد حضر إلى المنطقة مع جمع من الناس، وشاهد كيف رتبنا الأوضاع بهذه الصورة أخذته العبرة من ذلك.

ويتابع السيد الخامنئي قائلاً: وفي الأيام الأولى أي بين عشرة إلى خمسة عشر يوماً من تواجدنا هناك اشتبه الناس بين اسمي واسم السيد الخميني، فكانوا ينادون بأن الإمام الخميني قد جاء إلى هنا وبدأت تتوافد مجموعات من القرى والمناطق البعيدة لرؤية السيد الخامنئي، وتبين لنا هنالك أن السيد الخميني للجميع، ولسنا الوحيدين الذين نحبه، وكان اسمه الخميني اسماً محبوباً لدى الجميع، في قرى تلك المنطقة بل حتى في القرى النائية، ولكن في نهاية الأمر عرف الناس من أنا.

لقد كان شيئاً جميلاً بحيث أربك النظام، وكانت وحدة من قوات

الدرك مستقرة هناك قد حاولت اخراجنا من المنطقة بالقوة، هددونا وقالوا إن لم تذهبوا فسوف نخرجكم بالقوة من هنا، فقلنا لها: لن نذهب، أيها الزملاء لا تهابوهم، وقلت يجب علينا أن لا نخاف، لأنه لا معنى للخوف ووضعنا هذا، وذلك لأننا قد جئنا لمساعدة الناس، وأن جميع امكانيات الناس في تصرفنا، والنظام البهلوي لا يملك شيئاً، ولو ملك شيئاً لما أعطاه، وبالفعل لم تتمكن قوات الطاغوت من المقاومة، ورجعوا من حيث أتوا، وواصلنا عملنا»[1].

أصبح السيد الخامنئي الرجل الأكثر شهرة في إيران بعد الإمام الخميني

نشاطات السيد علي الخامنئي في مجال العلم، الدرس، والتدريس، وفي مجال الخدمة العامة للناس كلهم، وكثرة اعتقال السافاك له، جعلته محور الجهاد في مشهد كلها، وذاع صيته في إيران، وهو أيضاً كان على اتصال دائم بكل النقاط والمحاور الثورية في البلاد، وتحدثت إيران عن فضله وشجاعته وكماله، وعلومه، وشخصيته الفذة.

فكثرت عليه الدعوات من أكثر المدن في إيران لإلقاء الخطب والمحاضرات في مجالسهم، ووجد السيد الخامنئي أن هذه فرصة جديدة لبيان الأفكار الإسلامية، والقضايا المطروحة، وضرورة الثورة والجهاد، لذلك حضّر نفسه لتكون محاضراته من النوع الفريد والمشوق، وهذا ما زاد صيته، ومن جملة محاضراته محاضرات شهر رمضان بمدرسة الشيخ عبد الحسين في بازار طهران عام ١٩٦٩ تحت عنوان، شروط وأركان الثورة.

وكان يطلق على جهاد العلماء في تلك الفترة «نهضة العلماء» ولم يكن يقال الثورة، لكن السيد الخامنئي كان مصراً خلال محاضراته في العشرين

---

(١) راجع شمس الولاية ص٤٨ ـ ٥١، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي ص٤٦ ـ ٤٧.

يوماً على استعمال كلمة الثورة بدلاً من كلمة النهضة.

أضف إلى ذلك فإن جانباً من اهتمام السيد كان منصباً على التأليف والترجمة، وساعد هذا كثيراً في نشر واحياء الروح والأفكار الثورية فكان لكتبه «صلح الإمام الحسن عليه السلام، والمستقبل لهذا الدين، ودور المسلمين في نهضة الهند، وما شابهها الدور الكبير في تربية الشباب وإعدادهم للثورة، وكان السيد الخامنئي قد اعتقل عام ١٩٦٧ بسبب هذه الكتب ثم أُطلق سراحه بعد أن عجز السافاك عن الحصول على أي مستند يدينه»[١].

خلال هذه المدة كان الإمام الخميني منفياً خارج البلاد ويوجّه ويقود وهو خارج البلاد، فتعامل الناس في الداخل مع السيد الخامنئي من الناحية العملية كأنه نائب القائد، أو على الأقل كان الناس في إيران يعتبرون السيد الخامنئي من أشهر أتباع الإمام وأكثرهم نشاطاً وشُهرة، ولقد أدركت سلطة الشاه ذلك من طريق تعاملها مع السيد الخامنئي، لهذا اكتفت بالنهاية بنفيه.

بعد رحيل آية الله العظمى السيد محسن الحكيم بدأ السيد علي الخامنئي يروج لخط الإمام الخميني ومرجعيته، واعلان الوفاء لقائد الثورة الإسلامية، بعد أن رأى الأجواء مناسبة لذلك اعتقل مرة أخرى، وكان لاعتقاله صدى واسعاً مما ساعد على تنمية وترسيخ الأفكار الثورية في نفوس الطلاب وكانت أعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٧١ أعوام البناء الثقافي، وكان المجاهدون خلال هذه المدة يتعرفون على الإسلام الصحيح الثوري من خلال المنابر والدروس الخاصة وجلسات البحث والنقاش الحر أو بنشر الكتب والكراسات الضرورية ويسمي السيد الخامنئي أعوام تلك الفترة بالنشاطات السرية، وكان السيد الخامنئي خلال تلك الفترة منهمكاً بتربية الكوادر وتنظيم العناصر الموثوقة والارتباط بالجماعات الناشطة والمجاهدة، ولتسهيل هذا العمل،

(١) شمس الولاية ص٤٩ وما فوق، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي.

قبل التدريس وإمامة الجماعة أيضاً.

فشرع بتدريس التفسير في مسجد الأتراك الواقع في بازار مشهد، ثم اضطر بعد فترة إلى نقل الدرس إلى مدرسة ميرزا جعفر وضاق المسجد، لأن طلبة العلوم الرئيسية وجمع من المؤمنين والمطلعين كانوا يأتون ولكن الدرس قد توقف بسبب اعتقال السيد علي الخامنئي عام ١٩٧٠ واستمر اعتقاله لمدة أربعة أشهر وعدة أيام.

وبعد اطلاق سراحه عاود السيد الخامنئي نشاطه في القاء محاضرات في الجمعية الإسلامية للمهندسين في طهران حول حديث «من رأى سلطاناً جائراً... وكان لهذه المحاضرات أثرها العظيم في نفوس الناس، فاتصلت به المنظمات السرية المسلحة كمنظمة مجاهدي خلق»[١].

حول ارتباطه بهذه الجماعات المسلحة

في عام ١٩٧١ بعد الانفجار الذي وقع في أعمدة الكهرباء أثناء احتفال النظام بمرور ٢٥٠٠ عام على النظام الملكي، اعتقل السيد الخامنئي وتعرض لأبشع أنواع التعذيب، إلا أن السافاك واجه مقاومة بطولية واسطورية من السيد علي الخامنئي، ولم يتمكن من الحصول منه على شيء، لسبب بسيط أنه لا علاقة له بالإنفجار ولا علاقة له بالمنظمات السرية، كانت تلك المنظمات تتصل به، وبالبارزين من أتباع الإمام الخميني على أمل ضمهم لها، والتباهي بعضويتهم فيها، ولكن لا الإمام الخميني، ولا السيد الخامنئي، ولا أتباعهما لهم علاقة فعلية بهذه المنظمات، لأن الإمام الخميني وأتباعه وعلى رأسهم السيد علي الخامنئي يؤمنون بالكلمة الطيبة وينبذون العنف بكل أشكاله، والإرهاب، والقتل والتخريب، ويبدو أن نظام الشاه قد

---

(١) شمس الولاية ص٤٩ وما فوق، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي.

أدرك هذه الحقيقة متأخراً، وهذا هو السر باخلاء سبيل السيد علي الخامنئي تلك المرة بعد مرور خمسين يوماً على احتجازه على إثر الإنفجار الذي وقع في أعمدة الكهرباء.

معاودة النشاط

بعد أن أخلوا سبيل السيد الخامنئي ومباشرةً عاود نشاطه بالتدريس والدرس، وأضاف إلى قواعده مسجد الإمام الحسن عليه السلام حيث بدأ سماحته بالحاح من الجميع بتدريس تفسير القرآن، وبهذا جمع السيد بين العمل السري المحدود والعمل العلني والمباشر مع الجماهير عن طريق المسجد.

وبعد فترة طلب من السيد الخامنئي أن يؤم الجماعة في مسجد «كرامت» بالغرب من حديقة نادري في مشهد وهو من النقاط المزدحمة والحساسة في المدينة، ونظراً لكثرة الحضور والإزدحام الجماهيري الكبير فقد قام السافاك بتعطيل المسجد فترة من الزمن.

وقد أثارت هذه النشاطات التي لم تتوقف إعجاب الكثيرين، وعلى الخصوص الشهيدين المطهري، وباهنر، حيث أبديا أثناء وجودهما في مشهد اعجابهما بهذه البرامج، وكان المرحوم آية الله الطالقاني يقول «إن السيد الخامنئي هو أمل المستقبل، فعندما تذهبون إلى مشهد فاذهبوا للقائه حتماً»[1].

المراقبة واعتقال السيد الخامنئي من جديد!!

هذه النشاطات التي لا تتوقف دفعت السافاك لوضع السيد الخامنئي تحت الرقابة الخاصة، فكانوا يحضرونه للتحقيق، أو يحاصرون منزله ويمنعون الناس من التردد عليه، أو يعطلون دروسه بالقوة واحداً تلو الآخر، ثم اعتقلوه سنة ١٩٧٣، ونقل إلى طهران وسجن في سجون السافاك المخيفة

---

(١) شمس الولاية ص٤٩ وما فوق، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي.

«لجنة مكافحة التخريب» واستمرت هذه الفترة من السجن قرابة الشهرين، قضاها بين[1] الزنزانات الانفرادية أو المكونة من اثنين أو ثلاث، وتحت التعذيب.

شهادة الشهيد رجائي

يقول الشهيد رجائي حول هذا الموضوع: في تلك السنة التي قضيتها في لجنة مكافحة التخريب عام ١٩٧٤، والتي كانت جهنماً حقيقية تسمع في هذه اللجنة الصياح والأنين من الصباح حتى الليل وبالعكس، فكان مصداقاً للآية «ثم لا يموت فيها ولا يحيى» فالذين كانوا هناك لم يكونوا أمواتاً، ولا أحياء!! لأنهم كانوا يضربون حتى الموت ثم يداوون بعض الشيء حتى تتحسن صحتهم تقريباً ثم يعيدونهم إلى التعذيب، وكانوا يعذبون الأشخاص في هذه اللجنة بشتى أنواع التعذيب، كنت بالزنزانة رقم ١٨، وكان السيد علي الخامنئي بالزنزانة رقم ٢٠، وكنا نتبادل الأخبار بطريقة خاصة تعلمناها في السجن، تشبه طريقة إرسال الأخبار بواسطة الشيفرة...

وأتذكر جيداً أن الجلادين حلقوا لحية السيد علي الخامنئي عنوة ووضعوه على وجهه لكسر شوكته، ولكنه كان مقاوماً وصامداً يضع قميصه على رأسه بشكل عمامة ويظهر بذلك المظهر أمام الآخرين، لقد قابلته مرة في المرافق وهو فرح مسرور[2].

إخلاء سبيل السيد وعودته إلى نشاطه المعتاد

لم يتمكن السافاك من الحصول على أي دليل يدين السيد الخامنئي، وبعد وصول جيمي كارتر إلى الحكم عام ١٩٧٥ اضطر السافاك لإخلاء سبيل

---

(١) شمس الولاية ص٤٩ وما فوق، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي.

(٢) شمس الولاية ص٤٩ وما فوق، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي.

السيد علي الخامنئي، فعاد إلى مشهد، خلال هذه الفترة وجه النظام ضربات قاضية إلى الشيوعيين ومجاهدي خلق، واصبحت القوى المجاهدة في حالة حيرة، وأُصيب آخرون باليأس، وانفصلت القوى الجهادية المؤمنة عن عناصر منظمة مجاهدي خلق بعد فشل اسلوبها «الكفاح المسلح».

فأصبحت وظيفة قادة الجهاد في هذه الأجواء المليئة بالإرهاب والرعب والخيانة، والإحباط واليأس والخمول والشك والحيرة حساسة جداً.

فقاد السيد علي الخامنئي عملية توعية الجماهير بمجريات الأحداث بالصورة التي لا يستغلها النظام لصالحه، وبنفس الوقت إرشاد الناس وتشجيعهم وتم بيان الهدف من الجهاد وهو إسقاط نظام الشاه دون مواجهة مع مجاهدي خلق، لأن الهدف تجميع الجهود ولمواجهة الطاغية أولاً، وبيان الأفكار الإنحرافية، والالتقاطية للمنظمة بكل مهارة ودقة دون أن يستغلها النظام لصالحه، وعندما أفاق النظام من غفلته كان كل شيء قد انتهى وبلغ الجهاد ذروته عام ١٩٧٨، وتم فضح انحرافات منظمة مجاهدي خلق[١].

السيد علي الخامنئي يقوم بإنشاء خلايا منظمة ثم رابطة العلماء المجاهدين

لأن الجهاد قد بلغ الذروة، ولأن منظمة مجاهدي خلق قد تعرت، وعرفها الناس على حقيقتها رأى السيد الخامنئي أنه لا بد من إنشاء وتكوين خلايا ثورية إسلامية منظمة يقودها الإمام ويشرف عليها العلماء الأعلام في مشهد.

قال السيد علي الخامنئي حول هذه المسألة «عقدنا اجتماعاً عام ١٩٧٧م مع اثنين من الأخوة وهما المرحوم آية الله رباني الأملشي، والشيخ الموحدي

---

(١) شمس الولاية ص٤٩ وما فوق، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي.

الكرماني دار فيه الحديث عن أسباب عدم وجود خلايا منظمة للمجاهدين خصوصاً بين صفوف العلماء الذين كانوا يشكلون النسبة العليا من المجاهدين، فاقترح إيجاد خلايا منظمة، وقد قيل في تلك الجلسة أن لو كان السيد بهشتي معنا كانت عاقبتها خيراً، ومن حسن الصدفة أن الشهيد البهشتي، والشهيد باهنر كانا بمشهد في تلك الفترة ولهذا عقدت جلسة أخرى بحضورهما، ووضع حجر الأساس لرابطة العلماء المجاهدين في البلاد، واعتبرت هذه الرابطة الركائز الأولى للحزب الجمهوري الإسلامي، وبعث خبر هذه الرابطة إلى العلماء في السجون ومن جملتهم الشيخ هاشمي رفسنجاني، فأيدوا هذه الفكرة وعاد الشهيد المطهري في تلك السنة حاملاً رسالة من الإمام يدعو المجاهدين ذوي السوابق الجهادية إلى الإجتماع، وقد أدت هذه الإرتباطات والإتصالات إلى تنظيم وخروج المسيرات المليونية عام ٧٧ ـ ١٩٧٨م، وكان دور السيد الخامنئي في تشكيل هذه الرابطة مركزياً، ويذكر أن السافاك لم يسمح للسيد الخامنئي بالخروج من البلاد طوال عشرة أعوام[١].

نفي السيد الخامنئي إلى إيرانشهر

في خضم هذه النشاطات، وبلوغ الثورة الإسلامية ذروتها عام ١٩٧٧م تم اعتقال السيد علي الخامنئي وبعد احتجازه أياماً حكم عليه بالنفي إلى إيرانشهر لمدة ثلاث سنوات، فنفي إلى هنالك بالفعل، ولكن النفي والمناخ الحار لتلك المدينة لم يحط من عزيمة السيد، بل استغل السيد هذه الفرصة، وسعى إلى توحيد صفوف المجاهدين، وتوحيد صفوف السنة والشيعة وكان له دور بارز بالتفاف العلماء حول قيادة الإمام الخميني.

وبالصدفة حدث في تلك السنة سيل في مدينة إيرانشهر أدى إلى تدمير

---

(١) شمس الولاية ص٤٩ وما فوق، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي.

البيوت وإلحاق أضرار جسيمة بالأهالي، فجند السيد الخامنئي جمعاً من طلبة العلوم الدينية وشكل لجنة إغاثة على غرار اللجنة السابقة التي أشرنا إليها، فكانت نجاحات هذه اللجنة في مجالات التبليغ والاغاثة مصدر رعب للنظام، فما كان من السافاك إلا أن استدعى السيد علي الخامنئي فقال له رئيس السافاك: لقد خاطبت البارحة في جلسة لجنة الأمن الحضور بالقول «كم كنتم غير كفوءين، بحيث لم تستطيعوا عمل شيء، انظروا إلى هذا المنفي ماذا فعل بالأوضاع».

وطالت فترة نفي السيد علي الخامنئي حتى عام ١٩٧٨م، وبلغت الثورة ذروتها هذا العام فخرجت الأوضاع من سيطرة النظام، ولهذا عاد السيد خامنئي إلى مشهد، ليتابع نشاطه أكثر من قبل[١].

السيد الخامنئي يُفشل مؤامرة شيوعية

في الأيام الأخيرة من حياة نظام الشاه ١٩ ـ ٢٢ بهمن، بدأت العناصر الشيوعية بانتهاز الفرصة، وتنظيم نفسها لتبديل الثورة الإسلامية إلى «ثورة ديمقراطية شعبية حسب تعبيرهم» وانتخبوا مصانع جنرال موتورز على الطريق العام المؤدي إلى كرج كأفضل مكان لتنفيذ مخططهم لأنه بعيد عن طريق طهران فيمكنهم جمع العناصر المؤيدة لهم، والانطلاق منه بهجوم خاطف على طهران، ثم يقومون باحتلال المراكز الحساسة، ويقيمون حكومة شيوعية.

ولو نجحوا بذلك لكان أكبر دعم لنظام الشاه، ولأخروا نجاح الثورة وانتصار الشعب، ولو أمكنهم من التسلح لكان بإمكانهم أن يشعلوا حرباً أهلية بهذا المناخ يختلط فيها الحابل بالنابل!!

---

(١) شمس الولاية ص٤٩ وما فوق، ومرجعية آية الله العظمى الخامنئي.

وفي اليوم العشرين تمكن الشيوعيون من تجميع ٥٠٠ عنصر شيوعي بالإضافة إلى ٨٠٠ عامل وبدأوا بتجهيز انفسهم لتنفيذ مخططهم.

فجاء الشهيد ديالمه إلى وحدة الإعلام في مكتب الإمام وقال إن الوضع خطير، وأطلع السيد الخامنئي على ما فعله الشيوعيون، فبعث السيد الخامنئي جماعة من العلماء ومعهم الشهيد ديالمه ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، فتوجه السيد الخامنئي بنفسه مرتين في المرة الثانية ذهب بسيارته ظهراً والقى خطاباً ثم عاد.

ثم بعث السيد إلى المصنع مجموعة من شباب حزب الله المتواجدين في مدرسة رفاه لدعمه باللحظة المناسبة، وذهب السيد الخامنئي بنفسه ولما وصل المصنع وقف على المنصة بكل رجولة، والقى كلمة، ثم بدأ بالرد على الأسئلة واستطاع ادانة الشيوعين، ولغايات التشويش عليه أخذ الشيوعيون بترديد الأناشيد الشيوعية بصورة جماعية ورفع أيديهم فوق رؤوسهم والتصفيق.. ولكن السيد الخامنئي لم يترك المنصة واستمر في خطابه ولما رأى الشيوعيون أن الأمور ليست لصالحهم قطعوا التيار الكهربائي لكي لا يصل صوته إلى أسماع العمال فيدركوا الحقائق، لكن السيد سلّم مكبر الصوت لأحد زملائه ورفع صوته في الظلام، ونادى مخاطباً العمال لا تقلقوا وتوجهوا إلى كلامي، فلا شيء هنالك ثم بدأ بالتنقل على الطاولات يقف عند كل طاولة ويبدأ بترديد الشعارات وبالتكلم وتوعية العمال ضد الشيوعيين، ثم قال على أي حال سنصلي الجماعة، فبدأ الشيوعيون بمجادلته، وسأله طالب جامعي يرتدي بدلة العمال فقال له السيد ارني بطاقتك، وتبين أنه ليس عاملاً.

ورأى السيد أن أفضل طريقة لكشف الشيوعيين من العمال هي صلاة الجماعة، فطلب السيد من كل مسلم مصلي أن يتواجد في ساحة المصنع للصلاة جماعة وفي النهاية أُقيمت صلاة الجماعة وحضر العمال للصلاة، وبقي الشيوعيون في صالة المصنع وكان لصوته الأثر الكبير في نفوس

العمال، واستغل السيد هذه الفرصة ودعا العمال إلى المسجد، فذهبوا هنالك وشكلوا تجمعاً بمساعدة شباب حزب الله، وثاروا ضد الشيوعيين وفي اليوم التالي تم طرد الشيوعيين من المصنع وفشلت المؤامرة.

لقد بقي السيد الخامنئي واقفاً في تلك الليلة على قدميه سبع ساعات وهو يخطب ويتكلم ويواصل نشاطه حتى الصباح حيث تمكن من دفع الخطر[1].

السيد خامنئي عضو في مجلس قيادة الثورة

مجلس قيادة الثورة كان له الدور الرئيسي في نجاح الثورة، فلولا الإمام الخميني القائد، ولولا مجلس قيادة الثورة لما نجحت الثورة، لقد تمكن الإمام الخميني واعوانه المخلصين وعلى رأسهم السيد علي الخامنئي من أن يوقظوا الشعب الإيراني كله من غفلته، وأن يأخذوا البيعة الرضائية للإمام الخميني لقد أعطى الشعب الإيراني القيادة للإمام الخميني، وسلمه ولاية الأمر وكانت كافة قوى الشعب الإيراني في حالة استنفار تام، وترقب مشوب بالخوف من المجهول والحذر، تريد أن تعرف كل قوة إلى أين تتجه وإلى متى ستبقى في حالة استنفار، ومتى تعود إلى مواقعها الطبيعية صحيح أن نظام الشاه قد تصدع تصدعاً خطيراً، وأن الشاه قد رحل إلى غير رجعة إن شاء الله، ولكن تصدع نظام الشاه، وتوقف آليته أوجد فراغاً مرعباً في المجتمع الإيراني، والعناصر الانتهازية التي اندست بصفوف الثورة، ولبست زيها، وهتفت بهتافاتها بدأت تتململ لتسرق الثورة من الشعب، وتستولي على السلطة وتقيم نظاماً مشابهاً لنظام الشاه ولكن بثوب جديد، لا بد للمجتمع من قيادة فعلية ثورية تملأ الفراغ الناجم عن توقف آلية قيادة نظام الشاه، الإمام والقائد وولي الأمر في باريس بعيداً عن الشعب الذي بايعه، وشابور بختيار الأداة المتبقية للدولة الاستعمارية يمارس ألعابه البهلوانية، صحيح أن الإمام كان يرسل توجيهاته من باريس،

---

(١) شمس الولاية ص٦١ ـ ٦٢.

ولكن لا بد من حضوره شخصياً وإلى أن يحضر لا بد من وجود هيئة أو قيادة مصغرة، تتولى مراقبة القوى الهائجة والثائرة، والتي تموج فوق المساحة الإيرانية، إن الوضع خطير للغاية، ومن الكارثة أن تترك إيران بتلك المراحل من الثورة بدون قيادة فعلية، توجه وتراقب وتنسق ريثما يعود الإمام سريعاً، لأن الأحداث تطورت بسرعة بالغة، وإيران كلها كانت بحالة استنفار تموج وتبحث عن مخرج سريع، لأن كافة الإحتمالات مفتوحة، ماذا لو توحدت حاشية الشاه والمنتفعين منه، ولبسوا براقع جديدة، وادعوا بإدعاءات ما ثم قاموا بهجوم معاكس وانقضوا على السلطة!! هذا ما كان يهدف له شابور بختيار وماذا لو أن الشيوعيين المنظمين قد لبسوا براقع جديدة وانقضوا على السلطة ماذا لو أن منظمة مجاهدي خلق قد فجرت كل عنفها وإرهابها ووحشيتها وفتكت بالشعب واستولت على السلطة!!

لقد أدرك الإمام خطورة الموقف، وقرر العودة سريعاً وتم تأمين الطائرة التي ستنقله، وتم تحديد اليوم الذي ستقلع فيه تلك الطائرة، لقد تجاهل الإمام كافة تحذيرات شابور بختيار ووسائل الإعلام التي تخدمه، لقد تركت هذه الأنباء آثارها الطيبة في قلوب الشعب الإيراني وأحس بالسكينة، لكن هذا وحده غير كاف فلا بد من وجود هيئة تمسك بزمام الأمور الهائجة وتمهد لملىء الفراغ واستمرار آلية القيادة في المجتمع، لأن المجتمع الذي لا قيادة له كالغنم التي لا راعي لها.

من هذا المنطلق ولكل هذه الإعتبارات تم تشكيل مجلس الثورة من ستة أشخاص عينهم الإمام الخميني وهو في باريس وطلب منهم أن يجتمعوا ويديروا الحكومة المؤقتة، والستة هم السيد علي الخامنئي والشيهد مطهري، والشهيد بهشتي، والشيخ هاشمي رافسنجاني والسيد الموسوي الأردبيلي، والدكتور باهنر، وكانوا جميعاً في طهران باستثناء السيد علي الخامنئي، لقد كان تركيز الإمام ونواة الثورة الإسلامية منصباً بالدرجة الأولى على طهران،

لأنها العاصمة، والمكان المركزي للدولة، ومفتاح آلية الحكم، وفي ما بعد انضم إلى مجلس قيادة الثورة أعضاء جدد، وكان بعضهم ذا ميول واتجاهات أخرى، وتم كشفهم بالتدريج ولكن الستة كانوا هم الأساس والأركان للثورة والحراس لمبادئها وأهدافها.

السيد الخامنئي لم يكن يعلم أنه عضو في مجلس قيادة الثورة

قال السيد الخامنئي حول ذلك «كنت في مشهد منهمكاً بإدارة شؤون هذه المدينة مع الأخوة الذين كان لهم دور في إحداث مشهد العظمة، فاتصل الشهيد مطهري بي عدة مرات تلفونياً بصورة مباشرة أو بالواسطة لأذهب إلى طهران، وكنت أتصور أنه لأجل الأعمال العادية التي نقوم بها، حيث كانت لدينا نشاطات مشتركة سواء علمية أو عقائدية أو سياسية يطلب مني الذهاب إلى طهران من أجلها.

ولم أكن أتصور أنه من أجل مجلس قيادة الثورة، فكنت أقول سوف آتي، ولكن لكثرة أعمالي في مشهد، وثقل مسؤوليتي كنت أُؤجل سفري في كل مرة إلى أن أخبروني من باريس بأن الإمام يأمرني بالذهاب إلى طهران، فشعرت أن هنالك أمراً يجب الذهاب من أجله إلى طهران، خصوصاً بعد أن اتصل بي مطهري، وأبلغني الرسالة بغضب وقال: لماذا لا تذهب إلى طهران، وماذا تنتظر؟

وفي طهران قيل لي أنه يجب أن أشارك في جلسة تعقد بمنزل الشهيد مطهري، واجتمع أعضاء مجلس الثورة جميعهم في تلك الجلسة وهنالك علمت أنني عضو في مجلس قيادة الثورة، حيث لم أكن أعلم بذلك حتى ذلك الوقت»[١].

---

(١) شمس الولاية ص٥٨، ومرجعية آية الله العظمى السيد الخامنئي ص٦٦.

السيد الخامنئي عضو في لجنة استقبال الإمام

كانت الجماعات التي تعمل تحت إشراف الشهيد بهشتي، والشهيد مطهري والشهيد باهنر، وأمثالهم هي النواة لجميع المسيرات والمظاهرات التي جرت في طهران خلال عام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨م.

أما المدن الأخرى فقد كانت الجماعات المتواجدة فيها تعمل بإشراف العلماء أيضاً أمثال الشهيد الصدوقي، والشهيد دستغيب وأمثالهم وكانت هذه الجماعات هي نواة المسيرات والمظاهرات في تلك المدن.

أما منطقة خراسان، فكان السيد الخامنئي وصحبه الذين يعملون بالتنسيق معه هم وراء تلك المسيرات والمظاهرات.

وكانت نتيجة هذه المسيرات والمظاهرات المستمرة هي فرار الشاه وعودة الإمام الخميني إلى أرض الوطن، وإقامة أول حكومة اسلامية.

قبل عودة الإمام وأثناء عودته شكلت لجان مختلفة في مدرستي رفاه وعلوى، أو نظمت من جديد تلك التي كانت موجودة من قبل بصورة أفضل، وشكلت لجنة خاصة لاستقبال الإمام كان مركزها مدرسة رفاه.

واسندت للسيد الخامنئي مسؤولية الأعلام في مكتب الإمام، فتمكن من سد حاجات المناطق، بالإضافة إلى استقبال الذين جاءوا لزيارة الإمام وبرمجة اللقاءات وتنظيم أخبارها وتقديمها إلى وسائل الإعلام لبثها ونشرها ومواجهة المؤامرات الإعلامية من العناصر الموالية للاستكبار أو من العناصر الوطنية المناقضة وخاصة المجموعات الإنتهازية التي أرادت فرض نفهسا»[1].

---

(١) شمس الولاية ص٥٩ ـ ٦٠.

السيد الخامنئي يبث أول مقال من الإذاعة الإسلامية

عندما أُسندت رئاسة وحدة الإعلام في مكتب الإمام إلى السيد خامنئي قام بإصدار نشرة باسم الإمام، وذلك بمناسبة ذكرى إقامة الإمام بطهران وقد كتب السيد الخامنئي عدة مقالات بهذه النشرة.

وبعد سقوط الإذاعة بأيدي الشعب في ٢٢ بهمن كان المقال الذي كتبه السيد الخامنئي بقلمه تحت عنوان «بعد الانتصار الأول» هو أول مقال إسلامي يقرأ في الإذاعة»[١].

(١) مرجعية سماحة آية الله العظمى الخامنئي ص٧١ وشمس الولاية ص٦٣.

الفصل الرابع

محاولة اغتيال السيد الخامنئي وقصة الثورة مع القتلة

السيد الخامنئي يتعرض لمحاولة اغتيال

لقد أدرك أعداء الثورة الإسلامية، أهمية النواة المؤمنة المخلصة التي التفت حول الإمام، وتيقنوا بأنهم إن تركوها وشأنها فستنجح بالفعل بإقامة الحكومة الإسلامية، التي يكرهون ذكرها، ويكرهون عدالتها وبالتالي لن يكون لهم نصيب من المغانم، لأنهم مرتزقة، وطلاب دنيا وبينهم وبين الإسلام «دنيا» لذا صمموا وخططوا للقضاء على الثورة الإسلامية وهي في بداية انطلاقتها، واستقر رأيها بأن أسهل الطرق للقضاء على الثورة الإسلامية، هو القضاء على قائدها الإمام الخميني، وعلى تلك النواة التي التفت منذ البداية حوله، واخلصت له، واستوعبت فكره، وتابعت العمل تحت نور هذا الفكر ولم تتوقف حتى وطدت له أمره وأعادته مكللاً بالنصر والفخر.

لقد قرر أعداء الثورة أن قتل الإمام الخميني علاوة على أنه شبه مستحيل إلا أنه سيفجع إيران كلها، لأن إيران لم تحب زعيماً من قبل كما أحبت الإمام، ولن ترضى إيران عن الذين سيقتلونه أبداً، ثم إن قتل الإمام وبقاء سواعده وأركان ثورته المتمثلة بالنواة المؤمنة لن يقضي على الثورة، بل ستنهض تلك النواة من جديد، وستتابع الثورة في غياب الإمام، كما تابعت

تحضير الثورة أثناء نفي الإمام.

لذلك قرر أعداء الثورة قتل كافة الشخصيات التي التفت منذ البداية حول الإمام، وأخلصت له ونجحت بتنوير الشعب الإيراني في غيابه، ونجحت بتوطيد أمره، وتهيئة البلاد للحكومة الإسلامية.

وقرر أعداء الثورة اصطياد تلك الشخصيات وحدانا وزرافات أو زرافات ووحدانا!! كانت تلك الشخصيات غافلة، نشوى بعملها في سبيل الإسلام، تستبعد فكرة القتل، وفكرة الرعب، وفكرة التخريب... وتنفر بطبيعتها حتى من مجرد ذكر هذه الأفعال البشعة، ثم إنها موقنة بأنها لم ترتكب ما يوجب القتل، إلا إذا كانت خدمة الإسلام، والقرآن والغيرة عليهما تعتبر جريمة!! وبهذه الحالة تكون تلك الشخصيات أمام كفره حقيقيين لا دين لهم!! واستبعدت تلك الشخصيات أن يكون في المجتمع الإيراني كفرة!! لكن تلك الشخصيات قد أغفلت أن في المجتمع الإيراني منافقون والمنافق أسفل وأحقر وأخطر من الكافر، لأن الكافر مكشوف، أما المنافق فغير معروف!!

على أي حال لقد قرر المنافقون تصفية المخلصين للإمام وقتلهم جميعاً، وقرروا أن السيد الخامنئي هو الأكثر إخلاصاً وعوناً للإمام فخططوا لقتله.

وبتاريخ ٢٧/ ٦/ ١٩٨١ وبينما كان السيد الخامنئي يلقي خطاباً في مسجد أبي ذر جنوب طهران تعرض لمحاولة اغتيال، وأصيب بعدة إصابات، وكان من المفترض أن يستشهد ولكن الله نجاه بأعجوبة!!!

وعلق السيد علي الخامنئي على هذه الحادثة بقوله «أنا من تلك اللحظة» لحظة إصابته «أيقنت أن الله يريدني لمهمة كبيرة، وقد أعددت نفسي لها، وبطبيعة الحال في ذلك اليوم لم أكن أعرف ما هي المهمة!! ولكني أيقنت أن علي الإستعداد لتحمل ثقل أكبر في سبيل الله، ومن أجل الثورة، وفي

خدمتكم أنتم أيها الناس»[1].

برقية تهنئة بالنجاة من الإمام الخميني إلى السيد الخامنئي

بعد أن منَّ الله تعالى على السيد الخامنئي بالنجاة من محاولة إغتياله الآثمة بعث له الإمام برقية تهنئة جاء فيها:

والآن وبعد أن قام أعداء الثورة بالاعتداء عليكم ـ وأنتم من ذرية الرسول الأكرم ومن آل بيت الحسين بن علي ـ ولم تقترف ذنباً سوى خدمة الإسلام والوطن الإسلامي، ولم ينتقموا منك إلا لأنك جندي مستبسل في جبهة الحرب، ومعلم في المحراب، وخطيب مفوّه في صلاة الجمعة والجماعة، ومرشد مخلص في ميادين الثورة، فإنهم برهنوا على مستوى تفكيرهم السياسي، ودعمهم للشعب ومحالفتهم للظالمين، لقد جرح هؤلاء ـ باعتدائهم عليك ـ مشاعر الملايين من المؤمنين في شتى انحاء العالم.

إن هؤلاء لمحرومون إلى هذا الحد من الرؤية السياسية بحيث أقدموا على هذه الجريمة بعد خطابكم في مجلس الشورى وفي صلاة الجمعة، وفي الجماهير الشعبية مباشرة، واعتدوا على شخص كانت دعوته إلى تحقيق الإصلاح والسداد تدوي في آذان مسلمي العالم.

إن هؤلاء لمجرمون إلى هذا الحد من الرؤية السياسية بحيث أقدموا على هذه الجريمة بعد خطابكم في مجلس الشورى وفي صلاة الجمعة، وفي الجماهير الشعبية مباشرة، واعتدوا على شخص كانت دعوته إلى تحقيق الإصلاح والسداد تدوي في آذان مسلمي العالم.

إن هؤلاء بعملهم اللانساني هذا، وبدلاً من أن يستفزوا ويرعبوا الشعب زادوا من عزم ملايين المسلمين، وجعلوا صفوفهم أكثر تراصاً، ألم يحن

---

(1) شمس الولاية ص٦٣، ومرجعية سماحة آية الله العظمى الخامنئي ص٧٢.

الوقت بوقوع هذه الأعمال الوحشية والجرائم الحمقاء كي يتخلص شبابنا الأعزاء المخدعون من فخاخ خيانة هؤلاء ويمنع الآباء والأمهات شبابهم من أن يصبحوا قرابين لأهواء الجناة ويحذروا أبناءهم من المشاركة في جرائمهم؟ ألا يعلمون أن القيام بهذه الجرائم سيجر أبناءهم إلى الضياع والإنحطاط وسيخسرون أبناءهم باتباع شرذمة من الفسدة الجناة؟

إننا نفخر عند ساحة الباري تعالى ووليه بالحق بقية الله «أرواحنا فداه» بجنود لنا في الجبهة وخلفها يقضون الليل في محراب العبادة، والنهار بالجهاد في سبيله.

إني أهنئك أيها الخامنئي العزيز على خدمتك لهذا الشعب المظلوم في جبهات الحرب بملابس القتال، وخلف الجبهة بالزي العلمائي، وأسأل الله أن يعطيك السلامة لتمضي في خدمة الإسلام والمسلمين»[١].

برقية آية الله محمد الحسيني البهشتي إلى السيد الخامنئي

كما أبرق البهشتي قبل استشهاده بساعات برقية للسيد الخامنئي جاء فيها «إن المحاولة الفاشلة لأعداء الإسلام والثورة والوطن الإسلامي لاغتيال ذلك الأخ أثبتت مرة أخرى أن أعداء الإسلام والشعب الألداء لم يألوا جهداً عن ارتكاب أية جريمة تحقيقاً لأهدافهم المشؤومة، إن أعمالهم الوحشية هذه ستفجر غضب الشعب الثائر تجاه الذين باعوا أنفسهم للآخرين، وستعزلهم أعمالهم عن المجتمع أكثر يوماً بعد يوم، أسأل الله المتعال أن يمن بالسلامة على الأخ العزيز المجاهد بأسرع وقت ليستمر في جهاده في خندق الإسلام»[٢].

---

(١) شمس الولاية ص٦٤ ـ ٦٥ ومرجعية آية الله العظمى ص٧٢ ـ ٧٣.

(٢) شمس الولاية ص٦٤ ـ ٦٥ ومرجعية آية الله العظمى ص٧٢ ـ ٧٣.

رد السيد الخامنئي على برقية الإمام الخميني

سيدي ومقتداي سماحة آية الله العظمى روحي فداه

سلام الله وسلام عباده الصالحين عليك

مرة أُخرى يشملني الله سبحانه وتعالى برحمته الواسعة، فأجد نفسي مغموراً بالألطاف الربانية الخفية منها والعلنية، أسأل الله العلي القدير أن يوفقني لحمده وشكره على الطاعة ما دمت حياً، كما أنني مؤمن بأن لدعائكم ومناجاتكم الأثر الأكبر في نجاتي من كيد المنافقين والظالمين حفظكم الله ذخراً وملاذاً للإسلام والمسلمين آمين رب العالمين.

لقد أعد المؤمنون أنفسهم للشهادة في سبيل الله، باذلين أرواحهم ومتاعهم اليسير، فالمؤمنون منه وإليه، ذلك نهج تعلمه المؤمنون في مدرستكم، وذاك كأس شربوه من معين كوثركم.

لقد علمتنا أيها الإمام أن نعز الإسلام، ونفديه بمهجنا حتى يتحقق ويثمر، وتثمر معه شجرة النبوة وآله الأطهرين، وحتى يختلط زلال الكوثر بدماء الشهداء والصديقين، فلا نبالي بالمصائب والويلات في هذا السبيل، وكل ما نخشاه أن نحرم فلا نوفق في الحياة الأبدية ونعيمها.

ونشكر الله ونحمده بشمول آل يزيد وعبيد الله بلعنة الله وملائكته في الآخرة، وبالخزي والعار في الدنيا حيث يحتل الحسين عليه السلام وآله أجمعين وأصحابه ال ٧٢ قلب التاريخ وصميم الإنسانية.

ولي وطيد الأمل أن يستفيد المارقة والقاسطة والناكثة في إيراننا العزيز من التاريخ، فيعودوا إلى الإسلام ويتفيئوا بظلاله ويتعاونوا في بعث الإسلام من جديد وجني ثماره الطيبة، وأنا الذي اعتبر نفسي جندياً بسيطاً من جند الله، بل وقطرة في بحر حزب الله الهائج مستعداً لأقارع الأعداء المنافقين إلى

آخر قطرة من دمي وسأجعل من ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ شعاراً بل انشودة أنشدها في كل يوم بل وفي كل لحظة. . . .
التوقيع ابنكم. . .[(1)].

لقد حرصت على نقل هذه البرقيات لأنها تلقي أضواء في مثل هذه اللحظات عن جذور التفكير لمرسليها.

إغتيال رفاق درب الخامنئي

بعد فترة من إعلان الإمام الخميني إقامة الحكومة الإسلامية في إيران بدأ الهجوم على الثورة من الداخل من خلال سلسلة الإغتيالات البشعة التي نفذوها في الظلام ضد رجالات الإسلام وعلمائه الذين ساهموا بتبصير الشعب الإيراني وقيادة الثورة الإسلامية، ولعبوا دوراً بارزاً في إقامة الحكومة الإسلامية.

١ ـ وأول شخصية إسلامية معروفة أُغتيلت من قبل أعداء الثورة في الداخل هو آية الله مطهري، حيث اغتالوه في أحد أزقة شوارع طهران بعد خروجه من اجتماع لمجلس قيادة الثورة كان منعقداً في بيت أحد الأعضاء.

٢ ـ وقبل اغتيال مطهري قاموا باغتيال الزعيم قرني رئيس هيئة الأركان.

٣ ـ ثم أغتيل الدكتور محمد مفتح، وآية الله طباطبائي، وآية الله دستغيب وآية الله صدوقي وغيرهم من العلماء الأفذاذ ومن الرموز البارزة في الثورة.

٤ ـ المذبحة: بعد أُسبوع واحد من عزل بني صدر تم تفجير مقر الحزب الجمهوري الإسلامي، وقتل في تلك المذبحة ٧٢ رجلاً من رجال

---

(١) سماحة آية الله العظمى ص٧٤ وشمس الولاية ص٦٦.

الثورة الأفذاذ وعلى رأسهم آية الله بهشتي عضو مجلس قيادة الثورة، وأحد أقوى الشخصيات بين أعوان الإمام.

٥ ـ وجرى تفجير في مكتب رئيس الوزراء باهنر أثناء اجتماعه مع رئيس الجمهورية محمد علي رجائي وقتل الإثنان معاً.

٦ ـ وجرى محاولة لإغتيال هاشمي رافسنجاني ولكنه نجا منها بأعجوبة.

الحذر بعد فوات الأوان

كان رجال الثورة يتحركون وينتقلون مثل أي فرد من أفراد الشعب، بلا مواكب وبلا حرس ولا أية احتياطات، وكانوا يقضون حاجاتهم من الأسواق بأنفسهم، وهذا ما سهل على أعداء الثورة في الداخل اصطيادهم زرافات ووحداناً، ولكن بعد هذا المسلسل الرهيب من الإغتيالات أخذت الثورة احتياطاتها، فما تبقى من رجال الثورة وضعوا تحت حراسة مشددة، وتم تغيير أمكنة إقامتهم، ولم يعد يتحرك واحد منهم إلا في سيارة مصفحة إما ضد الرصاص فقط أو ضد الرصاص والتفجير حسب أهميته.

نتائج الإغتيالات على الثورة

لقد قتل من نتائج هذا الهجوم الداخلي على الثورة ورجالاتها ٦٠٪ من رجال الثورة حسب اعتراف مكتب الإمام الخميني، أو قتل ٨٠٪ حسبما يقوله أعداء الله والإسلام، الذين يقودهم مسعود رجوي.

من الحقائق المذهله

لقد تبين في ما بعد أن الذي قام بتفجير مقر الحزب الجمهوري هو مسؤول الأمن في هذا الحزب، وأن عملية نسف مكتب رئيس الوزراء قام بها أيضاً مسؤول أمن رئيس الوزراء، وأن قائد حرس البرلمان كان عضواً عاملاً

من حزب توده، وتبين أيضاً أن قائد البحرية أفضلي كان عضواً بارزاً في حزب توده أيضاً، وأنه كان ينقل معلومات عن مخططات إيران في الحرب العراقية الإيرانية إلى قيادة حزب تودة، حيث تنقلها تلك القيادة إلى موسكو، ومن موسكو تنقل إلى بغداد!!

لقد اكتشف قيادة الثورة أن أعداء الثورة قد اخترقوا تماماً جدار الأمن لدى الثورة، وأوجدوا لهم أمكنة وقواعد في جميع المراكز الحساسة!!

التنسيق بين أعداء الثورة القتلة في الداخل، وبين أعداء الثورة في الخارج

لقد كانت عمليات القتل والاغتيالات المتوالية لقادة الثورة وأركان الحكومة الإسلامية تجري في الداخل بالوقت الذي:

١ ـ دعت فيه الولايات المتحدة وحلفاؤها وأصدقاؤها علناً لفرض الحصار الإقتصادي على إيران، وأعلنت هذه الدعوة بتاريخ ١٢/ ١٢/ ١٩٧٩م.

٢ ـ وبتاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٩٧٩م قامت الولايات المتحدة بتجميد الأرصدة الإيرانية في مصارفها وبنوكها، ودعت حلفاءها ليحذوا حذوها.

٣ ـ بهذا الوقت بالذات وبإيعاز من الدول الكبرى كان البعث في العراق يحشد كل إمكانياته وقدراته المدعومة دعماً كاملاً من الدول الكبرى ليوجه الضربة القاضية لنظام الحكومة الإسلامية في إيران.

وكل هذه البنود المتكاملة ما هي إلا أجزاء من مخطط دولي واحد كان هدفه القضاء على الحكومة الإسلامية في إيران ومن الأدلة على ذلك.

أنه لما ضيّقت الثورة الخناق على القتلة، وأوشكت أن تلقي القبض عليهم، هربوا من إيران، والتجأوا إلى العراق فقام العراق بتجهيز المعسكرات

لهم، وتزويدهم بالدبابات والمدرعات والصواريخ، وقامت الدول الكبرى بتزويدهم بالأموال اللازمة لغايات متابعة القتل والإرهاب والتدمير، على أمل إضعاف الحكومة الإسلامية في إيران تمهيداً للقضاء عليها، وإلا فمن أين يأتي مسعود برجوي بهذه الإمكانيات!!

الإمام الخميني يبث شكواه ويرثي شهداء الثورة

بعد تفجير مقر الحزب الجمهوري الإسلامي في طهران وقتل الشهيد بهشتي و٧٢ من رجالات الثورة الإسلامية وجه الإمام الخميني بياناً للشعب هذا نصه:

«إنا لله وإنا إليه راجعون، والشعب الذي قام لأجل إقامة العدالة الإسلامية، وتنفيذ أحكام القرآن المجيد، وقطع يد المجرمين من القوى الكبرى، والعيش مع الإستقلال والحرية، هذا الشعب مستعد للشهادة، وتقديم الشهداء، ولا يبالي عندما تخرج يد الدول الكبرى الأثيمة من أكمام ثلة من المجرمين المحترفين وتقتل أعز وأصدق أبنائه.

أوليست الشهادة ميراثاً، ورثناها من أوليائنا الذين اعتبروها عقيدة وجهاداً؟! ودافعوا عن رسالة الإسلام المجيد، بدمائهم ودماء أبنائهم الأعزاء، وقد وصل هذا الميراث إلى شعبنا الذي يربي الشهداء!! أوليست العزة والشرف والقيم الإنسانية مجوهرات ثمينة، بحيث أوقف الإسلام نفسه، والصالحين من هذه المدرسة أعمارهم وأصحابهم في سبيل حراستها والمحافظة عليها! أولسنا أتباعاً للمطهرين، الذين ضحوا بأنفسهم في طريق الهدف كي لا ترتاب قلوبنا من شهادة أبنائنا الأعزاء؟ وهل يتمكن العدو بجريمته أن يسلب المكارم والقيم الإنسانية من شهدائنا الأعزاء؟ وهل يتمكن أعداء الفضيلة سوى سلب هذه الخرقة الترابية من أولياء الله وعشاق الحقيقة؟

هؤلاء المفترسين الذين لا يفكرون إلا بأنانيتهم، ويأكلون كما تأكل الأنعام ينقذون عشاق طريق الحق من أسر الطبيعة، ويوصلونهم إلى القضاء المطلق بمجاورة المعشوق!!

لكم الخزي يا بقايا الشيطان!! ولكم العار يا من بعتم أنفسكم للمجرمين العالميين، ويا من تسللتم إلى الشعوب وبدأتم الأعمال التخريبية الحمقاء ضد شعب انتفض لمواجهة القوى العظمى.

إن عيبكم أنتم وأصدقاؤكم أنكم لا تعلمون شيئاً عن الإسلام وقدرته المعنوية، وعن الشعب المسلم وعلة تضحيته، إنكم لا تعرفون شعباً ضحى بعشرات من شبابه الأعزاء ووقف دون مبالاة وببسالة لا نظير لها من أجل إسقاط نظام الشاه بهلوي القذر، ومن التحرر من أسر الشيطان الأكبر!! إنكم لم تعرفوا شعباً يتمنى معوقوه الشهادة على أسرة المستشفيات، ويدعون الأصحاب إلى الشهادة!!

أنتم أيها المنحرفون بالرغم من أنكم لاحظتم أن باستشهاد عظماء هذا الشعب تترصص صفوف المقاتلين في سبيل الإسلام أكثر من قبل، ويزداد تصميمهم وتقوى عزائمهم، ولكنكم باستشهاد أعزائنا تريدون طرد الشعب المناضل من الساحة.

لقد هاجمتم بقدر ما أوتيتم من قوة أبناء الإسلام مثل الشهيد بهشتي، وشهداء المجلس والحكومة الأعزاء بسلاح الشتائم والتهم لكي تفصلونهم عن الشعب، وبعد أن قضى على ذلك السلاح، وفضحتم في كل مكان، زحفتم نحو المخابيء، وارتكبتم جرائم حمقاء!! وتتصورون أنكم بهذه الأعمال الوحشية تتمكنون من إرعاب شعب مناضل، يربي الشهداء، ولم تعلموا أنه لا توجد في قاموس الشهادة لفظة الوحشية!!

لقد فقد شعب إيران في هذه الكارثة العظمى اثنين وسبعين من الأبرياء

بعدد شهداء كربلاء، يعتز الشعب الإيراني أنه يقدم إلى المجتمع رجالاً أوقفوا أنفسهم لخدمة الإسلام والمسلمين، وقد استشهد عدد منهم ممن اجتمعوا للإستشارة في مصالح البلاد على يد أعداء الشعب.

أيها الشعب العزيز إن هؤلاء المنحرفين الذين يدعون المجاهدة للشعب قد قتلوا من الشعب مجموعة من أخلص وأصدق الخادمين للشعب!!

لو افترضنا أنكم كنتم أعداء ألداء للشهيد بهشتي الذي عاش مظلوماً ومات مظلوماً وكان شوكة في عيون أعداء الإسلام، فما هو عداؤكم لأكثر من سبعين من الأبرياء الذين كان أكثرهم من خيرة خدام الشعب، ومن المعارضين الأشداء لأعداء الشعب والوطن؟!!

وماذا كانت عداوتكم سوى أنكم باسم الشعب من أعداء الشعب وأعوان الناهبين الشرقيين والغربيين... الخ.

أنت تلاحظ أن الإمام قد ملك ناحية البيان، فإذا أضفت هذا البيان إلى تأثيره على النفوس والكلمات تخرج من بين شفتيه ستدرك أنه قد حول الأكثرية الساحقة من شعب إيران إلى أعداء الداء لأعداء الثورة القتلة في الداخل»[١].

اختراق الثورة من الداخل والأسباب والنتائج

عندما بدأ الإمام الخميني يتحدى الشاه، وأعلن الثورة ضده وجهر بأهدافها الثلاثة، ودعا الشعب الإيراني للنهوض، «وتبنى تلك الأهداف وبدأت جموع الشعب الإيراني تلبي النداء» وتلتف حوله، وتخرج بمظاهرات ومسيرات عارمة تعبيراً عن دعمها للإمام والثورة ولأهدافها لم يكن الإمام ولا

(١) راجع كتابنا الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران ص٢٦٧ ـ ٢٦٩.

رجاله يطلبون من المؤيدين ما يثبت ولاءهم الحقيقي للثورة وأهدافها، أو ما يثبت براءتهم من أعداء الثورة وأعداء الإسلام، لأن مثل هذه الطلبات غير معقولة، وغير ممكنة!!

كانت الثقة متوفرة لدى الإمام وأعوانه بنبل وإسلام الشعب الإيراني، وأنه من شيعة أهل بيت النبوة!!

صحيح أنه في زمن الرسول الأكرم نفسه كان المجتمع الإسلامي يغص بالمنافقين والحاقدين وضعاف الإيمان، وأنه لا يمكن أن يخلو مجتمع من مثل تلك الحثالة المنحرفة، ولكن لو أراد الإمام ورجاله أن يتثبتوا من ولاء كل واحد من مئات الألوف من المؤيدين بل ومن الملايين منهم لما أمكن ذلك لأن عملية التثبت والتنظيم الدقيق لهذه الملايين مستحيلة استحالة مطلقة، وليس من مصلحة الإمام ولا من مصلحة الثورة التي يقودها الإمام أن تتم في البداية عملية فرز علنية بين المؤيد الصادق للإمام وبين الكاذب المنافق المتظاهر بالتأييد، فضلاً عن ذلك فإنه لا توجد وسائل وإمكانيات عملية لإتمام مثل هذا الفرز، ولو وجدت مثل تلك الوسائل، فليس هنالك الوقت اللازم لاستخدامها، فالأحداث تتحرك بسرعة مذهلة، والإمام الخميني ورجاله بالكاد يسيطرون عليها.

بهذا المناخ اندست الأحزاب العلمانية، حزب توده ومشتقاته، والجبهة الوطنية ومشتقاتها، ومسعود رجوي ومجاهدي خلق، وكان كل حزب من هذه الأحزاب يطمع أن يجيّر الثورة في النهاية لمصلحته، كان أخطر هذه التنظيمات على الإطلاق «مجاهدي خلق» تلك المنظمة التي لا تعرف من الدنيا ونعيمها غير الدم، والقتل، والرعب، والتخريب والدمار، والعنف والإرهاب، ويقال أن رئيسها مسعود رجوي وأعضاء قيادتها البارزين، لا يقوون على النوم في أي ليلة من الليالي، إلا إذا شاهدوا الدم، أو القتل،

فليس صدفه أن تختار هذه المنظمة في ما بعد نظام الرئيس العراقي صدام حسين لتعيش في ظلاله، ولتنطلق منه لمهاجمة إيران من الخارج فكلاهما يؤمن بالدم والقتل والرعب والإرهاب والدمار.

على أي حال لقد تظاهرت هذه التنظيمات بتأييدها للإمام وتأييدها للثورة الإسلامية، وتأييدها لأهداف الثورة الثلاثة، واستفادت الأحزاب العلمانية من خبرة تنظيماتها السابقة فاختارت بترو المراكز الحساسة، ووضعت فيها عيون ترصد ما يجري فيها أو قوى تتحرك وفق مشيئتها باللحظة التي تريد ثم تندّس مع الجماهير ومع مؤيدي الإمام وكأنها لم تفعل شيئاً.

وقدرت الأحزاب أنه بعد أن تنتصر الثورة سيكون سهلاً على تحالف الأحزاب الخبيث أن يقوم بحركة سريعة فتقضي على كافة قيادة الثورة الإسلامية، وعلى الإمام الخميني نفسه، ثم تقبض على السلطة، وتسرق الثورة وتتوزع الغنائم في ما بينها، ثم تدعي أنها لا تعرف من قتل الإمام ولا من قتل أعضاء الثورة الإسلامية، قد تتظاهر بالبكاء، إن كيد الأحزاب في إيران مشابهة تماماً لكيد الأحزاب التي اجتمعت لحرب الرسول الأعظم!!

لقد أوشكت الأحزاب الإيرانية أن تقضي على الإمام والثورة الإسلامية، مثلما أوشكت الأحزاب العربية واليهودية المخالفة أن تقضي على رسول الله وعلى دين الإسلام، ولكن الله تعالى أبطل كيد تجمع الأحزاب في الجزيرة وإيران معاً.

الفرز والمواجهة

لم تجد قيادة الثورة الإسلامية مشكلة بتمييز أعداء الثورة الذين كانوا في صنف الشاه، فقد عرفوا من قبل الشعب كله، إنما المشكلة الحقيقية تكمن في معرفة أعضاء الأحزاب التي اندست في صفوف مؤيدي الثورة

وفق خطة خبيثة، خاصة أعضاء حزب توده الشيوعي وفروعه، وأعضاء منظمة مجاهدي خلق، ومع أن أعضاء هذين التنظيمين لا يعرفون الله تعالى، ولا يؤمنون به، وينكرون وجوده عملياً، ورقابته على سلوك الإنسان إلا أنهم كانوا يدخلون المساجد دون وضوء مع المؤيدين للثورة، ويصلون كما يصلي المؤمنون حقاً، ويهتفون بنفس الهتافات ويطرحون آراءهم كأنهم فريق من المؤمنين حقاً، وكان الإمام ورجاله يفسرون الإختلاف معهم أحياناً كأنه اختلاف بالرأي بين الأخوة وبين أعضاء الفريق الواحد، ورفقاء السلاح والدرب.

لقد كانوا منافقين من الطراز الأول، فمنافقي زمن الرسول الأكرم «كتاكيت» وصغار بالنسبة لمنافقي إيران. هذا هو الفريق الأعظم من أعداء الثورة الإيرانية، وهذا هو المصدر الحقيقي للخطر على الثورة، إنهم أكثر بشاعة من نظام الشاه، كان بإمكان أعوان الشاه وخاصة السافاك أن يقتلوا كل ما يدب على الأرض دون أن يعرف المقتول قاتله، ولكن أعوان الشاه، نادراً ما مارسوا هذا الأسلوب، بينما القتل والإرهاب والدمار هو الأسلوب الوحيد لمنافقي إيران.

أما الفريق الثاني من الأحزاب الإيرانية فهو يشمل كل أولئك الذين تثقفوا بالثقافة الليبرالية الغربية، وآمنوا بنجاعة نظمها السياسية ولكنهم لم يقطعوا صلتهم بالإسلام، إنما بقيت عواطفهم الدينية سليمة ولكنهم كانوا يجهلون الثقافة الإسلامية، لقد انخرطوا بالثورة وفكروا أن يوائموا ما بين الإسلام والنظم الغربية، الأغلبية الساحقة من هذا الفريق لا تؤمن بالعنف ولا بالإرهاب، إنما تعتمد الطرق الديمقراطية كوسائل سليمة للتعبير.

لقد أدرك الإمام الخميني، وما تبقى من قادة الثورة ورجالها بأنه لا بد من الفرز، ولا بد من المواجهة مع أعداء الله في الداخل، لا للقضاء عليهم

بدون سبب شرعي، ولكن لدرء شرهم، وتمييزهم عن سواهم، ولا بد من المواجهة مع الفريق الثاني من الأحزاب «ثقافة غربية وعواطف دينية» وإقناعهم بأن الثورة إسلامية خالصة، ولكن تكون غير ذلك.

ويمكنك القول أن الثورة قد كشفت الأكثرية الساحقة من أعدائها في الداخل، وفرضت على الذين لم يكتشفوا أن يلتزموا الهدوء، وتميز أعداء الثورة عن الشعب، وتمت عملية فرزهم وعزلهم بنجاح تقريباً، نقول تقريباً لأن هنالك عناصر ما زالت للأن تعمل ضد الثورة، بالوقت الذي تتظاهر فيه بأنها ثورية وعلى خط الإمام[1].

(١) راجع كتابنا الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران ص٢٦١ ـ ٢٦٦.

الفصل الخامس

المسؤوليات والمناصب التي تولاها السيد الخامنئي بعد انتصار الثورة

السيد الخامنئي ممثلاً لمجلس الثورة في مجلس الدفاع، ثم وكيلاً لوزارة الدفاع

في عام ١٩٧٩م تم تعيين السيد علي الخامنئي ممثلاً عن مجلس قيادة الثورة، في مجلس الدفاع الأعلى، ثم عين في العام نفسه وكيلاً لوزارة الدفاع.

قال السيد الخامنئي: «لقد وصلت الحكومة المؤقتة إلي نتيجة مفادها أنه لا فائدة من مقارعة أمريكا الدول الغنية والمقتدرة والتي لا تتدخل في شؤوننا!! هكذا كان تفكير الحكومة المؤقتة!! ومن نتائج هذا التفكير بقاء مجموعة من الأمريكان في القوة الجوية لفترة طويلة دون أن نعلم بذلك، وبعدها كانت إحدى القضايا التي طرحت في مجلس الدفاع الأعلى حيث كنت عضواً فيه، ومهدي بازركان رئيساً له، وهي اقتراح حول الأمريكيين المستقرين في القوة الجوية يقضي بتبديل اسم المكتب مع بقاء الأمريكان تحت اسم آخر.

هنالك غضب السيد الخامنئي، غضباً شديداً، ولم تتمكن الحكومة من تمرير خطتها في إبقاء الأمريكيين.

وفي نفس العام تم تعيين السيد الخامنئي وكيلاً لوزارة الدفاع.

السيد الخامنئي قائد لحرس الثورة

بتاريخ ١/ ٢/ ١٩٧٩م تم تعيين السيد الخامنئي قائداً لحرس الثورة اثر وقوع بعض الخلافات بين صفوف الحرس التي لم يتمكن أحد من حلها وبعد أن تسلم السيد خامنئي قيادة حرس الثورة تم حلها.

السيد الخامنئي أمام جمعة طهران

بعد رحيل آية الله الطالقاني عام ١٩٨٠م، وجه الإمام الخميني رسالة إلى السيد الخامنئي جاء فيها:

نظراً لماضيكم المشرف، وأهليتكم علماً وعملاً فقد تقرر تعيين سماحتكم إماماً لصلاة الجمعة في طهران...

السيد الخامنئي عضو في مجلس الشورى الإسلامي

مع بدء انتخابات الدورة الأولى لمجلس الشورى الإسلامي، رُشح سماحته عن مدينة طهران من قبل ائتلاف رابطة العلماء، والحزب الجمهوري ومنظمة مجاهدي الثورة وبعض الجمعيات والمنظمات الأخرى، فحصل السيد الخامنئي على ٤٠٠ ألف صوت وأصبح في عام ١٩٨٠م عضواً في مجلس الشورى الإسلامي.

السيد الخامنئي رئيساً للجمهورية

بعد استشهاد رجائي وباهنر، رشح السيد الخامنئي لرئاسة الجمهورية من قبل العلماء، وسائر المؤسسات الثورية، وتم انتخابه في ٥/ ١٠/ ١٩٨١م ثالث رئيس للجمهورية الإسلامية، بعد حصوله على أكثرية ساحقة من الأصوات، وتسلم رئاسة الجمهورية في ظروف صعبة.

ويذكر أن السيد الخامنئي قد شغل أيضاً المناصب التالية وهي:

١ ـ رئاسة مجلس تشخيص مصلحة النظام.

٢ ـ رئاسة مجلس الثورة الثقافية.

٣ ـ رئاسة مؤتمر أئمة الجمعة والجماعات.

٤ ـ الأمانة العامة للحزب الجمهوري الإسلامي.

٥ ـ منصب النائب الأول لرئيس مجلس الخبراء ومجلس إعادة النظر في الدستور[١].

الإمام الخميني يرشح السيد الخامنئي لخلافته

قال الشيخ هاشمي رافسنجاني: خلال اجتماعنا مع سماحة الإمام الخميني وبحضور رؤساء القوى الثلاث والسيد رئيس الوزراء، والحاج السيد أحمد تم مناقشة هذا الموضوع وهو إذا وقعت هذه القضية «وفاة الإمام» فسوف نواجه مشكلة دستورية، لأنه لا يمكن أن يحدث فراغ في القيادة فقال الإمام الخميني: «سوف لن يطرأ فراغ في القيادة ولديكم القائد فقيل ومن هو؟! قال الإمام الخميني بحضور السيد علي خامنئي «إنه السيد علي خامنئي».

ويتابع الشيخ هاشمي رافسنجاني قائلاً: وقد ذهبت يوماً بصورة خاصة إلى الإمام، فقد كانت لي بعض الجرأة، فأطرح القضايا كما هي فتحدثت معه حول خلافة القائد والمشاكل التي قد تطرأ، فرد الإمام بكل صراحة «إنكم لن تواجهون طريقاً مسدوداً ومثل هذا الشخص «السيد الخامنئي» بين ظهرانيكم، فلماذا تجهلون ذلك؟!!».

ويقول السيد أحمد الخميني: عندما سافر السيد الخامنئي إلى كوريا

(١) سماحة آية الله العظمى الخامنئي ص٧٩، وشمس الولاية ص٧٠ ـ ٧١.

كان الإمام يتابع وقائع الزيارة من على شاشة التلفزيون، وقد أثار اهتمامه كثيراً ذلك الإستقبال الذي أقامه الشعب الكوري، وأحاديث ومباحثات السيد الخامنئي في تلك الزيارة فقال الإمام «حقاً إنه جدير بالقيادة».

ويبدو أن خطاب الإمام للسيد الخامنئي كان نوعاً من الإلهام فقد قال الإمام الخميني للسيد خامنئي يوماً «إنني اضطرب جداً عندما تسافر حتى تعود، فلا تكثر من السفر»[1].

السيد الخامنئي هو القائد والولي والمرجع بعد الإمام الخميني رسمياً

بعد وفاة الإمام الخميني اجتمع مجلس الخبراء اجتماعاً طارئاً، وأصدر في ختام اجتماعه البيان التاريخي التالي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

«بعد تقديم مجلس الخبراء للتعازي برحيل إمام الأمة، وقائد الجمهورية الإسلامية في إيران ومؤسسها، ومع الإدراك العميق لمسؤوليته التاريخية وبالنظر للموقع الرفيع والحساس لمنصب القيادة في نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، ومع الإهتمام البالغ الذي أولاه سماحة إمام الأمة ومؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران «رضوان الله تعالى عليه» في نداءاته وبياناته المتكررة، وخاصة أوامره وارشاده بشأن القيادة وبالنظر للأسس المتعلقة بالدستور، ومع الإحساس الكامل بمؤامرات الخناسين، وأعداء الإسلام في الداخل والخارج، تجاه مستقبل النظام الإسلامي المقدس، ومن أجل الاستعداد اللازم لمواجهة أية حادثة، وبالنظر للظروف الداخلية والخارجية، وباستلام المضامين الربانية الرفيعة لوصية سماحة إمام الأمة الإلهية، السياسية المهمة جداً، فإنه «أي مجلس الخبراء» انتخب في اجتماعه

---

(١) شمس الولاية ص٧٢ ـ ٧٣، ومرجعية سماحة آية الله العظمى الخامنئي ص٨٠.

الطارىء المنعقد بتاريخ ١٤/ ٣/ ٦٨هـ ش سماحة آية الله السيد علي الخامنئي لقيادة نظام الجمهورية الإسلامية في إيران باكثرية أربعة اخماس الأعضاء الحاضرين ستين صوتاً مؤيداً من ٧٤ عضواً حاضراً.

قصة الـ١٤ عضو الذين عارضوا

يقول آية الله بني فضل عضو مجلس الخبراء وأحد كبار علماء قم بأن الأربعة عشر خبيراً الذين عارضوا، ولم يصوتوا لصالح آية الله العظمى السيد الخامنئي لم يكن لديهم أدنى تحفظ على قيادة السيد الخامنئي، بل كانوا يعتقدون بأرجحية القيادة الجماعية والتي يكون آية الله العظمى الخامنئي على رأسها.

القائد وولي الأمر السيد الخامنئي يسير على نهج الإمام الخميني

خلال المدة التي تسلم فيها السيد خامنئي القيادة وولاية الأمر التزم نهج الإمام، لأنه ابن الإمام البار وتلميذه النجيب، وأقرب أصحاب الإمام إليه، ولأنه هو القائل «أن الخطوط الأساسية الرئيسية للثورة هي تلك التي رسمها الإمام، أما الأعداء السذج الطامعون ذووا القلوب العمياء، والذين ظنوا أنه برحيل الإمام يبدأ عصر جديد بمعالم جديدة ومتميزة عن عصر الإمام الخميني «قدس الله سره» فهم في خطأ، لأن الإمام الخميني حقيقة حية دائماً، اسمه لواء هذه الثورة، وطريقه طريق هذه الثورة، وأهدافه أهداف هذه الثورة»[1].

لقد قبل السيد الخامنئي الرئاسة مرغماً

قال السيد هاشمي رافسنجاني: إن السيد الخامنئي كان عازفاً حتى عن المناصب الدنيوية والعادية، وأنتم تأخذون بشهادتي لأنني كنت أعرفه منذ كان

---

(١) سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي، مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية قُم ص٧٥ ـ ٨٠ وشمس الولاية ص٦٨ ـ ٧٣.

شاباً وحتى يومنا وهي فترة تمتد ٤٠ عاماً مضت فلم أُلاحظ طوال هذه المدة أنه كان يتطلع إلى الرئاسة أو الإدارة أو المناصب، وكان عازفاً عنها، كان ينتظر الشخص الأصلح لملء هذا الفراغ.

١ ـ ففي أوائل الثورة كان الجميع يقولون بوجوب انضمام رواد الثورة في مجلس قيادة الثورة، ونحن بعد الرجاء تمكنا من دعوة السيد الخامنئي من مشهد حيث أشار الإمام إلى عضوية مجلس الثورة في أوائل انتصارها.

٢ ـ وحينما كان الحديث يدور حول رئاسة الجمهورية لا تعرفون كم تحملت من المشاق حتى اقنعته بالموافقة وترشيح نفسه وحينما انتهت دورة الرئاسة الأولى لم يقبل بكلامي لترشيح نفسه للدورة الثانية بينما كنا نصر عليه ونقول، إن البلاد بحاجة إليك، وانتهى بنا الأمر إلى أن نتوسل بالإمام فقال له سماحة الإمام عليك أن تقبل...

ولم تكن من عادة الإمام أن يشير لأحد ليتولى هذا المركز أو ذاك.

٣ ـ ثم كانت قضية القيادة وحينما كنا نشعر أن الإمام سيرحل عنا كانت أمامنا مشكلة جادة لا نعرف كيف نعالج قضية ولاية الفقيه أو فراغ القيادة، وعندما طرحت على السيد الخامنئي القضية في جماران، كان يعارض ليس انتخابه قائداً، وإنما حتى أن يكون عضواً في مجلس القيادة، وبذلنا جهوداً ونحن مجموعة حتى أقنعناه بقبول أن يكون عضواً في مجلس القيادة.

وفي هذا الشأن لدي الكثير لأقوله وليس أوانه الآن، وقد تحدثت مع السيد الخامنئي كثيراً، فمنذ اليوم الذي تدهورت فيه صحة الشيخ الأراكي وحتى وفاته لم أشاهد من قائد الثورة السيد علي الخامنئي أية بادرة تنم عن رغبته في تولي منصب المرجعية.

فليس في قلب هذا الرجل غير طاعة الله والخدمة وتأدية الفريضة الإلهية.

الباب الثالث

معالم الفكر السياسي للإمام الخامنئي

الفصل الأول

الإمام الخميني والإمام الخامنئي بابان لشيء واحد

الإمام الخامنئي على خط الإمام الخميني

إذا أردنا الإحاطة بفكر القائد السيد علي الخامنئي، تمهيداً لفهم هذا الفكر ودراسته، فإن علينا علاوة على ما ذكرناه في البابين الأول والثاني أن نحيط بفكر الإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية، وأن نفهم هذا الفكر، لأن الإمام الخميني على حد تعبير السيد الخامنئي «هو أصل وجذر الثورة الإسلامية، ولا يمكن للثورة أن تنفصل عن جذورها وأساسها، وإذا فصلت الثورة الإسلامية عن الإمام تكون مثل الشجرة التي ﴿ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ﴾[1] ثم إن السيد الخامنئي نفسه يقول: ـ «إن الإمام الخميني حقيقة حية دائماً، اسمه لواء الثورة، وطريقه طريق الثورة، وأهدافه أهداف هذه الثورة»[2] ويقول السيد الخامنئي «لقد استطاع الإمام الخميني أن يؤسس نظاماً مبنياً على أساس الدين والقيم الأخلاقية والمعنوية وأن يؤسس دولة وسياسة إسلامية، لقد أعز الإمام الخميني الإسلام، ورفع راية القرآن وخلّص الشعب الإيراني من أسر القوى الأجنبية. . . واستطاع الإمام أن يوصل صدى

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٦، وراجع كتاب الإمام الخميني كما يراه السيد الخامنئي ١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) سماحة آية الله العظمى الخامنئي ص٨١، وشمس الولاية ص٧٣.

الإستقلال والحرية إلى أرجاء العالم، وأن يوقظ قلوب الشعوب التي تخضع للنظام والإستبداد العالمي، . . . لقد حطم الأصنام، ودحر الأفكار الإلحادية، لقد أفهم الجميع أن الوصول إلى الكمال والتأسي بالحياة العلوية، والتقرب من حدود العصمة أمر ليس بالمستحيل. . . »[1].

ويبلغ السيد الخامنئي المدى بانبهاره ومحبته للإمام الخميني وإخلاصه له فيقول «إن شخصية الإمام الخميني العظيم لا يمكن مقارنتها بعد الأنبياء والأولياء المعصومين بأية شخصية أخرى، فهو وديعة الله بيننا، وحجة الله علينا ومظهر من مظاهر عظمة عظماء الدين. . . إمامنا الراحل شخصية بارزة لا توجد عندنا شخصية في زماننا هذا، ولا في الأزمان الماضية، فيما عدا الأنبياء والأولياء عليهم السلام تناظر شخصية قائدنا الكبير الذي كان من ألمع الشخصيات، وإبراز الوجوه في هذا العالم. . . »[2] فالإمام الخميني في نظر القائد السيد علي الخامنئي «هو ذلك، العابد الباكي في الليل، الطاهر الروح، المرتبط بالله تعالى، المتضرع، المستغيث، المتوسل البكاء، المخلص، المتوكل، وحسن الظن بالله، المهتم بمديح الأئمة الأطهار، المؤدي للواجب بعزيمة راسخة، صاحب الحس المرهف، والإرادة القوية، المتواضع. . . »[3].

أهداف الإمام أهدافنا

يقول السيد علي الخامنئي: إذا كنا نحب الإمام، ولا أحد يشك في صدق عشق ومحبة الشعب الإيراني للإمام، يجب أن نحيي نهجه وعقائده، وأن نعتبر أهدافه أهداف الثورة الحقيقية، وأن نسير إلى تحقيقها، وأن لا نختلق أهدافاً أخرى من عندنا، إن أهداف الإمام واضحة. . . الوفاء والمحبة

---

(١) الإمام الخميني كما يراه السيد الخامنئي ص٥٧ ـ ٥٨.
(٢) الإمام الخميني كما يراه الإمام الخامنئي ص٢٠.
(٣) المرجع السابق ص٢٣ ـ ٤١.

تتحقق إذا ما نهجنا نهج الإمام دون غيره. . . إذا كان الإمام الخميني قد أُخذ معه العوامل والعناصر الظاهرية المكونة لشخصيته، لكنه ترك لنا الأهداف، والرؤية الصائبة للعالم، وتوصياته ونهجه. . .»[1].

نداءات الإمام الخميني هي صحيفة الثورة

يقول السيد علي خامنئي «إن نداءات الإمام الخميني هي صحيفة الثورة، فهذه النداءات توضح المسيرة الثورية للشعب المسلم الإيراني، من البداية وحتى النصر، ومن النصر حتى يومنا هذا، هذه النداءات تبني المسيرة المستقبلية للشعب ومحتواها يبين الواجب الملقى على عاتقنا، ويذكرنا به وذلك في العصر الكائن بين الانتفاضتين، انتفاضة سيد الشهداء الحسين، وانتفاضة المهدي الموعود «أرواحنا فداه». . .، . . وشخصية هذا الرجل العظيم المرشد ستكون عبرة ودليلاً للأمة الإسلامية وعلى مر العصور. .»[2].

الإستمرار على نهج الإمام

يقول السيد علي الخامنئي: . . إن فقدان الإمام الخميني العظيم لا يعني وبأي شكل من الأشكال نهاية تحمل الواجب، أو فقدان الأمل، إن الرسول ﷺ قد رحل وبعدها بدأت الفتوحات الإسلامية العظيمة حيث أوجد الرسول أساس وقاعدة نظام عالمي استطاع أن يؤسس مجتمعاً إسلامياً، ارتقى أعلى المراتب السياسية والانتصارية وذلك لقرون بعد رحيله، ولو لم يفسد الحكام الذين نسبوا أنفسهم للإسلام بعد وفاة الرسول، لاستمرت حركته لقرون متوالية ولكن فساد الحكام منع وصول هذه الفتوحات إلينا.

نحن نستطيع بعد رحيل الإمام أن نسير على نهجه، كما أن الرسول لم

---

(١) المرجع السابق ص٩٤ ـ ٩٥.

(٢) الإمام الخميني كما يراه الإمام الخامنئي ص٩٦ ـ ٩٧.

يبق بين أمته إلا عشر سنوات وبضعة أشهر، لم يبق الإمام الذي هو تلميذ الرسول والسائر على خطاه وخطى الأنبياء والأولياء إلا عشرة سنوات وبضعة أشهر أيضاً. . .

ونحن إذا تتبعنا أصول وخطوط نفس القاعدة والبيان وبالصورة الصحيحة، وبكل معنى الكلمة وبجدية وبنفس الإرادة والأمل نستطيع أن ننهج نفس نهج الإمام. . . نحن نستطيع أن نسير على نهج الإمام الخميني بدقة وبسرعة. . .»[1].

خط الإمام هو الإستقامة لأنه خط الإسلام

قال القائد السيد علي الخامنئي «. . ونحن نؤكد مراراً على طريق الإمام وحق الإمام علينا أن نسأل أنفسنا ما هو خط الإمام هذا؟ إذا قلنا أن خط الإمام الخميني هو الإسلام والثورة، فإننا نكون قد أطلقنا حكماً عاماً، فمن المعروف أن خط الإمام هو الإسلام والثورة، ولا يوجد أي شخص يعارض الإسلام والثورة، بل إن ما يستطيع أن يحقق ويؤمن هذا الرجل العظيم الذي هو أبو الثورة، وباني إيران الثورة، وباني إيران الإسلام هو هذه الإستقامة التي أظهرها هذا الرجل العظيم، في سلوكه، ولم يتنازل أمام عدو، ولم يخشى العدو ولم تزعزعه التهديدات، وأي شخص لا يستطيع أن يتهم الإمام العظيم بأن ما قام به كان يتناقض مع التبرير الصحيح. . . فجميع عقلاء العالم يدركون إذا ما نظروا بدقة أن الطريق الصحيح هو ذاته الطريق الذي سلكه الإمام، والطريق الموصل إلى أهدافه هو نفسه. . رسالتي في الذكرى السنوية لرحيل إمامنا الكبير على جميع أبناء الشعب في المناطق المختلفة، أن يتأسوا ويقتدروا بصمود الإمام إزاء جميع التوقعات، وبالنسبة للشعوب الأخرى إذا

(١) الإمام الخميني وكما يراه السيد الخامنئي ص٩٨.

أرادت أن تحقق لنفسها مكانة هامة فإن هذا هو الطريق إلى ذلك. . .»[1].

ويقول السيد الخامنئي «. . . إن الحقيقة التي طرحها الإمام الراحل «رضوان الله عليه» تتمثل في أن كوثر الشريعة والفقه هو تيار يجري على الدوام وإلى الأبد من ينبوع الوحي إلى المجالات المختلفة في الحياة، فمصدر ومادة الحكم الإلهي بعيداً عن الفكر والعقل المحدودين للإنسان، وبعيداً عن تدبيراته القاهرة والمتجمدة، هذا المصدر يتمثل في العلم والحكمة الإلهية الشاملة واللامحدودة التي تضم باجنحتها الواسعة جميع الأزمنة، وتمطر على جميع ربوع وحقول الحياة، وتروي كل مكان وزمان. . .»[2].

الخطوط الرئيسية للنظام في إيران، هي تلك التي رسمها الإمام الخميني

قال القائد السيد علي الخامنئي «. . . إن الخطوط الرئيسية للثورة هي التي رسمها الإمام الخميني، أما الأعداء السذج، الطامعون، ذووا القلوب العمياء، والذين ظنوا أنه برحيل الإمام سيبدأ عصر جديد بمعالم جديدة متميزة عن عصر الإمام الخميني فهم مخطئون، إن الإمام الخميني حقيقة حية دائمة، اسمه لواء الثورة، وطريقه طريق الثورة، وأهدافه أهداف هذه الثورة»[3].

القائد والقدوة والوالد، وعلاقة من نوع خاص

القائد السيد علي الخامنئي يعتبر الإمام الخميني قائده، ويفخر بذلك، لقد بحث السيد الخامنئي عن القائد العظيم قرابة سبعة عشر عاماً، ثم وجده

---

(١) مختارات من خطب القائد القاها في ذكرى رحيل الإمام ص٦٢.
(٢) مختارات من خطب القائد القاها في ذكرى رحيل الإمام ص٦٢.
(٣) شمس الولاية ص٧٣، وسماحة آية الله العظمى ص٨١.

بالإمام الخميني وقد أشرنا إلى ذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب تحت عنوان «ثم وجد السيد الخامنئي القائد الذي تمناه» كان السيد الخامنئي يعتبر الإمام الخميني قائده بحق، لقد أسر الإمام الخميني قلبه وروحه، وملأ سمعه وبصره ومشاعره، حاضره ومستقبله، لقد أحب السيد الخامنئي الإمام الخميني حباً يفوق حب الولد لوالده وحب التابع المخلص لقائده، واعتبره قدوته ومثله الأعلى الحي المتحرك، إنه والد من النوع الخاص جداً، وقائده الخاص أيضاً، كان القائد السيد الخامنئي يمهر اجوبته على رسائل الإمام بتوقيعه مسبوق بكلمة «ابنكم» كان يحلو للسيد الخامنئي أن يعنون رسائله، وكتبه للإمام بجملة «سيدي ومقتداي» فالإمام الخميني هو القائد الفذ، والسيد الخامنئي هو التابع البارز المخلص للإمام وهو رفيق دربه، وأول من التف حوله، قبل أن يتألق نجم الإمام الخميني، لقد أثر الإمام الخميني بشخصية وفكر وحياة السيد الخامنئي تأثيراً بالغاً وعميقاً وشاملاً ويقيناً أن الإمام الخميني قد اكتشف طبيعة حب السيد الخامنئي له، ونوعية اخلاصه، وعمق إيمانه، وصفاء نفسه، وتجرده، وسلامة نيته، وعبقرية مواهبه ووثاقه ونقاء مفهومه للإسلام، فاصطفاه لنفسه، فأهّله، وأعدّه لخلافته.

الإمام الخميني أعدّ وأهّل السيد الخامنئي لخلافته

وبالمقابل فإن الإمام الخميني كان ينظر للسيد الخامنئي نظرة خاصة، فقد كان الأمام الخميني يرىٰ أن السيد الخامنئي، رجل ملتزم، وثوري، وعلى خط الإسلام المستقيم وعالم بالدين وبالسياسة، وقد جاء ذلك في قرار تعين الإمام للسيد الخامنئي رئيساً للجمهورية حيث قال الإمام الخميني في هذا القرار ما يلي وبالحرف «. . إن الله تعالى قد منَّ علينا حين هدى الرأي العام لانتخاب رئيس جمهورية ثوري وعلى خط الإسلام المستقيم وعالم بالدين والسياسة. . . ، وانني واتباعاً للشعب العظيم شأناً، وبإطلاعي على مقام ومرتبة المفكر والعالم المحترم جناب حجة الإسلام السيد علي الخامنئي أيده

الله تعالى أنفذ رأي الشعب وأنصبه بمنصب رئيس الجمهورية. . . »[1] فالسيد الخامنئي بنظر الإمام الخميني، عالم دين ومفكر، وعالم بالسياسة، وهذه شهادات لا يمكن أن يدلي بها الإمام الخميني جزافاً، إنما هي ثمرة اطلاع. . ثم أن الإمام الخميني قد عين السيد علي الخامنئي عضواً في أول حكومة فعلية للثورة تلك الحكومة التي كانت مؤلفة أيضاً من ذات الستة أشخاص ومهمة هؤلاء الستة أن يديروا الحكومة أثناء وجود الإمام في باريس»[2].

وقال الإمام الخميني في برقيته التي أرسلها للسيد الخامنئي بمناسبة نجاته من محاولة الإعتداء التي تعرض لها «. . . والآن وبعد أن قام أعداء الثورة بالإعتداء عليكم وأنتم من ذرية الرسول الأكرم ومن آل بيت الحسين، ولم تقترف ذنباً سوى خدمة الإسلام، والوطن الإسلامي، ولم ينتقموا منك إلا لأنك جندي مستبسل في جبهة الحرب، ومعلم في المحراب، وخطيب مفوّه في صلاة الجمعة والجماعة ومرشد مخلص في ميادين الثورة. . . لقد جرح هؤلاء بالإعتداء عليك مشاعر الملايين من المؤمنين في شتى أنحاء العالم. . . لقد اعتدوا على شخص كانت دعوته إلى تحقيق الصلاح والسداد تدوي في آذان مسلمي العالم. . . بحيث أقدموا على هذه الجريمة بعد خطابكم في مجلس الشورى، وفي صلاة الجمعة، وفي الجماهير الشعبية مباشرة. . . إنني اهنئك أيها الخامنئي العزيز على خدمتك لهذا الشعب المظلوم في جبهات الحرب بملابس القتال، وخلف الجبهة بالزي العلمائي، وأسأله أن يعطيك السلامة لتمضي في خدمة الإسلام والمسلمين. . . »[3] وبلغ الإمام الخميني المدى بثقته بالسيد الخامنئي يوم رشحه صراحة وعلناً ليكون خليفته يقول الشيخ هاشمي رافسنجاني «. . خلال اجتماعنا مع سماحة

---

(١) آراء القائد ص١٤.

(٢) شمس الولاية، ص٥٥ ـ ٥٦.

(٣) مرجعية سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي ص٧٢ ـ ٧٣ وشمس الولاية ص٦٤ ـ ٦٥.

الإمام وبحضور رؤساء القوى الثلاثة ورئيس الوزراء والحاج السيد أحمد تم مناقشة هذا الموضوع» موضوع موت الإمام وحصول الفراغ «فقال الإمام، سوف لن يطرأ فراغ في القيادة ولديكم القائد!! فقيل ومن هو فقال الإمام الخميني وبحضور آية الله الخامنئي «إنه السيد خامنئي»!!

وقال الشيخ رافسنجاني «تحدثت يوماف مع الإمام الخميني حول خلافة القائد والمشاكل التي قد تطرأ، فرد الإمام الخميني بكل صراحة «إنكم لن تواجهوا طريقاً مسدوداً ومثل هذا الشخص «آية الله الخامنئي» بين ظهرانيكم، فلماذا تجهلون ذلك»!!

وقال السيد أحمد أنه عندما سافر السيد الخامنئي إلى كوريا، شاهد الإمام من على شاشة التلفزيون استقبال الشعب الكوري وأحاديث ومباحثات السيد الخامنئي في تلك الزيارة فقال الإمام الخميني حقاً إنه جدير بالقيادة».

ثم قال الإمام الخميني للسيد خامنئي «إنني اضطرب جداً عندما تسافر حتى تعود فلا تكثر من السفر»[1].

هذه الإعلانات الدقيقة والمتلاحقة من الإمام والمتعلقة بالسيد الخامنئي تدل دلالة واضحة، بأن الإمام قد وقف على حقيقة ومرتبة السيد الخامنئي، فأكد ضمناً وصراحة بأن السيد الخامنئي هو الرجل الثاني في إيران بعد الإمام الخميني، وهو خليفته المنتظر.

تفكير ومواقف متشابهة!!

وساعد على ذلك أن كلاهما سيد، وكلاهما من أحفاد الرسول الأعظم، وكلاهما من بيت الحسين، وكلاهما عالم قد نال أعلى المراتب الدينية، وكلاهما قد فهم الإسلام فهماً صحيحاً من أنقى وأوثق مصادره،

---

(١) مرجعية سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي ص٧٩ ـ ٨٠ وشمس الولاية ص٧١ ـ ٧٢.

وكلاهما قد استوعب تاريخ أهل بيت النبوة حلوه ومره، وكلاهما ذو همة عالية، وإرادة قوية، ونفس متعلقة بالله تعالى، وكلاهما معجب إلى درجة الإنبهار التام بشخصيات الأنبياء وعلى الأخص جدهما وخاتم النبيين محمد وبشخصيات الأئمة الكرام وعلى الأخص شخصية سيد الشهداء الإمام الحسين، صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين، لذلك كان لهما تفكير متشابه إلى درجة التطابق، ونفسية متشابهة إلى درجة التقارب، ومواقف متشابهة حتى لتخالها موقفاً واحداً، ونمط متشابه في متسوى المعيشة، وفي النفور من هذه الدنيا الفانية، ونعيمها الذي لا يدوم، وتعلق يقيني بالآخرة، وما عند الله، كان كل واحد منهما على بينة من ربه، متيقناً بأن الإسلام الصحيح دين ودولة، عقيدة وشريعة وأن الإسلام لو طُبق كما طُبق في عهد الرسول الأعظم وفي عهد أمير المؤمنين علي لجلب الخير والسعادة للمسلمين خاصة، وللجنس البشري عامة، ولحقق العدل المطلق، والكفاية التامة، والرخاء المؤكد لكافة أبناء الجنس البشري، وكانا على يقين بأن كافة الأنظمة السائدة في العالم «طاغوتية» بمعنى أنها لا تحكم بما أنزل الله، بغض النظر عن بعدها أو قربها من الأحكام الإلهية، وبغض النظر عن أدعاءاتها المختلفة، وكان كل واحد منهما على استعداد أن يضحي بروحه وبكل ما يملك لإعادة الإسلام كنظام حكم إلى واقع الحياة، فالحلم الأكبر والأسمى لكل واحد منها هو الحكومة الإسلامية، والفرق بينهما أن الإمام الخميني قد أفصح عن هذه الإعتقادات أولاً وجهر بها، ودافع عنها، وركب المستحيل لتحقيقها وقاد الدعوة لها، وتحمل أعباء السبق والمواجهة في سبيلها بينما السيد الخامنئي قد ناصره وتابعه، ووضع نفسه وحياته ومستقبله ومصيره بيد الإمام الخميني لتحقيق هذه الأهداف.

الفصل الثاني

الإمام الخميني والحكومة الإسلامية

الإمام الخامنئي يروي تاريخ الحكومة الإسلامية

عندما حدد القائد السيد علي الخامنئي إنجازات ونتائج حركة الإمام الخميني، اعتبر أن تأسيس النظام المبني على أساس الدين والمبادىء والقيم الأخلاقية والمعنوية، هو أحد هذه المنجزات والنتائج، واعتبر إحياء الإسلام والقيم الدينية رابع هذه المنجزات والنتائج، واعتبر تأسيس الحكومة الإسلامية هو ثامن هذه النتائج والمنجزات وقمتها، وكما توقف السيد الخامنئي عند كل انجاز فقد سلط الأضواء الكافية، كذلك فقد سُلطت الأضواء المناسبة على انجاز «تأسيس الحكومة الإسلامية» فقال تحت هذا العنوان إن العمل العظيم الآخر الذي قام به الإمام الخميني هو تأسيس حكومة على أُسس إسلامية، وكان هذا الإنجاز العظيم، لا يخطر على بال أحد، وكان حلماً يجول في مخيلة المسلمين السذج حيث كان هذا الإنجاز كمعجزة، استطاع الإمام أن يخرجها إلى واقع الحياة، إن تأسيس الحكومة الإسلامية لم يكن تأسيس حكومة جديدة، وإزالة حكومة سابقة، فالأمر كان أصعب مما نتصوره، فتأسيس حكومة إسلامية وفي منطقة حساسة من العالم وفي وقت كان العالم يغرق بالماديات، وبمحاربة الأديان وبالأخص الدين الإسلامي. . . لم يكن

أمراً سهلاً وعادياً ـ بل كان إنجازاً يشبه المعجزة، فاستطاع الإمام بإرادته وبقوة الشعب أن يحقق هذه المعجزة الكبيرة بعونه تعالى. . . »[1].

وقال السيد الخامنئي في مقابلة خاصة معه « . . . أقمنا هذا النظام ـ النظام الإسلامي ـ في دولة كبيرة يبلغ عدد سكانها ٤٠ مليون نسمة، في إحدى أكثر الطرق الجغرافية العالمية حساسية، ولا ندعي أنه نظام كامل، ولكن هذا المقدار الذي قمنا به أحيا أمل الإسلام في قلوب جميع المسلمين. . . »[2].

وقال السيد الخامنئي: لم يعرف العالم الثورة الإسلامية إلا مرادفة مع اسم الإمام الخميني الذي دوى صدى الثورة وقادها في أصعب اللحظات والظروف، وصنع منها ظاهرة عظيمة وأسوة عالمية، فالإمام بالإضافة إلى كونه قائد للثورة كان فقيهاً إسلامياً، مطهر الإيمان، ومرجع تقليد أساس ثقة وولاء الشعب، حيث كان كالأنبياء استطاع أن يجمع كلاً من الدين، السياسة، الثورة، الله، الشعب في بوتقة واحدة، واستطاع أن يجعل من ثورته ثورة أنبياء، إن نداءات الإمام الخميني كانت وما زالت سكينة لقلوب المجاهدين، ومصدراً لابقاء الروح الجهادية مشتعلة وفعّالة فلهذه النداءات صفات ثلاثة وهي:

١ ـ أعطت للحياة البشرية هدفاً ومعنى.

٢ ـ قيادة ورسم معالم خط الثورة.

٣ ـ دونت تاريخ النهضة والجهاد. . . »[3].

---

(١) الإمام الخميني كما يراه الإمام الخامنئي ص٧٩ ـ ٨٠.
(٢) آراء القائد ص١٧٤.
(٣) الإمام الخميني كما يراه الإمام الخامنئي ص٦٠ ـ ٦١.

وقال السيد علي الخامنئي أيضاً: إن العمل الذي أنجزه الإمام الخميني هو أنه استطاع أن يطرح القيم الإسلامية القويمة، ويرفع راية الإسلام في دنيا الخبائث وفي الوقت الذي كان يخجل فيه المسلم أن يطرح اسم الدين أو القيم الإلهية، ولا يمكن مقارنة عمله سوى بعمل الأنبياء..»[1].

وقال السيد الخامنئي... لقد انجبت شخصية الإمام الخميني العظيمة والفريدة واحدة من أعجب ظواهر التاريخ وهي الثورة الإسلامية... لقد حقق الإمام الخميني الثورة، وركز أسسها، حيث رفعت الثورة الإسلامية الإمام إلى منزلة الإنسان الأسطورة، وجعلت منه الشخصية الخالدة... لقد استطاع الإمام أن يغيّر صفة الإستسلام عن الشعب ويهديه إلى ينبوع الفطرة الصافية، فهو مؤسس وقائد ومعلم وأب للثورة الإسلامية التي تعتبر أكبر ظاهرة...»[2].

شعارات الإمام الخميني وأهدافه الرئيسية الثلاثة

لقد بذر الإمام الخميني بنفسه بذور التمرد على الواقع المر الذي كان يحياه الشعب الإيراني في ظل حكم الشاه ونظامه الطاغوتي الظالم، واستقطب الإمام بعون الله، وسحر بيانه وبشخصيته الفذة، ونبل مقاصده، وسمو أهدافه طائفة من الخواص كالسيد الخامنئي ـ صاحب هذه السيرة ـ والشيخ هاشمي رافسنجاني والشهداء بهشتي، ومطهري، وباهنر ورجائي، والأردبيلي، وغيرهم من طلائع الثورة، ومن نواة القلة المؤمنة التي التفت حول الإمام، وأخلصت له إخلاصاً لم يخلصه تابع لمتبوع، ووالته ولاء لم يواليه مقلد لمرجع، ولا ضابط لقائد، فنشروا فكره، ووطدوا أمره،

---

(١) المرجع السابق ص٧٦.

(٢) المرجع السابق ص٥٩ ـ ٦٠.

وصاروا نواة حزب الله، فوضعوا أنفسهم تحت تصرفه، ينفذون أمره وتوجيهاته وتعليماته كأنهم في حضرته، حتى وهو بعيد عنهم، فالثورة مدينة لهؤلاء، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها مدينون لهذه الطليعة المؤمنة.

أخذ الإمام يتحدى الشاه علناً، ثم أعلن ثورته عليه، وتوالت نداءات الإمام إلى الشعب الإيراني المسلم، لينهض، ويلتفت حوله، وحول دعوة الحق، دعوة الإسلام ودخل الإمام بمواجهة مكشوفة مع الشاه، وهي مواجهة لا مثيل لها في التاريخ، تجري بين الشاه المسلح بكل الإمكانيات المادية لدولة إيران، ومعه الإنحراف والظلم المسلح بكل أسباب القوة المادية، وبين الإمام الهاشمي الثائر الأعزل الذي لا يملك إلا إيمانه وبيانه والأمل بوقوف الأكثرية الساحقة من الشعب الإيراني المسلم إلى جانبه، وهي مواجهة محسومة سلفاً وفق المعايير العلمية والموضوعية، إنها مواجهة تشبه من كل الوجوه مواجهات الرسل والأنبياء مع مجتمعاتهم لقد كانت معايير الإمام مشابهة لمعايير الأنبياء والرسل!! ولم لا فهو حفيدهم وتلميذهم والسائر على خطهم القويم، والفرق في هذه المواجهة أن المجتمعات التي واجهها الرسل والأنبياء كانت مجتمعات كافرة، أما المجتمع التي تمت فيه المواجهة مع الشاه فقد كان مجتمعاً مسلماً متمذهباً بمذهب أهل البيت، ولكنه كان محبطاً ومغلوباً على أمره، ويائساً، لقد لعبت روح الإمام الحسين دوراً بارزاً في هذه المواجهة، !! لقد تصورت الأمواج البشرية التي استفاقت من نومها وبدأت بالإلتفاف حول الإمام أن الإمام الحسين يقف وحيداً بمواجهة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية وجيشه، وسمعت نداءات الحسين تتجاوب في كل بعد، هل من ناصر، هل من معين!! والشعب الإيراني يعلم أن الإمام الخميني هو حفيد الإمام الحسين، فهل يترك الإيرانيون حفيد الإمام الحسين وحيداً كما ترك المسلمون الإمام الحسين وحيداً!! إن روح الشعب الإيراني العظيم تأبى

عليه ذلك!! إذاً ما الفائدة من الدموع التي يذرفونها كل عام على الحسين!! إذاً ما الفائدة من كل أعمالهم!! وكيف يلقون الله!! وكيف تلتقي عيونهم رسول الله إن تركوا حفيد الحسين!! ماذا يقولون للإمام علي!! كيف يواجهون السيدة الزهراء، لقد استماتت تلك الأمواج البشرية من أبناء الشعب الإيراني بالتفافها حول الإمام، فكان الواحد منهم يقبل على الموت وهو يضحك، لأن الموت سعادة، والحياة في ظل الظالمين شقاء، هذه احدى مقولات الحسين، وهذه احدى مقولات حفيد الحسين أيضاً، إنها روح الحسين التي بعثت الشعب الإيراني، وأيقظته من غفلته وزجته في صميم المواجهة مع الظلم، وجعلته يلتف حول الإمام تماماً كما التف اخوان الحسين وأبناء الحسين وأنصار الحسين حول الحسين، لم يعد للحياة معنى، لم يعد للدنيا معنى، لقد أصبحت كل المعاني بيد الموت وفي حوزة الآخرة، ما يقوله الحسين أو حفيده، هو الذي يستحق العناء، وهو وحده القابل للتنفيذ، والجدير بالتنفيذ!!

بهذا المناخ رفع الإمام الخميني شعاراته، وبين أهدافه

بهذا المناخ والجو المفعم بروح التضحية والفداء التواق للروح والشرعية الإلهية رفع الإمام الخميني شعاراته المحددة بثلاثة، خلع الشاه، واسقاط نظامه، وإقامة الحكومة الإسلامية وتلك شعارات تتفق مع ضمير الشعب الإيراني ومع معاناته، وطبيعة تكوينه الديني وهي أمور محددة لا تثير جدلاً، فمن يأسف إن خُلع الشاه ورحل عن البلاد!! ومن يحزن إن سقط نظام الشاه الطاغوتي في الجحيم!! وأي مسلم دنف بحب الحسين ومتأثر بروح الحسين يكره إقامة حكومة اسلامية!! ووضّح الإمام الخميني أهدافه، ووضع البدائل المنطقية، حتى لا يترك فراغاً، فأعلن الإمام أن الفقيه العادل هو البديل المنطقي والديني للشاه، فبدلاً من حكم الشاه يحكم الفقيه العادل، وأي مجنون لا يقايض شخص الشاه الفاسد، بشخص الفقيه التقي النقي

العادل، وأعلن الإمام أن الحكومة الإسلامية هي التي يجب أن تحل محل نظام الشاه، وأي مسلم ذاق حلاوة الإسلام يمكن أن يرفض مقايضة نظام الشاه بالنظام الإسلامي الإلهي!!! هذه الأهداف منطقية ودينية وعامة لا تثير الخلاف، لم يتطرق الإمام للتفصيلات، لأن التفصيلات ستفتح أبواب الخلاف والإختلاف بالوقت الذي يركز فيه الإمام على وحدة الشعب الإيراني.

فالغاية من ثورة الإمام الإسلامية هي: ١ ـ خلع الشاه، واسقاط نظامه الطاغوتي، وتنصيب الفقيه العادل ـ أي فقيه عادل ـ ليحكم بدلاً من الشاه، وإقامة الحكومة الإسلامية لتحل محل نظام الشاه!! فقبح الشاه، وبشاعة نظامه لا يخفيان على عاقل مسلم أو غير مسلم، وحكم الفقيه العادل، وإقامة الحكومة الإسلامية لا يرهبان عاقل مسلم أو غير مسلم، فحسنها واضع، ولا وجه للمقارنة بين القبح والحسن!!

نوعية الحكومة الإسلامية ومن هو الفقيه العادل؟

عندما أعلن الإمام الخميني أهدافه من الثورة الإسلامية المتمثلة بخلع الشاه كرئيس للدولة الإيرانية، واحلال الفقيه العادل محل الشاه برئاسة الدولة، واسقاط نظام الشاه، ليحل محله نظام الحكومة الإسلامية، لم يبين الإمام الخميني من هو الفقيه العادل بالذات ليحل محل الشاه، وما هي نوعية الحكومة الإسلامية التي ستحل محل الشاه، لقد ذكر الإمام الخميني حكومة النبي، وحكومة الإمام علي كنموذج للحكم الإسلامي، وركز تركيزاً خاصاً على نتائج التغيير، وثمرات الحكم الإسلامي العادل، وعلى المواصفات الموضوعية للفقيه العادل، ولم يدخل الإمام بالتفاصيل، ليبقى الشعب الإيراني مجتمعاً حول الأهداف الرئيسية، وفي ما بعد وبعد نفي الإمام الخميني ألقى سلسلة متكاملة من المحاضرات في النجف الأشرف جمعت في

كتاب «الحكومة الإسلامية» وهذا الكتاب يشمل على المعالم الأساسية، والخطوط العريضة، والبنى الكلية للحكومة الإسلامية، وبعد عودة الإمام الخميني منتصراً إلى طهران، وخلع الشاه، وسقوط نظامه، وتحول الثورة إلى دولة، تم وضع أول دستور لها.

وقد تم وضع هذا الدستور من قبل النواة المؤمنة التي التفت منذ البداية حول الإمام الخميني ، وتشربت بفكره، ورافقته على درب الثورة منذ البداية وحتى تحولت الثورة إلى دولة، وكانت هذه النواة المؤمنة من صفوة علماء إيران الذين بلغوا أعلى المراتب العلمية، وفهموا الإسلام على حقيقته، واستوعبوا تاريخه كله وأبلوا بلاء حسناً، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى نجحت الثورة، وتحولت إلى دولة فوضعوا دستورها الإسلامي تحت إشراف قائد الثورة إيذاناً بولادة الدولة، ونقل فكرة الحكومة الإسلامية من النظر والكلمة إلى التطبيق والحركة.

وكان على رأس تلك النواة المؤمنة السيد علي الخامنئي، ومن حوله العلماء المجاهدين الأبرار، ولقد واجهوا طول بعد الإسلام عن التطبيق، والانحرافات التاريخية التي حاولت أن تشوّه نظامه، كما واجهوا اختلاف العصر، واختلاف الموازين والقيم ولكنهم تغلبوا على كل هذه العوائق، ونجحوا بوضع دستور يحمل كل السمات والمعالم الإسلامية، ويواكب احداث ما وصل إليه الفكر السياسي في العالم ومن خلال هذا الدستور تظهر واضحة وجلية للعيان الأفكار السياسية للسيد علي الخامنئي.

معنى الحكومة

تعني الحكومة في ما تعني الحكم الصادر بين طرفين متحاكمين، وتعني السلطة التنفيذية، فيقال السلطة القضائي، والسلطة التشريعية، والحكومة، كناية عن السلطة التنفيذية، وتعني الحكومة النظام السياسي كله، أو نظام

الحكم كله فيقال الحكومة الرأسمالية، كناية عن النظام الرأسمالي، ويقال الحكومة الشيوعية كناية عن نظام الحكم الشيوعي، ويقال الحكومة الإسلامية، كناية عن نظام الحكم الإسلامي، وقد تعني كلمة الحكومة شكل الحكم، فيقال الحكم الملكي، القائم على التوارث في رئاسة الدولة، ويقال الحكم الجمهوري المناقض للحكم الملكي من حيث توارث رئاسة الدولة، وقد تعني الحكومة نمط نظام الحكم حتى من مشتقات نظام الحكم الواحد، فيقال الحكومة البرلمانية كناية عن النمط البريطاني، ويقال عن النمط السويسري مع أن الحكم البريطاني والأمريكي والسويسري حكم رأسمالي تحرري أي من مواليد العقيدة التحررية الرأسمالية، وعلى أي حال فالشائع والأكثر استعمالاً في العصر الحديث أن الحكومة تعني احدى سلطات الدولة الثلاثة وهي السلطة التنفيذية أو بتعبير أدق رئيس وأعضاء مجلس الوزراء.

ماذا يعني الإمام الخميني بمصطلح الحكومة الإسلامية

إن الإمام الخميني كان يعني بالحكومة الإسلامية الدولة الإسلامية بكل مقوماتها الشعب والاقليم والقانون والسلطة، كان يعني نظام الحكم الإسلامي كله، كان يعني سلطات الدولة الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية، ويفهم هذا بوضوح من كتابه الحكومة الإسلامية، حيث قال تحت عنوان «أدلة ضرورة تشكيل الحكومة «مجموعة القوانين لا تكفي لإصلاح البشر، ولكي يكون القانون مادة لاصلاح واسعاد البشر فإنه يحتاج إلى السلطة التنفيذية، لذلك فإن الله عز وجل قد جعل في الأرض إلى جانب مجموعة القوانين، حكومة، وجهاز تنفيذ وإدارة، الرسول الأعظم كان يترأس جميع أجهزة التنفيذ في المجتمع الإسلامي، وإضافة إلى مهام التبليغ والبيان وتفصيل الأحكام والأنظمة كان قد اهتم بتنفيذها حتى أخرج دولة الإسلام إلى حيز

الوجود، في حينه كان الرسول لا يكتفي بتشريع القانون الجنائي مثلاً، بل كان يسعى إلى تنفيذه، كان يقطع اليد، ويجلد ويرجم ومن بعد الرسول كانت مهام الخليفة لا تقل عن مهام الرسول، ولم يكن تعيين الخليفة لبيان الأحكام فحسب، وإنما لتنفيذها أيضاً. . بحيث كان يعتبر الرسول لولا تعيينه الخليفة من بعده غير مبلغ رسالته، فالمسلمون حديثوا عهد بالإسلام وهم بأمس الحاجة إلى من ينفذ القوانين، ويحكم أمر الله وإرادته في الناس من أجل ضمان سعادتهم في الدنيا والآخرة. . . وفي كل دول العالم لا ينفع التشريع وحده، ولا يضمن سعادة البشر، بل ينبغي أن تعقب سلطة التشريع سلطة التنفيذ، فهي وحدها التي تنيل الناس ثمرة التشريع العادل، لذلك قرر الإسلام إيجاد سلطة التنفيذ إلى جانب سلطة التشريع. . .

وتحت عنوان: طريقة الرسول الأعظم قال الإمام الخميني: «نستفيد من سنة الرسول وسيرته ضرورة تشكيل الحكومة، أما أولاً فلأنه هو بدوره قد شكل الحكومة والتاريخ يشهد بذلك، وكان قد تزعم إدارة المجتمع، وارسل الولاة ويجلس للقضاء بين الناس بالعدل، وكان يرسل السفراء إلى خارج حدود دولته إلى رؤساء القبائل، وإلى الملوك، وكان يعقد المعاهدات، ويقود الحروب، وبالتالي كان هو ينفذ جميع أحكام الإسلام، وثانياً فإن الرسول قد استخلف بأمر من ربه من يقوم بعده على هذه المهام، وهذا الإستخلاف يدل بوضوح على ضرورة استمرار الحكومة الإسلامية من بعد الرسول الأكرم، وبما أن هذا الإستخلاف كان بأمر من الله، فاستمرار الحكومة واجهزتها وتشكيلاتها كل ذلك بأمر من الله أيضاً.

وتحت عنوان: ضرورة استمرار تنفيذ الأحكام قال الإمام الخميني: «بديهي أن ضرورة تنفيذ الأحكام لم تكن خاصة بعصر النبي، بل الضرورة مستمره لأن الإسلام لا يُحد لا بزمان ولا مكان، لأنه خالد، فيلزم تطبيقه وتنفيذه والتقيد به إلى الأبد، وإذا كان حلال محمد حلالاً إلى يوم القيامة

وحرامه حراماً إلى يوم القيامة، فلا يجوز أن تعطل، وتهمل تعاليمه، ويترك القصاص، أو تتوقف جباية الضرائب المالية، أو يترك الدفاع عن أمة المسلمين وأراضيهم، وبما أن تنفيذ الأحكام بعد الرسول الأكرم وإلى الأبد من ضرورات الحياة، لذا كان ضرورياً وجود حكومة إسلامية، فيها مزايا السلطة المنفذه، إذ لولا ذلك لساد الهرج والمرج والفساد الإجتماعي والإنحراف العقائدي، ولا سبيل إلى منع ذلك إلا بقيام حكومة عادلة تدير جميع نواحي الحياة. . .

وتحت عنوان في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال الإمام الخميني: ـ لم يكن أحد يشك في ضرورة استمرار وجود الحكومة من بعد الرسول، الكل متفقون على ذلك، وإنما وقع الإختلاف في شخص من يتولى ذلك، فقد كانت الحكومة موجودة في زمن الرسول، وبعد الرسول، وفي زمن الإمام أمير المؤمنين علي خاصة، بجميع مؤسساتها الإدارية والتنفيذية من غير شك»[1].

ثم يتابع الإمام الخميني جهده لإثبات ضرورة الحكومة الإسلامية فيقول «إن ماهية قوانين الإسلام دليل آخر على ضرورة تشكيل الحكومة، فهي تدلنا على أنها جاءت لتكون دولة، تكون فيها إدارة، ويكون فيها اقتصاد سليم، وثقافة عالية»[2] فأنت تلاحظ أن الإمام استعمل مصطلح الدولة للدلالة على مصطلح الحكومة. .

ثم يفصل فيقول: أولاً أحكام الشرع تحتوي على قوانين لنظام اجتماعي كامل. . . والقرآن المجيد، والسنة الشريفة يحتويان على جميع الأحكام والأنظمة التي تسعد البشر، وتنحو به نحو الكمال، . . . وفي الكتاب

(١) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ص ٢٣ ـ ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ص ٢٣ ـ ٢٦ ـ ٢٧.

«تبيان كل شيء» والأئمة أهل البيت يؤكدون أن جميع ما يحتاجه الناس موجود في الكتاب والسنة.

وعند إمعاننا النظر في ماهية أحكام الشرع يثبت لنا أن لا سبيل إلى وضعها موضع التنفيذ إلا بواسطة حكومة ذات أجهزة مقتدرة وعلى سبيل المثال:

أ ـ الأحكام المالية: الضرائب المالية التي شرعها الإسلام ليس فيها ما يدل على أنها قد خصصت لسد رمق الفقراء أو السادة منهم خاصة، وإنما هي تدل على أن تشريعها كان من أجل ضمان نفقات دولة كبرى ذات سيادة. . . .

ب ـ أحكام الدفاع: ومن جهة أخرى نرى أن أحكام الجهاد والدفاع عن حياة المسلمين لضمان استقلال وكرامة الأمة تدل هي الأخرى على ضرورة تشكيل هذه الحكومة.

جـ ـ أحكام الحدود والديات والقصاص: لا يمكن لهذه الأحكام أن تقام بدون سلطات حكومية، فبواسطتها تؤخذ الدية من الجاني وتدفع إلى أهلها، وبواسطتها تقام الحدود، ويكون القصاص تحت إشراف ونظر الحاكم الشرعي.

ضرورة الثورة السياسية: في صدر الإسلام سعى الأمويون ومن يسايرهم لمنع استقرار حكومة الإمام علي، ومساعيهم البغيضة وتغيير أسلوب الحكم ونظامه، لأن برامجهم كانت تخالف وجهة الإسلام في تعاليمه تماماً، وجاء من بعدهم العباسيون ونسجوا على نفس المنوال وتبدلت الخلافة وتحولت إلى سلطة ملكية موروثة، وأصبح الحكم يشبه حكم أكاسرة الفرس، وأباطرة الروم وفراعنة مصر، الشرع والعقل يفرضان علينا أن لا نترك الحكومات وشأنها والدلائل على ذلك واضحة، فإن تمادي هذه الحكومات في غيها يعني تعطيل نظام الإسلام وأحكامه في حين توجد نصوص كثيرة

تصف كل نظام غير إسلامي بأنه شرك والحاكم أو السلطة فيه طاغوت، ونحن مسؤولون عن إزالة آثار الشرك من مجتمعنا المسلم. . .

هـ ـ ضرورة الوحدة: . . . نحن لا نملك الوسيلة إلى توحيد الأمة الإسلامية وتحرير أراضيها من يد المستعمرين، . . . إلا أن نسعى إلى إقامة حكومتنا الإسلامية، فتشكيل الحكومة يرمي إلى الإحتفاظ بوحدة المسلمين بعد تحقيقها، وقد ورد ذلك في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام». . . وطاعتنا نظام الملة، وإمامنا أماناً من الفرقة».

و ـ ضرورة انقاذ الضعفاء والمحرومين: . . . نحن مكلفون بانقاذ المحرومين والمظلومين، نحن مأمورون باعانة المظلومين، ومناوأة الظالمين كما ورد ذلك في وصية أمير المؤمنين لولديه «وكونا للظالمين خصماً وللمظلوم عوناً» وعلماء الإسلام مكلفون بمناضلة المستغلين الجشعين. . . يقول أمير المؤمنين «. . . أما والذي خلق الجنة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لأبقيت حبلها على غاربها، وسقيت أخرها بكأس أولها، ولا لفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

ي ـ ضرورة تشكيل الحكومة في الأحاديث: وساق الإمام الخميني حديث الإمام الرضا عليه السلام في جوابه ولم يجعل أُولي الأمر وأمر بطاعتهم، فقيل لعلل كثيرة «منها أن الخلق لما وقفوا على حد من الحدود، وأمروا أن لا يتعدوا تلك الحدود لما فيه من فسادهم، لم يكن يثبت ذلك، ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم أميناً يأخذ بالوقف عند ما أبيح لهم ويمنعهم عن التعدي على ما حُظر عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره، ومنها أنا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس لما لا بدّ لهم منه في أمر الدين والدنيا، فلم يجز في حكمه الحكيم أن يترك الخلق لما يعلم أنه لا بد لهم منه ولا قوام لهم إلا به، فيقاتلون به

عدوهم، ويقسمون به فيئهم، ويقيمون به جميعهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم، ومنها أنه لو لم يجعل لهم إماماً قيماً حافظاً مستودعاً، لدرست الملة، وذهب الدين وغيرت السنن والأحكام، ولزاد فيه المبدعون، ونقص منه الملحدون وشبهوا ذلك علماً على المسلمين. . . »[1].

القائد السيد الخامنئي ورفاقه لهم نفس مفهوم الإمام الخميني للحكومة الإسلامية وضرورتها

الإمام الخميني كان يعني بالحكومة الإسلامية الدولة التي تحكم بما أنزل الله تعالى، كما رأينا أو كان يعبر عن نظام الحكم الإسلامي بمصطلح الحكومة الإسلامية، أو كان يُعنى بمصطلح الحكومة الإسلامية النظام السياسي الإسلامي برمته.

والقائد السيد علي الخامنئي، قد قصد من مصطلح الحكومة الإسلامية نفس المعنى الذي عناه الإمام الخميني، قال السيد علي الخامنئي في كتاب له في أحد مؤلفاته: . . . إن العمل العظيم الذي قام به الإمام الخميني هو تأسيس حكومة على أسس إسلامية، وكان هذا الإنجاز العظيم لا يخطر على بال أحد. . . حيث كان هذا الإنجاز كمعجزة استطاع الإمام أن يخرجها إلى واقع الحياة. . . الأمر كان أصعب مما نتصوره، فتأسيس حكومة إسلامية في منطقة حساسة من العالم وفي وقت كان العالم يغرق في الماديات وبمحاربة الأديان وخاصة الدين الإسلامي. . . لم يكن أمر سهلاً، بل كان إنجازاً يشبه المعجزة، استطاع الإمام بإرادته وبقوة الشعب أن يحقق هذه المعجزة الكبيرة بعونه تعالى. . . »[2].

---

(١) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ص٢٨ ـ ٣٨ نقلاً عن علل الشرائع ج١، ص٨٣ الحديث رقم ١.

(٢) الإمام الخميني كما يراه الإمام الخامنئي ص٧٩ ـ ٨٠.

وفي مكان آخر قال السيد الخامنئي «أقمنا هذا النظام الإسلامي في دولة كبيرة يبلغ عدد سكانها ٤٠ مليون نسمة، وفي إحدى أكثر الطرق الجغرافية العالمية حساسية، ولا ندعي أنه نظام كامل، ولكن هذا المقدار الذي قمنا به أحيا أمل الإسلام في قلوب جميع المسلمين»[1] ثم إن القائد السيد علي الخامنئي كان يطّلع على محاضرات الإمام الخميني التي ألقاها في النجف الأشرف حول الحكومة الإسلامية أولاً بأول، وكل محاضرة كان يلقيها الإمام يرسل للسيد الخامنئي وصحبه نسخاً منها لتعميمها على أبناء الشعب الإيراني، لتساهم بيقظته، وتوعيته وهدايته إلى الإسلام.

ثم لو كان الإمام الخميني يقصد من مصطلح الحكومة الإسلامية «السلطة التنفيذية» كاحدى سلطات الدولة الثلاثة، لكلفه الشاه بترأس هذه السلطة، ولما كانت هنالك ثورة.

لكن الإمام وأتباعه المخلصين قصدوا من مصطلح الحكومة الإسلامية النظام السياسي الإسلامي، أو نظام الحكم في الإسلام ليحل محل النظام الطاغوتي للشاه.

لقد كان الإمام وأركان قيادة الثورة يخططون لاسقاط نظام الشاه برمته وابداله بالنظام السياسي الإسلامي برمته ولو على عدة مراحل.

وكان السيد الخامنئي وكافة أركان الثورة الإسلامية على يقين مطلق بأنه لا بد للمجتمع أي مجتمع من سلطة، وأن المجتمع الإسلامي أكثر حاجة من غيره لهذه السلطة، ومن المستحيل أن يكون هنالك مجتمع إسلامي بدون سلطة.

ويعبر السيد الخامنئي عن السلطة بمصطلح الحكومة الإسلامية،

---

(١) آراء القائد ص١٧٤.

وبمصطلح الولاية وبمصطلح النظام الإسلامي.

ثم إن الإمام الخميني والقائد السيد علي الخامنئي وأركان الثورة الإسلامية هم الذين صاغوا الدستور الإسلامي الإيراني، وأودعو فيه كافة البنى والقواعد الأساسية للنظام السياسي الإسلامي.

ومن جهة ثالثة فإن الإمام الخميني أحد أبرز علماء الثورة الإسلامية الإيرانية وقد وصل إلى أعلى المراتب الدينية العلمية وهو يعرف بالضرورة أن الإسلام دين ودولة، وأن الدولة أحد ضروريات الإسلام، بل ومن ضروريات كل مجتمع بشري والخلاصة أن الإمام الخميني، والقائد السيد علي الخامنئي، وكافة أركان الثورة الإسلامية الإيرانية قصدوا بمصطلح الحكومة الإسلامية الدولة التي تحكم بشرع الله، أو قصدوا بها نظام الحكم في الإسلام، أو النظام السياسي في الإسلام برمته، وأنهم كانوا على قناعة مطلقة ويقين تام بأن الحكومة الإسلامية ضرورة من ضروريات المجتمع الإسلامي، ولا يمكن تصور مجتمع إسلامي بدون حكومة إسلامية.

صواب وشرعية إصرار الإمام الخميني والسيد الخامنئي وأركان الثورة على إقامة الحكومة الإسلامية وضرورتها

كان الإمام الخميني، والقائد السيد الخامنئي، وأركان الثورة الإسلامية على حق عندما أصروا على إقامة الحكومة الإسلامية، وأكدوا على ضرورتها لأن إقامة الحكومة الإسلامية ضرورة من ضرورات الإسلام، وبدون حكومة إسلامية، لا يمكن تطبيق الأكثرية الساحقة من الأحكام الشرعية، وسيخرج الإسلام عملياً من المجتمع لتحل محل الحكومة الإسلامية حكومة اخرى غير إسلامية فتخضع المسلمين لسلطانها وهواها وللأحكام والقوانين غير الإسلامية.

والعلة في ذلك أن السلطة أو الحكومة في الإسلام قدر محتوم لا مفر

منه «فالسلطة والإسلام أخوان توأمان لا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أس والسلطة حارث، وما لا أس له فمهدوم، وما لا حارث له ضائع»(1)

«فلا بد للناس من إمارة برة أم فاجرة، فأما البرة فتعدل في القسم وتقسم بينكم فيئكم، وأما الفاجرة فيبتلى فيها المؤمن، والإمارة خير من الهرج، فقيل يا رسول الله وما الهرج؟ قال: القتل والكذب»(2) حتى أن النبي الأكرم قد حذر من الدخول أو الإقامة في بلد "لا سلطان فيه" فالسلطة يأوي إليها كل مظلوم وكل ضعيف «وتحدث النبي كثيراً عن الرعية الملازمة للمسؤولية»(3).

السلطة ضرورية لكل جماعة بشرية

هنالك إجماع بين أبناء الجنس البشري بأن حياة أية جماعة بشرية تتضرر ولا تستقيم دون أن تكون لهذه الجماعة البشرية دولة أو سلطة أو سلطان أو حكومة، تحكم هذه المجموعة البشرية أو تلك، فالدولة تستدعي وجود جماعة بشرية قلت أم كثرت، وتستدعي بالضرورة وجود إرادتين إرادة تحكم وهي السلطة، وإرادة تطيع وهي الجماعة، وتستدعي وجود إقليم، وتستدعي وجود قوانين تنظم العلاقة بين الأفراد والجماعة وبين الجماعة والسلطة وعند الاقتضاء بين السلطة وبين الدول الأخرى، ومهمة السلطة تدبير أمر الجماعة، فالسلطة أو الحكومة هي المدبرة والمديرة لأمر الجماعة، لأن كل شيء لا بد له من مدبر ومدير يديره، بدءاً من العالم والكون المحيط بنا وانتهاء بأية جماعة بشرية مهما صُغر حجمها وحتى على مستوى الأسرة.

---

(1) كنز العمال ج٦، ص١٠، الحديث ١٤٦٦٣.

(2) كنز العمال ج٦ ص٣٩، الحديث ١٤٧٥٥.

(3) راجع كتابنا مرتكزات الفكر السياسي ص١٧٦ ـ ١٧٧.

كل عقيدة تنبثق منها بالضرورة حكومة

ما من مجتمع متميز عن غيره إلا وله عقيدة يدين بها سواء أكانت هذه العقيدة صالحة أو طالحة، «ونعني بالعقيدة مجموعة الأفكار والقيم والمبادىء المترابطة أو الحصيلة الفكرية التي تقدم تصوراً للوجود لما هو كائن وما ينبغي أن يكون بغض النظر عن صحة هذا التصور أو فساده، فتجتذب هذه العقيدة جماعة معينة، فتقتنع بها وتحدد قناعتها وأهدافها ووسائل هذه الأهداف على ضوء معطيات تلك العقيدة...».

فالإسلام عقيدة إلهية، واليهودية بمعناها الأصيل عقيدة إلهية أيضاً، والمسيحية قبل التحريف عقيدة، والرأسمالية التحررية عقيدة، والماركسية الشيوعية عقيدة، بغض النظر عن فساد هاتين العقيدتين الوضعيتين وسطحيتها وقصور تصوراتها.

وما يعنينا أن لكل عقيدة من هذه العقائد المحرّفة أو الوضعية حكومة تنطق باسمها، وتطبق أفكارها.

والعقيدة الإسلامية بالضرورة لها حكومة وسلطة تطبق أحكامها وتترجم تصوراتها، والحكومة الإسلامية جزء لا يتجزء من العقيدة الإسلامية فلا يمكن أن تُعطي هذه العقيدة أُكلها. أو تفيض على المسلمين ببركاتها التامة إلا بوجود الحكومة الإسلامية التي ستتولى ترجمتها من النظر إلى التطبيق ومن الفكر إلى الحركة وحيز الواقع.

الفصل الثالث

الإمام الخامنئي والحكومة الإسلامية

الإيمان بالله وتأثيره على البنية السياسية للمجتمع

يقول القائد السيد الخامنئي: ـ إن الإيمان بالله يؤثر على البنية الأساسية للمجتمع والتشكيلات القائمة على إدارة هذا المجتمع المنبثق على أساس الإعتقاد بالله، وبالإستناد إلى المدرسة الإلهية، فالبنية السياسية والتشكيلات الإدارية والجهاز التشريعي تتميز باختلافات أساسية عن نظيراتها في المجتمع غير القائم على أساس توحيد الله والإيمان به. . .

فعندما تظهر إلى الوجود حركة نبوية يبدأ فصل جديد من فصول تاريخ البشرية، والهدف من هذا الفصل.

وصول المستضعفين إلى سدة الحكم

إن وصول المستضعفين إلى سدة الحكم يعني إزاحة الحكام المستكبرين المتحكمين في رقاب أكثرية الناس من خلال شرذمة من الأشخاص، عبر تطبيق أفكارهم، وتنفيذ رغباتهم المستندة إلى الأهواء والأمزجة الذاتية، والأوامر الاستبدادية التسلطية، وبعد إزاحة هذه الطبقة جانباً يتولى الناس أنفسهم أمور الحكم. . .

حكومة المستضعفين

يتجسّد مجيء الناس إلى سدة الحكم، عندما ينتخب الناس شخصاً من بينهم على أساس معايير يتفقون عليها فيما بينهم، ويفوضونه زمام الأمور وصلاحيات الحكم، ويمارسون هم الإشراف والرقابة على أعماله، وهكذا تظهر إلى حيز الوجود حكومة المستضعفين، وثمة آيات من القرآن الكريم تتحدث عن هذا الأمر، كما توجد العديد من الروايات عن هذا الجانب من المعارف الإنسانية، سواء في كتب الحديث أو نهج البلاغة.

حكومة المستضعفين أول انعكاسات الإيمان والتوحيد

ويتابع القائد قائلاً: وهذا «أي خروج حكومة المستضعفين إلى حيز الوجود» أول انعكاس من الإنعكاسات التي يتركها الإيمان بالله والتوحيد في المجتمع ونظام الحياة البشرية، وهناك تزول وتختفي أساليب المكر والخدع السياسية، والمعايير المادية، ولن يصل أي شخص ولا أية فئة من خلال هذه العوامل وبهذه الوسائل إلى سدة الحكم.

حكومة الأكثرية الساحقة من المجتمع

ويوضح القائد السيد الخامنئي الصورة بقوله «فالحكومة تعود لأولئك الناس الذين يمثلون الأكثرية الساحقة في المجتمع، وهي من صلاحيات الأشخاص الذين ينتخبهم الناس ويجعلونهم على رأس هرم السلطة، ولذلك وجدنا الإمام الخميني يخاطب المسؤولين الحكوميين قائلاً: «إن الناس هم الذين أخرجوكم من السجون، وأجلسوكم على كراسي الحكم في الدولة».

المعايير التي يتم على أساسها انتخاب الحكام

السيد القائد يحدد المعايير فيقول «هذه أول ثمرة من ثمار الإيمان بالتوحيد في المجتمع حيث يمارس الناس دور الإشراف والرقابة بناء على

الأسس الإلهية، أي حينما يكون الإيمان بالله أساس الحكومة، ينتخب الحاكمون من قبل عباد الله، ولا يكون المعيار والملاك لتولي الحكم هو الثراء، والملكية المادية، والغنى، بل الإيمان والعمل الصالح والتقوى، فمن يكن أكثر إيماناً بالله تبارك وتعالى وأشد تقوى، وتبرز ملامح تقواه بشكل أوضح في الميادين السياسية ينبغي أن يكون هو البديل لسلطة المستكبرين، ويتبوأ مقعد الحكم الإلهي، ويصبح خليفة الله في الأرض!! فتحل المعايير والمقايس المنسية مثل العلم بالدين والتقوى والخوف من الله والعمل الصالح، محل المعايير الاستكبارية السابقة»[١].

حجم مشاركة الشعب بالحكومة الإسلامية

ويتابع الإمام الخامنئي قوله. . . أما في الجمهورية الإسلامية، فإن الذي حصل كان أمراً آخر، لا نظير له في العالم، ويندر حصول ما يشابهه في أي مكان آخر، إذ أن الأغلبية الساحقة والأكثرية العظمى من المؤهلين والقادرين على الإدلاء بأصواتهم قد شاركوا في الاستفتاء العام على أصل قيام الجمهورية الإسلامية، وفي انتخابات مجلس الخبراء ورئاسة الجمهورية وغيرها.

في المجتمع الإسلامي فإن مشاركة الشعب واسهامه في جميع الشؤون فهي أوضح وأكثر مما نجده في غيره من المجتمعات، فالحاكم ينتخب في المجتمع الإسلامي، طبقاً لعقيدة الشعب وموافقاً لآرائه، وهذا ما نجده في صدر الإسلام، فالحاكم الإسلامي كالنبي مثلاً يُحظى بتأييد الشعب قاطبه بغض النظر طبعاً عن المنافقين، وجميع أبناء المجتمع المؤمنين بالإسلام يؤيدون الرسول الأكرم ويؤمنون به.

---

(١) راجع الحكومة في الإسلام ص١٤ ـ ١٦ للقائد السيد علي الخامنئي/ طبعة دار الروضة بيروت.

في دستور جمهوريتنا الإسلامية أيضاً نجد أن القائد في المجتمع الإسلامي هو الشخص الذي يحظى بتأييد الأغلبية العظمى من الشعب، وبناء على ذلك فإن القائدحينما يكون حاكماً لمجتمع اسلامي، فإنه يمثل تجسيداً لرأي أكثرية الشعب وتحقيقاً لتطلعاتهم.

وعلى صعيد القوانين نجد أنه حينما يقوم مجلس صيانة الدستور بمطابقة القوانين الصادرة عن مجلس الشورى الإسلامي مع الأحكام الفقهية الإسلامية ويجد تطابقاً في ما بينهما يقوم بالمصادقة عليها، وإن وجد فيها ما يخالف الأحكام فإنه يرفضها، وفي الحقيقة أن مثل هذا تجسيداً ومراعاة للإيمان القلبي للأغلبية الساحقة من الشعب في بلدنا وبالجملة فإنه في المجتمع الإسلامي تتجسد إرادة الشعب، وينفذ رأيه على جميع الصعد، سواء على صعيد السلطة المقننة أو التنفيذية، أو في جميع شؤون السلطة والحكم وولاية الأمر، تتجسد أكثر بكثير مما يجري في ظل الحكومات الديمقراطية، مضافاً إلى ذلك فإننا نرى أن الحاكمين والمسؤولين في المجتمع الإسلامي يتمتعون بإيمان الشعب وتأييده وحبه، فالشعب يكن لهم الود والحب والإيمان، ولهذا فإنه يراهم منه وإليه، ويؤمن بأنهم خدم له، ومنفذون لإرادته، وممثلون لطموحاته وآماله.

واليوم فإنكم ترون في مجتمعنا الذي أشرقت في حناياه بعض أشعة الحكومة الإسلامية، ولله الحمد وتلاحظون مدى إسهام الشعب وحضوره المؤثر، ودوره الفاعل في تأسيس الحكومة، وتشكيلاتها، وفي بلورة السلطة التشريعية «المقننة» وأهمية مشاركة الشعب في شتى المجالات ومختلف الميادين الإجتماعية، . . .

الحكومة الإسلامية حكومة شعبية بالفعل

ويتابع الإمام قائلاً:

وعلى هذا الأساس فإن القول بأن الحكومة الديمقراطية والشعبية لا يمكن أن تكون بالضرورة حكومة دينية، أو أن حكومة الدين لا يمكن أن تكون حكومة شعبية مغالطة، وسفسطة ليس إلا، إذ أن بإمكان الحكومة الإسلامية ـ في الوقت نفسه الذي هي فيه حكومة إلهية ـ أن تكون حكومة شعبية أيضاً وكنموذج على ذلك ما كان في عهد صدر الإسلام إبان زمن النبي الأكرم والخلفاء الذين تبعوه أول الأمر، والنموذج الثاني هو حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكلتاهما حكومة شعبية، وقائمة على عواطف الشعب ووفقاً لآرائه، وتأسست عبر انتخاب الشعب، وتقودها العناصر الشعبية.

وفي هذه الحكومة وهذا النظام الإسلامي نجد أنه على الرغم من وجود إطار إسلامي عام يحدد مسار حركة الشعب، فإن بيد الشعب ضروب حق التصرف ومختلف أنماط الحريات والصلاحيات»[١].

حجم مشاركة الشعب بحكومة الدول الديمقراطية

يقول سماحة القائد الخامنئي:

«إن الحكومة الدينية بطبيعتها وبحد ذاتها ليست فقط لا تتناقض مع الحكومة الشعبية، وتدخل الناس في الحكم وإنما هي الوسيلة الأنجح والأسلوب الأفضل لتيسير مشاركة الشعب الفعالة في إدارة اموره، وتدبير شؤونه وهذه حقيقة قائمة على العديد من الأدلة.

---

(١) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٣٣ ـ ٣٥.

ولنرى أولاً ما هو مستوى مشاركة الشعب في الحكم في ظل الحكومات الديمقراطية، ولنعرف ما هو مدى مساهمة الناس في إدارة دفة هذا النمط من الحكومات؟ لتعكس كم تنطبق التسمية التي تنتحلها هذه الحكومات لنفسها مع الحقيقة والواقع!!

بغض النظر عن الأقوال الشائعة على ألسنة المفكرين والمنظرين السياسين العالميين مؤخراً والتي تؤكد أن الديمقراطية الغربية ليست هي الديمقراطية الحقيقية لأن الناس يفتقدون فيها حق الإنتخاب الحر، ويخضعون لتأثيرات وسائل الإعلام وأساليب الخداع والتهريج والتي تسد كل طرق الإنتخاب الواعي والصائب في وجوه الناس... إذا تجاوزنا هذه الأقوال الصحيحة والسديدة، وفرضنا أن ما يجري في ظل الحكومات الديمقراطية هو فسح المجال أمام الناس ليمارسوا حق الإنتخاب الحر الواعي، فهل إن ما ينفذ عملياً هو انتخاب أكثرية الشعب لمن تريد وما تُريد؟ أم أن أكثرية المتقرعين والمشاركين في الانتخابات تعني نصف الشعب «زائد شخص واحد» وهذا يعني أن النصف الآخر من الشعب ناقصاً واحد ينبغي أن يبقى مستضعفاً على الدوام، وألعوبة بيد النصف الآخر، لأن هذا النصف الآخر يفوق عدد النصف الأول بشخص واحد باعتباره يمثل الأكثرية، وحينذاك فإن رأي نصف الشعب ورغبته وطموحاته وأفكاره لا تساوي شروى نقير؟!!

ويوضح القائد السيد الخامنئي ذلك بقوله «.. وعلى سبيل المثال إذا كان ثمة شعب عدد نفوسه عشرين مليوناً، فلو فرضنا أنه قد طُلب من العشرين مليوناً ابداء رأيهم والأداء بأصواتهم، كلهم بشأن أمر معين، وطبعاً فإن استجابة جميع هؤلاء الناس للطلب الموجه إليهم ضرب من المستحيل، يبدو أنه لو فرضنا جدلاً أن عشرة ملايين شخص وشخص واحد أبدوا رأيهم بالإيجاب لصالح هذا الأمر وأن العشرة ملايين الباقيين إلا شخص واحد صوتوا بالسلب ضد الأمر المذكور فالنتيجة هي أن المجموعة الأخيرة التي

تقل شخصاً واحداً عن المجموعة الأولى ستكون مضطرة للانصياع والطاعة نزولاً عند رغبة المجموعة الأولى!!

هذا في الوقت الذي نعلم فيه أن المقترعين والمدلين بأصواتهم يشكلون دائماً النسبة الأقل من سكان أي بلد، أي أنه حينما نستثني الأطفال والعاجزين بشكل طبيعي عن الإشتراك في الاقتراع والتصويت يبقى مثلاً أربعة عشر مليون شخص مؤهلين وقادرين على المشاركة في التصويت، وهنا فإننا نجد أن هؤلاء الأربعة عشر مليوناً هم أيضاً لا يشاركون بأجمعهم في التصويت والاقتراع.

ففي البلدان الغربية الديمقراطية تدل الإحصاءات أن عدد المشاركين في التصويت أقل دائماً من الأشخاص المؤهلين والقادرين على المشاركة بكثير...»[1].

حكومة الله وحكومة الشعب

يقول سماحة القائد السيد الخامنئي:

حينما نقول أن الحكومة الإسلامية حكومة شعبية، فليس معنى ذلك أنها غير حكومة الله، فمن المعروف أن جميع الأنبياء وأوصياؤهم يدعون الناس إلى حكومة تكون فيها الحاكمية وحق التشريع لله، وهكذا الأمر في الإسلام، فليس هنالك تعارض بين حكومة الشعب وحاكمية الله، فحكومة الشعب لا تعني هذا المعنى نفسه المقصود في الأنظمة الديقمراطية الغربية، فحكومة الناس إنما تكون ضمن الضوابط والأوامر الإلهية التي أمر الله الناس باتباعها، وترك لهم حق اتخاذ القرار في ضوئها ووفقاً لأطرها... أي أن الحكومة هي حكومة المستضعفين وهذا لا يتنافى مع كونها حكومة الله وفي

(١) الحكومة في الإسلام لخلإمام الامتني ص٣١ ـ ٣٣.

إطار الأحكام الإلهية ومن جانب آخر فإنها شعبية ذات معنيين.

١ ـ أحدهما أن للناس دوراً في إدارة الحكومة وتشكيلها وتعيين الحاكم وربما في تعيين نوع النظام «الحكومي والسياسي».

٢ ـ أن الحكومة الإسلامية في خدمة الشعب، وأن ما هو مهم عند الحاكم الإسلامي هو مصالح عامة الناس لا منافع أشخاص أو فئة وطبقة معينة.

وفي الإسلام حكومة شعبية بكلا المعنيين، ولكن ما لم تقم الحكومة الشعبية بالمعنى الأول، وما لم يكن للناس دوراً في الحكومة لا يمكن القول أن الحكومة شعبية بالمعنى الثاني أي في خدمة الشعب»[1].

ممثلوا الشعب أحرار ضمن الشريعة ومجال الإبداع مفتوح

يقول سماحة القائد السيد الخامنئي: إن أهل الحل والعقد «التقنيين» في المجتمع الإسلامي وعلى الرغم من التزامهم بالأصول والأحكام الأزلية، واستمدادهم إياها من الشرع المقدس، وهي متناغمة من إيمان الشعب ومعتقداته، إلا أنهم أحرار أيضاً في التصرف داخل إطار تلك الأحكام والأصول الإسلامية، والإبداع متاح لمنتخبي الشعب في السلطة «المقننة» التشريعية وميسور للقائمين على تنفيذ القانون أيضاً.

ومن أجل أن يتضح مدى مشاركة الشعب واسهامه في ظل عمل الحكومة الإسلامية يمكننا الاستدلال بآيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية والروايات الواردة على الأئمة، كعهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر، وأسلوب حكومة صدر الإسلام، وتوصيات مسلمي العهد الأول لظهور الإسلام، وتصرفاتهم بشأن كيفية معاملة الجماهير المسلمة، وحتى غير المسلمة،

(١) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٤٨ ـ ٤٩.

ونستطيع التمسك بتلك الأدلة في هذا المجال من ذلك قوله تعالى ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾[1] إذ صار أبناء الشعب المستضعفون في حكومة فرعون وهامان الديكتاتورية حكاماً في الأرض إثر الثورة الموسوية، تلك الثورة ذات المنطلقات الإلهية، فأصبحوا يمسكون زمام أمور المجتمع، وصارت الأرض تحت تصرفهم، وتخضع لإرادتهم فاستطاعوا إقامة الحكومة الإلهية. ويقول الله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[2] إذاً فالحكومة الإلهية، وحكومة موسى وباقي الأنبياء، حكومة شعبية، في عرف القرآن، فالناس هم الحاكمون، لأن إيمان الشعب ورغبته هي السائدة والحاكمة في المجتمع، على شكل قوانين منفذه وأحكام مطبقة»[3].

اختلاف الحكومة الإسلامية عن الحكومات التاريخية التي قامت باسم الدين

يقول سماحة القائد السيد الخامنئي. . . فطيلة التاريخ الماضي كانت معظم الحكومات التي قامت باسم الدين حكومات استبدادية، كما تدل على ذلك المعطيات التاريخية، بحيث لم يكن للشعب والرأي العام فيها أي دور يذكر.

لقد كانت الحكومات الإلهية التاريخية «الدّعية» ذريعة وغطاء يتستر به الحكام لتجاهل الرأي العام وإهمال الشعب.

أ ـ على صعيد التاريخ السياسي الإسلامي: بعد انقضاء سني حكومة النبي وما بعد النبي والتي شهدت حضوراً فاعلاً للناس تولى خلفاء بني أمية

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.
(٢) سورة القصص، الآية: ٥.
(٣) راجع كتاب الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٣٥ ـ ٣٦ وخطبة صلاة الجمعة.

باسم خلافة النبي أي أنهم تظاهروا بكونهم حكومة إسلامية، إلا أنهم أقاموا في الحقيقة أسوأ الحكومات وأشدها استبداداً وفرضوها على الأمة وفي هذا الصدد يروي التاريخ أن «عبد الملك بن مروان» أحد خلفاء بني أمية كان معروفاً عنه قبل وصوله إلى الخلافة أنه من جملة أهل التقدّس والاستئناس بالقرآن، لكنه حين تسلّم السلطة رأى أن أوضاع المجتمع الإسلامي أنذاك وصلت حداً لا يمكن معه ممارسة الحكم دون التوسل بالاستبداد والديكتاتورية ولذلك خطب في الناس يوماً فقال «لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه» ماذا يعني ذلك سوى الحكم الديكتاتوري القائم ولو في الظاهر على أساس الدين، وأن الناس لا يستطيعون في ظلال هذا الحكم حتى التواصي بالحق والأمر بالتقوى.

ب ـ على صعيد الحكومات المسيحية في أُوروبا وروما خلال القرون الوسطى: ولا شك أنكم سمعتم بمصير كبار العلماء ومشاهير المكتشفين والمخترعين وكيف أنهم حينما طرحوا أفكار لا تروق للكنيسة ولا تشبه أفكارها حكم عليهم بالإعدام، وفي هذا الإطار حكمو على «غاليلو» بالموت، إنهم يحكمون بالإعدام حتى على الذين يطرحون أفكاراً علمية تخص الأفلاك والكواكب والأرض وبقية مظاهر الطبيعة، ويحرقون بعضهم الآخر بالنار، ويعذبون بعضاً منهم بأشكال العذاب!!

وهكذا وصل الوضع في بلدنا إبان السنوات الأخيرة من العهد البائد، إذا أرادوا المضي قدماً في الحكم الاستبدادي، ومع اضفاء صفة دينية عليه بالقوة والقهر والتزوير، وحاولوا إظهار الحاكم المستبد الذي صار بعده عن الدين حديث الناس في كل مكان وجلياً لكل ذي بصيره، حاولوا إظهاره بمظهر تأييد الدين وحمايته، وأنه رأي في المنام العباس بن أمير المؤمنين، والإمام المهدي صاحب الزمان، وفي عهد آخر كان ادعاء امتلاك شعاع السعادة الإلهية والاتصال بالأفكار الزرادشتية ذريعة أخرى بالنسبة للمستبدين.

على أي حال فإن هذه الأحداث التاريخية أدت إلى ظهور نمط من الأفكار بين صفوف الباحثين والعقلاء يقوم على أساس الزعم بأن الحكومة الإلهية «الدينية» حكومة استبدادية بالضرورة، وبالتالي فإنه إذا قامت حكومة شعبية في مجتمع ما فلا مجال فيه لحكم الدين، ونتيجة لذلك فإن الكثير من العلماء والمفكرين والمؤلفين طفقوا يرون أن هنالك تناقضاً وفروقاً واسعة بين الحكومة الدينية والحكومات الشعبية، ولا يمكن الجمع بينهما البته، وهذه فكرة سقيمة وباطلة وثمة كثير من الأدلة على سقمها وبطلانها»[1].

---

(١) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٢٩ ـ ٣١.

الفصل الرابع

الإمام أو ولي الأمر في الحكومة الإسلامية

الحكومة الدينية

يقول القائد السيد الخامنئي:

«المجتمع الذي يحمل أفراده إيماناً بالله ينبغي أن تكون الحكومة القائمة فيه، حكومة دينية اسلامية تطبق التعاليم الإسلامية، وتنفذ الشريعة والأحكام الإسلامية في حياة الناس.

وينبغي أن يكون على رأس تلك الحكومة شخص يتمتع بصفتين بارزتين وهما:

أولاً: أن يكون الأعلم بالأحكام والشريعة والفقه الإسلامي.

ثانياً: أن يتمتع بملكة ضبط النفس والسيطرة عليها من الوقوع في المعاصي وهو ما اصطلح عليه عرفاً بالعدالة.

والعدالة ملكة نفسية وخصلة روحية تمكن الإنسان من صيانة نفسه من ارتكاب الذنوب، واقتراف الآثام، بيد أنها لا تعني العصمة، فالخطأ يمكن أن يصدر من الناس العاديين، ولكنها تعني عدم التعمد في ارتكاب المعصية أو الإصرار على مقارفة الذنب. . .

هاتان السجيتان ونظام ولاية الفقيه

هاتان السجيتان من الضروري توفرهما في الشخص الذي يريد تطبيق الأحكام الإلهية والقوانين الإسلامية في المجتمع الإسلامي وقد صرح دستور دولتنا بذلك في باب ولاية الفقيه، فنظامه هو الطابع المميز لدستور الجمهورية الإسلامية، والصفة الغالبة على الشكل العام لمجتمعنا، أي أن ولاية الفقيه تلحظ بوضوح في كل شأن من الشؤون المهمة والأساسية لهذا المجتمع وآثارها مشهودة، في اعطاف المجتمع وحناياه.

معنى ولاية الفقيه

يتابع القائد الخامنئي حديثه: فيوضح معنى ولاية الفقيه في الحكومة الإسلامية قائلاً «الموضوع الذي ينبغي الإلتفات إليه جيداً هو أن ولاية الفقيه تعني حكومة ذلك الشخص المطلع العالم بالدين، وسلطة العارف بشؤون الدين، والذي يتمتع بالعدالة أيضاً، وذلك وفقاً للشرائط والصفات التي وردت في الدستور بالنسبة لفقيه الثورة وقائدها الذي يدير شؤون المجتمع ويشرف عليها، فالدستور يصرح أن القائد ينبغي أن يكون «مديراً» و«مدبراً» وهاتان الصفتان بعد صفتي الفقهاهة والعدالة، إذ لا بد للفقيه العادل إذا أراد أن يقوم بإدارة المجتمع دون الوقوع في المطبات والمنعطفات الحادة أن يكون خبيراً بشؤون العالم والناس، وينبغي أن تتوفر فيه صفة «الحكمة» و«الحنكة» السياسية، وبالرغم من أن الصفتين الأساسيتين «هما الفقاقه والعدالة» إلا أن هذه الصفات الثانوية لها أهميتها في الدرجة الثانية بعدهما. . .

البرهنة على ولاية الفقيه

ويتابع القائد السيد الخامنئي قائلاً «وأعتقد أننا لسنا بحاجة إلى دليل نقلي «روائي» للبرهنة على «ولاية الفقيه» على الرغم من أن الأدلة النقلية الروائية متوفرة في القرآن والحديث، وكلها تدل على حكومة الفقهاء والعلماء

الربانيين، بيد أننا لو لم يكن لدينا أي دليل نقلي على حكومة الخبراء بالدين في المجتمع الإسلامي، فإن العقل والأدلة المنطقية تشير إلى حقيقة أنه من أجل تطبيق الأحكام الإلهية وتنفيذ القوانين الدينية في المجتمع لا بد أن يتصدى لذلك أشخاص يمتلكون الأهلية، والكفاءة والصلاحية اللازمة في هذا المضمار ممن لديهم اطلاع ومعرفة بالشؤون الدينية، وهذا يكفي للتدليل على هذه الحقيقة دون الحاجة إلى نقل ما ورد في الآيات والأحاديث، وخصوصاً إذا كان الطرف المخاطب يحمل مثل هذا الإعتقاد بصورة تطبيق الأحكام الإلهية والقوانين الإسلامية، في المجتمع ويرى أن هذا من مستلزمات الإيمان بالله وبالإسلام إذ من البديهي في المجتمع الذي تُدار ادارته وفقاً للأحكام والقوانين الإسلامية أن يحكمه ويدير أمره مطلع وعارف بهذه الأحكام.

اشراف الولي الفقيه على جميع المراكز الحساسة في المجتمع الإسلامي

ويتابع السيد الخامنئي قائلاً: «إن اشراف الولي الفقيه على جميع المراكز الأساسية والمرافق الحساسة في المجتمع أمر ضروري، وقد استجاب دستورنا لهذه الضرورة ولباها، لأنه قد مكن الولي الفقيه بالفعل أن يمارس هذا الإشراف كما ورد بدستور الجمهورية الإسلامية على جميع المراكز الحيوية والحساسة في هذا المجتمع وله حضور فاعل ومؤثر فيها، وهذا أمر ليس بحاجة إلى دليل وبرهان، بل العجيب هو ما قد يطرحه بعض الأشخاص مما يعدونه دليلاً على رفض ولاية الفقيه ودحضها؛ وطبعاً إذا كان ثمة مجتمع ليس لديه أدنى اهتمام بالقيم الإلهية والمعايير الدينية، فإنه يرضى أن يكون على رأسه امرؤ يفتقد إلى أي من الأخلاق الإنسانية، وأن يكون الحاكم فيه شخص محترف لفن مثلاً، أو ثري ذو أموال طائلة ليقوم بتسيير عجلة الأمور فيه.

أما المجتمع الملتزم بالقيم الإلهية والقائم على اعتناق عقيدة التوحيد والنبوة والشريعة الإلهية فإنه لا يرى بداً من القبول بأن يكون على رأسه شخص عالم بالشريعة الإسلامية والتعاليم الإلهية، وتتجسد فيه الأخلاق الفاضلة، وتتجلى فيه الخصال الحميدة، ولا يقترف الذنوب، ولا يرتكب المعاصي، ولا يقع عمداً في الخطأ والاشتباه، غير جائر ولا ظالم، ولا طامع في شيء من الحطام لنفسه بل يتحرق لخدمة الأخرين، ويفضلّ إقرار القيم الإلهية على القضايا الشخصية الأمور الذاتية والمصالح الفئوية»[1].

تنفيذ حكم الشعب والحضور في مجالي التشريع والقضاء

يتابع القائد السيد الخامنئي: يقف على رأس السلطة التنفيذية في البلاد رئيس الجمهورية الإسلامية، الذي يتم انتخابه من خلال آراء الشعب ويعين في منصبه عبر ومن خلال تنفيذ الإمام لرأي الشعب وحكمه وامضاء هذا الرأي والحكم أي أنه في الحقيقة معين من قبل الإمام أو ولي الأمر.

الشعب ينتخب شخصاً من بين الأشخاص اللائقين لرئاسة الجمهورية، ثم يقوم الإمام بتنفيذ رأي الشعب وتعيين هذا الشخص المنتخب رئيس للجمهورية، أي أنه إن لم يصادق الإمام على انتخابه لن يصبح رئيساً للجمهورية فالإمام وهو الفقيه العادل ولي أمر المسلمين يمسك زمام الأمور بشأن تعيين أعلى مسؤول تنفيذي في البلد.

على صعيد السلطة التشريعية المقننة حيث يعين الإمام ستة من الفقهاء العدول في مجلس صيانة الدستور، وهذا يعني حضور الإمام معنوياً في مجال التشريع القانوني في البلاد، فبدون تسجيل الإمام لحضوره في هذا المضمار، لا تكون عملية التقنين قد تمت تحت نظر الولي الفقيه واشرافه.

---

(١) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٢٤ ـ ٢٦.

وعلى صعيد السلطة القضائية حيث يسجل الإمام حضوره المعنوي من خلال تعيينه رئيس ديوان القضاء الأعلى والمدعي العام في البلاد، وهذان المسؤولان تنتهي إليهما جميع الشؤون القضائية في البلاد، وهما في الحقيقة نائبا الإمام وممثلاه في هذين المجالين ومن خلالهما يتم الإشراف على سير هذين المجالين.

الولي الفقيه له حضور فعّال ودور أساسي في المجتمع الإسلامي

ويتابع سماحة القائد قائلاً: إذن فالولي الفقيه له حضور فعال ودور أساسي في المجتمع الإسلامي سواء على صعيد السلطة التنفيذية أو السلطة المقننة «التشريعية» أو السلطة القضائية.

وطبعاً فإن صلاحيات الفقيه لا تنحصر في هذا الإطار، وتتجاوز ذلك بكثير، ففي الجيش والقضايا العسكرية، وفي اعلان الحرب وبدئها، وفي ختامها واعلان السلم، وفي تعبئة القوى وحشدها، وفي كل الشؤون التي تعد من القضايا الأساسية المهمة في المجتمع الإسلامي، ترى للولي الفقيه سلطة ودوراً وحضوراً فاعلاً طبقاً للدستور، ووفقاً للمقاييس العقلية التي يجب أن تجري الأمور بموجبها في المجتمع الذي يتوجب قيام الحكومة الإسلامية فيه...»[١].

الولي الفقيه تجسيد للمدرسة الدينية السياسية

ويوضح سماحة القائد الخامنئي الصورة بقوله: وخلاصة القول أنه في المجتمع الذي يؤمن أفراده بالله تعالى ويعتقدون بالدين والشريعة الإسلامية ينبغي أن يكون الحاكم شخص يتجسّد فيه الدين والمنهج «اللذان يؤمن بهما المجتمع» وتكون حكومته مستلهمة من ذلك المنهج والدين، وطبعاً فإن

---

(١) الحكومة الإسلامية ـ للإمام الخامنئي ص٢٥ ـ ٢٧.

حكومته تختلف عن الأنماط السائدة من الحكومات في العالم المعاصر، فهي ليست حكومة جور وظلم وتعسف، بل هي حكومة الأخلاق والدين والحكمة المعروفة، والأخوه.

فالإمام وولي الأمر، يكون أخاً لباقي أفراد المجتمع الإسلامي تربطه بهم أواصر الأخوة ووشائج المودة. وهذه الحكومة هي حكومة ولي الأمر، وحكومة الدين في المجتمع الإسلامي، وينبغي أن تتجسد بوضوح في جميع المراكز الأساسية والمرافق المهمة في المجتمع، وهذا ما يتجلى بوضوح في بلدنا حسب دستور الجمهورية الإسلامية» ويضيف القائد الخامنئي قائلاً: «ويحدونا الأمل في أن يتمكن مجتمعنا الإسلامي من التحرك نحو أهداف الإسلام العليا، وتطبيق أحكام الفقه الإسلامي بشكل كامل في كل شؤون حياته وعلى كل الصعد، وسيكون وجود الولي الفقيه ونظام ولاية الفقيه سنداً لنا، وظهيراً للانطلاق باتجاه بسط حاكمية الإسلام يوماً بعد يوم في جميع مجالات حياتنا الجماعية والفردية، وهذا هو المستقبل الذي ينبغي انتظاره، والسعي من أجله»[1].

صور تعيين الله للإمام والولي

يقول سماحة الإمام الخامنئي: الإمام أو الولي هو القدوة والنموذج والحاكم المعين من الله تعالى، وعندما نقول إن تعيين الإمام والقائد من الله نريد بذلك الإشارة إلى صورتين:

١ ـ أن يعين الله الإمام باسمه وعلاماته الخاصة كما عين النبي أمير المؤمنين والحسن والحسين وسائر الأئمة.

٢ ـ أن لا يعينه باسمه بل بصفاته وشروطه «فأما من كان من الفقهاء

---

(١) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٢٧ ـ ٢٨.

صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه»[1].

فقد عين الإمام بهذه الرواية وغيرها صفات وشروط القائد والإمام ولم يذكر اسماً معيناً فكل شخص تنطبق عليه هذه الشروط يكون إماماً له. فهو صاحب الراية وحاملها، ذلك الذي يتبعه المسلمون أينما سار، يجب أن يعين هذا الإمام من الله تعالى، يجب أن يكون عادلاً مدبراً ذا إرادة قوية وشجاعة، وعلى هذا تستلزم الولاية القرآنية حتى أراد الكيان الإسلامي «الأمة الإسلامية» أن يكون كياناً ناهضاً متحركاً قوياً فعليه أن يحكم علاقته بقوة مع ذلك المركز والقلب النابض بحرارة وقوة «الإمام»[2].

النبي الأعظم نموذج للحاكم الإسلامي

يقول سماحة القائد السيد الخامنئي:

«يقول تعالى لرسوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[3].

هكذا ينبغي أن يكون الحاكم في المجتمع الإسلامي متواضعاً بحيث أن النبي حينما كان يجلس مع أصحابه في المسجد كان يأتي بعض العرب المسلمين حديثاً، فيدخلون المسجد ويرون المسلمين جالسين في حلقة جلسة تواضع لا يعرف فيها من هو الرسول، فيسألون أيكم رسول الله؟!.

كان العرب يأتون ويتحدثون مع الرسول فيحدثهم ببساطة، وبكلمات مفهومة بعيدة عن التعقيد، لكن بعضهم كان يستعمل الخشونة والفظاظة في

(١) وسائل الشيعة مجلد ١٨، ص٩٥.

(٢) الإمامة والولاية للإمام الخامنئي ص٤٤ ـ ٤٥.

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩.

الكلام ولو كان المخاطب غير رسول الله لغضب منهم، ولم يطق ما يقولونه، لكن النبي كان واسع الصدر حكيماً أمام كل ذلك.

كان يوسع دائرة دين الله ويمده بمستلزمات القوة بالاعتماد على حفنة من الناس، يضرب بهم أعداء الله، ويقيم صرح حكومة شعبية بكل ما للكلمة من معنى، وفي مثل هذه الحكومة يشعر الناس بالحب والمودة نحو المسؤولين، ويروي المؤرخون أن أبا سفيان حينما جاء لأخذ الأمان من الرسول ليلة فتح مكة رأى منظراً أصابه بالذهول والدهشة فقد شاهد الرسول يسبغ الوضوء والمسلمون يتنافسون على ما يقطر من ماء وضوءه فيبللون به أيديهم، ويمسحون به على وجوههم ورؤسهم تبركاً به، وهذا يعكس المنزلة المعنوية لنموذج الحاكم الإسلامي».

نموذج آخر لأمير المؤمنين علي عليه السلام

أما أمير المؤمنين عليه السلام فهو الآخر نموذج كامل للحاكم الإسلامي الشعبي فعلي بن أبي طالب هو ذلك الحاكم الوحيد الذي اجتمع على بيعته عامة الشعب، واقبلوا عليه بقضهم وقضيضهم وطلبوا إليه بالحاح واصرار أن يكون حاكماً لهم.

يقول الإمام علي: فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي، ينثالون علي، من كل جانب، حتى قد وُطيء الحسنان، وشُق عطفاي مجتمعين حولي...»[1].

كان الإمام علي أول من اجتمع لانتخابه ذلك العدد الغفير والجمهور الحاشد من المسلمين، وطلبوا إليه النهوض بمسؤولية الحكم، لقد أبدى الناس كل ذلك الإصرار لأنهم كانوا يرون أنه الأكثر لياقة وكفاءة لإدارة

(١) نهج البلاغة ج٣ ص٥ الصالح..

أمورهم، إنه كان منذ البداية يعيش في أوساط الناس، ويحمل العقائد الإلهية، ويتمتع بمناقبية السبق إلى الإسلام، ويحمل الكثير الجم من الفضائل التي كان معاصروه يفتقدونها، بمثل هذا الوضع وصل أمير المؤمنين إلى الحكم، ومنذ اللحظات الأولى لبدء هذه الحكومة الإلهية أعمالها كانت كل الأقوال والوصايا وجميع القرارات والتعليمات وكل التصرفات لصالح عامة الناس ولتحقيق الخير للمسلمين ولا يمكن طبعاً الحديث عن أمير المؤمنين بيسر وسهولة، فعظمة هذا الإنسان تتجلى في جوانب عديدة من حياته بحيث يعجز العلماء والعباقرة والمفكرون والشعراء والأدباء عن الحديث بشأنه والخوض في مناقبه وفضائله كما تستحق من الوصف والثناء. . . .»[١].

يقول أمير المؤمنين: أأقنع من نفسي بأن يُقال هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش»[٢].

وقال عليه السلام قبل ذلك: وإن إمامكم قد اكتفى من الدنيا بطمريه، ومن طُعمه بقرصيه ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن اعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد»[٣] وفي ذات الخطبة يقول عليه السلام «. . . ولكن الله سبحانه وتعالى جعل رسالة أولى قوة في عزائمهم، وضعفه فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأسماع والأبصار أذى»[٤].

قال ابن عباس دخلت على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي ما قيمة هذا النعل؟ فقلت له: لا قيمة له! فقال عليه السلام «والله لهي أحب

---

(١) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٣٩ ـ ٤١ وص٤١ ـ ٤٢.

(٢) نهج البلاغة الرسالة ٤٥.

(٣) نهج البلاغة رسالة ٤٥.

(٤) نفس المرجع وراجع الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٨٢.

إلي من امرتكم إلا أن أُقيم حقاً أو أدفع باطلاً»[1].

الحاكم في زمن غيبة الإمام المعصوم

عندما يكون الإمام المعصوم موجوداً فلا ينبغي أن يتقدم عليه أحد، لأنه الحاكم الشرعي للأمة، والمؤهل والمعد إلهياً لقيادتها، والمتقدم على الإمام الشرعي، غاصب وصاحب سلطة وحكومة فعلية لاحظ لها من قريب ولا بعيد من الشرعية، وهو عاص لله ولرسوله لأنه قد خالف أمرهما.

أما في زمن غيبة المعصوم

فيقول سماحة القائد السيد الخامنئي:

«أما بعد عهد الأئمة المعصومين، وحيث لا يوجد شخص معين قد نصب من قبل الله كحاكم للمجتمع فإن المناط في تعيين الحاكم أمران هما:

١ ـ حيازته صفات حددها الإسلام كالعلم والتقوى والاقتدار والاخلاص والمزايا الأخرى للحاكم.

٢ ـ قبول الناس به واجتماع كلمتهم عليه، فإن لم يعرف الناس ذلك الشخص الحائز على مواصفات الحاكم أو لم يقبلوه على الرغم من توفر الشروط اللازمة توافرها فيه، فإنه ليس حاكماً، وإذا كان ثمة شخصان حائزان على تلك المواصفات وقبل الناس أحدهما، فإنه هو الحاكم، إذاً فقبول الأمة ورضاها شرط من شروط الحاكمية.

البحث والتفتيش عن الحاكم المناسب.

ويتابع سماحة القائد الخامنئي قائلاً: وهذا الأمر نفسه وارد في دستور الجمهورية الإسلامية في إيران حتى في ما يخص القائد «إذ ينص الدستور

---

(١) الحكومة الإسلامية للإمام الخامنئي ص١٤٨.

على كونه مجتهداً عادلاً، مديراً مدبراً ذا رأي وبصيرة، قد عرفه الناس، ووصل إلى مرتبة المرجع الديني الذي يقلده الناس ويظهرون الرغبة فيه والاقبال عليه، فإذا لم يعرف الناس مثل هذا الشخص، فإن خبراء الأمة يبحثون عنه، ويحاولون تشخيصه، فإذا شخصوه وعرفوه بادروا إلى تعريف الأمة به... وهكذا في ما يخص رئيس الجمهورية حيث تجري الانتخابات لاختياره من قبل الناس من بين الأشخاص الذين تتوفر فيهم الشروط اللازمة وهكذا ترون أهمية الدور الذي يلعبه الناس في تعيين الحاكم الإسلامي وعلى صعيد المستويات العليا للحاكمية والولاية...»[1].

(١) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٥٢ ـ ٥٣.

الفصل الخامس

القانون والقضاء في الحكومة الإسلامية

القانون في الحكومة الإسلامية

يوضح القائد السيد الخامنئي الجانب القانوني من الحكومة الإسلامية بقوله:

أما على صعيد القوانين فإننا نرى أنه في مثل هذا المجتمع تسود القوانين الإلهية مئة بالمئة، فلا تتم عملية التقنين وفقاً للأهواء والميول النفسية والأغراض البشرية، بل تستمد الأحكام والتشريعات من منبع الوحي الإلهي، وهذا من جملة المعطيات الناتجة على الاعتقاد بالتوحيد والتي بدأنا نجني ثمارها في مجتمعنا المعاصر.

السعي لانطباق القوانين السارية مع النصوص الإسلامية

يقول القائد السيد الخامنئي: إننا نسعى لتكون قوانيننا إلهية، «فمجلس الشورى الإسلامي» ومجلس صيانة الدستور اللذان يمثلان معاً السلطة المقننة لدينا يسعيان لتكون القوانين التي يصادقان عليها قوانين متطابقة مع الكتاب والسنة ومع النصوص»[1].

---

(١) الحكومة في الإسلام ـ تأليف الإمام الخامنئي ص١٦ ـ ١٧.

القانون هو العلاج الأولي للإستبداد

يقول القائد السيد الخامنئي «إن القانون يعتبر العلاج الأولى لمعالجة الإستبداد، في العالم المعاصر يتظاهرون أحياناً بتأييد القانون، ولكنهم ينقضونه وحينما يزداد طغيانهم ويتجاوز كل الحدود فإنهم يتجاهرون بخرق القانون، إن أصحاب القوة وذوي الاقتدار لا يعبأون بالقانون مطلقاً، . . .

العلاج القانون الثاني

يقول القائد السيد الخامنئي. . . وهنا يلزم أن يكون ثمة علاج آخر بالإضافة إلى القانون، ولهذا فكر المصلحون والمفكرون والمطلعون على القضايا الإجتماعية في الحصول على هذا العلاج طيلة العهود المنصرمة، فوجدوا ثمة أمرين يجب توافرهما للحيلولة دون انتهاك القانون وخرقه وهما:

١ ـ الرقابة الشعبية وحق إشراف الشعب وممثليه علي سير الأمور.

٢ ـ وجود الجهاز القضائي المستقل القوي والقادر على منع أي مخالفة للقانون دون أي تهاون مع كل مخالف للقانون أياً كان، وتقديمه للمحاكمة لينال جزاءه العادل، والحرص على تنفيذ القانون.

وهذا ما أقره الإسلام، وأكد ضرورته، فورد التأكيد على تطبيق القانون، وكذلك التأكيد على الحزم والصلابة من أجل تنفيذ القانون قال تبارك وتعالى ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾[1].

والمقصود هنا تطبيق القانون الذي يضمن نشر العدل، وسيادة الحق

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

بموجبه، فالحق لا يعني شيئاً بدون القانون، ولا يمكن تطبيقه لأنه إذا لم يتجسد في إطار مجموعة وإطار قانوني لا يمكن تشخيصه بتاتاً، وبخلاف ذلك يستطيع كل امرء أن ينسب ما يريده وما يقوم به حسب رأيه هو بالحق وحول قضية الإشراف الشعبي ورقابة عامة الناس، فإنها إحدى الوظائف التي وضعها الإسلام على عاتق الشعب، وفي الحديث المروي عن المعصوم «واجب النصيحة لأئمة المسلمين». . .[1].

القوانين في ظل الحكومة الإسلامية

يقول سماحة القائد السيد الخامنئي:

«من الواجب أن تضع الحكومة القوانين في البلد، وتتخذ الضوابط اللازمة وتعمل بموجبها، ليتسنى لها إدارة المجتمع والبلد، وإذا تقرر أن لا يكون الناس ملزمين ـ من الناحية الشرعية في العمل بموجب تلك القوانين، وإذا لم يكن من الواجب أن يسمعوا لها ويطيعوا، وأن يتركوا ما تريده منهم الدولة الإسلامية والحكومة الإسلامية، فالنتيجة هي أن إقامة تلك الحكومة عمل لا جدوى منه ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾[2] ومثل تلك الحكومة لا يصغي أحد لما تقوله، ولا يأتمر أحد بما تأمره به، وقوانينها غير واجبة الإتباع لا بد أن تزول وتحل محلها حكومة ظالمة وسلطة ليست على الحق.

متى تتمكن الدولة الإسلامية والحكومة الإسلامية من إدارة المجتمع بشكل كامل؟ الجواب حينما تضع القوانين بكل دقة وحذر وفي إطار الشرع المقدس في الإسلام، وتنفذها عملياً ويطيعها الناس في المقابل، ويسلموا لها

---

(١) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٢٥ ـ ٢٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٢.

تسلمياً كاملاً بحيث يسمعون لها ويطيعون وينفذون ما تطلبه منهم.

وهنا ترشدنا إلينا إحدى خطب أمير المؤمنين حيث يقول «أيها الناس إني لي عليكم حق، ولكم علي حق، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم، وتعليمكم كيلا تجهلون، وتأديبكم كيما تعلموا.

أما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم»[1].

إذاً فللحاكم حق على الناس، وفي المقابل فإن للناس حق على الحاكم... فلكل من الطرفين حق على الطرف الآخر، وينبغي لكل منهما أن يعرف ما هو حقه فيؤديه، وهنا نلاحظ أن أمير المؤمنين يوضح أولاً حق الناس على الحاكم، لقد تضمن كلام أمير المؤمنين حول حق الناس على الحاكم أربع عبارات مهمة وحساسة للغاية، وحينما يتحدث عن حقه على الناس نراه يطلب منهم أن ينصحوه... يقول لهم إن كان في عيب أو نقص، لا يريد مدحاً ولا ثناء ولا مجاملة، إنما يطلب من شعبه طرح العيوب كما هي، ثم يطلب منهم أن يسمعوا له ويطيعوه وهذه إشارة ضمنية للقوانين والضوابط....

وجوب إطاعة الحكومة الإسلامية

يتابع سماحة السيد الخامنئي قائلاً... فعلي بن أبي طالب كان يتحدث باعتبار كونه حاكماً إسلامياً، وليس بناء على كونه إماماً معصوماً تجب على كل المسلمين طاعته سواء شاؤا أم أبو وسواء أكان على رأس الحكومة أو لم يكن وإنما كان يتحدث بصفته حاكماً إسلامياً، هذه إحدى خصائص الحاكم الإسلامي بشكل عام فحينما يطلب إلى الناس القيام بأمر ما فعلى الناس أن

---

(١) نهج البلاغة ج٣ ص٥ الصالح...

يلبوا طلبه، هذه أيضاً إحدى خصائص الحكومة الإسلامية. . .»[1].

ولا بد من ملاحظة أن سماحة القائد السيد الخامنئي قد وضّح تحت عنوان تنفيذ حكم الشعب في مجال التشريع والقضاء متى يكون القانون إسلامياً واجب التنفيذ، وقد سقنا ما قاله الإمام، فمهمة مجلس صيانة الدستور منصبة على بيان مدى مطابقة القوانين التي يصدرها مجلس الشورى الإسلامي لإسلام، فإن لم تكن مطابقة يردها مجلس صيانة الدستور، ولا تصبح لها قيمة إلا بموافقة المجلس وهذه ضمانة عملية كافية، وعند استعراضنا لدستور الحكومة الإسلامية سنعالج هذا الموضوع بتوسع.

القضاء في الحكومة الإسلامية

يقول السيد الخامنئي:

. . . أما بالنسبة للعامل الآخر وهو عامل السلطة القضائية فإننا نجد أن الإسلام قد أولى عناية فائقة واهتماماً كبيراً باستقلال السلطة القضائية وقوتها، ويمكن أن نجد ذلك واضحاً في عصر صدر الإسلام، من خلال الاهتمام الإستثنائي الذي أبداه الإسلام بأمر القضاء والقاضي المستقل.

إن عمل القاضي أكثر الأعمال حساسية، ولذلك ينبغي للقاضي أن يكون مستقلاً عن كل الفئويات، والتحزبات واللعب السياسية والاتجاهات السياسية المختلفة لئلا يكون لها تأثير في رأيه وحكمه.

ينبغي للقاضي أن لا يخضع لتأثير التهديدات والضغوط، وإذا ابتليت السلطة القضائية بالخلل والضعف والنقص، فإن ذلك يعني تفشي الفساد، وبدء الانهيار في المجتمع، مما يؤدي إلى القضاء على المجتمع قضاء مبرماً.

إن الناس يجب أن يطمئنوا بوجود جهاز يستطيع أن يأخذ لهم حقهم،

---

(١) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٥٨ ـ ٦٠.

ويشعر بمعاناتهم، ويمكنه الحيلولة دون مخالفة القانون وانتهاكه، وهذا الجهاز هو السلطة القضائية، ولهذا نرى كل الإحترام للقاضي في الإسلام.

نماذج من القضاء في الإسلام

يقول القائد السيد الخامنئي «في أحد الأيام كان أمير المؤمنين علي يمشي في أحد الشوارع فشاهد شخصاً يهودياً يرتدي درعاً كان قد فقده الإمام قبل فترة من الزمن فجاء أمير المؤمنين لليهودي وقال له «هذا الدرع درعي، فأنكر اليهودي ذلك وتحاكما إلى القاضي، فلما بدأت جلست المحاكمة قال الإمام: أيها القاضي هذا الدرع درعي وقد فقدته قبل مدة ووجدته الآن عند هذا اليهودي.

فوجه القاضي سؤاله لليهودي فأنكر ذلك، فقال القاضي لأمير المؤمنين هل لديك شاهد؟ فأجاب أمير المؤمنين لا، فقال القاضي بما أنك لا تملك شاهداً فإننا لا نستطيع أن نحكم بذلك الدرع لك، فسكت الإمام علي، ولم يعقب على حكم القاضي، وهنا حمل اليهودي الدرع وخرج من المحكمة، وأمير المؤمنين مطرق، إذ أُخذ درعه من قبل شخص يهودي بحكم قاضي مسلم، بيد أنه لم يعترض على ذلك، وبعد فترة من الزمن بينما كان أمير المؤمنين يهم بالذهاب من المحكمة جاء اليهودي وقال، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن دينكم دين الحق، وإنك يا علي امرؤ صادق، إن حكومة يجرؤ قاضيها على إصدار حكم ضد مصلحة أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ولا يستطيع الأخير أن يجبر مواطناً غير مسلم على اعطائه درعه لفقدانه الشاهد والدليل، هذه الحكومة لهي حكومة العدل، ودينها دين الحق، وقد آمنت بذلك، وهذا درعك فخذه. وهكذا قدم الدرع للإمام وأعلن إسلامه!!»[1].

---

(١) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص١٠٩ ـ ١١٠.

معالم الجانب الإجتماعي في الحكومة الإسلامية

يقول القائد السيد الخامنئي:

إن الإيمان بالله والإعتقاد بالتوحيد هما المنطلق نحو بلوغ المراد والهدف الإجتماعي الإسلامي، وينبغي أن تستلهم جميع القضايا الإجتماعية حركتها من منبع أصلي وأساسي، وتستهدي بنوره، وسيتبين لنا أن جميع القضايا الإجتماعية في الإسلام تستمد من فيوضات الإيمان بالله وبالتوحيد.

إن هذه الفرصة الثمنية فرصة قيام الحكومة الإسلامية ونشوء النظام الإسلامي، وفرصة تبلور لطف الله بعباده في هذه البقعة من الأرض علينا أن نعرف قيمتها، ونقدّر أهميتها، فقد كان شعبنا يُساق نحو الفساد والآثام ويُحث على المعاصي والذنوب، بينما يمكنه اليوم أن يتمتع بنعمة العيش مسلماً مؤمناً بالله، يمارس العمل الصالح، وقد مهد للجميع سبل المجاهدة في مقابل الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وفي مقابل الأعداء...

فلنغتنم هذه الفرصة، ولنسلك الطريق إلى الله، ولنجعل أخلاقنا أخلاقاً صالحة، ونملأ قلوبنا بالتقوى الإلهية، ولتكن التقوى نصب أعيننا، فآثارها تتجلى في جميع مجالات حياة الإنسان، وحينما نقرأ القرآن المجيد نجد أن التقوى قد اقترنت بكل عمل صالح أُمر به الإنسان، وهي أعظم رصيد يمكن للإنسان أن يتمتع به»[1].

---

(١) من خطبة لسماحة القائد في صلاة الجمعة ١٥/ ٤/ ١٩٨٣م، وراجع الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص١٩ ـ ٢٠.

معالم الجانب الاقتصادي للحكومة الإسلامية

يقول القائد السيد الخامنئي:

أما على الصعيد الاقتصادي فينبغي القول أن الإيمان بالله ذو تأثير كبير في البنية الإقتصادية للمجتمع، ففي المجتمعات المجردة من الإيمان بالله نرى أن هنالك تنافساً ونزاعاً بين الناس من أجل الحصول على المزيد من المكاسب المادية، إذ أن كل ما يستطيع المرء الاستحواذ عليه يكون من نصيبه، بينما الأمر ليس كذلك في المجتمع والنظام الإسلامي، فكل شيء هو من نصيب المجتمع في ظل هذا النظام، ولا يقتصر الحصول عليه على مجموعة معينة خاصة. يقول القرآن الكريم ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[1]. أي أنه موضوع تحت تصرفكم أيها الناس، وليس مسخراً لسلطة طبقة خاصة وهذا يشمل كلما يوجد في الأرض، وثمة آيات كثيرة من هذا القبيل في القرآن الكريم وكلها تخاطب الناس جميعاً، ونخلص منها إلى أن كل شيء في هذه الأرض مسخر للناس كافة، وليس لفئة أو طبقة خاصة تستحوذ على كل ما في الأرض، ويبقى الناس يعملون لهم، ولا يحصلون منهم في المقابل إلا على القوت.

لا يوجد مثل هذا الأمر في التفكير الإسلامي، وفي المنطق الإسلامي.

لا تسمحوا للسحاب والغبار بأن يغطي الأهداف

يقول القائد السيد الخامنئي: نحن بفقداننا للإمام اليوم قد فقدنا العين المبصرة للثورة الإسلامية، لذا يجب علينا أن نتصرف وبغياب هذه النعمة بشكل دقيق بأن نستعمل كل قوانا، وكل أحاسيسنا وشعورنا بشكل أوسع من قبل، يجب علينا أن نعمل أكثر من قبل ويجب علينا أن نفكر ونتحد حتى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

نستطيع القيام بواجباتنا، إن ثورتنا بحاجة إلى منابع صافية ومتدفقة من القدرات البشرية ويجب علينا أن نسعى لتسديد هذه الحاجة، وأن نعمل بوصية هذا الرجل العظيم الذي نلمس فقدانه فيما بيننا، إذا أردنا أن نسير مسيرة الثورة بنفس السرعة، والسعي بنفس الإستقامة والإتقان وعلى نفس النهج الواضح وبدون انحراف يميناً أو يساراً، يجب علينا أن نسعى أكثر لتحقيق الأهداف المشرفة ويجب علينا أن لا نتراجع من أجل الوصول إليها إن الخطر لا يكمن بتراجعنا أو تعبنا، الخطر الأكبر هو أن نضيع الهدف المرسوم وأن لا نراه، فيجب علينا أن لا نسمح للسحب والغبار أن يخفي هذه الأهداف والقيم»[١].

حماية الجمهورية الإسلامية

ويقول القائد السيد علي الخامنئي: انتبهوا إن طريق النجاة والصلاح والنصر على العدو الخبيث والمناور هي طريق رضوان الله تعالى، والتوفيق لتحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة هو عبارة عن وصايا الإمام الخميني العزيز، حيث كان يدعو كل فرد من أفراد الشعب إلى المحافظة على الإرتباط بالله تعالى والتوكل عليه، وعدم الخوف من أعداء الله، وكان يدعوهم أيضاً للمحافظة على الجمهورية الإسلامية والذود عنها.

يجب على كل الشعب الإيراني والمسؤولين أن يحافظوا على هذه الجمهورية الإسلامية التي تعتبر من أعظم تراث الإمام الخميني، ويجب أن يقفوا بوجه الأعداء، ويجب أن يعلموا أن الله معهم، وأن العدو مع كل خداعه ومكره ضعيف، وغير قادر، ويجب أن يعرفوا أن طريق سعادة الشعب الإيراني هو سلوك هذا الطريق، ونحن بإرشاد الإمام وهدايته قد عرفنا الطريق وسلكناه»[٢].

---

(١) الإمام الخميني اكما يراه الإمام الخامنئي ص١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) الإمام الخميني كما يراه الإمام الخامنئي ص١٠٥ ـ ١٠٦.

الإسلام أساس الحياة في إيران

يقول القائد السيد علي الخامنئي: «إن الحركة التي ابتدأها الإمام الخميني ومنذ عشرين سنة انتهت إلى تأسيس الجمهورية الإسلامية حيث جعل فيه الإسلام أساس الحياة وبتوفيق وعون من الله انتهى الأمر بالعزة للإسلام والمسلمين».

الفصل السادس

الولاية في الحكومة الإسلامية

معنى المجتمع الإسلامي

يقول القائد السيد الخامنئي: أن المجتمع الإسلامي هو تلك الجماعة التي ترجع في حاكميتها إلى الله، فهو مصدر تشريعها، ومقنن قوانينها فقوانين هذه الجماعة، قوانين إلهية، وحدود الله هي الجارية والذي يعين القائد أو يعزله هو الله، فإذا تصورنا المجتمع على شكل هرم كما يشاء بعض علماء الإجتماع، فإن دين الله سبحانه وتعالى هو قمة الهرم، وقاعدته هي الجماعة المسلمة، والذي يوجد الجماعة والتشكيلات هو دين الله، والقرار الرباني هو الذي يحدد وقت الصلح والسلام، أو الحرب والقتال، كما أن دين الله هو الذي يعين الروابط الاجتماعية والاقتصادية وهو الذي يشكل الحكومة، ويحدد الحقوق، وكل شيء على الإطلاق يمر من خلال دين الله وشريعته ورسالته، وعلى الجميع أن يتبعوا المنهج الذي يرسمه دين الله ، هذا هو المجتمع الإسلامي.

مجتمع الرسول الإسلامي

ويوضح السيد الخامنئي الصورة، فيستحضر مجتمع الرسول لغايات تعيين المجتمع الإسلامي فيقول: عندما جاء الرسول إلى المدينة أُسس

المجتمع الإسلامي، والله سبحانه وتعالى هو الحاكم على هذا المجتمع، ومن الناحية العملية والتنفيذية، كان المنفذ والحاكم الفعلي هو خليفة الله ووليه وهو الرسول، فكان يضع أو ينفذ المقررات الإلهية، وكان هو المسؤول عن هداية الناس، وقيادتهم، وإدارتهم، وكان كل شيء من الله سبحانه وتعالى في هذا المجتمع، فصلاة الجماعة كانت تقام، وتعقبها خطبة الرسول أو نداء للقتال لا فرق بين الاثنين.

التكامل بين مجتمع الرسول الإسلامي وبين المسجد

ويتابع الإمام الخامنئي قائلاً. . . كان الرسول يقوم إماماً للصلاة في المسجد، ثم يرتقي المنبر للموعظة والوصية بالتقوى والتربية وتزكية النفس، وفي نفس المسجد يؤتى براية الجهاد ليضعها الرسول بيد أُسامة بن زيد أو بيد قائد كفؤ آخر، ثم يقول انطلقوا على اسم الله، ثم يصدر أوامره التي تنتهي إلى انتصار المسلمين على أعدائهم، وفي نفس هذا المسجد كان الرسول يقيم الحدود الإلهية ويجريها، ويقضي بين الناس ويحل مشاكلهم، ويرفع نزاعاتهم. وكان المسجد هو مكان إدارة الأعمال، ودراسة المسائل الإقتصادية، تجمع الزكاة في المسجد، وتوزع منه، الدرس في المسجد والصلاة والدعاء والعبادة، كان نشيد القتال يردد «فضلاً فضلاً في المسجد، ولا تُدرس أمور الثروة والإقتصاد إلا في المسجد، ولم تجد أمور الدنيا والآخرة مكاناً تُتداول فيه غير المسجد، فكلها تشكل كياناً واحداً في وعاء واحد هو بيت الله وتحت قيادة الرسول هذا هو المجتمع الإسلامي.

المجتمع الإسلامي مصنع لإعداد الإنسان المتكامل

ويتابع سماحته قائلاً:

. . إنما جاء الأنبياء لبناء مثل هذا المجتمع، والذي يدخل هذا المجتمع يخرج منه إنساناً فاضلاً، وإذا لم يتكامل فهو لا يجد مجالاً يتحرك

فيه غير مجال حركة هذا المجتمع، ومن أراد أن يكون منسجماً مع مجتمع الرسول فإن بإمكانه ذلك، بينما لا نجد ذلك في المجتمعات المادية وغير الإلهية.

فالإنسان في المجتمع غير الإسلامي إذا أراد أن يكون فرداً صالحاً فهو لا يستطيع، يريد أن يكون من أهل الإيمان والتقوى لكنه لا يستطيع، لا يريد أن يأخذ الربا، أو يتعاطاه، لكنه يجد ذلك صعباً غير ميسور، تريد المرأة أن لا تخرج عن حدود الشريعة الإسلامية، فتواجه من المجتمع الضغوط التي تدفعها للسير في الاتجاه المعاكس.

كل الأجواء تبعد الإنسان عن ذكر الله، فالصور والمعارض، والذهاب والإياب والمعاملات والمحاورات تبعد الناس جميعاً عن ذكر الله وتجعل ذكر الله غريباً على النفس الإنسانية.

أما في المجتمع الإسلامي فالمسألة معكوسة، فإن السوق والمسجد ودوائر الدولة والأصدقاء والأقارب والآباء والشباب وكل من في المجتمع، وكل ما فيه يدعو إلى ذكر الله، ويجتذبه إلى ساحة مقدسة، ويجعله منسجماً مع ما يريده الله، ويوثق الروابط الإنسانية بالله، كل شيء في المجتمع الإسلامي يبعث على عبودية الله، وهذا بدوره يعد الإنسان العابد لله عبادة حقيقية، ويبعده عن العبودية لغير الله، ولو استدامت حياة المجتمع الإسلامي الذي أسسه الرسول على حالته مدة خمسين سنة، ولو كانت القيادة في ذلك المجتمع للرسول، أو لعلي بن أبي طالب، الذي عينه الرسول قائداً للناس من بعده، فإن جميع المنافقين سيتحولون إلى مؤمنين واقعيين في هذه الخمسين سنة، وأن أولئك الذين كانوا ضعاف الإيمان وفي منتصف الطريق، والذين يمزجون الحق بالباطل وهم يوماً مع هذا ويوماً مع ذلك إن هؤلاء سيتحولون إلى مؤمنين مخلصين، لو كانت القيادة نبوية ثم علوية.

إن أولئك الذين لم تعرف أرواحهم المعاني العميقة للإيمان سيعرفون الله والإيمان معرفة رفيعة، وهذا هو مقتضى طبيعة المجتمع الإسلامي، وهذا هو مبتغى الأنبياء وهدفهم، وهذا المجتمع هو المصنع الذي يعد وينتج الإنسان الكامل، وتخرج من هذا المجتمع مجاميع تعمل بالإسلام في الظاهر، وتؤمن بالإسلام في قلبها وأعماقها ولهذا الهدف أرسل النبي، ولمثل هذا الهدف كان يعمل».

القائد السيد الخامنئي يبين طبيعة علاقة المؤمنين مع بعضهم في المجتمع الاسلامي «الولاية»

يقول السيد الخامنئي: جاء النبي ليبني المجتمع المسلم وهو لانجاز هذا الهدف يحتاج إلى جماعة متراصة متحدة يشد بعضها بعضاً، وتسير بخطى كاملة نحو تحقيق هدفها... كانت فاتحة أعمال الرسول لإيجاد مثل هذه الجماعة المتراصة عن طريق تلاوة الآيات القرآنية والمواعظ الحسنة، حيث كان القرآن ومواعظ النبي التي تصدر من أعماق قلبه هما السبيل لإنشاء ذلك المجتمع... كانت بداية أعمال الرسول تجميع المسلمين ليشكلوا الجماعة الأولى والصف الأول، والجبهة التي تقابل جبهة الشرك،... ونواة هذه الجبهة تتألف من المسلمين الثابتين أصحاب الاعتقاد الراسخ والقلوب القوية... وكان على المسلمين في ذلك الحين أن يكونوا كالفولاذ إذا أرادوا لجبهتهم أن تكون مستقلة عن الجاهلية، وهي جبهة حديثة النشأة، قليلة العدد مع كثرة المشاكل والضغوط التي يخلقها المجتمع الجاهلي، كان عليهم الارتباط القوي، والاتصال المحكم حتى لا يستطيع أي عامل النفوذ إلى جبهتهم ليفرق بينهم، كانوا بأشد الحاجة إلى ما يسميه المثقفون هذه الأيام بالإنضباط الحزبي الحديدي عليهم الاتصال أكثر ما يستطيعون، والتفاعل بأقوى ما يقدرون، وعليهم الابتعاد ما استطاعوا عن الصفوف والتيارات المضادة لأنهم يشكلون أقلية... لأنه قد تُسحق شخصية الأقلية وعملها

وفكرها ضمن شخصية الأكثرية وتوجهاتها.

إذاً لا بد لتلك الجماعة من الإنسجام، والاتصال والوحدة، والانفصال عن سائر الجبهات الأخرى، من أجل أن تبقى هذه الجماعة متشكلة ومؤتلفه، وأساساً لبناء المجتمع الإسلامي الكبير القائم على أسس القوة والمتانة والثبات، ذلك المجتمع الذي تبنيه أيادي هذه الجماعة الصغيرة. . . إن حالهم كحال متسلقي الجبال. . . فمن أجل أن يصل هؤلاء إلي قمة الجبل لا بد أن يلتزموا بالوصايا التي تقدم لهم بهذا الشأن. . . التصقوا ببعضكم، شدوا الظهور سوية، لا تسيروا متفرقين، فإن من يبقى وحده قد ينزلق ويسقط. . . هذه الحالة الشديدة الاتصال والتفاعل تعتبر مثالاً واضحاً لحالة المسلمين الأوائل انسجاماً واتصالاً وتفاعلاً.

هل تقبل الانفصال والذوبان تلك العلاقة الصميمية بين المسلمين الأوائل الذين شكلوا الجبهة الإسلامية الأولى؟ ألم تكن هذه الجبهة منفصلة بنحو كامل عن سائر الجبهات المضادة فكراً وسلوكاً ومبدأ وغاية؟ مع أنه شديدة الالتحام والتفاعل، فالايادي متشابكة متلاصقة، والقلوب متوحدة، والاجساد متراصة، والمسلمون يشد بعضهم بعضاً، كالبنيان المرصوص.

هنالك اسم لهذه العلاقة الإلتحامية، ولهذه الجبهة المتميزة، والتي شكلتها مجموعة من الأفراد ذوي الفكر الواحد، والطموح الواحد، والهدف الواحد والواضعين خطاهم في طريق واحدة، والمتحركين من أجل غاية واحدة، والذين يعتقدون بعقيدة واحدة، هؤلاء الذين كانوا يلتحمون ويتآزرون فيما بينهم بقوة تشتد يوماً بعد يوم، وكانوا متمايزيين عن باقي الجبهات والتيارات والرؤى الفكرية بصورة واضحة على كل المستويات الفكرية والسلوكية وهم يحافظون على تميزهم واستقلالهم هذا.

لأنهم لا يريدون الذوبان والتحلل في الآخرين، كان الرسول هو الذي

أوجد تلك الجماعة المتفاعلة المنسجمة، فآخى بينهم، ووحدهم وحولهم إلى جسد واحد، ومن هذا الكيان المنسجم تولد المجتمع الإسلامي وقد فصلهم الرسول وأبعدهم عن أعدائهم ومخالفيهم ومعانيديهم وعن سائر من يعاديهم . . .

وقد أوجد الرسول حاجزاً بين المسلمين وبين سائر الجبهات ومنعهم من تكوين أية علاقة مع جبهات اليهود والنصاري والمشركين وكان يسعى ما أمكنه ليجعل الصفوف الإسلامية متصلة محتشدة، متوحدة متفاعلة منسجمة، لأنهم إن لم يكونوا على هذه الحالة، ولم يكن بعضهم يوالي بعض، لا يستطيعون حمل الأمانة الملقاة على عواقتهم وسوف يعجزون عن النهوض بها، وإيصالها إلى غايتها المنشودة، ونهايتها المطلوبة.

«وقد أطلق القرآن الكريم على هذا النسيج الخاص من العلاقات بين المسلمين مصطلح الولاية، بمعنى أن المؤمنين يوالي بعضهم بعضاً».

وعندما يتحول المجتمع الإسلامي «الصغير» إلى أمة عظيمة تبقى ضرورة الولاية قائمة»[1].

ما كان بامكان الشيعة أن تبقى لولا الولاية

ويتابع القائد الخامنئي قائلاً:

«المجتمع الصغير يلزمه الإلتحام والإرتباط القوي، وهو يعيش في دنيا يخيم عليها الظلام، وتحكمها الجاهلية، لا بد له من ذلك الإلتحام والإنسجام من أجل البقاء والديمومة، فلن يكون له وجود وحياة إذا لم يكن متصلاً منسجماً متفاعلاً، ومثال ذلك المسلمون الأوائل الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، وكانوا يعيشون وسط المجتمع الجاهلي، ومثال آخر المجتمع

(١) الإمامة والولاية ـ للإمام الخامنئي ص١٩ ـ ٢٣.

الشيعي الصغير في عصور الخلافة الأموية والعباسية والتي كانت تنصب الكيد والعداء للإسلام، هل كان من اليسير بقاء تلك الجماعات المؤمنة. . مع شدة الحملات التشويهية وحملات الرعب والتجويع والاعتقالات والسجن والقتل؟ ما هو هدف كل هذه الحملات؟ ألم تكن تهدف إلى تذويب وسحق ذلك الجمع المنسجم فكراً وسلوكاً؟!

فتحت ظلال هذه الولاية أمكن بقاء الشيعة كمدرسة تواجه المدارس المعارضة. . . انظروا إلى هذا الصراع من أوله إلى آخره تجدون مجرى التشيع كالخيط الرفيع من الماء داخل ذلك الطوفان المهيب، فهو شيء وكأنه لا شيء، يُرى صغيراً وكأنه لا يرى، ولكنه كان محافظاً على وجوده، لم يصبه كدر المياه المختلفة ولم يتغير طعمه، أو يفقد صفاءه ونقاوته، ولم تستطيع التأثير فيه مذاقات المياه المختلفة، أو رائحتها، أو ألوانها، حافظ على بقائه مستقلاً وسلك مسيره وطريقه!! ما هو ذلك العامل الذي حافظ على وجوده ونقاوته واستمراره؟

إنه وجود الولي الذي كان يوحي بإنشاء علاقة الولاية بين أتباعه، وكان يربط بعضهم ببعض، ويجعل بعضهم رحيماً ببعض، وكان ينبوع هذه العلاقة، ويشجع عليها ويحفظها قوية بين أفراد جبهته وهذا بُعد من أبعاد الولاية عند الشيعة»[1].

القائد السيد الخامنئي يُعرّف الولاية

يقول سماحته «. . إن الولاية هي الاتصال والترابط والانسجام بين الأفراد والقرآن يعتبر المؤمنين فيما بينهم أولياء والذين آمنوا وأخلصوا يشكلون في منطق القرآن جبهة واحدة، ولقد ورد مصطلح المؤمن في رواياتنا تعبيراً

---

(١) الإمام والولاية للإمام الخامنئي ص٢٥ ـ ٢٦.

عن الشيعي، والإيمان بناء على هذا المصطلح هو الاعتقاد بالفكر الإسلامي الذي يعتمد على أساس الولاية، الإيمان هو الرؤية الإسلامية من خلال هذه الزاوية ونحن نرى أن الانسجام كان قوياً وشديداً في زمان الأئمة، وكانت الاخوه هي الظاهرة البارزة، كان ذلك من أجل المحافظة على التيار الإسلامي حياً صافياً متدفقاً على مر التاريخ، ولو لم تكن العلاقة بهذا الشكل القوي، فسوف يفنى الإسلام والمسلمون ألف مرة وتذوب أفكارهم وتصادر كما حصل ذلك لبعض الفرق الأخرى حيث فقدوا صبغتهم وذابوا وانتهوا»[1].

الإمام الخامنئي يُبيّن بعداً آخر للولاية وهو ولاية ولي الله

بعد أن بين سماحته أن البعد الأول للولاية هو ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً، ولإكمال الحلقة يريد أن يبين بعداً آخر للولاية وهو ولاية المؤمنين لولي الله، ولاية علي بن أبي طالب، ولاية الأئمة.

يقول سماحته: هنالك من يتخيل أن ولاية الأئمة لا تعني أكثر من محبتهم والانشداد القلبي لهم، وهذا وهم كبير، فليست الولاية محبة فقط، وهل يوجد في العالم الإسلامي من لا يحب الأئمة وأهل البيت وذوي القربى، فهل الكل موالون، وهل كان أولئك الذين قاتلوا الأئمة يبغضونهم،؟ كان الكثير منهم يحب الأئمة، ولكن حب الدنيا جعلهم يقاتلونهم، وكان الكثير منهم يعرف مقام الأئمة وسمو مكانتهم. . . ويسوق سماحته أمثلة على ذلك المنصور الذي أمر بدس السم للإمام، عندما بلغه خبر التنفيذ تألم وتحسر وتحطم قلبه، فهل يكون المنصور من أهل الولاية!!

لقد تصور البعض أن المأمون كان شيعياً؟ هل الشيعي من يعرف أن الحق مع الإمام الرضا ويكفيه هذا!! على ضوء هذا الفهم ليس المأمون فقط

---

(١) الإمام والولاية للإمام الخامنئي ص٢٥ ـ ٢٦.

شيعياً بل أبوه هارون الرشيد شيعي أيضاً، وكذلك المنصور ومعاوية ويزيد!!. . . إن الولاية أسمى من هذا المعنى الواسع. . . وقد اعتاد الشيعة في يوم ١٨ ذي الحجة وهو عيد الغدير أن يتداولوا هذا الدعاء «الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية علي بن أبي طالب. . . ولكن هل أننا من المتمسكين بهذه الولاية أم لا؟!

ويتابع السيد الخامنئي قائلاً «وخلاصة ما قلته أن ولاية الأمة الإسلامية، وولاية تلك الجبهة السائرة والمجاهدون في سبيل الله تعني العلاقة المتفاعلة والمنسجمة والمتصلة بين أفراد هذه الأمة وهذه الجبهة التي تظهر في العلاقات القلبية المشتركة والمتلائمة، وفي الاستقلالية الكاملة عن باقي الجبهات التي تحمل فكراً وتسلك سلوكاً مضاداً وتعمل في سبيل الغاء هذه الأمة، ومصادرة وجودها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي لا تعتبروا أولئك منكم، ولا تحسبوهم من جبهتكم وصفكم وأعضاء مجتمعكم وامتكم، ولا تجعلوا أنفسكم منهم أو من جبهتهم حتى على المستوى الذهني الافتراضي، لا تجعلوا عدو الله وعدوكم إلى جنبكم ومعكم، بل كونوا صفاً يقابله، وقفوا في وجهه وعارضوه. . .

أما البعد الآخر للولاية فهو الارتباط المستحكم بين كل مسلم من المسلمين وفي كل الأحوال مع قلب الأمة الإسلامية، هذا الإرتباط فضلاً عن كونه ارتباطاً فكرياً هو ارتباط عيني، فالإمام هو القدوة وهو المتبع في الأفكار والرؤى، وهو المطاع في الجانب السلوكي والعملي، فولاية علي تعني أن يتبع الإنسان علياً بأفكاره، وكذلك في سلوكه وعمله، وتكون له علاقة قوية مع علي لا تقبل الإنفصال هذا هو معنى الولاية، وعلى ضوئه يتفسر لنا فهم معنى الحديث القائل «ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي» هذا كلام دقيق عميق مفاده أن المسلمين وأبناء القرآن إذا تابعوا علياً في الجانب الفكري والسلوكي، فسوف يأمنوا من العذاب!!. . . إن قال

قائل أن القرآن عصي على الفهم فليس من أولياء علي وهذا الذي لا يفهم القرآن ليس مستعداً للتنازل عن مثقال واحد من أمواله أو راحته أو شخصيته . . .

الموالي للإمام علي هو الذي أحكم علاقته به بشكل غير قابل للإنفصال فكراً وسلوكاً . . . »[1] .

صورتا التعيين الإلهي للإمام والقائد

يقول سماحته عن الإمام . . . نسميه الإمام أي القدرة والنموذج والحاكم المعين بتعيين إلهي كما عين الله سبحانه إبراهيم : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[2] .

وعندما نقول إن تعيين الإمام، والقائد من الله نريد بذلك الإشارة إلى صورتين في التعيين الإلهي .

١ ـ أن يعين الله الإمام باسمه وعلاماته الخاصة كما عين النبي أمير المؤمنين والحسن والحسين وسائر الأئمة .

٢ ـ أن لا يعينه باسمه بل بصفاته وشروطه، كما ورد في حديث الإمام أبي محمد العسكري «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً هواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه[3] .

فقد عين الإمام في هذه الرواية وغيرها، صفات وشروط القائد والإمام، ولم يذكر اسماً معيناً، فكل شخص تنطبق عليه هذه الشروط يكون إماماً، وأريد بكلمة الإمام القدوة، والمقدم والحاكم وصاحب الراية

---

(١) الإمامة والولاية للإمام الخامنئي ص٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) وسائل الشيعة مجلد ١٨، ص٩٥.

وحاملها، ذلك الذي يتبعه المسلمون اينما سار، يجب أن يعين هذا الإمام من الله، ويجب أن يكون عادلاً مديراً ذا إرادة قوية وشجاعة عظيمة. . .، وعلى هذا تستلزم الولاية القرآنية وجود الإمام، ومتى أراد الكيان الإسلامي «الأمة الإسلامية» أن يكون حياً ناهضاً متحركاً قوياً يقظاً فعليه أن يحكم علاقته بقوة مع ذلك المركز والقلب المتحرك النابض بحرارة وقوة. .[1] وهو الإمام وهذا هو البعد الثاني للولاية.

البعد الثالث للولاية

يقول سماحته: أن المجتمع المسلم ليست له علاقة تبعية بالعناصر الغريبة عن الإسلام أي بغير المسلمين، خارج دائرة المجتمع الإسلامي. . .

ونحن لا نقول أن الإسلام والمسلمين يجب أن يعيشوا حالة انزواء سياسي واقتصادي وليس لهم ارتباط مع الأُمم والبلدان والقوى العالمية، بل ما نعنيه هو مسألة التبعية، والذيلية والذوبان، وما نثبته هو الاستقلال والوقوف بثبات من غير اعتماد على الكفار. . .[2].

---

(١) الإيمان والولاية للإمام الخامنئي ص٤٤ ـ ٤٥.

(٢) نفس المرجع ص٥٥.

الفصل السابع

الحكومة الإسلامية الشرعية

مكانة الولي أو الإمام

العنصر الأساسي والبارز في الحكومة الإسلامية هو الإمام، أو الولي أو خليفة النبي الشرعي، أو رئيس الدولة الإسلامية، لأن هذا الشخص قائم مقام النبي، ويتمتع بالأكثرية الساحقة من الصلاحيات والاختصاصات التي كان يتمتع بها النبي، فهو الذي يعين الولاة والوزراء والقضاة ويعزلهم وهو الذي يبين القرآن بياناً قائماً على الجزم واليقين، ويتمتع بصلاحيات هائلة دون رقيب عملي إلا مقدار دينه وتقواه وعلمه، فإذا لم يكن هذا الإمام أو الولي أو الخليفة الشرعي أو رئيس الدولة له صفات دينية مميزة فقد تغريه هذه الصلاحيات وينقلب إلى طاغية حقيقية ومن هنا احتاط الإسلام لهذه الناحية فاشترط أن يكون الإمام أو ولي الأمر هو الأعلم بالعقيدة، والأفقه لها، والأكثر إيماناً بها واخلاصاً لها، والأتقى والأرضى لله تعالى، وتلك صفات خفية لا يعلمها إلا الله، لذلك ورحمة من الله للناس قدم لهم هذا النموذج الفذ وأشار إليه على أنه الإمام والولي والقائد والخليفة الشرعي للنبي.

فالله وحده هو الذي اختار كل الأنبياء بلا استثناء، وهو الذي عينهم لقيادة الدعوة إلى العقيدة الإلهية، وهو الذي عينهم بقيادة الدولة في الحالات

التي تحولت فيها الدعوة إلى دولة، وذلك كحال موسى وهارون وداود وسليمان عليهم جميعاً أزكى الصلاة والسلام.

إن النبي الأكرم محمدﷺ هو ولي أتباعه لأن الله قد اختاره، وأتباعه أيدوا هذا الأختيار، وقبلوا بعقيدته كدين وقبلوا بشخصه كقائد لهم، للإعتبارات التي أسلفناها بوصفه المرجع في شؤون العقيدة كلها، وعندما تحولت دعوة النبي إلى دولة، أصبح النبي هو الإمام وهو الولي لكل الذين دخلوا بالدعوة وقبلوا بالعقيدة ولم يكتف الرسول الأعظم بذلك بل بايعه كل مسلم ورضي بولايته بالرضا وبغير إكراه، بما فيهم المنافقين الذين تظاهروا بالقبول.

الإمام والولي بعد وفاة النبي

لأن رسالة الإسلام هي آخر الرسالات السماوية، ولأن محمداً هو رسول الله وخاتم النبيين، ولأن العقيدة الإسلامية هي العقيدة التي ارتضاها الله نهائياً ديناً لخلقه، ولأن الاسلام قد بين كل شيء، وحتى تتجنب الأمة الطرق والدروب التي قادت الأمم السابقة إلى الإنحراف فقد اختار الله سبحانه وتعالى اثنى عشر إماماً ليقودوا الأمة بعد وفاة النبي وسماهم بأسمائهم وتسعة منهم لم يولدوا بعد، وأمر رسول الله أن يعلنهم للأمة، فصدع الرسول بأمر ربه وأعلن ذلك للمسلمين، ولم يعترض منهم أحد آنذاك، بل تظاهر الجميع بالرضا والموافقة، وكان أولهم علي بن أبي طالب ابن عم النبي، وأخوه وزوج ابنته ووالد سبطيه، وفارس الإسلام بغير منازع، وأعلم المسلمين وأقدمهم إسلاماً وإيماناً وثاني الأئمة هو الإمام الحسن، وثالثهما هو الإمام الحسين وهما ابناء النبي والتسعة الآخرون من أحفاد النبي ومن صلب علي يعين كل واحد منهم بعهد ممن سبقه، وزيادة في الإحتياط فإن الله قد أمر نبيه أن يتوج الإمام علي في غدير خم كأمير للمؤمنين وولي للمسلمين من بعد النبي، وأن يطلب من المسلمين الحاضرين ١٠٠ ألف أن يبايعوا الإمام بذلك

ففعل الرسول ما أمره الله به وبايع المسلمون الإمام علي بالفعل وكان على رأس المبايعين الخلفاء الثلاثة الأوائل[١].

بعد ذلك نزلت آية الإكمال وتمام النعمة وانصرف الناس وهم على علم كامل بالإمامة وولاية الأمر من بعد النبي، وبعد عودة النبي من غدير خم بقليل مرض النبي، وأراد أن يكتب وصيته وتوجيهاته النهائية للأمة، فحالت زعامة بطون قريش بين النبي وبين ما أراد كتابته، وقالوا له وجهاً لوجه، أنت تهجر، واشتد بك الوجع، ولسنا بحاجة إلى وصيتك!!! ومباشرة استولوا على السلطة، فأخرجوا الإمامة من معدنها، ووضعوها في غير محلها!! وكان الرسول في غدير خم قد أوصاهم بالثقلين كتاب الله وعترة النبي أهل بيته، وبين لهم أن الهدى لن يدرك إلا بالتمسك بهذين الثقلين، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً، وبعد يومين من موت الرسول هموا بأن يحرقوا بيت النبي، وابن عمه الإمام الذي اختاره الله، وابني النبي الحسن والحسين بالنار وهم أحياء!!

ماذا تقترح على الإمام علي أن يفعل، لقد طاف ومعه الزهراء والحسن والحسين على بيوت الأنصار بيتاً بيتاً طالباً النصرة ولم ينصره أحد!! هب أنه نبي وكذبه قومه فماذا يمكنه أن يفعل[٢].

١ ـ أن الإمام أو الولي أو القائد أو رئيس الدولة في الحكومة الإسلامية الشرعية يجب أن يكون عين الشخص الذي اختاره الله أو رسوله لهذه المهمة، لأن اختيار الله سبحانه وتعالى أو الرسول لهذا الشخص، يعني أنه

---

(١) راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة، وكتابنا الإمامة والولاية، وكتابنا المواجهة تجد مئات مراجع أهل السنة التي تؤكد هذه الحقائق.

(٢) راجع كتابنا نظرية عدالة الصاحبة، وكتابنا الإمامة والولاية، وكتابنا المواجهة تجد مئات مراجع أهل السنة التي تؤكد هذه الحقائق.

الأعلم والأفهم والأفضل والأتقى والأنسب لهذا المنصب.

فإذا كان الذي اختاره الله أو رسوله غير موجود، فالواجب يقضي بتنصيب عالم بالدين، ليتولى ولاية الأمر، فإن لم يكن فقيهاً عادلاً، فسوف يجر الدولة والشعب بوقت يطول أو يقصر إلى متاهات الضلالة والإنحراف!!

وحتى تكون الحكومة الإسلامية حكومة شرعية يجب أن تطبق قواعد الشريعة الإسلامية، فإذا كان رئيس الدولة أو ولي الأمر عالماً ولكنه لا يطبق أحكام الشريعة الإسلامية، فإن حكومته ليست حكومة إسلامية.

وحتى تكون الحكومة الإسلامية حكومة شرعية يجب أن تنال موافقة ورضا الأكثرية الساحقة من الأمة، أما إذا فرض الحكام أنفسهم على الأمة بالقوة والتغلب، والحديد والنار فإن حكومتهم ليست حكومة إسلامية شرعية.

وسواء أكانت الحكومة الإسلامية شرعية أو غير شرعية، فلا بد من وجود حكومة لأن المسلمين لا غنى لهم أبداً عن حكومة، ولكنها بهذه الحالة تكون حكومة طاغوتية.

الإمام علي عليه السلام، لما حالوا بينه وبين حقه بالخلافة ووضعوا الأمر في غير أهله لم يقل أبداً أنه لا ضرورة لحكومة رأسها غير شرعي، بل كان يرى ضرورة وجود الحكومة، حتى وإن كان رئيسها قد تعين بطريقة غير شرعية.

لأهل بيت النبوة والشيعة مطالعة خاصة على الحكومة الإسلامية

أهل بيت النبوة وشيعتهم لهم مطالعة خاصة بالحكومة الإسلامية التاريخية، فهم يعتقدون أن نظام الخلافة التاريخي بمختلف تطبيقاته، نظام واقعي، أو سلطة فعلية وليست شرعية وهو ليس النظام الذي أنزل الله على عبده وليس النظام الذي أمر الله ورسوله المسلمين بتطبيقه وتفصيله، فنظام

الخلافة التاريخية بأخف الأوصاف ثمرة اجتهادات شخصية بحتة كانت متعارضة بالكامل مع النصوص الشرعية الملزمة، وبعد أن استولى أصحاب هذه الإجتهادات على منصب الخلافة بالقوة والتغلب وكثرة الاتباع، فرضوا هذه الإجتهادات بقوة الدولة ومن خلال المناهج التربوية والتعليمية على المسلمين، وقدموا هذه الإجتهادات على أساس أنها تشريعات إسلامية سندها إجماع الصحابة الكرام، مع أن هذا الإجماع لم يحدث قط، وكيف يتحقق هذا الإجماع مع معارضة آل محمد له!! وعدم دخولهم فيه، وتم إهمال النصوص الشرعية وتجاهلها، ثم وبالقوة والقهر منعت دولة «المجتهدين» كتابة ورواية أحاديث رسول الله قرابة قرن وثلاثين عاماً من الزمن، بحجة أن كتابة ورواية الأحاديث النبوية تُورث الإختلاف والخلاف، بالوقت الذي اذاعت فيه الدولة وأشاعت بكل وسائل الإذاعة والإشاعة اجتهادات قادتها ومع ضغط دولة «المجتهدين» وإعمال المناهج التربوية والتعليمية والإعلامية التي وضعها بناة تلك الدولة وأولياؤهم ومع كر الأيام وتوالي الأعوام وكثرة التكرار صار العامة يعتقدون أن الإجتهادات الشخصية هي النصوص الشرعية، وبذل أهل البيت وشيعتهم جهوداً مضنية لهز تلك الشائعات، والقناعات الخاطئة ولإعادة العامة إلى جادة الصواب ولكن العادة طبيعة ثانية.

الشيعة والحكومة الإسلامية قبل ظهور الإمام الخميني

لقد استقر في أذهان شيعة أهل بيت النبوة استحالة إقامة حكومة اسلامية شرعية مثلى في غياب الإمام الشرعي الذي اختاره الله للإمامة، لقد كان مستحيلاً على الإمام الشرعي عندما كان موجوداً إقامة الحكومة الإسلامية الشرعية لقلة عدد الفئة المؤمنة التي تؤيده وتقول بحقه الشرعي بالإمامة والولاية، وعدم أحقية غيره، لم تكن للفئة المؤمنة القدرة على مواجهة دولة عظمى تؤيدها الأغلبية الساحقة من عامة المسلمين الذين يجهلون حقيقة

الأحكام الشرعية، لذلك كانت سياسة الشيعة قائمة على:

١ ـ أساس رفض السلطة الفعلية المفروضة رفضاً تاماً ومطلقاً، وعدم الاعتراف بشرعيتها لمخالفتها لكتاب الله وسنة رسوله، وتجاهلها للأحكام الشرعية.

٢ ـ وبنفس الوقت مسالمتها وموادعتها تجنباً لشرورها، ودفعاً للفتنة وحقناً لدماء المسلمين عامة، ولدماء القلة المؤمنة خاصة. بعد انتقال الأئمة إلى جوار ربهم، واختفاء الإمام الثاني عشر لم تتغير موازين القوى وبقيت الشيعة وفيّة للأساسين السابقين لقد انصب هدف الشيعة على البقاء، ومقاومة ضياعها، وذوبانها وسط الأكثرية الساحقة التي ترى ما لا تراه الشيعة المؤمنة، فحلت فكرة المرجع الديني محل الإمام في بيان الأحكام الشرعية، واستقطاب المؤمنين، وقبض الموارد الشرعية وتوزيعها على المستحقين، ونشر أحكام المذهب وتربية أتباعه وتوسيع قاعدته، والتمسك برخصة التقية التي تدفع عنهم شرور الظالمين، ولم يفكر أحد منهم جدياً بتكوين حكومة اسلامية نظراً لغياب الإمام والولي، والاعتقاد بأن الإمامة حق خاص به ومرصود عليه، كانت الفكرة غير واقعية، وغير واضحة وغير مضمونة العواقب، ثم إن إقامة حكومة اسلامية تدعو بدعوة أهل بيت النبوة، ويتولى مقاليدها شيعة أهل البيت أمر يثير العوام من المسلمين وهم الأكثرية، وليس من المستبعد أن تتحد عامة المسلمين وتحارب مثل تلك الحكومة، لأن العامة أشربت ثقافة التاريخ المناوئة عملياً لأهل بيت النبوة وشيعتهم، وتلك جبهة الشيعة بغنى عن فتحها!! ثم من هو الذي سيتولى الإمامة أو ولاية الأمر أو رئاسة الدولة!!! وما زال الناس من الشيعة يتمسكون بهذه الآراء بالرغم من قيام الحكومة الإسلامية في إيران!!

الإمام الخميني وأركان الثورة الإسلامية هم الذين نبّهوا لوجود ولاية الفقيه، وقدموها كبديل للطاغية وقدموا النظام الإسلامي كبديل لنظام

الطاغية، وقد احتاج الإمام الخميني وأركان الثورة الإسلامية إلى سنين طويلة حتى أقنعوا أكثرية الشعب الإيراني بذلك، ثم إن الإمام الخميني وأركان الثورة كانوا حكماء فلم يدخلوا بالتفاصيل.

ولو كان غير الإمام الخميني لما نجح إطلاقاً بإقناع الإيرانيين بذلك للأسباب الآنفة، وهذا معنى قول السيد الخامنئي أن الإمام الخميني قد حقق معجزة بإقامة الحكومة الإسلامية!!

قال الإمام الخميني لمعارضيه: أتوجه إليكم بالسؤال التالي: قد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام، وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المهدي المنتظر، في طول هذه المدة المديدة هل تبقى أحكام الإسلام معطلة؟ يعمل الناس خلالها ما يشاؤون!! ألا يلزم من ذلك الهرج والمرج!! القوانين التي صدع بها النبي الأكرم وجهد في نشرها وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين سنة هل كان كل ذلك لمدة محدودة، هل حدد الله عمر الشريعة بمائتي عام مثلاً؟ هل ينبغي أن يخسر الإسلام من بعد الغيبة كل شيء!! الذهاب إلى هذا الرأي في نظري أسوأ من الاعتقاد بأن الإسلام منسوخ فلا يستطيع أحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول: لا يجب الدفاع عن أمور الوطن، أو أنه يجوز الامتناع عن دفع الزكاة أو الخمس أو غيرهما أو يقول بتعطيل القانون الجزائي في الإسلام، وتجميد الأخذ بالقصاص والديات، إذاً فإن كل من يتظاهر بالرأي القائل بعدم ضرورة تشكيل حكومة اسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ أحكام الإسلام ويدعو إلى تعطيلها وتجميدها، وهو ينكر بالتالي شمول وخلود الدين الإسلامي الحنيف...[1].

ونضيف سبباً آخر: لا أحد يدعو الشيعة الذين يشكلون أقلية في

(١) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ص٢٦.

مجتمعاتهم لإقامة الحكومة الإسلامية، فهذه الدعوة خاطئة وغير صحيحة.

وسبب ثالث: إذا كانت الشيعة لا تريد أن تقيم حكومة اسلامية في إيران التي يشكل الشيعة ٩٢٪ من سكانها، فأين يمكن أن يقيموها. وسبب رابع: وطالما أنه لا بد من حكومة فحكومة الإسلام خير من نظام الشاه وحكم الفقيه العادل خير من سبعين ألف شاه، لأن هنالك اجماع بأنه لا بد من حكومة وحتى الأطفال الصغار كانوا يعلمون أن معاوية بن أبي سفيان طليق وابن طليق ومن المؤلفة قلوبهم، أُمهُ آكلة الأكباد، وأبوه رأس الأحزاب ومعاوية نفسه كان من أركان جبهة الشرك الذين حاربوا رسول الله بكل وسائل الحرب، وألبوا عليه العرب، وجندوهم ضده، ثم إن معاوية نفسه لا يعرف شيئاً من علوم الدين، فكيف يمكنه أن يطبق ديناً يجهل أحكامه، !! فما نوعية هذه الحكومة، وما هو مقدار نصيبها من الشرعية، وما علاقة الإسلام بها حتى تسمى حكومة اسلامية.

ولكن بالرغم من كل ذلك فقد قبل المسلمون برئاسته أو خلافته مكرهين، ولم يقل أحد من المسلمين نحن نريد أن نبقى بدون حكومة بل كانوا يرون أنه لا بد من حكومة!!

ومن جهة فإن الفقيه المرجع بالنسبة لمقلديه بمثابة حكومة عملياً، فهو القائم مقام الإمام، وإليه ترفع الحقوق الشرعية، وهو الذي يتولى توزيعها على مستحقيها والتصرف فيها، وهو الذي يبين الأحكام الشرعية لمقلديه، ولكن حكومة المرجع كانت مقتصرة على مقلديه.

وتلك فرصة تاريخية ليكون لشيعة أهل البيت دولة في العالم، يأوون إليها، إذا احتاجوا المأوى، ويعرف الذين يضطهدون الشيعة بأن لهم دولة تحميهم.

الدعوة إلى الوحدة على أساس الإسلام

ثم الجمهورية الإسلامية الإيرانية لم تقم أبداً على أساس مذهبي، أو بتعبير أدق لم تكن دولة شيعية، إنما هي دولة إسلامية لكل المسلمين وتفتح قلبها بالمحبة وبروح الأخوة الإسلامية لجميع المسلمين، وتقدم نفسها كقاعدة ومنطلق للوحدة الإسلامية، والشيعة لا تتمسك بمذهب أهل البيت من قبيل التعصب المذهبي أو الطائفي، بل تتمسك بهذا المذهب لأنه الشرعي الأصيل للإسلام، فهو مذهب أهل البيت، وأهل البيت أحد ثقلي الإسلام بالنص الشرعي، ثم إنه لا مجال للمقارنة بين أصحاب المذاهب المعروفة وبين أهل بيت النبوة، فأصحاب المذاهب أنفسهم تمنوا لو أنهم كانوا خدماً لأهل البيت.

ثم إن الدولة العباسية حاولت أن تفرض أحد المذاهب الأربعة على المسلمين، ولم يقل أحد من الناس أن الدولة العباسية كان دولة مذهبية أو طائفية.

كذلك فإن الدولة العثمانية كانت تتبنى المذهب الحنفي وتطبق فقهه، ومع هذا لم يقل أحد من المسلمين بأنها كانت دولة طائفية أو مذهبية لأن المذاهب قد نشأت بعد ظهور الإسلام بقرون، فالإسلام هو السابق وأهل بيت النبوة وشيعتهم أعرف بالإسلام من غيرهم، والخلاصة أن إيران الدولة تتبع الإسلام الصحيح يقودها ولا تقوده، تخضع لأحكامه ولا يخضع لأحكامها، وتفتح قلبها بالمحبة لكل المسلمين، وتردد ليل نهار، نحن اخوه، والمسلمون أمة واحدة من دون الناس، ولا ينبغي أن يكون الاختلاف بالرأي سبباً للفرقة، فالحكم والحاكم على جميع المسلمين هو الإسلام بشقيه كتاب الله وبيان النبي لهذا الكتاب، وعترة النبي أهل بيته هذان هما الثقلان.

الباب الرابع

قيام الحكومة الإسلامية
وتطبيق الأفكار السياسية للإمام الخامنئي
دستور الحكومة الإسلامية في إيران

الفصل الأول

عوائق بوجه تطبيق الأفكار السياسية المتعلقة بالحكومة الإسلامية

رأينا أن الإمام الخامنئي كان أول من استجاب للإمام الخميني يوم بدأ تمرده على الشاه وأول من سار معه يوم أعلن الثورة على الشاه، لقد لازمه من أول يوم انطلقت فيه شرارة الثورة، إلى اليوم السعيد الذي نجحت فيه الثورة، وإلى اليوم الذي تحولت فيه الثورة إلى دولة، وكان شريكه في إقامة مجلس الثورة، ورفيقه ومعينه في بناء مؤسسات دولة الثورة.

لقد تأثر الإمام الخامنئي بالإمام الخميني تأثراً شاملاً وعميقاً، وأثر السيد الخامنئي بالإمام الخميني تأثيراً لم يؤثره فيه أحد من قبل، لقد جمعت الاثنين الولاية الإلهية، وجمعها الفهم المتشابه للإسلام، والولاء المطلق للأئمة الأطهار والزهد التام عن مباهج هذه الدنيا الفانية وزخارفها، والوعي التام لتجارب التاريخ، حتى صارا بحق كبابين لشيء واحد، يعبر الواحد منهما عما يجول بخاطر الآخر بتعابير ومعاني متشابهة!! ويزنان الأمور بميزان الإسلام.

ومن الحقائق المسلم بها أن الإمام الخامنئي كان أحد أعضاء مجلس الثورة الستة وأحد أعضاء الحكومة الفعلية الستة الذين استقبلوا الإمام ورشّدوا

حالة التحول من نظام الشاه إلى نظام الحكومة الإسلامية، ولا خلاف بأن أفكار الستة متشابهة إلى درجة التطابق مع أفكار الخميني الإمام والقائد، وأن أفكار الإمام الخميني وأفكار الإمام الخامنئي قد تركت بصماتها الواضحة، على شكل الحكومة الإسلامية، وعلى هياكل ومضامين هذه الحكومة، لأن الإمام الخميني والإمام الخامنئي وبقية الأركان الستة كان لهم حضور فعلي على بناء وإقامة الحكومة الإسلامية، لبنة لبنة وبنية بنية.

ولما تم تدوين الدستور الإيراني اطلع عليه الإمام الخامنئي والشيخ هاشمي رافسنجاني، فوجداه متفق مع أهداف الثورة، ومع مفاهيم الحكومة الإسلامية فطالعا عليه، ورفعاه للإمام الخميني فاطلع عليه وأقره ووشحه بتوقيعه ولما عُدّل هذا الدستور اطلع عليه الإمام بصورته النهائية، وقبل به، ثم طرح الدستور المعدل للاستفتاء فوافقت عليه الأغلبية الساحقة من الشعب الإيراني، وحيث أن الإمام الخميني كان قد انتقل إلى جوار ربه، وآلت خلافته وقيادة الحكومة الإسلامية إلى رفيق دربه الخاص الإمام الخامنئي، فقد اطلع عليه بوصفه الإمام والقائد ووشحه بتوقيعه، وأبدى رضاه لأنه يعكس حقيقة فكر الإمام الخميني، وحقيقة فكره، وجوهر أحكام الإسلام.

ولأن الدستور الإيراني هو التعبير القانوني عن وجود الحكومة الإسلامية وهو التجسيد الفعلي للأحكام السياسية والإجتماعية والإقتصادية. . . للإمام الخميني، وللإمام الخامنئي ولأركان الثورة الإسلامية، فقد خصصنا باباً لهذا الدستور.

وعندما نتحدث عن الأفكار السياسية للإمام الخامنئي فإننا نعني بها أول ما نعني الأفكار السياسية المتعلقة بالحكومة الإسلامية.

ومن حسن الطالع أن الإمام الخميني له كتاب «اسمه الحكومة

الإسلامية»والإمام الخامنئي له كتاب آخر اسمه الحكومة في الإسلام.

وقد قمنا باستعراض نظري لأفكار الإمام الخميني المتعلقة بالحكومة الإسلامية.

ثم عرضنا الأفكار السياسية للإمام الخامنئي المتعلقة بالحكومة في الإسلام وهذا ما أتاح لنا الفرصة للوقوف نظرياً على معالم الفكر السياسي للإمامين المتعلقين بالحكومة الإسلامية.

وفي هذا الباب سنرى كيف تتحول هذه الأفكار السياسية للإمامين من النظر إلى التطبيق، ومن الكلمة إلى الحركة من خلال دستور الجمهورية الإسلامية النافذ المفعول.

من الثورة إلى الدولة ومن الفكر إلى التطبيق، الثورة شيء والدولة شيء أخر

لقد نجحت الثورة الإسلامية الإيرانية بعد جهاد مرير، كان اهتمام الإمام الخميني والسيد الخامنئي وأركان الثورة الإسلامية، والشعب الإيراني منصباً بالدرجة الأولى على الثورة ونجاحها، لكن الثورة شيء والدولة شيء آخر، الثورة شعارات، وهتافات، وتكتيكات لإخراج الجماهير وحشدها وتوجيهها، وبيانات لتحريك عواطفها وعقولها، بينما الدولة مواجهة حقيقية مع الواقع والإمكانيات، وآلية معينة يجب أن تُدار بصورة أفضل من وضعها قبل الثورة، إن الثورة عالم والدولة عالم آخر مختلف تماماً، تلك أول حقيقة، قد واجهها الإمام وصحبه والشعب الإيراني، باختصار لقد انتقلوا من عالم النظريات والمثاليات إلى عالم التطبيق والواقع.

حاجة الدولة إلى الطواقم الفنية المخلصة

حتى تكون الدولة الجديدة دولة الثورة بالفعل، كانت الحاجة ماسة للتخلص من الطواقم الفاسدة التي كانت تمثل النظام الفاسد، لتحل محلها

بالكامل طواقم قيادته مؤمنة بالثورة وبأهدافها، ومخلصة لها.

لقد حاول السيد الخامنئي وبعض أتباع الإمام من أركان الثورة أن يوجدوا تنظمياً، لكن فكرة الخلايا الثورية قد اكتشفها النظام، وجاءت فكرة رابطة العلماء متأخرة، لأن النظام الطاغوتي كان يصب جام غضبه على مثل هذه التنظيمات، ويبطش بمن يكتشف من أعضائها بطشة كبرى، ووجود تنظيم دليل قانوني لإدانة من يكشف من أعضائع.. كانت هنالك عوائق واقعية، وفضلاً عن ذلك فإن المقربين من الإمام لم يلتفتوا كثيراً إلى هذه الناحية، وفي ما بعد أدرك الخامنئي، وبهشتي أهمية هذا الموضوع فأوجدوا الحزب الجمهوري الإسلامي، لاستقطاب العناصر المخلصة والمقتدرة، وأعدادها لتحمل المسؤولية... لكن عجلة الأحداث دارت بسرعة، وخرجت عن السيطرة تماماً، كان هم الإمام وأركان الثورة منصباً على نجاح الثورة، وبعد نجاح الثورة يمكن البحث عن الكفاءات المقتدرة لإدارة دولة الثورة، وتصوّر البعض أن هذا الأمر ليس له أهمية كبرى!!

ولكن بعد نجاح الثورة مباشرة وجدوا أنفسهم أمام مشكلة حقيقية من هو الكفىء؟! ومن هو الأمين على مبادىء الثورة؟! ومن هو المخلص لها؟! ومن هو الملتزم بأهدافها والواعي لها؟! ومن هو الذي يحملونه المسؤولية؟! ويمكنك القول أن كل الإشكالات التي نجمت بعد نجاح الثورة، وكل الكوارث التي حلت بها وقتلت صفوف رجالها ناجمة عن هذا الخلل، لقد اخترق أعداء الثورة جدار أمن الثورة، ووجدوا لهم مواقعاً وحضوراً في كل المواقع الحساسة لقد تبين في ما بعد أن الذي قام بتفجير مقر الحزب الجمهوري هو مسؤول الأمن في هذا الحزب، وأن الذي قام بنسف مكتب رئيس الوزراء هو مسؤول أمن رئيس الوزراء، وأن قائد حرس البرلمان كان عضواً عاملاً في حزب توده وأن قائد القوات البحرية كان عضواً عاملاً في حزب تودة أيضاً....

الطواقم الدينية

كانت المؤسسة الدينية وعلماؤها وطلابها هم نواة الثورة الفعلية في داخل إيران، وهذا يعني أن العلماء والمتدينين الإيرانيين في داخل إيران والذين تلقوا علومهم في الحوزات العلمية الإيرانية أو حوزات النجف والذين لم يطلعوا على نمط الحياة الغربية هم الذين ينبغي أن يكون لهم الحظ الأوفر بقيادة وإدارة دولة الثورة، ولما لا!! لقد تحملوا عبء توعية الناس في إيران، وتكوين القواعد الثورية، وتهييج الشعب الإيراني، وعلماء الدين وطلابه لهم عالمهم المختلف عن عالم الطواقم ذات الثقافة الغربية التي عادت مع الإمام من باريس، والقاسم المشترك بين هذه الطواقم هو الإسلام، والولاء لأهل البيت، والانتماء لإيران، والرضا والقبول بقيادة الإمام الخميني.

فأبو الحسن بني صدر من فريق، والإمام الخامنئي، أو الشيخ رافسنجاني من فريق آخر مختلف، ولا بد أن يظهر هذا الإختلاف بالوسائل والمناهج عاجلاً أو أجلاً، ولا بد أن ينعكس هذا الإختلاف سلباً على مسيرة دولة الثورة، ولا بد أن تكون السيطرة في النهاية لأحد الفريقين، لأن بقاء الفريقين المتناقضين معاً وعلى شكل فريق واحد غير منطقي!!

الطواقم المنافقة

لقد أسر الإمام الخميني قلوب سامعيه من الإيرانيين وغيرهم، وبوقت قصير تتوج من الناحية الفعلية زعيماً أوحد لكل الإيرانيين، فصار الولاء له أو التظاهر بهذا الولاء حاجة ضرورية، ووسام انتماء لإيران، وللإسلام، وللمثل وللتغيير، أي مجتمع بما فيه مجتمع الرسول الأكرم لا يخلو من منافقين، يظهرون شيئاً، ويبطنون شيئاً آخر مناقضاً تماماً لما أظهروه، لم يكن بوسع أحد أن يظهر عدم الرضا بقيادة الإمام الخميني، أو عدم الرضا بقبول الأهداف التي أعلنها، أو معارضة الشعارات التي كان يطرحها، لقد قدّرت الأحزاب

الطامعة بالسلطة أن الإمام سينجح حتماً بخلع الشاه، واسقاط نظامه، وتوهمت الأحزاب أن الإمام لا يملك تنظيماً له القدرة على الحلول محل الطواقم التي كانت تسير دولة الشاه، وهنالك فرصة أمام كل حزب من هذه الأحزاب ليسرق الثورة ويستولي على السلطة عندما يُخلع الشاه ويسقط نظامه، لذلك اندست هذه الأحزاب في صفوف الشعب المؤيد للإمام وللثورة فرفعت نفس الشعارات، وهتفت بنفس الهتافات، وادعت نفس الأهداف، واضمرت نواياها الشيطانية، وعندما نجحت الثورة، بدأت مظاهر النفاق تظهر، وروعت إيران بموجة الاغتيالات الرهيبة التي نفذها المنافقون، وهنا بدأت مرحلة المواجهة مع المنافقين جنباً إلى جنب مع مرحلة بناء دولة الثورة، أو مرحلة إقامة الحكومة الإسلامية.

فكرة الحكومة الإسلامية لم تكن واضحة المعالم تاريخياً

عندما أعلن الإمام الخميني الثورة لخص الغاية منها في ثلاثة أهداف: الهدف الأول خلع الشاه، والهدف الثاني أسقاط نظامه، والهدف الثالث، إقامة حكومة اسلامية في إيران لتحل محل نظام الشاه، ولقد صارت هذه الأهداف الشعارات الرئيسية للثورة الإسلامية الإيرانية.

الهدف الثالث وهو إقامة حكومة إسلامية لم يكن واضحاً بالأذهان ولا محدد المعالم، لا على صعيد المؤسسة الدينية، ولا على مستوى القوى العلمانية، ولا على مستوى جماهير الشعب الإيراني، لكن الأغلبية الساحقة من الشعب الإيراني سلمت به لأن الإمام الخميني قد أعلنه، ولارتباط كلمة الحكومة بكلمة الإسلام، أو لأنها اعتبرت الحكومة الإسلامية رمزاً للحكومة العادلة وغير المستبده، دون أن تتيقن بالفعل بأن الإمام الخميني عازم فعلاً على إقامة حكومة إسلامية بالفعل!!

الآن وبعد أن خلع الشاه، ورحل إلى غير رجعه، وبعد أن سقط نظامه، واختفت مظاهر ذلك النظام كلياً، فإن الإمام الخميني والمقربين له وعلى رأسهم الإمام الخامنئي قد وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام مشروع إقامة الحكومة الإسلامية الذي وافقت عليها الأكثرية الساحقة من الشعب، والذي وعد به الإمام الخميني واعتبره هدفاً رئيسياً من أهداف الثورة.

المشكلة الكبرى عدم وجود نموذج معاصر للحكومة الإسلامية!!

المشكلة الحقيقية التي واجهت الإمام الخميني، والسيد الخامنئي وأركان الثورة الإسلامية، وأصحابهم المؤيدين لإقامة الحكومة الإسلامية، كانت تتمثل في عدم وجود نموذج تاريخي أو دستوري حديث أو قريب للحكومة الإسلامية يمكن أن يُقلد، أو يُقاس عليه، ليُحاكى، أو يصنع على شاكلته!!

والنموذج الأمثل هو حكومة الرسول الأكرم التي قامت قبل ١٣ قرناً، وما يميزّها، أنها لم ترث دولة قائمة، إنما قامت ولأول مرة، أن حكومة الرسول قد نشأت وتكونت تكوناً، وعلى مراحل متعددة، وحكومة الرسول كانت تقوم بوظائف الدولة المعاصرة واختصاصاتها كاملة، وحققت الأهداف المرجوه من وجود الدولة، وبالوقت نفسه جنبت الناس الشرور الملازمة لوجود الدولة، كان الرسول يتمتع بصلاحيات هائلة فله القول الفصل، ولكن الرسول الأعظم معصوم عن الخطأ والزلل، وبالمؤمنين رؤوف رحيم، فلا يُخاف من سعة صلاحياته، وكثرتها، لأن العصمة ضمانة لعدم الوقوع في ما يغضب الله، والأهم أن حكومة الرسول قد قامت في زمان مختلف عن زماننا، وفي عالم مختلف عن عالمنا، وقبل ثلاثة عشر قرناً.

معالم حكومة الرسول

رئاسة للدولة، وقيادة عامة للأمة، أو إمامة، ومرجعية، هي ذات الرسول الأعظم، وهو بالإجماع الأعلم والأفهم للدين، والأتقى والأقرب لله.

١ ـ وأفضل من في العالم لقيادة الحكومة الإسلامية، بل ولقيادة دولة عالمية تضمن العالم بأسره، ولا خلاف بين اثنين حول هذه المؤهلات.

٢ ـ سلطة تنفيذية وتتألف من الذين يقومون بأعمال الوزارة، وحكام الأقاليم، وقيادة الجيش، وأصحاب الكلمة النافذة في القبائل ومن يعنيهم الأمر، لنفرض أن الرسول قد خرج لإنجاز مهمة من المهمات الشرعية، فالرسول يستشير هذه الفئة التي خرجت معه، لأنها المعنية المباشرة في الأمر، فما الفائدة من استشارة الذين لم يشتركوا في معركة بدر بأمور هذه المعركة!!

٣ ـ سلطة تشريعية: الأصل أن الله سبحانه وتعالى هو الشارع الحكيم، ومهمة الرسول تنصب على بيان ما أنزل الله، وأن يحكم بين الناس بما أنزل الله، فكان التشريع منحصراً بكتاب الله وسنة رسوله بفروعها الثلاثة القول والفعل والتقرير، فالتشريع عملياً منحصر بالله وبرسوله، ولا يملك أحد أن يشرّع سواهما، وتنحصر مهمة الإمام الشرعي الذي يخلف الرسول باستخراج الحكم الشرعي من القرآن أو السنة المطهرة.

٤ ـ سلطة قضائية: ومهمتها فصل الخصومات التي تنشأ بين الأفراد أو بين الجماعات وفقاً لأحكام الشرع الإلهي المتمثل بكتاب الله وسنة رسوله والأصل أن الرسول الأعظم هو القاضي الأعلى والأوحد المختص بفصل مثل هذه الخصومات.

٥ ـ سلطة الرأي العام: كان المسلمون يستحسنون هذا الفعل أو ذاك، أو يعجبون بهذا الشخص أو ذا، أو هذا القرار أو ذاك، . . . أو يتجهون إلى هذه الفكرة أو تلك، وكان الرسول على علم بتوجهات المسلمين وجماعاتهم، وكان يهتم بهذه التوجهات ويبدي مطالعته عليها، فيؤيدها، أو يعدلها بحيث تبقى دائماً ضمن إطار الشرعية الإلهية، ولا قيمة لأي توجه يخالف الشرعية الإلهية، فلو أن الأمة قد أجمعت على ضرورة إباحة الزنا، أو

السرقة، أو شرب الخمر فلا قيمة لإجماعها، لأن الرأي العام يجب أن يتكون ضمن القانون، النافذ، هذا ما اتفقت عليه كافة التشريعات السماوية والوضعية مثلاً، ولو أن المسلمين قد أجمعوا فرضاً على أن يكون أبو سفيان، أو ابنه معاوية خليفة من بعد النبي لما صح ذلك لأن أي واحد منهما لا يؤمن بالإسلام، ولا يعرف الأحكام الإسلامية، وهنالك من هو أرضى لله منهما.

تتميز حكومة الرسول عن الحكومات الأخرى السابقة لها واللاحقة بها، بما فيها الحكومات المعاصرة بعدة خصائص.

١ ـ أنها ليست ملكية: بمعنى أن الرسول الأعظم لم يكن ملكاً، ولم يرث سلطاته من والده، أو من أحد أقربائه حسب القوانين المعروفة لتوارث الملك في العالم المعاصر أو السابق، إنما هو رجل اختاره الله ليكون نبياً ورسولاً، ثم إماماً ووليّاً للذين اتبعوه، فلا هو كسرى ولا هو قيصر، ولا هو جبار في الأرض، ولا هو متكبر، أو غير ذلك من الصفات السيئة المرافقة للملك العضوس!!

٢ ـ ليست حكومة استبدادية: ففي الأنظمة الاستبدادية تكون إرادة الحاكم هي القانون، وإن وُجد قانون، فالحاكم حر باهماله جزئياً أو كلياً أو أعماله وفق هواه، ولا دور للشعب في مثل هذه الأنظمة، ولا حماية للحقوق والحريات الفردية، ولا تعلو في مثل هذه الأنظمة إرادة فوق إرادة الحاكم، فالحاكم هو الدولة، والدولة هي الحاكم أما حكومة الرسول فالأمر مختلف جذرياً، لأنها ملتزمة تماماً بالقوانين الإلهية التي تطبق على الجميع بدون استثناء، والتي يخضع لها الجميع بما فيهم الرسول.

٣ ـ ليست حكومة ديمقراطية، لا بالمعنى الديمقراطي عند الإغريق، ولا بالمفهوم المعاصر للديمقراطية، لا من حيث الوسائل ولا من حيث الأهداف، ولا من حيث طريقة انتخاب الحاكم.

٤ ـ إنها ليست حكومة «ثيوقراطية»، إذ ليس لدى الملك في تلك الأنظمة شريعة إلهية، ولا هو مُختار من الله، وليست لديه حجة على أن الله قد اختاره، أو أن الله قد عصمه، فهو طاغية يحكم وفق هواه، بل إن كافة ممارساته تتعارض مع تعاليم الله ومع العقل والمنطق.

واقع حكومة الرسولﷺ

لم يكن في حكومة الرسول سلطة تنفيذية، تتألف من مجلس وزراء بالصيغة المعروفة في زماننا هذا، كذلك لم تكن فيها سلطة تشريعية مؤلف من مجلس نواب منتخب، ومن مجلس شيوخ أو أعيان منتخب أو معين، ولم يكن فيها سلطة قضائية مؤلفة من مجلس قضاء وطائفة من المحاكم.

كان الرسول الأعظم هو قلب نظام حكومته، وعقلها المدبر، فهو الرسول وهو الإمام وهو ولي الأمر، وهو قطب الحكومة كلها، ومركز ثقلها.

يحكم بما أنزل الله، ويستعين بأهل القوة والأمانة للقيام بأعمال السلطة التنفيذية، وأعمال السلطة القضائية، أما من حيث التشريع فهو يحكم وفق القوانين الإلهية.

كانت حكومة الرسول تمارس في ما يتعلق بالتنفيذ كامل وظائف السلطة التنفيذية المعاصرة، وكامل وظائف السلطة القضائية.

وكان للإمة الإسلامية حضور حقيقي ومشاركة فعلية حقيقية بهذه الحكومة لأن الرسول الأعظم قد حصل على رضا الجميع وقناعتهم وقبولهم بما يفعله، ويستشير الناس الخاصة والعامة، ويُرضي الجميع، ويكفي أن تعلم بأن الناس لو لم يقبلوا بحكومة الرسول، وبإمامة الرسول وولايته، لما تمكن أبداً من ممارسة صلاحيات الإمامة وولاية الأمر، ولأصابة ما أصاب الأنبياء السابقين الذين رفضتهم مجتمعاتهم الكافرة، فالأكثرية الساحقة إن لم يكن كل أفراد المجتمع الإسلامي قبلوا بإمامة الرسول وولايته وقيادته

للمجتمع، وقبلوا بالشريعة الإلهية كقانون نافذ في المجتمع، وقبلوا بكافة الترتيبات التي اتخذها الرسول لإدارة هذا المجتمع، ورضوا بالصلاحيات الهائلة التي كان يتمتع بها الرسول، ولكن وسائل مشاركة الأمة، ووسائل اظهار قبولها ورضاها بالحكومة النبوية كانت مختلفة تماماً عن الوسائل المعروفة اليوم لم تكن المجتمعات الإنسانية بهذه الكثرة، ولم تكن الحياة معقدة كاليوم، لقد مارست حكومة الرسول كافة وظائف الدولة المعاصرة، وجنبت الناس كافة الشرور الناشئة عن وجود الدولة، لأن حكومة الرسول حكومية إلهية تركز على الأهداف الشرعية، والوسائل الشرعية لبلوغ تلك الأهداف بأقل كلفة ممكنة ولا تهتم بالشكل ولا بالمظاهر إنما تركيزها منصب على المضامين. ثم إن الرسول الأعظم على صلة دائمة بالوحي الإلهي، ومدعوم بالتوفيق والسداد الإلهي، وملتزم التزاماً تاماً بالقوانين الإلهية، وحريص كل الحرص على تطبيقها على الجميع، بدءاً من أقل أفراد المجتمع الإسلامي وانتهاء بذاته الشريفة، كان الجميع أحرار ضمن الشريعة، لا سلطان لأحد على أحد إلاَّ في الحدود التي بينها الشرع الحنيف.

حكومة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الإمام علي معين من الله ليكون أول الأئمة الاثني عشر، ولكن بطون قريش، البت الناس عليه، وحالت بينه وبين حقه الشرعي بالإمامة، ولقلة الناصر، وحتى لا يرتد العرب عن الدين قبل الإمام بالأمر الواقع، وتقدم عليه من هم دونه في كل شيء، ثم آلت إليه الخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان، وبعد انحراف المجتمع عن الخط الإسلامي الأصيل، لقد قبل الخلافة مكرهاً، وأمام ضغط الأكثرية الساحقة من أصحاب الرسول، كان على الإمام أن ينقل الواقع السياسي مما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون وبطريقة تدريجية لا تثير العامة وحديثي العهد بالإسلام الذين كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة من أبناء الأمة، ولم يعطه الطلقاء وأعوانهم الفرصة بل

أشعلوا نيران الفتنة، فكانت حكومة الإمام علي حكومة اصلاحية، انصبت جهودها على إعادة الأمور إلى نصابها الشرعي، ولم يكن هنالك مجال للإصلاح إنما كانت هنالك حروب مستعرة أشعل فتيلها الطلقاء وأعوانهم حتى يحولوا بين الإمام وبين توضيح الأحكام المتعلقة بالسلطة الشرعية، وليحولوا بين الإمام وبين إعادة الأمور إلى نصابها الشرعي، ويكفي أن تعلم أنه عندما آلت الخلافة إلى الإمام كان كافة حكام الولايات وأعوانهم من أعداء الله السابقين، ومن الحاقدين على آل محمد، ولو كان غير الإمام علي لما استطاع أن يبقى في منصب الخلافة ساعة واحدة.

ومع هذا فخلال عهد الإمام اتضحت المعالم الإساسية للحكومة الإسلامية والأحكام الشرعية التي تنظم هذه الحكومة، والتي حاولت الحكومات السابقة التي حكمت باسم الدين أن تطمسها وأن تتنكر لوجودها!!

وخلال وجوده على رأس الدولة الإسلامية، كان النموذج الأمثل للحاكم الإسلامي العالمي المستقيم، كان صورة مصغرة عن رسول الله، علماً وعدلاً وزهداً، وقياماً بمهام الولاية كاملة، ثم امتدت يد الغدر فاغتالته، فهوى القمر المنير، فتابع المسلمون سيرهم في ظلمات دامسه، إذا أخرجت يدك لم تكد تراها!!

الفصل الثاني

إقامة الحكومة الإسلامية والسلطة التشريعية في إيران

إقامة الحكومة الإسلامية في إيران

بعد نجاح الثورة الإيرانية مباشرة، أعلن الإمام الخميني، رسمياً نبأ قيام الحكومة الإسلامية في إيران، وشكل حكومة بالفعل، وباشر بنقل فكرة الحكومة الإسلامية من النظر إلى التطبيق، ومن الفكر إلى الواقع الحي المحسوس، وكانت أول الأفكار المطروحة هي تدوين دستور اسلامي جامع ليكون نقطة الانطلاق الحقيقية.

وضع دستور الحكومة الإسلامية في إيران

لغايات وضع دستور الحكومة الإسلامية في إيران تم انتخاب مجلس خبراء من علماء الإسلام وخبراء القانون، وشارك الشعب الإيراني بانتخابهم بتاريخ ٣/٨/١٩٧٩م وبعد تشكيل مجلس الخبراء بدأت عملية تدوين الدستور، وبتاريخ ١٥/١١/١٩٧٩م تمت المصادقة على هذا الدستور ثم وقعه الإمام الخميني، ووضع موضع التنفيذ، وبعد قرابة عشر سنين، أصدر الإمام الخميني أمراً، عين فيه مجموعة من الخبراء، وكلفهم بإعادة النظر في الدستور وإصلاح بعض مواده، وانتهى الخبراء من ذلك وتمت المصادقة على هذه التعديلات بتاريخ ٢٨/٧/١٩٨٩م، وبعد ذلك أجرى استفتاء شعبي عام

على الدستور بصيغته النهائية، فنال تأييد الشعب، وصادق عليه الإمام علي الخامنئي بوصفه القائد الجديد، وخليفة الإمام الخميني.

أهمية دستور الحكومة الإسلامية في إيران

عندما يسود الجماعة هذا المذهب السياسي أو ذاك، تعبّر الجماعة التي تعتنق هذا المذهب عن سيادته وسيادتها بوثيقة مكتوبة أو عرفية تُسمى الدستور، تتضمن هذه الوثيقة القواعد الأساسية لعقيدة الجماعة ومذهبها السياسي، وتبين هذه الوثيقة، نظام الدولة، ونظام الحكم في تلك الدولة الذي سيتولى نقل عقيدة الجماعة ومذهبها السياسي من عالم الفكر والنظر إلى عالم التطبيق والواقع.

ومن هنا يتبين لنا بأن الدستور له صفة التأسيس والصلة الجوهرية بكيان المجتمع، وكيان الحكم والسلطات فيه، وأن كافة المسائل الدستورية ترتبط بظاهرة السلطة، وقد أُريد بالدستور جوهرياً أن يكون أسمى من السلطات جميعاً.

بحيث يكون قيامها في ظله، وعملها في كنفه، يحكمها ولا تحكمه، ويقرر مصيرها ولا تقرر مصيره»[1] لأن الدستور هو الأساس الذي يُبنى فوقه، فإذا لم يكن هنالك التزام بهذا الأساس، وقناعة بمتانته، فستهتز لا محالة، كافة البنى المستندة عليه، خلال زمن يطول أو يقصر، ومن هنا فإن الدستور يبدو وكأنه جماع القواعد القانونية التي حاول البشر منذ القدم حتى الآن تنظيم السلطات السياسية وتحديدها بموجبه، والدستور قديم قدم وجود السلطة.

---

(١) راجع كتابنا مرتكزات الفكر السياسي ص١٧ وما فوق، والفن الدستوري ونظرية الدولة د. حسن الحلبي ص٨ ـ ١٤.

أساس سلطة الحكومة الإسلامية في إيران

أساس السلطة، في أي دولة هو العقيدة والفلسفة والفكر الذي تستمد منه السلطة الشرعية والمشروعية لوجودها، والذي يحقق القناعة والاقتناع لدى الجماعة أو المجتمع بشرعية هذه السلطة ومشروعيتها وبالتالي يتحقق الرضا من قبل المحكومين بهذه السلطة ويتحقق التعاون بين المجتمع والسلطة المنبثقة منه، هذه العقيدة أو هذا التفكر يقدم برنامجاً سياسياً يتضمن الأهداف، وكيفية بناء السلطة، وطريقة ممارسة القائمين على السلطة لتلك السلطة، وكيف يتم التعاون بين المجتمع وبين السلطة لنقل العقيدة السياسية وبرنامجها من عالم النظر والفكر إلى الواقع التطبيقي، وهذه العقيدة من الأهمية، بحيث أنها تنعكس تماماً على واقع المجتمع ومستقبله وماضيه، وعلى كافة القواعد القانونية النافذة فيه، فالشريعة التي تطبقها السلطة تحت إشراف المجتمع، وتحت إشراف الرقابة النفسية والوجدانية للعقيدة الأساسية هذه الشريعة هي في الواقع عبارة عن ترجمة قانونية للعقيدة السياسية، والبرنامج السياسي أو المذهب السياسي.

ومن هنا كانت العقيدة هي أساس السلطة، وهي منبع الشرعية والمشروعية، وهي التي تزود المجتمع بالقناعة والرضا، وتزودهم بالهدف، وبالوسيلة اللازمة لتحقيق هذا الهدف، أو إن شئت فقل إنها الهادية للمجتمع والسلطة معاً، وتبقى كذلك، حتى تتخلى عنها السلطة والمجتمع معاً، تلك حقيقة تؤيدها وقائع التاريخ السياسي العالمي.

وهذا ما تضمنه دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية حيث نصت المادة الأولى.

١ ـ الإيمان بالله وحده «لا إله إلا الله» وتفرده بالحاكمية والتشريع ولزوم التسليم لأمره.

٢ ـ الإيمان بالوحي الإلهي ودوره الأساسي في بيان القوانين.

٣ ـ الإيمان بالمعاد ودوره الخلاق في مسيرة الإنسان التكاملية نحو الله.

٤ ـ الإيمان بعدل الله في الخلق والتشريع.

٥ ـ الإيمان بالإمامة والقيادة المستمرة ودورها في استمرار الثورة التي أحدثها الإسلام.

٦ ـ الإيمان بكرامة الإنسان وقيمته وحريته الملازمة لمسؤوليته أمام الله. وهو نظام يؤمن القسط والعدالة، والاستقلال السياسي، والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، والتلاحم الوطني عن طريق:

أ ـ الإجتهاد المستمر من قبل الفقهاء جامعي الشرائط على أساس الكتاب وسنة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين.

ب ـ الإستفادة من العلوم والفنون والتجارب المتقدمة لدى البشرية، والسعي من أجل تقدمها.

جـ ـ محو الظلم والقهر مطلقاً ورفض الخضوع لهما

وهذه المبادىء الكبرى ما هي إلا تفصيل لمصطلح العقيدة الإسلامية، التي اتخذتها الحكومة الإسلامية في إيران أساساً لسلطتها.

ويؤكد هذا كثرة الإشارات الواردة عن العقيدة في مقدمة الدستور الإيراني تلك المقدمة التي تعتبر جزءاً لا يتجزء من الدستور.

ففي الفقرة الثانية ص٧ من مقدمة الدستور

١ ـ يعبر دستور إيران الإسلامية عن الركائز الثقافية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية للمجتمع الإيراني على أساس القواعد والمعايير

الإسلامية التي تجسّد أهداف الأمة الإسلامية وآمالها القلبية.

٢ ـ وعلى الصفحة ١١.. . مما أوجد في الشعب المسلم دافعاً جديداً متميزاً ورسم له الطريق الأصيل نحو النضال العقائدي الاسلامي. .

٣ ـ وعلى الصفحة ١٥ وقد نفض شعبنا عن نفسه. . . وهو يسعى الآن إلى بناء مجتمعه النموذجي «الأسوة» معتمداً على المعايير الإسلامية، وعلى هذا الأساس فإن رسالة الدستور هي خلق الأرضيات العقائدية للنهضة وإيجاد الظروف المناسبة لتربية الإنسان على القيم الإسلامية. . .

٤ ـ وعلى الصفحة ٢٠ وتحت عنوان الجيش العقائدي. . . في مجال بناء القوات المسلحة للبلاد وتجهيزها، يتركز الاهتمام على جعل الإيمان والعقيدة أساساً لذلك.

٥ ـ وفي المادة الأولى من الدستور. . . ولقد شارك الشعب في هذا الاستفتاء انطلاقاً من إيمانه الأصيل بحكومة القرآن العادلة الحقة.

لكي نفهم السلطة التشريعية في حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية

معنى التشريع:

التشريع باختصار، يعني وضع القواعد القانونية اللازمة لمجتمع من المجتمعات، تمهيداً لوضعها موضع التنفيذ.

معنى الشريعة:

الشريعة اصطلاحاً هي مجموعة القواعد القانونية النافذة في مجتمع من المجتمعات الإنسانية والموضوعة لتنظيم شؤون هذا المجتمع حسب العقيدة السائدة فيه.

وتعني أيضاً مجموعة القواعد التي تعالج شؤون المجتمع لكافة نواحي الحياة، سواء وضعت هذه الشريعة موضع التنفيذ أو لم توضع، وهذا

التعريف ينطبق على الشريعة الإسلامية.

أهمية الشريعة

هنالك اجماع على أن الوضع الأمثل لأي مجتمع هو وجود شريعة عامة، وموضوعية ومجردة، تعمل قواعدها كحاكم وحكم في المجتمع، وتكون السيادة لهذه الشريعة، بحيث تسود المجتمع، ويخضع لها الجميع، فتكون هي الحاكمة لحركة المجتمع، وتتضمن أهدافه، ووسائل تنفيذ هذه الأهداف وتحقيقها وحمايتها.

ومن هنا وعملياً فإن الشريعة «القوانين النافذة في مجتمع معين» هي التي تضع العقيدة التي يؤمن بها المجتمع موضع التطبيق، وهي التي تحدد معالم الخير العام وهي بنفس الوقت تحدد وسائل تحقيق هذا الخير العام كما يفهمه المجتمع، وتتظافر في ظلال الشريعة كافة القوى السياسية العاملة في المجتمع لإنجاز هذا الخير العام ضمن قواعد هذه الشريعة المعتمدة في المجتمع.

وحسب التشريعات الوضعية والفكر الوضعي، فإن المجتمع السياسي هو الذي يضع قواعد الشريعة، وهو الذي ينفذ قواعد هذه الشريعة، وهو الذي يحل خلافاته وفق أحكام هذه الشريعة.

فتكون الدولة من الناحية الفعلية ما هي إلا تعبير قانوني عن وجود الجماعة، وما هي إلا انعكاس قانوني لهذه الشريعة، بدليل أن الفكر السياسي مستقر الأن على أن للدولة ثلاثة سلطات.

١ ـ سلطة تشريعية، ومهمتها وضع القوانين، ٢ ـ سلطة تنفيذية ومهمتها التنفيذ ضمن هذه القوانين، ٣ ـ سلطة قضائية ومهمتها الفصل بالخلافات التي تحدث في المجتمع، بموجب أحكام هذه القوانين «الشريعة» ولا يوجد للدولة عملياً إلا هذه السلطات الثلاثة.

ومن هنا كانت الشريعة أو القوانين النافذة هي الحاكم والحكم الفعلي للمجتمع، وأن هذا الحاكم والحكم هو قدر مشترك بين المجتمع وكافة سلطات الدولة، وكل هذا يكشف بجلاء أية أهمية بالغة تحتها الشريعة أو القوانين النافذة في أي مجتمع، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن مستقبل المجتمع السياسي، ومستقبل الدولة المعبرة عن وجود هذا المجتمع مرهون بالكامل:

١ ـ بصدق تعبير هذه القواعد القانونية عن الحقائق التي تهدف إلى تشخيصها، وكشفها واستخلاصها أو عدم صدق هذه القواعد القانونية.

٢ ـ بالقدرة على وضع هذه الحقائق موضع التطبيق من خلال تطبيق القاعدة القانونية.

٣ ـ بالقدرة على فصل الخلافات الناشئة بين الأفراد والجماعات التي تعمل في نطاق الدولة على هدى هذه القواعد.

وسيكتشف العالم ذات يوم بأن سبب اندثار المجتمعات السياسية، وتساقط الدول أو قيامها ما هو إلا نتيجة لواحد من ثلاثة أسباب.

١ ـ فساد المضامين التي تعبّر عنها القواعد القانونية، بحيث أنها عاجزة عن كشف الحقيقة الفعلية واستخلاصها، وهذا هو سر سقوط وفساد الأنظمة الوضعية، لأن حقيقة أي شيء تحتاج لمعرفة ماضية وحاضرة ومستقبله وهذه قدرات لا يملكها الفرد، ولا يملكها المجتمع، ولا تملكها السلطة في أي جانب من جوانب الحياة.

الله وحده هو القادر على قول الحقيقة المتكاملة والمنظمة للحياة كلها بحكم اطلاعه على الظاهر والباطن، وعلى الماضي والحاضر والمستقبل، ومعرفته لكل ذلك معرفة يقينية.

وإذا قال أي مجتمع أنه بشريعته التي وضعها بنفسه، قد عبرت عن

الحقائق بصورة يقينية، فهو يخدع نفسه، لأن ذلك فوق طاقة المجتمع بحكم الطبيعة.

فالتعبير عن الحقيقة بالقواعد القانونية الوضعية ما هو إلا عملية افتراضية تماماً، قد تُصيب جانباً من الحقيقة فقط وقد لا تصيبه، وإلا فما سر التغييرات والتبديلات المستمرة والتعديلات المتلاحقة للشرائع والقوانين الوضعية عموماً؟!!

٢ ـ وقد تكون الشريعة كاملة وصحيحة ومعبّرة عن الحقائق الحياتية للفرد والمجتمع والسلطة كالشريعة الإسلامية، ومع هذا تسقط الدولة التي تتبناها بسبب عدم تطبيق أحكام هذه الشريعة كلها، لأن الشريعة بمجملها سلسلة حلقات متداخلة ومترابطة، فأي تلف بحلقة من هذه الحلقات يترك مفاعيله وآثاره ذات يوم على الحلقات الأخرى، ويؤدي لتعطيلها بوقت يطول أو يقصر.

٣ ـ وقد تكون الشريعة صحيحة وكاملة ومعبرة عن الحقائق القانونية وهنالك جدية ورغبة بتطبيقها كالشريعة الإسلامية، ولكن تحدث خلافات في المجتمع وهذا أمر طبيعي لأنه لولا حتمية وقوع الخلافات، لما وجدت الشريعة أصلاً.

فإذا حدث أي خلاف في المجتمع، ولم يحل هذا الخلاف ويُفصل وفق قواعد الشريعة، فإنه يشكل نقطة مرضيّة كالسل تمتد مع الأيام وتكبر، حتى تقوض نظام المجتمع ذات يوم، وهذا ما حدث بالفعل في التاريخ الإسلامي بعد وفاة الرسول الأعظم، فقد وُجد خلاف واختلاف، أو افتعل خلاف مضمونه من يتولى ولاية الأمر، أو الإمامة، أو رئاسة الدولة بعد الرسول، فأُهمل النص الشرعي، أو أولوه إلى تأويلات أخرى، ودخل الناس دائرة الإجتهاد والعقل مع وجود النص ووضوحه، وحُسم هذا الخلاف، ولكن بطريقة عقلية واجتهادية، لا بطريق الشرع، وسويّت الأمور على هذا

الأساس!! ولكن في ما بعد، وبغفوة من الناس استشرى هذا المرض، وهو عدم حل الخلافات وفق الشريعة، وما زال هذا المرض يستشري ويتفاقم يوماً بعد يوم، حتى اقتلع في النهاية نظام الإسلام من جذوره، ورفعه عملياً من المجتمع.

نوعا التشريع

عرفت البشرية عبر تاريخها الطويل نوعين من الشرائع

١ ـ **شرائع إلهية**: أي مجموعة قواعد لتنظيم المجتمع شرّعها الله، وأتاح للبشرية فرصة تنفيذها، أي أن الذي وضعها هو الله سبحانه وتعالى ليستعين بها البشر بتنظيم حياتهم، ودور البشر ينحصر بتطبيق هذه الشريعة، وقطف ثمرة هذا التطبيق ومثالها.

١ ـ القواعد التي أنزلها الله، وعلى إبراهيم وعلى آدم، وعلى موسى، وعلى داود وسليمان عليهم الصلاة والسلام.

٢ ـ وأخذت الشريعة الإلهية صورتها النهائية والتامة والشاملة في دين محمد ﷺ، وأُعدت هذه الشريعة لتقود المجتمع الذي يأخذ بها نحو الكمال الإنساني في كافة نواحي الحياة وبالفعل فقد طبقت هذه الشريعة على الدعوة، وطبقت على الدولة معاً وحكمت هذه الشريعة مجتمع المؤمنين في عهد الرسول الأكرم وطبقت تطبيقاً كاملاً لا عوج فيه.

وبانتقال رسول الله إلى جوار ربه، أخذت قواعد هذه الشريعة تفك عن واقع الحياة قاعدة قاعدة حتى لم يبق منها إلا الشكل فسقط هذا الشكل بسقوط دولة الخلافة العثمانية ولا بد من التأكيد بأن الإمام علي قد طبق الشريعة خلال عهده الشريف تطبيقاً كاملاً، ولكن الخلل كان قد استقر نهائياً في المجتمع، ولم يعطى الإمام فرصة لإصلاح هذا الخلل المتراكم طوال ثلاثين عاماً.

٢ ـ **الشرائع الوضعية**: ومعنى الشرائع الوضعية أنها ليست من عند الله، إنما وضعها فرد، أو وضعتها جماعة قَلَّتْ أو كَثُرت، ففي الأنظمة الديكتاتورية كان الملك أو الحاكم المطلق يضع بعض القواعد التشريعية، ثم يلزم بها رعيته، وبزوال الحكم المطلق وانتشار المبادىء التحررية والماركسية الشيوعية اكتسبت القواعد القانونية أهمية خاصة، وأصبحت عنواناً للتقدم، وأجمعوا على أن الشريعة المثلى تتحقق عندما تكون قواعدها موضوعية، وعامة، ومجرده، تطبق على كل الأشخاص بغض النظر عن الذات!!

أما الجهة المختصة بوضع القوانين فهي الشعب أو الأمة، وقد اختلفوا بتحديد الشعب، فقد كان الشعب الحقيقي في بداية تطبيق المذهب التحرري هو فقط الطبقة البرجوازية المالكة، فهي الأقدر والأكثر أهلية لممارسة الحقوق السياسية، أما بقية الأشخاص الذين لا يملكون والخاضعين لسلطان الدولة، فليس لهم من الحقوق السياسية إلا ملك الرقبة!!

ثم هبط هذا المذهب التحرري من تجريده المطلق، وحدد الشعب عملياً على أن مجموعة الأفراد الذين لهم حق الانتخاب ـ مع أن الدولة هي دولة الشعب ـ أي كافة الأفراد التابعين للدولة والذين يحملون جنسيتها.

فالجسم الانتخابي هو الذي يختار السلطة التشريعية، والسلطة التشريعية هي التي تضع القواني، والسلطة التنفيذية تعمل هذه القوانين والسلطة القضائية تفيض وتفصل المنازعات وفق هذه القوانين.

والجهة المختصة بوضع التشريعات في المذاهب الماركسية الشيوعية هي الشعب أيضاً!! والشعب يعني في البداية ـ طبقة البروليتاريا، فالمجالس التي تنتخبها طبقة البروليتاريا هي المجالس التشريعية المختصة بوضع القوانين!!

هيمنة الشرائع الوضعية وأساسها

إن الشرائع الوضعية أي الشرائع التي لا يضعها الله إنما يضعها فرداً أو جماعة حسب التفصيل الوارد بالفقرة السابقة، هذه الشرائع هي السائدة في العصر الحديث، بعد انحسار موجة الحكم المطلق، وبعد انفصال الدين عن الدولة في النظم الرأسمالية الغربية، والنظم الماركسية الشيوعية، وفي كافة النظم التي قلدت هذين المذهبين، ونسجت على منوالهما التشريعي، وفكرة الدين مستبعدة عملياً، ولا يغير من هذه الحقيقة شيء وجود نص في دساتير العالم الاسلامي مفاده «أن دين الدولة هو الإسلام» فهذا النص لا يُقدّم ولا يؤخر، ولا يخرج هذه الدول من دائرة التشريعات الوضعية، لأن القوانين النافذة في هذه الدول هي من صنع ووضع الجماعات السياسية فيها، فهي التي صاغتها، وهي التي وضعت أسسها وهي التي أكسبتها صيغة النفاذ.

وهذه القوانين لا تستند على أي أساس من الشريعة الإسلامية وإذا استندت بعض قواعدها لأحكام الشريعة، فلم يكن ذلك بطريقة مقصودة إنما كان هذا الاستناد بالصدفة أو عفوياً، أو بسبب وجود قيم مشتركة بين أبناء الجنس البشري، كقيمة العدل، فكل دول العالم تنشد العدل من خلال قوانينها الوضعية!! تماماً كما تنشد الأديان العدالة من خلال الشرائع الإلهية.

وبتعبير آخر إن دول العالم الحديث عندما تضع القوانين تنطلق من ثوابت ومعطيات المذاهب السياسية المادية في عملية وضع المواد القانونية لكافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعموماً كل ألوان أنشطتها التشريعية من هذا النوع، ويحكم هذه الثوابت والمعطيات اتجاهان مطروحان وهما، الاتجاه الرأسمالي الغربي، والاتجاه الماركسي الشيوعي الذي بدأ نجمه بالأفول ـ على حد تعبير محقق مقدمة الدستور الإيراني. وتصبح الشريعة السائدة مُثلى عندما تكون قواعدها عامة ومجردة

وموضوعية، بحيث تسري على صفات الأفراد حيثما تحققت، وأقصى ما يتمناه كل مجتمع سياسي، هو أن تصدر القوانين من الشعب بالصورة التي فصلناها سابقاً، وتسود هذه القوانين «سيادة القانون» أو الشريعة النافذة، وأن يتعاون الجميع/ الفرد والمجتمع والسلطة لتحقيق هذه السيادة، ولكن الحافز الوحيد لذلك هو المصلحة المادية!!

وبالإيجاز فإن كافة الشرائع السائدة في الدول المعاصرة الآن هي شرائع وضعية، والدولة الوحيدة التي تتبنى وتطبق شريعة إلهية هي الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الشريعة النافذة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية

طبيعة الشعب الإيراني وطبيعة نظامه

الإسلام في إيران أكثر من دين، إنه هوية، وهو انتماء، وهو الحياة، وهو الآخره، بكل مباهجها الموعودة، تلك هي النظرة العميقة المتأنية، وثمرة تجارب الحياة لدى الأغلبية الساحقة من شعب إيران المسلم.

وعلماء الإسلام في إيران، ليسوا مجرد علماء كبقية علماء العالم الإسلامي المعاصر، إنما هم القادة الفعليون للشعب الإيراني، كان الشاه هو تلك الأجساد، وكان العلماء هم ملوك القلوب، لأنهم في نظر الشعب الإيراني هم الأمناء على الحلال والحرام، والحوزات العلمية في إيران وهي التي خرجتهم، لم تخضع لسلطان الدولة، إنما كانت مؤسسات مستقلة عن الدولة، ولذلك تلقى العلماء العلوم الأساسية التي أرادهم الإسلام أن يتلقوها بينما علماء الإسلام في بقية الدول الاسلامية قد تلقوا العلوم التي أجازت لهم الدولة تلقيها، وأبعد من ذلك فإنهم تلقوا العلوم الشرعية من دول لا تطبق الشرع، ولا تؤمن به.

تلك هي طبيعة الشعب الذي احتضن الثورة، وملك طبيعة القيادة التي

قادت هذه الثورة، تلك الثورة التي ادت إلى خلع الشاه واسقاط نظامه، واحلال الفقيه العادل محل الشاه، واحلال الحكومة الاسلامية محل نظام الشاه.

فقادة الثورة هم علماء الإسلام الذين تلقوا العلوم الإسلامية لا من خلال دول علمانية إنما من خلال حوزات علمية دينية، والشعب الذي صنع الثورة الإسلامية هو شعب صهرته المحن والمعاناة وقادته الأشواق إلى حكومة الله.

الشريعة الإسلامية النافذة في إيران انعكاس لعقيدة الشعب الإيراني

والشريعة النافذة في أي مجتمع من المجتمعات ما هي إلا انعكاس لعقيدة يؤمن بها الشعب، ولبرنامج سياسي يطمح الشعب، وتطمح قيادته بتحقيقه من خلال الشريعة النافذة، هذا ما عبرت عنه مقدمة الدستور الإيراني حيث جاء فيها وعلى الصفحة ٢٨ ما يلي وبالحرف «دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية يعبر عن الخصائص والعلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادي للمجتمع الإسلامي الجديد، ولذا لا بد أن يكون هذا الدستور وسيلة لتثبيت أركان الحكومة الاسلامية، وعرضاً لنظام حكم جديد، قام على انقاض حكومة الطاغوت السابقة».

وجاء أيضاً وبالحرف، «لا تبنى الحكومة الاسلامية من وجهة نظر الإسلام على الطبقية، أو على سلطة الفرد، أو المجموعة، بل أنها مجمع للأهداف السياسية لشعب متحد في عقيدته وتفكيره، حيث يقوم بتنظيم نفسه حتى يستطيع من خلال الحركة الفكرية والعقائدية أن يسلك طريقه من خلال الحركة إلى الله نحو هدفه النهائي وهو نيل رضوان الله... وقد عاد شعبنا إلى الأصول الفكرية وإلى النظرة الاسلامية الأصلية للعالم وهو يسعى الآن إلى بناء مجتمعه النموذجي معتمداً على المعايير الاسلامية.

طبيعة قادة الحكومة الإسلامية في إيران

وحيث يعتمد بناء المجتمع على المراكز والمؤسسات السياسية القائمة على التعاليم الاسلامية، فإن الحكم وإدارة شؤون البلاد ينبغي أن تكون بيد الأشخاص الصالحين ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾، ويجب أن يتم التشريع في ضوء القرآن والسنة، حيث يبين هذا التشريع الأسس اللازمة لإدارة المجتمع، وعليه فإن من الضروري لزوم الاشراف التام من قبل علماء المسلمين المتصفين بالعدالة والتقوى، «الفقهاء العدول» والهدف من إيجاد حكومة.

الهدف من الحكومة الإسلامية في إيران

وتتابع مقدمة الدستور قائلة «والهدف من إيجاد حكومة إسلامية هو هداية الإنسان للسير نحو النظام الإلهي، كي تتواجد الظروف المناسبة لظهور المواهب وتفتحها نحو الأخلاق الإلهية في الإنسان «تخلقوا بأخلاق الله» وهذا لن يتحقق إلا بالتعاون المشترك والدؤوب من قبل جميع أفراد المجتمع.

أول مظهر من مظاهر الحكومة الإسلامية

اعتماد الشريعة وتطبيقها

الحكومة الإسلامية في إيران تلتقي مع كافة الجماعات والاتجاهات الاسلامية، وترى بأن معيار وجود حكم اسلامي من عدم وجوده، هو اعتماد الشريعة الإسلامية، وتطبيقها وتفرّد الذات الإلهية بالحاكمية والتشريع. لذلك نصت المادة الثانية من الدستور الإيراني عى ما يلي وبالحرف:

يقوم نظام الجمهورية الإسلامية على أساس:

١ ـ الإيمان بالله الأحد «لا إله إلا الله» وتفرده بالحاكمية والتشريع ولزوم التسليم بأمره» وهذا عين ما تطالب به التيارات الإسلامية على مختلف

طرقها، وما تجتمع عليه ولو من الناحية النظرية.

٢ ـ وبالفقرة الثانية من المادة الثانية من الدستور الإيراني، توضيح وتجليه للفقرة الأولى إذ جاء فيها ما يلي وبالحرف «الإيمان بالوحي الإلهي ودوره الأساسي في بيان القوانين».

٣ ـ وجاء بالفقرة الثالثة من نفس المادة «الإيمان بالمعاد ودوره الخلاق في مسيرة الإنسان التكاملية نحو الله».

٤ ـ وبالفقرة الرابعة «الإيمان بعدل الله في التكوين والتشريع.

٥ ـ ونصت الفقرة الخامسة من المادة الثانية على ما يلي «الإيمان بالإمامة والقيادة المستمرة ودورها الأساسي في استمرار الثورة التي أحدثها الإسلام.

٦ ـ أما الفقرة السادسة فقد نصت على ضرورة الإيمان بالإجتهاد المستمر من قبل الفقهاء جامعي الشرائط على أساس الكتاب وسنة المعصومين «سلام الله عليهم أجمعين».

وحسب هذه المادة فإن الله قد تفرد بوضع الشريعة الإسلامية، وأن هذه الشريعة قد جاءت بطريق الوحي الإلهي، ودورها هو الأساس في بيان القوانين النافذة، وأن الله سبحانه وتعالى سيعيد الخلق ويسألهم عن تطبيق الشريعة والإلتزام بها، وأن قواعد هذه الشريعة هي جزء من إيمان المسلم وهي قواعد تنم عن عدل الله في التشريع، وبنفس الوقت فإن تطبيق هذه الشريعة يحتاج إلى إمامة وقيادة مستمرة لمتابعة مسيرة الإسلام، وهذا يستدعي بالضرورة اجتهاد مستمر من قبل العلماء، الفقهاء، جامعي شروط الإجتهاد على أساس الكتاب وسنة الرسول الأكرم ومنهج الأئمة الكرام من أهل بيت النبوة.

وبالرغم من الإلتزام المطلق بالقواعد الشرعية الإلهية فإن هذا الإلتزام لا يمنع بل ويجيز الاستفادة من العلوم والفنون والتجارب المتقدمة لدى البشر، من أجل محو الظلم والقهر مطلقاً، ورفض الخضوع لهما، كما جاء بالفقرة «٦» من المادة الثانية من الدستور، وأكبر الظلم هو عدم الحكم بما أنزل الله، وعدم الحكم بما أنزل الله هو الذي جر الظلم وجر القهر، وهيأ المناخ الملائم للخضوع للظلم والقهر.

ثم إن المادة الرابعة من الدستور تؤكد على ما يلي وبالحرف:

«يجب أن تكون الموازين الإسلامية أساس جميع القوانين والقرارات المدنية والجزائية والمالية والاقتصادية والإدارية والثقافية والعسكرية وغيرها، هذه المادة نافذة على جميع مواد الدستور والقوانين والقرارات الأخرى إطلاقاً وعموماً، ويتولى الفقهاء في مجلس صيانة الدستور تشخيص ذلك».

ونصت المادة ٧١: «على أن لمجلس الشورى أن يسن القوانين في كافة القضايا ضمن الحدود المقررة في الدستور «مجلس الشورى سلطة مقننة أو تشريعية».

ونصت المادة ٧٢ من الدستور على ما يلي «لا يستطيع مجلس الشورى الإسلامي بأن يسن القوانين المغايرة لأصول وأحكام المذهب الشرعي للبلاد أو المغايرة للدستور.

ونصت المادة ٧٣: بأن شرح وتفسير القوانين العادية يعتبر من صلاحية مجلس الشورى الإسلامي».

ونصت المادة ١٦٢ «على أنه يشترط في رئيس المحكمة العليا والمدعي العام للبلاد أن يكونا مجتهدين عادلين...

ونصت المادة ١٦٧ من الدستور على ما يلي أن «على القاضي أن يسعى

لاستخراج كل حكم في أية دعوى من القوانين المدونة، فإن لم يجد فعليه أن يصدر حكم القضية اعتماداً على المصادر الإسلامية المعتمدة أو الفتاوى المعتبرة.

ونصت المادة ١٧٠ من الدستور على ما يلي «على قضاة المحاكم أن يمتنعوا عن تنفيذ القرارات واللوائح الحكومية المخالفة للقوانين والأحكام الإسلامية.

الضمانة الفعلية في إيران لشرعية القوانين النافذة

لقد تبين لنا أن الشريعة النافذة في إيران هي الشريعة الإسلامية، وأن الدستور الإسلامي الإيراني قد أوجد ضمانات فعلية لانطباق كافة القوانين السارية في إيران مع الشريعة الإسلامية، ولانطباق كافة القواعد التفسيرية معها تماماً بدليل أن الجهة الوحيدة التي بامكانها سن القوانين هي السلطة المسماة بالسلطة التشريعية أو السلطة المقننة، وهي مجلس الشورى الإسلامي.

وقد نصت المادة ٩٣ من الدستور بأن لا مشروعية لقرارات مجلس الشورى الإسلامي إلا بوجود مجلس صيانة الدستور، ونصت المادة ٩٤ من الدستور بوجوب أن يرسل مجلس الشورى الإسلامي جمَيع ما يصادق عليه من القوانين إلى مجلس صيانة الدستور.

ومهمة مجلس صيانة الدستور أن يتأكد من أمرين.

١ ـ مطابقة القوانين التي يسنها مجلس الشورى مع الإسلام.

٢ ـ مطابقة القوانين التي يسنها مجلس الشورى مع الدستور.

إذا لم تكن هذه القوانين متطابقة تماماً مع الإسلام، فإن مجلس صيانة الدستور لن يصادق عليها.

كذلك فإذا لم تكن القوانين التي سنها مجلس الشورى متطابقة مع

الدستور فلا مشروعية لها وهي بحكم العدم بالرغم من موافقة مجلس الشورى عليها.

وهكذا لن يوضع أي قانون موضع التطبيق إلا بموافقة مجلس صيانة الدستور عليه للتأكيد من مطابقته لأحكام الشريعة الإسلامية من جهة، ومطابقته لأحكام الدستور من جهة ثانية.

والذي يقرر أن هذه القاعدة القانونية مطابقة للإسلام أو غير مطابقة هو مجلس صيانة الدستور كذلك فإن الذي يقرر أن هذه القاعدة القانونية أو تلك مطابقة للدستور هو مجلس صيانة الدستور.

مجلس صيانة الدستور هو الضمانة الفعلية لاسلامية ودستورية القوانين

يتبين لنا أن مجلس صيانة الدستور هو الضمانة العملية لانطباق القوانين النافذة مع الإسلام، وانطباقها مع الدستور، خاصة وأنه لا ينفذ ولا يوضع موضع التطبيق أي قانون دون موافقة مجلس صيانة الدستور، فقبل موافقة هذا المجلس لا يعتبر القانون قانوناً حتى وإن وافق عليه مجلس الشورى الإسلامي بالإجماع.

وهذا يقتضي أن يكون أعضاء مجلس صيانة الدستور من نوعية خاصة من العلماء وهذا ما نص عليه الدستور الإيراني حين بين بأن مجلس صيانة الدستور يتكون من اثني عشر عضواً.

١ ـ ستة من الفقهاء العدول العارفين بمقتضيات العصر، وهم علماء دين يعينهم الإمام.

٢ ـ وستة من العلماء القانونين المختصين بفروع القانون، يرشحهم رئيس السلطة القضائية ويصادق عليهم مجلس الشورى الإسلامي، وتحديد التعارض بين ما يصادق عليه مجلس الشورى وبين الإسلام يتم باغلبية الفقهاء

الستة، وتحديد التعارض بين القوانين وبين الدستور يتم بأكثرية جميع الأعضاء.

ومن هنا يتبين لنا بكل وضوح أن الشريعة الإسلامية هي المطبقة في إيران فعلاً، وأنه لن يطرح للتنفيذ أي نص قانوني ما لم يكن متفقاً مع أحكام الشريعة الإسلامية، فالحاكمية الفعلية والتشريع لله، والشريعة الإسلامية هي صاحبة السيادة الحقيقية في إيران.

مجلس الشورى الإسلامي، السلطة المقننة

مجلس الشورى الإسلامي، يقوم بكامل الوظائف التي تقوم بها المجالس النيابية في الدول الديمقراطية، فهو السلطة المقننه أو التشريعية، يتألف هذا المجال من مائتين وسبعين عضواً من تاريخ ١٩٧٩م وبعد كل عشر سنوات يمكن إضافة عشرين نائباً كحد أعلى ـ حسب الظروف ـ وينتخب الزرادشت نائباً، واليهود نائباً وينتخب المسيحيون الأشوريون والكلدانيون معاً نائباً واحداً، والمسيحيون الأرمن في الجنوب نائباً، وفي الشمال نائباً آخر، يتم انتخاب أعضاء مجلس الشورى، مباشرة من الشعب، وبالاقتراع السري، ومدة النيابة في مجلس الشورى أربع سنوات، وتجري في أي وقت من الأوقات، وبعد اجراء الانتخابات تصبح جلسات مجلس الشورى الاسلامي رسمية بحضور ثلثي عدد النواب.

مناقشات مجلس الشورى الإسلامي يجب أن تكون علنية، وينشر التقرير الكامل عنها عن طريق التلفزيون والجريدة الرسمية ليطلع الرأي العام، ويمكن عقد جلسة خاصة غير علنية، إذا دعت الضرورة والحفاظ على أمن البلاد، وذلك بطلب من رئيس الجمهورية أو أحد الوزراء أو عشرة من نواب المجلس.

لرئيس الجمهورية ومعاونيه والوزراء مجتمعين أو منفردين الحق بالاشتراك في الجلسات العلنية للمجلس، ويحق لهم اصطحاب مستشارين معهم وإذا رأى النواب ضرورة حضور الوزراء فإنهم مكلفون بالحضور، وعلى المجلس أن يستمع لأقوالهم إذا ما طلبوا ذلك.

صلاحيات مجلس الشورى

١ ـ يحق لمجلس الشورى الإسلامي أن يسن القوانين في القضايا كافة ضمن الحدود المقررة في الدستور.

٢ ـ لا يحق لمجلس الشورى أن يسن قوانين معارضة لأصول وأحكام المذهب الرسمي للبلاد أو المغايرة للدستور، ويتولى مجلس صيانة الدستور مهمة البت في هذا الأمر طبقاً لأحكام المادة ٩٦ من الدستور.

٣ ـ شرح القوانين العادية وتفسيرها من صلاحية مجلس الشورى، وهذا لا يمنع القضاة من تفسير القوانين في نطاق تشخيص الحق.

٤ ـ تقدم اللوائح القانونية بعد مصادقة مجلس الوزراء عليها إلى مجلس الشورى، ويستطيع ما لا يقل عن ١٥ نائباً اقتراح مشاريع القوانين وطرحها في المجلس.

٥ ـ تتم المصادقة على المواثيق، والعقود، والمعاهدات، والاتفاقات الدولية من قبل مجلس الشورى.

٦ ـ لا يجوز فرض الأحكام العرفية، ولكن في حالات الحرب والظروف الاضطرارية يحق للحكومة بعد مصادقة مجلس النواب أن تفرض مؤقتاً بعض القيود الضرورية على أن لا تستمر أكثر من ثلاثين يوماً، فإذا استمرت اكثر من هذه المدة يجب موافقة المجلس.

٧ ـ عمليات الإقتراض والاقراض أو منح المساعدات داخل البلاد

وخارجها يجب أن تتم بموافقة المجلس.

٨ ـ لا يجوز للحكومة توظيف الخبراء الأجانب إلا في حالات الضرورة وبعد موافقة المجلس (مجلس الشورى).

٩ ـ العقارات والأموال الحكومية التي تعتبر من المباني الأثرية والآثار التراثية لا يجوز نقل ملكيتها لأحد إلا بمصادقة مجلس الشورى.

١٠ ـ كل نائب مسؤول تجاه جميع أبناء الشعب وله الحق في ابداء وجهة نظره في قضايا البلاد الداخلية والخارجية كافة.

١١ ـ النيابة منصب شخصي لا يقبل التفويض ولا يستطيع المجلس أن يفوض صلاحية وضع القوانين لشخص أو هيئة...

١٢ ـ يتمتع أعضاء المجلس بحرية تامة في مجال ابداء وجهات نظرهم وآرائهم في نطاق اداء مسؤولياتهم النيابية، ولا يجوز ملاحقتهم أو توقيفهم بسبب آرائهم أو وجهات نظرهم التي يبدونها في المجلس ضمن آداء مهام النيابة.

١٣ ـ على رئيس الجمهورية بعد تشكيل مجلس الوزراء وقبل أية خطوة أن يحصل لهم على ثقة مجلس الشورى الإسلامي، ويستطيع أن يطلب من مجلس الشورى الاسلامي منح مجلس الوزراء الثقة في الأمور المهمة أو المختلف عليها.

١٤ ـ في حالات توجيه ربع مجلس النواب على الأقل سؤالاً إلى رئيس الجمهورية، أو توجيه أي نائب سؤال إلى الوزير المسؤول فإن على رئيس الجمهورية أو الوزير المسؤول الحضور إلى المجلس للإجابة على السؤال الموجه إليه، ويجب أن لا تتأخر إجابة رئيس الجمهورية عن شهر وإجابة الوزير عن عشرة أيام.

١٥ ـ يستطيع أعضاء مجلس الشورى استيضاح مجلس الوزراء أو أحدهم في أي مجال يرونه ضرورياً، ويكون الاستيضاح قابلاً للمناقشة في المجلس إذا قدمه ما لا يقل عن عشرة نواب وعلى مجلس الوزراء أو الوزير الذي يستدعي للاستيضاح أن يحضر في المجلس خلال عشرة أيام من تاريخ عرض الإستيضاح في المجلس.

١٦ ـ ويحق للمجلس سحب ثقته، وإذا لم يمنح المجلس ثقته يعزل مجلس الوزراء أو الوزير المقصود بالاستيضاح.

١٧ ـ إذا صوت أكثرية الثلثين من النواب على عدم كفاءة رئيس الجمهورية، فيرفع ذلك إلى مقام القيادة لعزل رئيس الجمهورية.

١٨ ـ يتلقى مجلس الشورى الشكاوى حول طريقة عمل المجلس أو السلطة التنفيذية أو القضائية، وحينما تكون الشكوى متعلقة بالسلطة القضائية أو التنفيذية يجب على المجلس أن يطالب هاتين السلطتين بالتحقيق والرد الكافي.

الفصل الثالث

الإمام أو القائد أو ولي الأمر في الحكومة الإسلامية الإيرانية

التكليف والخضوع للشريعة

لا بد من الإشارة بأن الإمام أو القائد أو ولي الأمر في الإسلام وفي جمهورية إيران الإسلامية هو أعلى وأرفع مسؤول في الدولة الإسلامية أو الحكومة الإسلامية، فهو رئيس الدولة الأعلى الذي لا يعلو عليه في الدولة أحد، ولكنه مُكلّف تماماً، وخاضع للشريعة الإسلامية وليس فوقها، وحتى الرسول الأعظم نفسه كان مُكلّفاً، وخاضعاً للشرع الإلهي خضوعاً تاماً. كذلك فإن كافة القوى التي تعمل تحت اشراف الإمام أو القائد أو ولي الأمر مكلفة مثله، وخاضعة مثله للشريعة الإسلامية، والدستور الإسلامي الإيراني وعلى ضوء أحكام الشريعة جعل الإمام أو القائد أو ولي الأمر هو الرجل الأول في الحكومة الإسلامية، وهو المشرف على كافة سلطاتها وكل القوى العاملة معها.

القيادة الفردية والقيادة الجماعية

الأصل في الإسلام وجود إمام واحد، أو قائد واحد، أو ولي أمر واحد للأمة الإسلامية يكون بمثابة قلب الأمة وعقلها المدبر، ولكن نظراً لانتقال الأئمة الأحدى عشر إلى جوار ربهم وغياب الإمام الثاني عشر، وعدم معرفة

متى يظهر ونظراً لضرورة وجود الحكومة الإسلامية، وضرورة استمرارها، فلا بد من البحث عن البديل المؤقت للإمام الذي اختاره الله «الإمام الثاني عشر» ليقود الأمة والحكومة الإسلامية أثناء غيابه، وقد اهتدى الشعب الإيراني إلى ولاية الفقيه، أو الفقيه العادل الذي ترضى بقيادته وولايته للأمر الأكثرية الساحقة من أبناء الشعب الإيراني المسلم ليتولى الإمامة أو القيادة أو ولاية الأمر أثناء غياب الإمام الثاني عشر، وقد توصل الدستور الإيراني إلى حلين لرئاسة الدولة أو الإمامة أو ولاية الأمر طيلة غياب الأمام أو ولي الأمر الذي اختاره الله وهو الإمام المهدي «الإمام الثاني عشر».

الإمام أو القائد أو ولي الأمر في الحكومة الإسلامية الإيرانية

لا بد من الإشارة بأن الإمام أو القائد أو ولي الأمر في الجمهورية الإسلامية الإيرانية مُكلّف تماماً، وخاضع للشريعة الإسلامية، كذلك فإن كافة القوى التي تعمل تحت إشرافه مكلفة، مثله، وخاضعة للشريعة، والدستور الإسلامي الإيراني وعلى ضوء أحكام الشريعة، قد قسم الأدوار والتكاليف وأوجد ضمانات حقيقية بيد الأمة.

من هو الإمام أو القائد أو ولي الأمر أو رئيس الدولة

ولي الأمر هو الإمام محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه، وهو عربي من احفاد النبي الأكرم، وهو غائب الآن لإسباب ليس هذا هو المكان المناسب لذكرها.

وغياب الإمام الشرعي الذي اختاره الله لرئاسة الأمة الإسلامية والحكومة الإسلامية لا يبرر غياب دولة الإسلام وحكومته، لأن الإسلام والسلطان أخوان توأمان لا يصلح أحدهما إلا بالآخر كما بين الرسول الأكرم. حقيقة أنه لا أحد في العالم كله يمكن أن يتولى أمور الأمة الإسلامية ويدير أمورها وفق الشرع الحنيف بنفس الكفاءة والقدرة التي يتولى ويدير بها الإمام

المهدي أمر هذه الأمة، والسبب أنه لا يوجد أحد معتصم بالله أكثر من الإمام المهدي أو غيره من الأئمة الذين أختارهم الله، ولا يوجد أحد يفهم الشرع، ويتمتع بالمزايا والصفات والمؤهلات التي يتمتع بها الإمام الذي اختاره فهو مميز بكل الأمور اللازمة لقيادة الأمة من العلم والتقوى، ومعرفة الله، والمعرفة بشرعه الحنيف، والمتقدم على إمام هذه صفاته، هو خائن لله ولرسوله . . .

ولكن الإمام الشرعي غائب، ولا نعرف متى يظهر، ومن ضرورات الدين أن تكون هناك دولة اسلامية، وحكومة اسلامية.

١ ـ الحل الأول وهو الأصل: وهو أن يمارس الإمامة أو القيادة أو ولاية الأمر فقيه عادل واحد له مواصفات معينة، وتقبله الأكثرية الساحقة من الأمة.

٢ ـ الحل الثاني: وهو حل احتياطي أنه في حالة عدم احراز شخص معين للمواصفات والشروط المطلوبة تؤول ولاية الأمر مؤقتاً إلى ثلاثة أو خمسة مراجع من الفقهاء جامعي شروط القيادة وذلك ريثما يتوفر وجود الفقيه العادل التي تقبله الأكثرية الساحقة من الأمة إماماً وقائداً وولياً لأمرها المواد ١٠٥ و١٠٦ و١٠٧ من الدستور الإسلامي الإيراني عالجت هذا الموضوع.

شروط الإمام أو القائد أو ولي الأمر في إيران

نصت المادة الخامسة من الدستور الإسلامي الإيراني على ما يلي وبالحرف:

«في زمن غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه تعتبر ولاية الأمر، وإمامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه العادل المتقي البصير بأمور العصر، الشجاع القادر على الإدارة والتدبير ممن أقرت له أكثرية الأمة وقبلته قائداً لها».

وجاءت المادة ١٠٩ من الدستور لتبين بصورة مستقلة شروط ومواصفات هذا القائد بقولها:

١ ـ الصلاحية العلمية والتقوى اللازمتين للإفتاء والمرجعية.

٢ ـ الكفاءة السياسية والاجتماعية والشجاعة والقدرة والإدارة الكافية للقيادة.

ومن هنا يتبين أن الشروط والصفات الواجب توافرها بولي الأمر وإمام الأمة في إيران تنحصر في مجموعتين:

١ ـ مجموعة تتعلق بذاته وصفاته وهي: أن يكون فقيهاً في علوم الدين والدنيا وهو باصطلاح الشيعة مجتهد، وهذا الشرط وضعته المادة الخامسة من الدستور بقولها «الفقيه العادل» وكذلك المادة ١٠٩ من الدستور الفقرة الأولى التي اشترطت «الصلاحية العلمية والتقوى اللازمتين للإفتاء والمرجعية، وهذه الصلاحية العلمية المتمثلة بالفقه يجب أن يلازمها تقوى، لأن العلم والتقوى هما الأساس اللازم للمرجعية والافتاء، ويستتبع ذلك أن يكون عادلاً أي مستقيماً بقوله وسلوكه وبقدرته على اعطاء الناس حقوقهم بالسوية ودون ظلم، ولا يكفي أن يكون مجتهداً، بل يجب أن يكون بصيراً بأمور العصر، شجاعاً قادراً على الإدارة والتدبير.

فإذا وجد هذا الشخص فإن الخبراء المنتخبين من قبل الشعب يبحثون ويتشاورون حول كافة الأشخاص الذي لهم صلاحية المرجعية والقيادة، فإذا وجدوا مرجعاً يمتلك امتيازاً خاصاً للقيادة فإنهم يعرفونه للشعب باعتباره قائداً، وهذا ما نصت عليه المادة ١٠٧ من الدستور.

٢ ـ شرط يتعلق بالأمة، لا يكفي علم المرشح ولا تقواه، ولا استقامته ولا مرجعيته الدينية لأن هذه الأمور متعلقة بذاته، بل لا بد من توفر شرط آخر، وركن من أركان الولاية وهو أن تقر أكثرية الأمة له بكافة شروط القيادة

الآنفة الذكر، وتقبله للقيادة بالأكثرية الساحقة، فالأكثرية ليست كافية، إنما يجب أن يكون أكثرية ساحقة، وهذا ما أشارت إليه المادة ١٠٩ من الدستور الإسلامي الإيراني.

أول إمام وولي للأمر في إيران الإسلامية

كان أول ولي للأمر وإمام في دولة إيران بعد الثورة هو الإمام آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني، وهو يتصل بنسب برسول الله حيث أنه من سلالة الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر ابن الأمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم سلام الله أجمعين، وهذا هو السر باسمه الموسوي.

لقد توفرت بالإمام الموسوي الخميني كافة شروط الصلاحية العلمية والتقوى اللازمتين للمرجعية والإفتاء، فهو الفقيه الذي لا يشق له غبار، وهو العادل التقي البصير بأمور العصر، الشجاع القادر على الإدارة والتدبير، وقد تمتع بكافة الكفاءات السياسية والاجتماعية والشجاعة والقدرة الكافية للقيادة، تماماً بالصورة الموضحة بالمادتين الخامسة و١٠٩ من الدستور الإسلامي الإيراني، وليس أدل من توفر هذه الصفات ولصوقها به هو تمكنه وهو فرد من أن يقنع شعب إيران، وأن يواجه أكبر طاغية في الشرق مدعوماً دعماً كاملاً من كل قوى الكفر، وأن يهزم الطاغية وقوى الكفر الواقفة معه هزيمة ساحقة ثم انه قد اعتلى سدة رئاسة أغنى دولة في الشرق، ومع هذا لم يشتري لنفسه عباءة من مالها، ولم يلبس ثوباً منها، ولم يسكن قصراً من قصور الدولة، وإنما كان يقيم في مدرسة، ولم يبن لنفسه بيتاً، ولم يضيف شيئاً على بيته السابق المؤلف من غرفتين!! إنما عاش فقيراً، ومات فقيراً، وليس عنده درهم ولا دينار!!

ومع توفر هذه الصفات الذاتية فيه واللازمة لولاية الأمر وإمامة الأمة،

بايعته الأمة الإيرانية كلها صغيرها وكبيرها، ذكرها وأُنثاها، وأقرت بصفاته، وقبلت بقيادته، بالرضا وبدون اكراه، وبايعته بيعة عامة لم يشهد التاريخ الحديث مثيلاً لها، سواء من حيث الرضا، أو من حيث العفوية التي اندفعت بها الأمة، أو من حيث الإجماع، فكانت البيعة إسلامية خالصة، لأنها قائمة على الرضا ولأنه أهل لولاية الأمر في غيبة ولي الأمر الذي اختاره الله.

وبالرغم من كل العواصف التي هبت من جميع الجهات، والتي اثيرت حوله، ومن كل الصعوبات التي وضعها مجرموا العالم بوجهه، وبالرغم من الحرب التي فرضوها عليه إلا أن الإمام الخميني قد صمد، ووضع الدستور الإسلامي الإيراني موضع التطبيق وحافظ على الأمة الإيرانية متحدة، على الرغم من أن كل دول العالم قد حاصرت إيران مدة ثمانية سنوات متتالية، وحاربت إيران من خلال النظام العراقي.

وبعد ذلك انتقل إلى جوار ربه، وودعته الأمة الإيرانية كلها صغيراً وكبيراً، ذكراً وانثى بجنازة لم يشهد تاريخ البشرية لها مثيلاً، لقد أصبح الإمام الخميني قدوة دستورية وسابقة دستورية، فقد ورد بالمادة ١٠٧ من الدستور ما يلي وبالحرف «إذا نال أحد الفقهاء الجامعي للشروط المذكورة في المادة الخامسة من الدستور على إقرار واعتراف الشعب باكثريته الساحقة لمرجعيته وقيادته كما تحقق ذلك بالنسبة للمرجع الإسلامي الكبير وقائد الثورة آية الله العظمى الإمام الخميني، تكون ولاية الأمر بيده، ويتولى جميع الصلاحيات الناشئة عنها».

الإمام وولي الأمر في إيران الآن

بعد انتقال الإمام الخميني إلى جوار ربه، درس مجلس الخبراء الأمر، وتشاور أعضاؤه حول كافة الأشخاص الذين لهم صلاحية القيادة والمرجعية، فوجدوا مرجعاً واحداً يملك امتيازاً خاصاً للقيادة، وهو الإمام آية الله العظمى

السيد علي الخامنئي، فعرّفوا الشعب به على أساس أنه القائد وولي الأمر والإمام بعد وفاة ولي أمر الأمة وإمامها، وبايعته الأمة الإيرانية بأكثريتها الساحقة تماماً بالصورة التي نصت عليها المادتين ١٠٥ و١٠٧ من الدستور وقد بينا في الباب الأول والثاني من هذا الكتاب طبيعة العلاقة الخاصة التي كانت تربط الإمام الخميني بالإمام الخامنئي، ودور الإمام المميز بنجاح الثورة الإسلامية، ومؤهلاته التامة للقيادة، تلك المؤهلات التي اكتشفها الإمام الخميني وأركان الثورة الإسلامية في إيران فقدروها حق قدرها، حتى أن الإمام الخميني قد صرح علناً بأن السيد علي الخامنئي هو خليفته لأنه قد أُعدّ، وأُهّل تماماً لخلافته، وقد وضحنا ذلك في البابين الأول والثاني، وفصّلناه.

الألقاب الرسمية لولي الأمر في إيران الإسلامية

كلمة إمام، وكلمة القائد، وكلمة ولي الأمر، وكلمة أمير المؤمنين، وحتى كلمة خليفة تؤدي لمعنى واحد، وتدل على شخص واحد، وتطلق على رئيس الدولة الإسلامية، فهو إمام لأنه قدوة، وهو ولي الأمر لأنه الأولى بأمر المسلمين، والمتولي لأمورهم، وهو أمير المؤمنين، وهو خليفة لأنه الشخص الذي خلف رسول الله في الرئاستين الدينية والدنيوية ولكن مصطلح الخليفة فقد بريقه، وقداسته بسبب الواقع التاريخي وسوء أفعال أُولئك الذين تلقبوا بلقب الخليفة، ومصطلح أمير المؤمنين صار كعلم يطلق على الإمام علي، لأن رسول الله قد خلع عليه هذا اللقب ولكن أنسب الألقاب هو لقب إمام، إذا كان معيناً بالطريقة الشرعية لأن الإمام هو المثال والقدوة وهو المرجع لغة، وقد تناولت هذه الألقاب بالتفصيل في كتابي النظام السياسي في الإسلام، وبعد طباعة الكتاب ونشره اكتشفت بعض الأمور التي كانت خافية علي.

وما يعنينا في هذا المقام هو الإشارة إلى أن رئيس الدولة في إيران، يلقب بولي الأمر، ويلقب بالإمام وبالقائد، ويلقب بمرشد الثورة الإسلامية، ويلقب بالفقيه، وهذا ما تدل عليه بوضوح المادة الخامسة من الدستور الإيراني، وكل هذه الألقاب تعبر عن واقع.

فرئيس الدولة الإيرانية هو بمثابة ولي أمر المسلمين أثناء غياب الولي الحقيقي الإمام الثاني عشر، وهو بمثابة الإمام لأنه قدوة من حيث الصلاحية العلمية ومن حيث التقوى ومن حيث المرجعية والافتاء، ومن حيث السلوك، ومن حيث الكفاءة السياسية، وهو القائد، لأنه الشخص المناط به فعلاً مسؤولية قيادة الأمة.

صلاحيات واختصاصات الإمام أو ولي الأمر في إيران

يمارس الإمام أو ولي الأمر، أو القائد في إيران كافة الصلاحيات والاختصاصات التي يمارسها ولي أمر المسلمين وإمامهم وهذا واضح من نص المادة ١٠٧ من الدستور الإسلامي الإيراني إذا جاء فيها ما يلي وبالحرف.

«تكون ولاية الأمر بيده، ويتولى جميع الصلاحيات الناشئة عنها» واختصاصات ولي الأمر أو الإمام في الإسلام هي اختصاصات كثيرة ومتنوعة ولكننا سنوجزها ونجملها اجمالاً بهذه العجالة.

اختصاصات الإمام أو ولي الأمر في الإسلام

١ ـ الاختصاص العقائدي: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وأن أتلو القرآن ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ فمهمة الإمام أو ولي الأمر في الإسلام، هي تلاوة القرآن والعمل به، وتعليمه للناس، وبيان أحكامه ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ..﴾ تلك مهمة الرسول الأولى وهي بالتالي مهمة خليفته وولي الأمر الشرعي من بعده.

٢ ـ اختصاص الحكم: بمعناه المطلق ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾ ومنع حكم الطاغوت ومنع شريعة الطاغوت.

٣ ـ في ما يتعلق بالتشريع: أن الله هو المتفرد بالتشريع، وإن مهمة الإمام هو البحث عن حكم الله في أية مسألة من المسائل، وتطابق الحكم الإلهي، وبيانه للناس.

٤ ـ في ما يتعلق بالتنفيذ: الإمام أو ولي الأمر هو الذي يعين مساعديه في كل النواحي بالتشاور مع الأمة، أو برضاه.

٥ ـ في ما يتعلق بالقضاء فهو المرجع الأصيل بفصل الخلافات وتعيين القضاة الذين يساعدونه.

٦ ـ مالياً: مهمته ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ يأخذ الصدقات وكافة الحقوق الشرعية، ويوزعها لمستحقيها بالكيفية المبينة بالشرع الحنيف.

وبالإيجاز وكما ذكر الاستاذ ظافر القاسمي في كتابه نظام الحكم في الشريعة والتاريخ: إن اختصاصات الإمام أو ولي الأمر أو الخليفة في الإسلام تشمل جميع الشؤون الداخلية والخارجية، وأن أعباءه تقع عليه وحده، وأنه إذا فوّض شيئاً منها، فإن ذلك لا يسقط حقه الأصيل بممارستها[1].

الأصل باختصاصات الإمام أو ولي الأمر في الإسلام

الأصل أن الإمام أو ولي الأمر أو القائد هو صاحب الحق بممارسة هذه الاختصاصات بعد أن وثق الإسلام أهليته للحكم، من حيث تعينه من قبل الله، ومبايعة الأمة له كما حدث مع رسول الله، ومن حيث صفاته ومؤهلاته،

(١) راجع كتاب «نظام الحكم في الشريعة والتاريخ» لظافر القاسمي، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام، وكتابنا مرتكزات الفكر السياسي.

فإذا كان الإمام وحده قادراً على إدارة وتدبير أمور المجتمع الإسلامي وتطبيق الشرع، فلا داعي لغيره لأن الإسلام يركّز على تحقيق الغايات الشرعية بأقصر الطرق، وأقل التكاليف، ولكن هذا من الناحية العملية مستحيل فلا بد للإمام من أن يستعين بغيره من أفراد الجماعة المؤمنة للقيام بالأعباء الكثيرة الملقاة على عاتقه.

اختلاف الأحوال والظروف بين زمننا وزمن الرسول الأعظم

من حيث المجتمع المؤمن: كان يسيراً على الرسول الأكرم أن يدير عاصمة الدولة واقليمها المحدد عملياً في بداية الأمر بداخل حدود العاصمة، ولما توسع الأقليم وتعددت المهام أخذ يعين مساعدين له بصورة مؤقتة ولغاية محددة، ثم عين ولاة على الأقاليم وعمالاً لها، يديرون أمور الجماعات التابعة للدولة الإسلامية تحت إشراف الرسول.

وكان عدد أفراد المجتمع لا يتجاوز بضع عشرات الآلاف، في زمانه أما عدد المسلمين الآن فهو يربو على مليار مسلم، وعدد المسلمين في إيران يربو على ستين مليون مسلم، ومن المستحيل أن يتمكن الإمام أو ولي الأمر من مباشرة كل شيء بنفسه.

ومن حيث شخص ولي الأمر أو إمام الأمة، فإنه ليس كرسول الله الذي كان يمارس اختصاصات تحت اشراف الله تعالى، فيوحي إليه ويقومه، فضلاً عن عصمته وكماله، فالرسول بوصفه الإمام الكامل المكمل لا يزيغ ولا ينحرف، كذلك الأئمة الذين اختارهم الله لهذا المنصب.

ولكن قد «وقد» مع المستقبل تفيد التشكيك، قد يزيغ غيرهم وقد ينحرف، ويستغل الصلاحيات الكبرى، فيهدم مع الأيام كل ما بُني، ويُطفىء شعلة الأمل، ويعم الظلام من جديد وشواهد التاريخ على ذلك لا تُحصى.

فخوف ولي الأمر وإمام الأمة الإيرانية من نفسه ومن غيره من خلفائه،

وحرصه على متانة القاعدة، واعتباره من تجارب التاريخ، تم ترتيب الأمور في إيران ترتيباً محكماً، بحيث قيّد الأمام نفسه تفصيلياً، وقيده الدستور، ومارس كافة الصلاحيات المخولة للإمام في الإسلام بنفسه، أو بواسطة مساعديه «السلطات الثلاثة» التشريعية والتنفيذية والقضائية» ولكن تحت اشرافه، فتم التوفيق بين الصلاحيات الهائلة التي يتمتع بها الإمام في الإسلام وبين الاعتبار من الواقع وتجارب التاريخ.

اختصاصات وصلاحيات ولي الأمر أو الإمام في إيران

ومن هنا وعلى ضوء ما ذكرنا فإن ولي الأمر أو الإمام في إيران يمارس اختصاصاته وصلاحياته بطريقتين.

١ ـ نوع يمارسه بنفسه وهو محدد بالمادة ١١٠ من الدستور على الشكل التالي:

١ ـ تعيين الأعضاء الفقهاء لمجلس صيانة الدستور.

٢ ـ ينصب ويعين أعلى مسؤولين قضائيين في البلاد وهما رئيس السلطة القضائية والمدعي العام في البلاد.

٣ ـ يتولى القيادة العامة للقوات المسلحة وعلى النحو التالي:

أ ـ تنصيب وعزل رئيس أركان الجيش.

ب ـ تنصيب وعزل القائد العام لقوات حرس الثورة.

جـ ـ تشكيل مجلس الدفاع الأعلى الوطني المؤلف من سبعة أعضاء وهم:

١ ـ رئيس الجمهورية. ٢ ـ رئيس الوزراء. ٣ ـ وزير الدفاع. ٤ ـ رئيس أركان الجيش. ٥ ـ القائد العام لقوات حرس الثورة، وعضوين مستشارين يعينهما ولي الأمر نفسه.

د ـ تعيين قادة القوات الثلاث باقتراح مجلس الدفاع الأعلى.

هـ ـ اعلان الحرب والصلح والتعبئة العامة باقتراح مجلس الدفاع الأعلى.

٤ ـ إقرار رئيس الجمهورية بعد انتخابه من قبل الشعب، أي أن رئيس الجمهورية لا يصبح رئيساً إلا إذا عينه الإمام أو ولي الأمر.

٥ ـ عزل رئيس الجمهورية مع ملاحظة مصالح البلاد، وذلك بعد صدور قرار المحكمة العليا بتخلفه عن وظائفه القانونية أو بعد رأي مجلس الشورى بعدم كفاءته السياسية.

٦ ـ العفو العام أو التخفيف عن عقوبات المحكوم عليهم في إطار الموازين الإسلامية بعد اقتراح المحكمة العليا.

هذه صلاحيات يباشرها ولي الأمر بنفسه، ولا ينوب بأدائها عنه غيره وما قد يبدو قيداً على حركته هو في الحقيقة لضمان كمال القرار الصادر عن ولي الأمر.

١ ـ فالتعيين الصحيح لقادة القوات الثلاثة حتى يكون كاملاً وفي موضعه يجب أن يكون باقتراح مجلس الدفاع الأعلى الوطني، لأنهم أعلم من الأجدر بقيادتها.

٢ ـ كذلك إقرار عزل رئيس الجمهورية، إذ يصل الأمر إلى الإمام لاقراره بعد ثبوت تخلف رئيس الجمهورية عن القيام بوظائفه بحكم قضائي أو ثبوت عدم كفاءة رئيس الجمهورية بقرار من مجلس الشورى الإسلامي وهذا ضروري ليكون قرار الإمام عادلاً وسليماً وكاملاً قدر الإمكان.

٣ ـ وفي ما يتعلق باعلان الحرب والصلح والتعبئة العامة فهذه أمور على جانب كبير من الأهمية والخطورة لأنها تمس الأمة كلها، وبالتالي لا بد من سلامة القرار واشراك المطلعين على هذه الأمور وتنسيبهم، والمطلعون

على هذه الأمور هم مجلس الدفاع الأعلى الوطني.

حضور الإمام أو ولي الأمر في المجال التشريعي

مجلس الشورى الإسلامي هو السلطة المقننة «التشريعية» ولكن القوانين التي يسنها مجلس الشورى الإسلامي لا توضع في التطبيق ولا تنفذ إلا بعد أن يوافق عليها مجلس صيانة الدستور المؤلف من ١٢ عضو ستة منهم من الفقهاء العدول يتولى الأمر أو ولي الأمر تعينهم، وستة من كبار علماء القانون في مختلف الفروع، يرشحهم مجلس القضاء الأعلى ويوافق عليهم مجلس الشورى الإسلامي، ومهمة هذا المجلس أن يتأكد من مطابقة القوانين التي يسنها مجلس الشورى الإسلامي للإسلام ومن مطابقتها لأحكام الدستور، ومن خلال هذا المجلس يتمكن الإمام أو ولي الأمر بواسطة الفقهاء العدول من التأكد والإطمئنان بأنه لن توضع أية قاعدة قانونية موضع التطبيق ولن تنفذ إلا إذا كانت متفقة مع أحكام الإسلام، ومتطابقة مع أحكام الدستور فمتى قرر ٣/ ٤ أرباع مجلس صيانة الدستور أن هذا القانون مخالف للدستور انعدم وفقد مشروعيته تماماً، ومتى قرر أكثرية الفقهاء الستة أن هذا القانون مخالف للإسلام انعدم وفقد مشروعيته.

وفي الحقيقة فإن أي قانون لا ينفذ، ولا يطرح للتنفيذ إلا بعد موافقة مجلس صيانة الدستور عليه وبالكيفية الموضحة بالمواد ٩١ ـ ٩٦ من الدستور الإيراني.

حضور الإمام في انتخابات رئاسة الجمهورية ومجلس الشورى الإسلامي والإستفتاء العام

ومن مهام مجلس صيانة الدستور الاشراف على انتخابات رئاسة الجمهورية وانتخابات اعضاء مجلس الشورى الإسلامي، والإشراف على الإستفتاء العام.

ومن خلال هذا المجلس الذي يعين الإمام أو ولي الأمر في إيران نصف أعضائه تتاح الفرصة للإمام بالحضور المعنوي وضمانة أن انتخابات رئاسة الجمهورية ومجلس الشورى الإسلامي، والاستفتاء العام قد تم كل ذلك بصورة تتفق مع أحكام الإسلام، ومع أحكام الدستور.

حضور الإمام في تفسير مواد الدستور

ومن مهام مجلس صيانة الدستور أن يتولى تفسير مواد الدستور، ومن خلال هذا المجلس يكون للإمام حضور عند تفسير مواد الدستور بشكل صحيح لأن هذا المجلس مخول بتفسير مواد الدستور باغلبية ٣/ ٤ الأعضاء.

حضور الإمام في السلطة القضائية

يتولى الأمام أو ولي الأمر في إيران بموجب المادة ١١٠ من الدستور الإيراني صلاحية تنصيب أعلى مسؤول في السلطة القضائية، ومن خلال هذا المسؤول يستطيع الإمام أو ولي الأمر الحضور معنوياً في السلطة القضائية والإشراف على سير القضاء وانطباقه مع أحكام الإسلام والدستور.

صلاحيات أخرى للإمام أو ولي الأمر في إيران

يتولى الإمام أو ولي الأمر في إيران صلاحية:

١ ـ تعيين السياسات العامة لنظام جمهورية إيران الإسلامية بعد التشاور مع مجمع تشخيص مصلحة النظام.

٢ ـ تعيين وعزل وقبول استقالة كل من: ١ ـ فقهاء مجلس صيانة الدستور. ٢ ـ أعلى مسؤول في السلطة القضائية. ٣ ـ رئيس مؤسسة الإذاعة والتلفزيون في جمهورية إيران الإسلامية.

٣ ـ حل الاختلافات وتنظيم العلاقات بين سلطات الدولة الثلاث.

٤ـ حل مشكلات النظام التي لا يمكن حلها بالطرق العادية من خلال

مجمع تشخيص مصلحة النظام، المادة ١١٠ من الدستور.

الإمام أو ولي الأمر في إيران هو المشرف العام على كل الأمور

نصت المادة ٥٧ من الدستور الإيراني على ما يلي: السلطات الحاكمة في جمهورية إيران الإسلامية هي: ١ ـ السلطة التشريعية، ٢ ـ والسلطة التنفيذية، ٣ ـ والسلطة القضائية وتمارس صلاحياتها باشراف ولي الأمر المطلق وإمام الأمة، وذلك وفقاً للمواد اللاحقة في هذا الدستور، وتعمل هذه السلطات مستقلة عن بعضها بعضاً وبرأيي المتواضع أن هذه المادة قد أعطت لولي الأمر وإمام الأمة في إيران عين ما أعطاه الإسلام كمذهب سياسي لولي الأمر وإمام أمة الإسلام، فالإمام هو المشرف على كل الأمور في الدولة الإسلامية الإيرانية سواء بنفسه، أو بواسطة السلطات التي تعمل باشرافه، وهذا ما تحقق في النظام الإيراني الإسلامي.

المساواة بين القائد وأفراد الشعب أمام القانون

بالرغم من الصلاحيات الهائلة التي يتمتع بها ولي الأمر أو إمام الأمة في إيران، إلا أنه مكلف تماماً، ولا يتميز من حيث المسؤولية والمساواة أمام القانون عن أي فرد من أفراد الأمة.

وهذا ما نصت عليه المادة ١١٢ من الدستور حيث نصت على ما يلي وبالحرف.

«القائد أو أعضاء مجلس القيادة متساوون أمام القانون مع سائر أفراد الشعب».

مدة ولاية الإمام أو ولي الأمر في إيران

يبقي الإمام أو ولي الأمر في إيران في منصبه ولياً للأمر وإماماً ما دام قادراً على ولاية الأمر وإمامة الأمة، وما دام الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه غائباً.

فإذا ظهر الإمام المهدي بأي وقت تنتهي ولاية الإمام أو ولي الأمر في إيران لأنه قائم مقام الإمام المهدي.

كذلك فإن ولاية الأمر تنتهي بالعزل، فإذا عجز الإمام أو ولي الأمر عن اداء وظائفة القانونية، فإنه يعزل من منصبه.

والمادة ١١١ من الدستور الإيراني بينت أن تشخيص ذلك أي العجز وكيفية العزل هو من مسؤولية مجلس الخبراء الموصوف بالمادة ١٠٨ من الدستور، ومن نافلة القول أن ولاية الأمر في إيران تنتهي بموت الولي أيضاً، وهذا الحكم متفق تماماً مع الحكم الإسلامي في هذه الناحية.

الفصل الرابع

السلطتان التنفيذية والقضائية في الحكومة الإسلامية الإيرانية

السلطة التنفيذية

تتكون السلطة التنفيذية في جمهورية إيران الإسلامية من رئيس الجمهورية، ومن مجلس الوزراء

مقام رئيس الجمهورية ومهامه الرئيسية

يعتبر رئيس الجمهورية أعلى سلطة رسمية في البلاد بعد مقام القيادة وهو المسؤول عن تنفيذ الدستور، كما أنه يرأس السلطة التنفيذية إلا في المجالات التي ترتبط مباشرة بالقيادة (م ١١٣).

مدة الرئاسة وطريقة انتخابه

ينتخب رئيس الجمهورية مباشرة من قبل الشعب ولمدة أربع سنوات، ولا يجوز أن يتولى الرئاسة لأكثر من دورتين متواليتين (م١١٤) وينتخب بالأكثرية المطلقة لأصوات الناخبين، قبل شهر واحد على الأقل من انتهاء دورة رئاسة الجمهورية السابقة (م ١١٨).

صفاته ومؤهلاته

يجب أن يكون رئيس الجمهورية من الرجال المتدينين السياسيين وأن تتوفر فيه الشروط التالية:

١ ـ أن يكون إيراني الأصل ويحمل الجنسية الإيرانية.

٢ ـ أن يكون قديراً في مجالي الإدارة والتدبير.

٣ ـ ذا ماضٍ جيد.

٤ ـ تتوفر فيه الأمانة والتقوى.

٥ ـ مؤمناً ومعتقداً بمبادىء جمهورية إيران الإسلامية والمذهب الرسمي للبلاد.

اليمين القانونية

بعد نجاح رئيس الجمهورية بالانتخابات وبعد أن يُقره الإمام يؤدي اليمين أمام مجلس الشورى بحضور رئيس السلطة القضائية وأعضاء مجلس صيانة الدستور (م١١٩) وصيغة اليمين بالمادة ١٢١، ومضمونها أن يحمي المذهب الرسمي للبلاد ونظام الجمهورية الإسلامية والدستور، وأن ينشر الدين والأخلاق ويساند الحق ويبسط العدالة، وأن يتجنب أي شكل من أشكال الديكتاتورية.. الخ.

مسؤولية رئيس الجمهورية

١ ـ رئيس الجمهورية مسؤول أمام الشعب، وأمام القائد، وأمام مجلس الشورى الإسلامي (م١٢٢).

٢ ـ يوقع رئيس الجمهورية على مقررات مجلس الشورى الإسلامي، وعلى نتيجة الإستفتاء.

٣ ـ يستطيع رئيس الجمهورية أن يعين معاونين له، ويقوم المعاون الأول بموافقته بأدارة جلسات مجلس الوزراء والتنسيق بين سائر المعاونيات (م١٢٤).

٤ ـ يوقع رئيس الجمهورية أو ممثله القانوني بعد مصادقة مجلس الشورى الإسلامي على المعاهدات والعقود والاتفاقيات والمواثيق التي تبرم بين الحكومة الإيرانية وسائر الدول وكذلك المعاهدات المتعلقة بالاتحادات الدولية.

٥ ـ في حالات خاصة، ولمقتضيات الضرورة، وبمصادقة مجلس الوزراء يحق لرئيس الجمهورية تعيين ممثل خاص له أو عدة ممثلين وتحديد صلاحياتهم وفي هذه الحالة فإن قرارات الممثلين تعتبر بمثابة قرارات رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء.

٦ ـ يتم تعيين السفراء باقتراح من وزير الخارجية ومصادقة رئيس الجمهورية، ويقوم رئيس الجمهورية بالتوقيع على أوراق اعتماد السفراء، ويتسلم أوراق اعتماد سفراء الدول الأخرى (م١٢٨).

٧ ـ يتولى رئيس الجمهورية منح الأوسمة الحكومية (م١٢٩).

٨ ـ يقدم استقالته إلى القائد ويستمر في القيام بأعماله ريثما تتم قبول الاستقالة (م١٣٠).

٩ ـ في حالة وفاة رئيس الجمهورية أو عزله أو استقالته أو غيابه أو مرضه لأكثر من شهرين أو في حالة انتهاء فترة الرئاسة وعدم انتخاب آخر يتولى المعاون الأول لرئيس الجمهورية أداء وظائف رئيس الجمهورية ويتمتع بصلاحياته بموافقة القيادة، ويتوجب على هيئة مؤلفة من رئيس مجلس الشورى، ورئيس السلطة القضائية والمعاون الأول أن تتم الانتخابات خلال مدة خمسين يوماً، وخلال هذه الفترة لا يمكن استيضاح الوزراء أو حجب الثقة عنهم، ولا يمكن إعادة النظر في الدستور أو إصدار أمر لإجراء الاستفتاء العام في البلاد. (م ١٣٢).

الوزراء

١ ـ يعين رئيس الجمهورية الوزراء، ويطلب إلى مجلس الشورى منحهم الثقة، ولا يلزم طلب الثقة من جديد عند تغيير مجلس الشورى الإسلامي (م١٣٣).

٢ ـ تُسند رئاسة مجلس الوزراء إلى رئيس الجمهورية وهو يشرف على عمل الوزراء ويقوم بالتنسيف بين قرارات الوزراء ومجلس الوزراء، وبالتعاون مع الوزراء يرسم السياسة العامة للدولة، وينفذ القوانين (م١٣٤).

٣ ـ عند التداخل في المسؤوليات ـ للأجهزة الحكومية ـ واختلاف الرأي يكون قرار مجلس الوزراء المتخذ بناء على اقتراح رئيس الجمهورية ملزماً (م١٣٤).

٤ ـ يكون رئيس الجمهورية مسؤولاً أمام مجلس الشورى الإسلامي عن اجراءات الوزراء (م ١٣١).

٥ ـ يبقى الوزراء في وظائفهم ما لم يتم عزلهم أو يحجب الثقة عنهم بمناسبة استيضاحهم أو طلب الثقة لهم من المجلس (م١٣٥).

٦ ـ تقدم استقالة مجلس الوزراء أو أي منهم إلى رئيس الجمهورية ويستمر في عمله إلى أن يتم تعيين وزراء جدد (م١٣٥).

٧ ـ يستطيع رئيس الجمهورية أن يعزل الوزراء وفي هذه الحالة يطلب من مجلس الشورى منح الثقة للوزير الجديد أو الوزراء الجدد.

٨ ـ في حالة تغيير نصف أعضاء مجلس الوزراء بعد منحهم الثقة من قبل المجلس فإن على رئيس الجمهورية أن يطلب من مجلس الشورى الإسلامي الثقة لمجلس الوزراء من جديد (م١٣٦).

٩ ـ يكون كل وزير من الوزراء مسؤولاً عن واجباته الخاصة تجاه رئيس

الجمهورية وتجاه مجلس الشورى الإسلامي، وفي الأمور التي يوافق عليها مجلس الوزراء يكون مسؤولاً تجاه مجلس الوزراء أيضاً، ويكون الوزير مسؤولاً عن أعمال الوزراء الآخرين بهذه الحالة (م١٣٨).

١٠ ـ المصالحة المتعلقة بالأمور العامة أو الحكومية، أو قضايا التحكيم تتم بموافقة مجلس الوزراء، وينبغي اعلام مجلس الشورى الاسلامي بذلك (م١٣٩).

١١ ـ يجري التحقيق في التهم الموجهة إلى رئيس الجمهورية ومعاونيه والوزراء بالنسبة للجرائم العادية في المحاكم العامة لوزارة العدل مع اعلام مجلس الشورى بذلك (م١٤٠).

١٢ ـ لا يحق لرئيس الجمهورية ومعاونيه والوزراء وموظفي الحكومة أن يكون له أكثر من عمل حكومي واحد، كما يكون محظوراً عليه أي عمل آخر في المؤسسات التي يكون جميع رأسمالها أو قسم منه حكومياً، وكذلك ممارسة النيابة في مجلس الشورى الإسلامي، أو المحاماه، أو الاستشارة القانونية ولا يجوز أن يكون رئيساً أو مديراً تنفيذياً أو عضو في مجلس إدارة الأنواع المختلفة من الشركات باستثناء الشركات التعاونية المختصة بالدوائر والمؤسسات. ويستثنى من ذلك العمل التعليمي في الجامعات أو مراكز الأبحاث.

السلطة القضائية في الحكومة الاسلامية الإيرانية

السلطة القضائية سلطة مستقلة تدافع عن الحقوق الفردية والاجتماعية وعليها مسؤولية احقاق العدالة.

وتتولى الوظائف التالية:

١ ـ التحقيق واصدار الحكم بخصوص التظلمات والاعتداءات

والشكاوي والفصل في الدعاوي والخصومات والتدابير اللازمة في ذلك القسم من الأمور الحسبية الذي يعينها القانون.

٢ ـ صيانة الحقوق العامة وبسط العدالة والحريات المشروعة.

٣ ـ الإشراف عن حسن تنفيذ القوانين.

٤ ـ كشف الجريمة ومطاردة المجرمين ومعاقبتهم وتعزيرهم وتنفيذ الأحكام الجزائية المعروفة.

٥ ـ اتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون وقوع الجريمة ولإصلاح المجرمين (م١٥٦).

رئاسة السلطة القضائية

بهدف اداء مسؤوليات السلطة القضائية في جميع الأمور القضائية والإدارية والتنفيذية يعين القائد شخصاً مجتهداً عادلاً ومطلعاً على الأمور القضائية ومديراً ومدبراً لمدة خمسة سنوات ليكون رئيساً للسلطة القضائية ويعد أعلى مسؤول في السلطة القضائية (م١٥٧).

واجبات رئيس السلطة القضائية

١ ـ ايجاد الدوائر اللازمة في وزارة العدل بشكل يتناسب مع المسؤوليات المذكورة في المادة ١٥٦.

٢ ـ إعداد اللوائح القضائية المناسبة مع نظام الجمهورية الإسلامية.

٣ ـ توظيف القضاة العدول واللائقين والبت في عزلهم ونصبهم ونقلهم وتحديد وظائفهم وترفيع درجاتهم وما شابه ذلك من الأمور الإدارية وفقاً للقانون (م١٨).

وزارة العدل

وزارة العدل هي المرجع الرسمي للتظلمات، والشكاوى، ويتم تشكيل محاكمها وتعيين صلاحية هذه المحاكم بموجب القانون (م١٥٩).

يتحمل وزير العدل مسؤولية كل الأمور المرتبطة بالعلائق ما بين السلطة القضائية والسلطتين التنفيذية والتشريعية، وينتخب من بين الأشخاص الذين يقترحهم رئيس السلطة القضائية على رئيس الجمهورية، ويمكن لرئيس السلطة القضائية أن يفوض إليه أمر الصلاحيات المالية والإدارية وكذلك الصلاحيات التي تخص تعيين غير القضاة (م١٦٠).

المحكمة العليا ومسؤولياتها

يتم تشكيل المحكمة العليا حسب القواعد التي يضعها رئيس السلطة القضائية وتتولى الاشراف على صحة تنفيذ القوانين في المحاكم، وتوحيد المسيرة القضائية.

يجب أن يكون رئيس المحكمة العليا والمدعي العام للبلاد مجتهدين عادلين عارفين بشؤون القضاء ويعينهما رئيس السلطة القضائية بالتشاور مع قضاة المحكمة العليا ولمدة خمس سنوات (م١٦٢).

حقوق القضاة

١ ـ لا يمكن عزل القاضي من منصبه دون محاكمته، وثبوت الجريمة أو المخالفة التي تستدعي فصله مؤقتاً أو نهائياً.

٢ ـ ولا يمكن نقله أو تغيير منصبه دون رضاه إلا إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك وبقرار من رئيس السلطة القضائية بعد تشاوره مع رئيس المحكمة العليا والمدعي العام.

٣ ـ التنقلات الدورية للقضاة يتم تنظيمها طبقاً للقواعد العامة التي ينظمها القانون (م١٦٣).

علنية المحاكمة

جلسات المحاكم علينة ولا مانع من حضور الأفراد فيها، وتكون سرية إذا أرتأت المحكمة أن كونها علنية يناقض النظام العام والآداب العامة، أو أن يطلب الطرفان في الدعاوي الخصوصية أن تكون المحاكمة علنية (م١٦٥).

شروط الأحكام

يجب أن تكون أحكام المحاكم مسببة ومستندة إلى مواد القانون وعلى المعايير التي يعتمد الحكم عليها.

الجرائم السياسية وجرائم المطبوعات

يتم التحقيق في الجرائم السياسية والجرائم المتعلقة بالمطبوعات في محاكم وزارة العدل بصورة علنية وبحضور هيئة محلفين.

الامتناع عن تنفيذ القرارات واللوائح الحكومية

على قضاة المحاكم الامتناع عن تنفيذ القرارات واللوائح الحكومية المخالفة للقانون والأحكام الإسلامية، أو الخارجة عن نطاق صلاحية السلطة التنفيذية.

وبامكان أي فرد أن يطلب من ديوان العدالة الإدارية إبطال مثل هذه القرارات واللوائح (م١٧٠).

الدولة والقاضي مسؤولان عن الأضرار المادية والمعنوية

إذا أُصيب أحد بضرر مادي جراء اشتباه القاضي أو تقصيره في تحديد الموضوع أو الحكم، أو في تطبيق الحكم على العدالة التي تخصه.

فإن كان ذلك عن تقصير من القاضي يضمن ذلك حسب الأحكام الاسلامية وإلا فالحكومة مسؤولة عن التعويض وفي كل الأحوال يعاد الاعتبار إلى المتهم (م١٧١).

المحاكم العسكرية

يتم تشكيل المحاكم العسكرية وفقاً للقانون للتحقيق في الجرائم المتعلقة بالواجبات العسكرية الخاصة أو الأمنية التي يتهم بها أفراد الجيش والدرك والشرطة أو قوات حرس الثورة الإسلامية.

أما جرائمهم العادية، أو تلك التي تقع ضمن اجراءات وزارة العدل فيحاكموا أمام المحاكم العادية.

الإدعاء العسكري، والمحاكم العسكرية جزء من السلطة القضائية في البلاد وتشملها الأحكام المتعلقة بهذه السلطة (م١٧٢).

الفصل الخامس

دور الشعب في الحكومة الإسلامية الإيرانية

أركان الحكم الإسلامي

١ ـ لا يكفي أن تكون للأمة الإسلامية إمامة أو ولاية أمر أو قيادة «إمام، أو ولي أمر أو قائد» حتى يكون الحكم إسلامياً

٢ ـ ولا يكفي أن تطبق الشريعة الإسلامية، أو أن يُعلن تطبيقها، وأنها هي القانون النافذ حتى يكون الحكم اسلامياً.

٣ ـ بل لا بد من توافر شروط ثلاث أو ركن ثالث وهو المشاركة من قبل الشعب، أو التعاون والتشاور بين الأمة والقيادة لتنفيذ أحكام الشرع، وتدبير أمر الأمة على ضوء هذه الأحكام.

إسلامياً كيف تتم المشاركة والتشاور بين الأمة والقيادة لتنفيذ أحكام الشرع؟!

في زمن النبي كان الرسول الأكرم يتشاور مع الناس المشتركين معه في مهمة شرعية ففي معركة بدر لم يقرر النبي القتال إلا بعد أن أشار عليه كل الذين معه بالقتال، فعندما وافقوا معه على خوض المعركة، رتبهم بمعونة بعضهم وقاتل معهم كأنه واحد منهم.

وفي معركة أحد كان رأيه أن يبقى في المدينة ويُحصّنها وينتظر عدوه، وكان رأي الأكثرية الساحقة من أصحابه هو الخروج لملاقاة العدو خارج المدينة فترك رأيه واتبع رأي الأكثرية من أصحابه. . . بعد أن بين لهم مزايا رأيه.

وفي معركة الخندق كانت عملية حفر الخندق ثمرة مشورة سلمان، ووافق على هذه المشورة الجميع.

ونادراً ما نفذ الرسول مهمة شرعية دون استشارة ومشاركة أصحابه ومعونتهم، ونادراً ما سعى الرسول لتحقيق غاية شرعية دون مشورة أصحابه، ومشاركتهم.

استحالة تطبيق أُسلوب الرسول بالمشاركة والتشاور حرفياً

يستحيل استحالة مطلقة على ولاية الأمر أو على الإمام أو القائد أن يعمل بنفس أسلوب الرسول لتحقيق المشاورة والمشاركة بين المجتمع المؤمن وبين حكومة الإسلام لعدة أسباب.

١ ـ المجتمع المؤمن في المدينة المنورة آنذاك كان لا يتجاوز الآلاف، وكان جمعهم على صعيد واحد، ووقوف الإمام بينهم، واجراء المشورة، والحصول على مشاركتهم كان أمراً ممكناً بسبب قلة العدد.

٢ ـ لكن الوضع مختلف الآن فعدد الأمة الإسلامية يربو الآن على مليار نسمة، ويتجاوز عدد الشعب الإيراني المسلم ٦٠ مليون نسمة، ويستحيل على القائد أو الإمام أن يجتمع معهم دفعة واحدة، وأن يتشاور وإياهم، ثم يتفقوا على رأي، أو على طريقة للمشاركة، ثم ينفذونها!! وباختصار يتعذر بل يستحيل تحقيق المشورة والمشاركة بنفس الأسلوب الذي كان سائداً زمن الرسول.

٣ ـ أمام قلة عدد المجتمع المؤمن في زمن الرسول كان الرسول يعرف من هم مفاتيح المجتمع الذين إذا رضوا رضي المجتمع، ومن هم ممثليه الحقيقين.

ما هو البديل

المشورة بين الحاكم والمحكومين ضرورة لا بد منها في الإسلام، لأنها حكم شرعي ومشاركة الجماعة المؤمنة في الحكومة الإسلامية ضرورة لا بد منها في الإسلام لأنها حكم شرعي، وأما استحالة التعاون والمشاركة مباشرة ما بين الأمة والإمام لا بد من البحث عن بديل.

نماذج من البدائل في زمن الرسول الأكرم

١ ـ في زمن النبي هنالك أُسر كبيرة، ولكل أُسرة من هذه الأسر سيدها ودليلها، قبل به كل أفراد الأسر كسيد وممثل لها، وهذا القبول كان بالرضا أي أن سيادة وولاية السيد علي أسرته قائمة على أساس الرضا بسبب مجموعة من الوشائج والعلاقات والأسباب الوجيهة في نظرهم تبرر هذا الرضا.

فإذا قال السيد قولاً، أو التزم بشيء فإن أفراد الأسرة انطلاقاً من رضاهم بسيد الأسرة يلتزمون بذات الشيء الذي التزم به السيد، وينفذون قوله، ويتبعون رأيه، لأنه رأيه رأيهم وقوله قولهم، والتزامه التزامهم، فقول أبي طالب كان نافذاً على الهاشميين، وقول النبي كان نافذاً على آله، وقول سعد بن عباده وسعد بن معاذ كان نافذاً في الأوس والخزرج.

على سبيل المثال في غزوة الخندق دعا رسول الله زعماء غطفان واقترح عليهم أن يعطيهم بعض ثمار المدينة مقابل أن ينسحبوا من التجمع المشرك «تجمع الأحزاب».

لم يستشر الرسول الأوس والخزرج إنما استشار فقط سعد بن عباده

وسعد بن معاذ، ولما رفض هذان السعدين الفكرة اقتنع الرسول بأن الأوس والخزرج يرفضون الفكرة أيضاً، لأن رأي السعدين يعبر بالفعل عن رأي الأوس والخزرج.

ظروف الحياة قد اختلفت الآن، ومثل هذا الترابط لم يعد قائماً فأصبح لكل فرد على الغالب رأيه، وله نظرته، وله ثقافته وله حكمه على الأمور مما يقتضي بالضرورة أن تختلف أساليب المشورة والتعاون والمشاركة.

البدائل المعاصرة للمشاركة فكرتا الانتخاب والاقتراع

١ ـ أن يحكم الشعب كله نفسه بنفسه عملية مستحيلة، يقال أنها ما زالت سارية في بعض مقاطعات سويسرا قليلة العدد.

٢ ـ كذلك فكرة معرفة رأي الشعب عن طريق جمعه في مكان واحد فكرة مستحيلة وعلى فرض أنها ممكنة، فعلى الشعب أن يبقى دائماً في حالة اجتماع مستمر وهذا مستحيل.

لذلك اخترعت فكرة الانتخاب، وفكرة الاقتراع كوسيلة للمشاركة في شؤون الحكم، وكوسيلة لابداء المشورة، وكوسيلة للتعاون بين السلطة والمجتمع.

صور الانتخاب

١ ـ الصورة الأولى: أن تفصح الجماعة عن رأيها بواسطة الاقتراع، فالقيادة ـ أية قيادة ـ تطرح موضوعاً معيناً وتسأل المجتمع عن رأيه بهذا الموضوع هل هو مناسب أو غير مناسب، أو هل توافق عليه أو لا توافق؟ ويسمى هذا العمل بالاستفتاء وهو أسلوب لمعرفة رأي الجماعة بأمر من الأمور، فإذا تبنته أكثرية الشعب نفذته قيادة المجتمع، وإن نبذته أكثرية الشعب، نبذته الحكومة أو القيادة أيضاً والاستفتاء لون من ألوان التعبير عن

المشاركة الشعبية في الحكم، وتعبير عن التعاون بين المجتمع وبين الحكم، وهو مظهر من مظاهر الشورى.

٢ ـ **الصورة الثانية**: أن يختار الشعب رئيسه، كاختيار فرنسا لرئيسها، والولايات المتحدة لرئيسها، فإذا تم هذا الإختيار فمعنى ذلك أن الشعب يشارك في السلطة بواسطة الرئيس الذي اختاره، صحيح أن الرئيس هو رئيس الدولة ولكنه شخص واحد، فالمشاركة الشعبية بهذه الحالة محدودة وبناء على انتخاب الشعب لهذا الرئيس يتولى الرئيس تعيين وزرائه كما يحدث في الولايات المتحدة، الشعب انتخب الرئيس، والرئيس المنتخب اختار وزرائه ومساعديه

٣ ـ **الصورة الثالثة**: أن يقوم الشعب بانتخاب مجموعة من الأشخاص ليقوموا بوضع القوانين اللازمة للمجتمع ويسمون بمجلس النواب أو السلطة التشريعية.

ويكون بجانب هذا المجلس في بعض الدول مجلس آخر ينتخب كل اعضائه أو بعضهم ويعين البعض الآخر ويسمى بمجلس الشيوخ أو الأعيان.

مجلس النواب يمثل خيال الشعب، ومجلس الأعيان يمثل تجربة الشعب وعقله، فيتعاون الخيال أو الاندفاع مع التجربة أو العقل لوضع القوانين اللازمة لشؤون المجتمع.

٤ ـ **الصورة الرابعة**: أن ينتخب هؤلاء الذين انتخبهم الشعب أشخاصاً معينين لمهام معينة كانتخاب لجان البرلمان، فالبرلمانات منتخبة من قبل الشعب، ولجنة الشؤون الخارجية في البرلمان مثلاً منتخبة من قبل البرلمان.

والغايات من هذه الصور الانتخابية أو أية صورة سيتفتق عنها العقل البشري هو ايجاد مشاركة فعلية بين قيادة المجتمع وبين الشعب، والتعبير عن حقيقة استقرت في الذهنية السياسية المعاصرة، بأن أساس الحكم هو مشاركة

الشعب ورضا المحكومين وجاء الانتخاب كوسيلة للمشاركة وكوسيلة للتعبير عن هذا الرضا.

هذا هو الوضع الأمثل الذي وصلت إليه التشريعات الوضعية في مجال المشاركة الشعبية في الحكم وأهم مظهر من مظاهر مشاركة الشعب بالحكم.

١ ـ هو قيام الشعب بانتخاب أعضاء السلطة التشريعية، وقيام الشعب بانتخاب رئيس الجمهورية، وما عدا ذلك فليس أكثر من عمليات قانونية وفنية متداخلة، مثل تمليك السلطة التشريعية لسلاح حجب الثقة، وتمليك السلطة التنفيذية لسلاح حل السلطة التشريعية ومثل التعاون التام بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، أو الانفصال التام بين هاتين السلطتين، ورئيس الدولة يقوم بدور الحاكم والحكم بين السلطات، ويمرر إرادة كل سلطة نحو الأخرى وللإمام علي خامنئي مداخله رائعة عن طريقة الانتخابات وأسلوب مشاركة الشعب في الدول الديمقراطية ساقها في كتابه الحكومة في الإسلام وقد اقتبسنا منها في الباب الثالث من هذا البحث

حجم مشاركة الشعب الإيراني بالحكومة الاسلامية

لم تكن الثورة الإسلامية في إيران انقلاباً عسكرياً قامت به مجموعة من الضباط، ولم تكن تمرد طبقة محكومة على طبقة أخرى حاكمة، إنما كانت ثورة شعب بكامل طبقاته وفئاته وأفراده، ضد حاكم متسلط، وضد نظام طاغوتي فاسد لم يحمل الشعب الإيراني السلاح، إنما خرج بكل طبقاته أعزلاً ليتحدى بمبادئه ومطالبه أقوى طاغية في العالم، كانت مطالب الشعب الإيراني كله تتلخص في: خلع الشاه، واسقاط نظامه، وإقامة الحكومة الإسلامية لتحكم شعباً مسلماً، لم تُفرض الحكومة الإسلامية على الشعب الإيراني فرضاً، إنما قبلها وطالب بها بمحض إرادته وبكل رضاه.

انتخاب هيئة تأسيسة لوضع دستور الحكومة الإسلامية

بعد أن نجحت الثورة وتم تشكيل حكومة مؤقتة لتصريف الأمور جرت انتخابات بتاريخ ٣/ ٨/ ١٩٧٩ لانتخاب مجلس خبراء ليقوم بمهمة تدوين الدستور، وشارك الشعب الإيراني كله بهذه الانتخابات، وتم وضع الدستور من قبل هذه الهيئة التأسيسية التي انتخبها الشعب، وصادق قائد الثورة على هذا الدستور، وقائد الثورة هذا منتخب من كل أفراد الشعب صغيراً كبيراً ذكراً وأُنثى وحتى المنافقين وحثالة المجتمع أظهروا كل رضاهم بقيادته، ولما أظهرت التجارب ضرورة تعديل بعض مواد الدستور تم تعديله، ثم أجرى الاستفتاء العام على الدستور المعدل بتاريخ ٢٨/ ٧/ ١٩٨٩م، فنال تأييد الشعب وعلى ضوء تأييد الشعب قام الإمام أو القائد أو ولي الأمر سماحة السيد علي الخامنئي بتصديقه ووضع موضع التنفيذ فأنت تلاحظ أن الشعب هو الذي قام باختيار مجلس الخبراء لغايات وضع الدستور وبعد أن اكتمل تدوين الدستور، جرى استفتاء عام على هذا الدستور فوافق عليه الشعب، وعندما عُدلت بعد عشرة سنوات بعض مواد الدستور جرى استفتاء آخر عليه، فنال موافقة الشعب، فالدستور عملياً من صنع الشعب، ولا توجد دولة ديمقراطية في العالم كله أشركت الشعب بوضع الدستور بأكثر من حجم اشراك الحكومة الإسلامية للشعب الإيراني بوضع دستوره. لقد نال الدستور الإيراني موافقة ٩٨,٢٪ من الشعب الإيراني الذي شارك فيه بكثافة متناهية وعلى رأسه الإمام القائد والمراجع وعلماء الإسلام في إيران.

انتخاب المجلس التشريعي مجلس الشورى الإسلامي

الدستور الذي وافق عليه الشعب الإيراني بنسبة ٩٨,٢٪ حدد مجال التشريع وأعلن بوضوح وحدانية الله، وتفرده بالحاكمية والتشريع ولزوم التسليم لأمره، وأن هذا التشريع وحي إلهي بأساساته، وهو جزء من العقيدة

بهذا المفهوم، وأن الثقة مطلقة بالعدل الإلهي في التشريع هذا ما عبرت عنه المادة الثانية من الدستور.

وما يُعنينا في هذا المقام أنه بالرغم من المعالم الأساسية لموضوع التشريع في الإسلام التي أشرنا إليها في البحوث السابقة، وبالرغم من وجود اتفاق عقائدي وشعبي حول هذا الموضوع، وعدم الإختلاف على أساسياته بين القيادة والشعب، إلا أن هنالك إصرار من ولاية الأمر ومن نظام الحكومة الإسلامية في إيران على وجوب المشاركة في مجالات التشريع وضمن حدود الشرع.

وهذا سبب من الأسباب التي دعت إلى إيجاد مجلس الشورى الإسلامي كهيئة «مقننة» سلطة تشريعية.

وهذا المجلس منتخب من الشعب بالاقتراع السري، وهو إلى حد بعيد ومن جميع الوجوه يشبه المجالس النيابية في الدول الديمقراطية من حيث الشكل وهو ينتخب لمدة أربع سنوات، ولا يجوز أن تبقى الحكومة الإسلامية بدون مجلس الشورى الإسلامي. ويستطيع مجلس الشورى الإسلامي أن يضع من القوانين ما يشاء شريطة أن تكون متفقة مع الإسلام ومع أحكام الدستور، ولكن مجلس الشورى الإسلامي لا يمكنه أن يسن قوانين تتعارض مع الشريعة الإسلامية، والقوانين المغايرة للشريعة الإسلامية، تعتبر عدم ولا مشروعية لها، ولا تطرح للتنفيذ حتى لو صادق عليها مجلس الشورى بالإجماع وهذا مكرس بالمادة الرابعة والمادة ٧٢ و٩٤ من الدستور.

ومن هنا يتبين لنا أن للشعب الإيراني حضور في مجال التشريع أيضاً عن طريق مجلس الشورى الذي انتخبه الشعب، ولكن هذا الحضور محكوم بالشريعة الإسلامية، وبالدستور وهنالك ضمانة حقيقية متمثلة بمجلس صيانة الدستور كما وضحنا ذلك.

وهذا القيد وارد في كل دول العالم فلا يستطيع مجلس النواب في أية دولة أن يسن قوانين تتعارض مع العقيدة التي تتبناها تلك الدولة ولا مع المذهب السياسي السائد فيها ولا مع الدستور.

فهل يستطيع مجلس النواب البريطاني مثلاً أن يسن قوانين ضد النظام الملكي السائد، أو ضد فكرة الحقوق الفردية، فكل مجلس نيابي أو سلطة تشريعية في العالم مقيدة بالعقيدة التي تتبناها الدولة.

في الحكومة الإسلامية «رئاسة الدولة»

رئاسة الدولة في إيران بيد الفقيه العادل التقي البصير بأمور العصر، القادر على الإدارة والتدبير (م٥)، صاحب الكفاءات العلمية اللازمة للإفتاء والمرجعية في مختلف أبواب الفقه، ومن تتوفر فيه العدالة والتقوى، والرؤية السياسية والكفاءة الإجتماعية، والتدبير والشجاعة والقدرة الكافية للقيادة (م١٠٩) لأنه إنه لم تتوفر فيه هذه الصفات فليس بإمكانه أن يقود مجتمع عقائدي على شاكلة المجتمع الإسلامي، وليس بإمكانه أن يطبق أحكام الدين أو أن يشرف على تطبيقها، فهل يعقل أن يشرف على تطبيق أحكام الدين من يجهل هذه الأحكام!!

شرط آخر يتعلق بالأمة أو بالشعب، لا يكفي علم المرشح ولا تقواه ولا استقامته، ولا مرجعيته الدينية، لأن هذه الأمور متعلقة بذاته، بل لا بد من توفر شرط آخر وركن أساسي من أركان الإمامة أو ولاية الأمر، وهو أن تُقر له الأكثرية الساحقة من الأمة بهذه الصفات، وتقبله قائداً أو إماماً أو ولياً لها.

فالأكثرية من الشعب ليست كافية إنما يجب أن تكون أكثرية ساحقة وهذا ما نصت عليه المادة ١٠٧ من الدستور، وحتى الإمام الخميني نفسه

جرى عليه هذا الشرط، ولم يصبح إماماً ولا ولياً للأمر إلا بعد أن قبلته الأكثرية الساحقة من الأمة.

رئيس الجمهورية في الحكومة الإسلامية ينتخبه الشعب أيضاً

رئيس الجمهورية في الحكومة الإسلامية ليس رئيس الدولة، إنما هو الرجل الثاني فيها هو رئيس السلطة التنفيذية ـ إلا الأمور المتعلقة بالقائد أو الإمام، هذا الرئيس ينتخب من الشعب لمدة أربع سنوات، وهو رجل متدين ومنتخب من قبل الشعب بالأكثرية المطلقة لأصوات الناخبين هذا ما نصت عليه المواد ١١٤ و١١٥ و١١٧ من الدستور، وعندما يحصل رئيس الجمهورية على أكثرية الأصوات يقوم الإمام أو ولي الأمر بتعيينه أو إقراره كرئيس للجمهورية، فوجود رئيس الجمهورية بالسلطة التنفيذية يمثل حضور الشعب في هذه السلطة، رئيس الجمهورية يعين الوزراء ويعرضهم على مجلس الشورى الإسلامي المنتخب لينالوا الثقة.

عناصر القيادة الرئيسية في إيران كلها منتخبة من قبل الشعب

فالإمام أو ولي الأمر منتخب من قبل الشعب بالأكثرية الساحقة، ورئيس الجمهورية منتخب من قبل الشعب بالأكثرية المطلقة، ومجلس الشورى الإسلامي منتخب من قبل الشعب أيضاً، والوزراء يجب أن ينالوا ثقة الشعب بطريقة غير مباشرة، وذلك عن طريق ترشيح رئيس الجمهورية المنتخب، وثقة مجلس الشورى الإسلامي المنتخب، وهذا كله مكرس بالدستور الإيراني بالمواد من ١١٣ ـ ١٤٢ وهذا قمة حضور الشعب، وقمة مشاركته بالحكومة الإيرانية.

وللشعب حضور حتى على صعيد السلطة القضائية

مع أن عمل السلطة القضائية عمل فني إلا أن الشعب له حضور حتى بالسلطة القضائية، فمجلس القضاء الأعلى المشرف على السلطة القضائية

يتكون من رئيس المحكمة العليا، ومدعي عام البلاد وثلاثة قضاه مجتهدين ينتخبهم قضاة البلاد، ورئيس السلطة القضائية يعينه الإمام المنتخب بالأكثرية من الشعب فثلاثة يعينون بالانتخاب، ولكن الجسم الانتخابي هم قضاة البلاد.

قدر مشترك بين الشعب والقيادة

أنت ترى أن التشاور والتعاون، ومشاركة الشعب بالحكومة الإسلامية، وتدبير أمور البلاد قدر مشترك بين ولي الأمر وبين الشعب، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال النصوص التي عالجت مسألة تشكيل السلطات الثلاث ومن نص المادة ١١٠ من الدستور.

ويلاحظ جلياً أن السيادة هي للشرع الحنيف، وأن الشعب وولاية الأمر يعملان معاً لتثبيت هذه السيادة وبسط نفوذها في المجتمع الإسلامي وفي الحكومة الإسلامية، ويتجلى هذا باعطاء الحق لمجلس الشورى بسن ما يشاء من القوانين ضمن حدود الشرع، وبوجود مجلس صيانة الدستور الذي وجد لغايات التأكد من أن ما يسنه مجلس الشورى الإسلامي من قوانين تنطبق مع الإسلام ومع الدستور، وبنفس الوقت يتجلى وجود الشعب من خلال مجلس الشورى الإسلامي من خلال الصلاحية المخولة له بالتدقيق والتحقيق في جميع شؤون البلاد كما نصت المادة ٧٦ من الدستور، ومن خلال وجوب مصادقته على المواثيق والعقود والمعاهدات والاتفاقيات الدولية كما نصت على ذلك المادة ٧٧ من الدستور، ومصادقته على عمليات الاقتراض والقرض داخل البلاد وخارجها كما نصت المادة ٨٠ من الدستور، وحق المجلس بتلقي أي شكوى من أي مواطن عن عمل السلطات الثلاثة، والزام الجهات المعنية بتقديم الرد الكافي على استفسارات المجلس في معرض تحقيقه بالشكاوي كما نصت المادة ٩٠ من الدستور.

وهو يتمتع بهذه الصلاحيات لأنه منتخب من قبل الشعب، ولأن هنالك

إصرار على مشاركة الشعب بالسلطة وحضوره والتشاور والتعاون معه.

ونجد أن مبدأ التشاور والتعاون والمشاركة والإصرار على حضور الشعب في مجلس الخبراء، وهو مجلس مكون من الفقهاء العدول المجتهدين الذين يختارهم الشعب، وكانت مهمتهم في البداية تدوين الدستور، ومن مهامهم أيضاً أنه في حالة خلو منصب ولاية الأمر أو الإمام لأي سبب يبحثون ويتشاورون في ما بينهم حول كافة الأشخاص الذين تتوفر فيهم صلاحية القيادة والمرجعية، فإذا وجدوا مرجعاً واحداً يملك امتيازاً خاصاً للقيادة فإنهم يعرفونه للشعب باعتباره القائد، وإلا فإنهم يُعينون ثلاثة أو خمسة مراجع من جامعي شروط القيادة ويعرضونهم على الشعب باعتبارهم أعضاء في مجلس القيادة الجماعية، وفي الحالتين سواء في حالة وجود المرجع الذي يملك امتياز القيادة أو في حالة تعيين ثلاثة أو خمسة مراجع ليكونوا أعضاء لمجلس القيادة فإن الأمر يجب أن يعرض على الشعب ليوافق عليه بالأكثرية الساحقة.

ورئيس الجمهورية ينتخب من الشعب بالأكثرية المطلقة، ومع هذا يجب أن يصدر قرار من القيادة أو من ولاية الأمر لتثبيت رئيس الجمهورية في منصبه، ولا يستطيع رئيس الجمهورية أن يمارس سلطاته بدون صدور مثل هذا القرار.

وفي حالة عزله يجب أن يصدر قرار من مجلس الشورى الإسلامي المنتخب من الشعب وأن يوافق على هذا القرار الإمام أو القائد المنتخب بالأكثرية الساحقة من الشعب.

حضور غير عادي للشعب الإيراني في الحكومة الإسلامية

أنت تلاحظ أن حضور الشعب الإيراني ومشاركته بالحكومة الإسلامية حضور مميز ولا مثيل له في كل دول العالم، فرئيس الدولة أو الإمام منتخب

من قبل الشعب بالأكثرية الساحقة، وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي / مجلس النواب/ أو السلطة التشريعية منتخبة من قبل الشعب، ورئيس السلطة التنفيذية ـ رئيس الجمهورية ـ منتخب من قبل الشعب، ومجلس الخبراء منتخب من قبل الشعب، فمشاركة الشعب في الحكومة الإسلامية، وحضوره التام في كل مؤسسات هذه الحكومة لا مثيل له في أي نظام في العالم قديمة وحديثة، إنه تجسيد فعلي للتعاون والتشاور بين قيادة المجتمع الإسلامي، وأفراد هذا المجتمع، وتجسيد لفكرة المشاركة الشعبية بأكبر وأوسع أشكالها ومضامينها واحجامها.

ومن حيث الاقبال على المشاركة بالانتخابات والاستفتاءات، فإن إقبال الشعب الإيراني على المشاركة بكل الانتخابات والاستفتاءات التي تجريها الحكومة الإسلامية، إقبال لا مثيل له في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية والعلة في ذلك أن قيادة الحكومة الإسلامية قد اقنعت الشعب الإيراني بأن المشاركة الشعبية بالحكم، وبالانتخابات وبالاستفتاءات التي تجريها الحكومة الإسلامية واجب ديني، وأن فاعله مأجور وتاركه آثم.

الفصل السادس

شكل الحكومة الاسلامية وسماتها العامة

شكل الحكومة الاسلامية في إيران هل نظامها جمهوري؟

هل نظام الحكومة الإسلامية في إيران ملكي أم جمهوري، أم اسلامي؟

من نافلة القول أن نذكر بأن النظام يكون ملكياً عندما يرأس الدولة ملك ورئاسة الدولة تنتقل وفق قواعد الوراثة، ويكون الحكم جمهورياً عندما يرأس الدولة شخص يلقب برئيس الجمهورية لمدة محددة، هذه أمور من ابجديات السياسة التي لا تحتاج إلى برهان.

فالحكم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ليس ملكياً، لأنه لا يرأس الحكومة الإسلامية في إيران ملك، وقواعد الدستور لا تنص بأن رئاسة الدولة تنتقل بالوراثة.

ومع هذا فإن الحكم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ليس حكماً جمهورياً بالرغم من أنها تحمل اسم الجمهورية، لأنها لو كانت جمهورية لكان رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة بغض النظر عن صلاحيات رئيس الدولة ضيقاً أو سعة، بينما نجد في إيران أن رئيس الجمهورية الإسلامية فيها ليس هو رئيس الدولة إنما هو مجرد مسؤول كبير ينسق بين السلطات ويرأس

السلطة التنفيذية وينتخب من الشعب اعمالاً لمبدأ الشورى والمشاركة، ويوافق عليه الإمام احتفاظاً بصلاحياته كرئيس للدولة.

فلو انتخب الشعب الإيراني رئيس الجمهورية بالاجماع، ولم يوافق الإمام أو يصدر قراراً بإقراره فلن يكون بوسعه ممارسة صلاحياته كرئيس للجمهورية كذلك فإن رئيس الجمهورية يعزل من قبل ولي الأمر أو الإمام بعد صدور حكم المحكمة العليا، أو بعد صدور قرار مجلس الشورى بعدم كفاءة الرئيس السياسية، فموافقة الإمام على تعيين رئيس الجمهورية ركن من أركان التعيين، وموافقة الإمام على عزل رئيس الجمهورية ركن من أركان العزل وهذا واضح من نص المادة ١١٠ من الدستور فقرة/ ٤.

وباختصار فإن رئيس الجمهورية يعمل كبقية السلطات تحت إشراف ولي الأمر والإمام، وبالتالي فهو ليس رئيساً للدولة!! فكيف تكون دولة إيران جمهورية!!

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن تاريخ الفقه الدستوري عرف مضامين الحكم الجمهوري وعرف أشكاله، وبالتالي فإنه لا يوجد أي عالم دستوري يمكنه أن يقول بأن إيران الإسلامية الأن جمهورية تتبع النظام الجمهوري الذي عُرفت معالمه، وتحددت تلك المعالم طوال التاريخ لأن مضمون الدستور الإيراني يختلف عن مضمون أي حكم جمهوري عرفته البشرية على الإطلاق.

ومن هنا يتبين لنا بوضوح بأن شكل الحكم في الجمهورية الاسلامية ليس جمهورياً، كما أنه ليس ملكياً، إنه حكم اسلامي.

ما هو سبب الاصرار على تسمية الدولة الإسلامية الإيرانية بالجمهورية مع أنها ليست جمهورية؟!

النظام الإيراني الذي كان سائداً في إيران قبل الثورة، وقبل إقامة الحكومة الإسلامية كان نظاماً ملكياً، والنظام الملكي أول ما يعني أن رئاسة

الدول تنتقل من شخص لآخر وفق قواعد الوراثة.

فخلع اسم الجمهورية على الدولة الإسلامية الجديدة يفيد الانخلاع الكامل من النظام الملكي الذي كان سائداً قبل الثورة شكلاً ومضموناً، واستبداله بالنظام الإسلامي.

الاعتقاد الراسخ بذهنية العالم المعاصر أن نظام الخلافة الإسلامية الذي حكم باسم الدين الإسلامي كان نظاماً ملكياً يقوم على مبدأ توارث الرئاسة أي انتقال رئاسة الدولة من ملك إلى ملك آخر وفق قواعد الوراثة، بغض النظر عن تسمية الملك بأنه خليفة أو ولي الأمر، أو سلطان.

وحقيقة فإن النظام الملكي هو الذي طُبق من الناحية الفعلية طوال عهود الأَسر الأموية والعباسية والعثمانية، وحتى في حكم الولايات التي انشقت عن دولة الخلافة. والذكريات عن الخلافة التاريخية بواقعها التاريخي «كدولة حكمت باسم الإسلام» راسخة في الأذهان بأن الحكم الإسلامي في واقعه الذي ساد كان حكماً ملكياً.

ومن هنا جاء الإصرار على خلع اسم الجمهورية على الحكومة الإسلامية في إيران، كإشارة واضحة بأن هذه الدولة وهذه الحكومة الإسلامية

١ ـ لن تكون على شاكلة حكومة الشاه.

٢ ـ ولن تكون على شاكلة الخلافة التاريخية التي قتلت وطردت، وشرّدت أهل بيت النبوة ومن والاهم وتلك إيماءات وإشارات موجهة إلى إيران من الداخل، وإلى العالم ونظام الخلافة التاريخية، وليعلم بأن هنالك نظام للحكومة الإسلامية مختلف بالشكل والمضمون عن نظام الخلافة التاريخي الذي طبقته الأسر المالكة الثلاثة، الأموية، والعباسية، والعثمانية.

ومن جهة ثالثة، فإن شعب إيران لم يثر، ولم يُضح ليستبدل ملكاً بملك، إنما ضحى لنسف النظام الملكي في إيران شكلاً ومضموناً واقتلاعه من إيران وإلى الأبد ولإقامة حكومة اسلامية حقيقية، فجاءت «لفظة» الجمهورية لتزيل مخاوف شعب إيران من النظام الملكي الاستبدادي.

أما على صعيد العالم الإسلامي، فالقصد من مصطلح «الجمهورية» أن يكون إشارة بأن دولة إيران ستتجنب أخطاء التاريخ الإسلامي والمتعلقة بشكل دولة الإسلام، وأنها ستقيم حكومة إسلامية حقيقية مختلفة بالشكل والمضمون على حكم الأسر الثلاثة التي حكمت باسم «الإسلام».

وجاء مصطلح الجمهورية في دولة إيران الإسلامية، ليقول للعالم الخارجي، بأن الإسلام كنظام حكم، ليس هو الذي ساد إبّان حكم الأسر التاريخية، بدءاً من الأسرة الأموية، وانتهاء بالأسرة العثمانية.

وأن نظام الإسلام مختلف بالشكل والجوهر عن الاعتقاد الذي يحملونه عنه، وتلك دعوة ضمنية إلى العالم الخارجي (غير الإسلامي) ليعيد النظر بموقفه ومعلوماته عن نظام الحكم في الإسلام.

شكل الحكومة الإسلامية في إيران

رأينا أن الحكم في إيران ليس ملكياً، بكل المعايير الدستورية المعروفة قديماً وحديثاً، كما أنه ليس جمهورياً بكل الموازين الدستورية المعروفة قديماً وحديثاً أيضاً ونعتقد جازمين أن شكل الحكم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية هو شكل ومضمون اسلامي تماماً وما يميز شكل الحكم الإسلامي هو:

١ ـ ولاية الأمر والإمامة، فولي الأمر أو الإمام هو رئيس الدولة وله حق الإشراف العام على كافة السلطات الموجودة في الدولة وتلك حقيقة

ثابتة في النظام السياسي الإيراني ومكرسة بالمادة الخامسة من الدستور والمادة ٥٧.

«السلطة التنفيذية والسلطة القضائية تمارس صلاحياتها تحت اشراف ولي الأمر وإمام الأمة» وقد فصلنا هذه الناحية ووثقناها في الفصل المخصص لولي الأمر في هذا الباب.

٢ ـ وما يميز شكل وجوهر الحكم الإسلامي عن غيره هو قضية وموضوع التشريع في الدولة، أي جعل الحاكمية والتشريع والمادة الثانية من الدستور أكدت هذا الركن بقولها. . . الإيمان بالله الأحد لا إله إلا الله وتفرده بالحاكمية والتشريع ولزوم التسليم لأمره.

٣ ـ التعاون بين الأمة وولي أمرها أو إمامها قائم على الشورى والسعي المشترك لتطبيق أحكام الشريعة، ومشاركة الأمة في الحكومة الإسلامية، وقد فصلنا هذا الموضوع ووثقناه في فصل خاص من هذا الباب.

٤ ـ إن الإمام أو ولي الأمر مكلف تماماً وخاضع للشريعة، كافة السلطات التي تعمل تحت إشرافه مكلفة مثله وخاضعة للشريعة، وهذا ما نصت عليه المادة ١١٢ من الدستور حيث جاء فيها.

«إن القائد أو أعضاء مجلس القيادة متساوون أمام القانون مع سائر أفراد الشعب».

وهذه الأركان الأربعة متوفرة تماماً في نظام الحكومة الإسلامية الإيرانية وبموجب هذه المقاييس، واستناداً إلى التفصيل الوارد في الفصول السابقة من هذا الباب فإننا نجزم أن شكل ومضمون الحكومة الإسلامية في إيران اسلامي تماماً.

الإمام الخميني يقارن بين النظام الإسلامي والنظامين الملكي والجمهوري

يقول الإمام الخميني: الحكومة الإسلامية لا تشبه الحكومات المعروفة، فليست حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه، عابثاً بأموال الناس ولا برقابهم، فحكومة الإسلام ليست مطلقة، وإنما هي دستورية، ولكن ليس بالمعنى الدستوري المتعارف عليه، الذي يتمثل في النظام البرلماني أو المجالس الشعبية وإنما هي دستورية، بمعنى أن القائمين بالأمر يتقيدون بمجموعة الشرائط والقواعد المبينة في القرآن والسنة، والتي تتمثل في وجوب مراعاة النظام وتطبيق أحكام الإسلام وقوانينه، ومن هنا كانت الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون الإلهي.

ويكمن الفرق بين الحكومة الإسلامية والحكومات الدستورية الملكية منها والجمهورية، في أن ممثلي الشعب هم الذين يقننون في حين تنحصر سلطة التشريع بالله عز وجل، وليس لأحد أياً كان أن يشرع، وليس لأحد أياً كان أن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان»[1].

السمات العامة للحكومة الاسلامية بفكر الإمام الخامنئي

وأفضل ما يمكن أن نختم به هذا الباب هو أن نقتبس ما قاله الإمام الخامنئي في كتابه «الحكومة في الإسلام» عن السمات العامة للحكومة الإسلامية.

يقول الإمام الخامنئي : ذكرنا في ما سبق أن الحكومة الإسلامية شعبية بكل معنى الكلمة وسنلقي نظرة سريعة وشاملة على خلاصة المواضيع التي تطرقنا لها آنفاً فالحكومة الإسلامية:

١ ـ تعتمد على إيمان الناس وعقيدتهم.

---

(١) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ص٤١ ـ ٤٢.

٢ ـ تقوم برسم الخطط ووضع البرامج في خدمة مصالح الشعب.

٣ ـ خطوطها العامة تحظى برضى الأكثرية الساحقة وتأييدها.

٤ ـ مدراؤها ومسؤولوها ناهضون من بين صفوف الشعب وعامته وليسوا من الطبقات العليا في المجتمع، ولذلك فإن أخلاقهم تشبه أخلاق عامة الناس الطيبة.

٥ ـ انتخابها واختيار أصل كونها حكومة اسلامية وتعيين أركانها تم وفقاً لرأي الناس، ويدخل في هذا النطاق حتى الولي الفقيه ورئيس الجمهورية وأعضاء مجلس التقنين.

٦ ـ يشارك الشعب في تنفيذ خططها وبرامجها مشاركة فعّالة، ولا يكتفي بالتفرج عليها من بعيد، وهذا ما يتجلى في المناطق الواقعة خلف جبهات القتال وعلى صعيد الإعمار وجهاء البناء والتعبئة العامة وعلى جميع الصعد.

٧ ـ الشعب حاضر في جميع ميادينها المصيرية والحساسة في التظاهرات والمسيرات في الانتخابات، وفي كل مكان يرى النظام الحكومي ضرورة الحضور فيه نرى الشعب يسجل حضوره الفعال هناك.

٨ ـ والصفة الأخرى في قائمة السمات البارزة للحكومة الإسلامية أن أعداءها هم أعداء الشعب أنفسهم.

فهؤلاء الذين يغتالون مسؤولي الحكومة، يقتلون أيضاً أعضاء مجلس الشورى الإسلامي، وهم أنفسهم الذين يفتكون بأبناء الله أيضاً حينما يجدون الظروف المناسبة، وهذا ما اعترفوا هم به لحسن الحظ، وشهد على ذلك كل الشرفاء وطالبي الحقيقة في العالم، وصار من المسلم به أن أعداء الحكومة هم أعداء الشعب.

٩ ـ في ظل الحكومة الاستبدادية تتجلى حالة التنافس والخصومة، بين الشعب والحكومة، فما يريده الشعب تتنصل الحكومة من القيام به مهما أمكنها وفي المقابل فإن القوانين والقرارات التي تصدرها الحكومة يتعمد الشعب مخالفتها والعمل ضدها كلما تمكن من ذلك.

وتتضح هذه الصورة أكثر في البلدان الخاضعة لحكم الأنظمة الاستبدادية المفروضة عليها كالنظام السابق في إيران، إذ ما لبث الشعب يتوخى الاضرار بمصالح الحكومة بأي شكل من الأشكال. . .

وفي المقابل فإن الحكومة كانت تتبع المنهج نفسه مع الشعب، فكل ما كان يطمع فيه الشعب تحاول الحكومة مخالفته. . .

هذه مشكلة قائمة حتى في الدول ذات الحكومات غير المستبدة، إذ نرى أنه حتى في أكثر الدول تقدماً وتطوراً وبين أكثر الشعوب تحضراً لا يعتبر الناس القوانين والإجراءات الحكومية مقدسة وواجبة التطبيق، ولا يعدون أنفسهم ملتزمين بتنفيذها.. وإذا كانت شعوب تعمل وفق تلك القوانين فإنما هو من باب الاضطرار.

هذه المشكلة لا توجد في ظل الحكومة الاسلامية، ونقصد بها النموذج المتكامل من الحكومة الاسلامية، أما الحكومات التي هي ليست النموذج الكامل والقدوة ولم تصل إلى مستوى الكمال فعليها جميعاً أن تتحرك نحو بلوغ هذا المستوى، ونحو هذا النمو لبلوغ ذلك الكمال المتوخى.

أجل في ظلها نرى أن القوانين والتعليمات والضوابط التي يضعها الجهاز الحاكم الذي يمارس الحكم بجدارة وحق، تعتبر طاعتها واجبة عليهم، وينبغي أن يراعيها الشعب، ويعمل وفقاً لها، وقد وجدنا أن بعض الأجلاء يقسمون القوانين إلى صنفين:

١ ـ قوانين ثابتة.

٢ ـ قوانين متغيّرة.

موضحين أن الصنف الثاني أي المتغيرة في الشريعة الإسلامية هي تلك القوانين التي تضعها الحكومات الإسلامية للشعب.

إذا كانت الحكومة القائمة حكومة الحق، وتمت إقامتها في مجتمع ما بموجب الشروط والمواصفات التي يراها الإسلام فالقوانين والضوابط التي تضعها مثل هذه الحكومة واجبه التطبيق، إذا لم تكن واجبة التطبيق على الناس، فإن ذلك يعني انتفاء السبب ونفي الغرض الذي وضعت من أجله، وتصبح بمثابة أمر لا جدوى منه... والنتيجة أن إقامة تلك الحكومة عمل لا جدوى منه ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[١].

ومثل تلك الحكومة التي لا يصغي أحد لما تقوله، ولا يأتمر أحد بما تؤمر به وقوانينها غير واجبة الاتباع، لا بد أن تزول، وتحل محلها حكومة ظالمة وسلطة ليست على الحق، حتى تتمكن الدولة الإسلامية من إدارة المجتمع، بشكل كامل؟ الجواب حينما تضع القوانين بكل دقة وحذر، وفي إطار الشرع المقدس وتنفذها عملياً، ويطيعها الناس في المقابل ويسلمون لها تسليماً كاملاً بحيث يسمعون لها ويطيعون، وينفذون ما تطلبه منهم[٢].

(١) سورة النحل، الآية: ٩٢.

(٢) الحكومة في الإسلام للإمام علي الخامنئي ص٥٥ ـ ٥٩.

الباب الخامس

دراسة تحليلية
لبعض أفكار الإمام الخامنئي السياسية

الفصل الأول

الولاية أو قيادة المجتمع في فكر الإمام الخامنئي

معنى الدراسة التحليلية ونطاقها

تتناول هذه الدراسة، وبصورة مجملة الأفكار السياسية للإمام الخامنئي منذ اللحظة التي تعرف فيها الإمام الخامنئي على الإمام الخميني وبايعه إماماً وقائداً وولياً له وسار معه كتابع له إلى اللحظة التي تولى فيها الإمام الخامنئي منصب القيادة أو الولاية، أو الإمامة، في هذه المرحلة كان الإمام الخامنئي تابعاً مخلصاً، يعطي بغير حدود كلما يطلب منه، وينفذ بدقة كل ما عليه تنفيذه، وباختصار كان يضع نفسه وعقله وفكره وحياته ومستقبله تحت تصرف الولي الذي اختاره وقبل بولايته وهو الإمام الخميني، فكانت أفكار الإمام الخامنئي السياسية تنطلق منه صافية نقية، لتصب في حوض أمام الإمام الخامنئي فتكون تحت تصرفه ويضعها حيث يريد. وبتعبير أدق إن أفكار الإمام الخميني كانت خلال هذه الفترة أفكار تابع من نوع خاص، لا أفكار قائد، ولأن مصطلح القيادة واسع المدلول فإننا نقول أن أفكار الإمام الخامنئي خلال تلك الفترة كانت أفكار موالي مخلص موضوعة تحت تصرف إمام أو ولي من نوع خاص. كان الإمام الخامنئي خلال تلك الفترة يجيب إذا سئل، ويعطي إذا استعطى، ويقترح إذا حضر، لم يكن مطلوباً من الإمام الخامنئي

خلال تلك الفترة أن يرسم بنيه فكرية سياسية كاملة، يزودها بكل ما تحتاجه من فكر، لأن هذا من اختصاص الإمام الخميني كإمام وكولي أمر، وهذا ما سميناه بالدراسة التحليلية لأفكار الإمام الخامنئي حيث تتاح لنا الفرصة لنتناول نماذج محددة من أفكار الإمام الخامنئي وندرسها كلاً على انفراد، دون محاولة ربط هذه الأفكار معاً لتكون تصوّراً واحداً، أو رؤية كلية واحدة لنظام المجتمع السياسي، ليس معنى هذا أن الإمام الخامنئي خلال تلك الفترة، لم يكن يملك مثل هذا التصور الشامل ومثل تلك الرؤية الكاملة، وإنما معنى ذلك أن مثل ذلك التصوّر وتلك الرؤية لم يكن مناسباً، ولا مطروحاً ولا من اختصاصه، لأنه ليس الولي، وليس الإمام، إنما كان ركناً من أركان فريق الإمام الخميني، ومن جهة ثانية فإن الساحة لا تتسع إلا بتصوّر كلي واحد، ونظرة كلية واحدة، فإن وُجدت اثنتان فيقع التنافس والتراحم، وستخرج احداهما الأخرى، وحاشا السيد الخامنئي أن يزاحم إمامه، أو ينافسه، أو أن يقدم تصوراً أو رؤية كلية تختلف أو تتزاحم مع رؤية وتصوّر الإمام!! ولماذا يفعل ذلك طالما أن التصور والرؤية الكلية التي يطرحها الإمام الخميني تعكس عين تصوره، وذات رؤياه!! والخلاصة أننا نقصد بالدراسة التحليلية لأفكار الإمام الخامنئي الانفراد بهذه الأفكار السياسية فكراً فكراً، أو مجموعة مجموعة، ونحاول أن ندرسها على انفراد ونحللها دون أن نتكلف عناء تركيبها واخراجها بصورة تصور شامل، أو رؤية كلية، لأن صاحب الأفكار السياسية بنفسه أرادها في تلك المرحلة أن تكون منفردة، أو هكذا فرضت عليه ظروف التابعية، وطبيعة الولاء الخاص.

وفي مرحلة لاحقة عندما نقوم بدراسة تركيبية لأفكار الإمام الخامنئي، فلا نقوم بالتركيب لأننا نرغب بذلك، ولكن لأننا وجدنا أفكار الإمام الخامنئي في المرحلة الثانية تحمل سمات وهياكل ومضامين التصور السياسي الكلي، والرؤية السياسية الكلية.

ففي المرة الأولى ندرس أفكاره فكراً فكراً، أو مجموعة مجموعة، لأن موقعه ومنطق الأشياء جعلها تخرج هكذا.

أما المرة الثانية فسندرس الأفكار السياسية للإمام الخامنئي دراسة كلية لأنها ذات كيان واحد ومتماسك، وذات رؤية واحدة، لأن موقعه وطبيعة الأشياء جعلتها كذلك وتوضيحاً فإننا بهذه المرحلة ندرس، أعضاء الكيان عضواً عضواً، نتناول اليد، أو الساق، أو العنق، أو مجموعة مجموعة، كحاسة اللمس، أو حاسة الشم.

أما المرحلة الثانية، فإننا سندرس الهيكل العام لهذا الكيان الواحد شكلاً ومضموناً، دون أن نعني بالتفصيلات إلا بالقدر الذي يوضح الشكل الكلي، أو المضمون الكلي، أو الرؤية الكلية. ويعبر الإمام الخامنئي عن طبيعة مسؤوليته في تلك المرحلة الثانية بقوله:

«أثقل ما احمله من مسؤولية أن أنظر فأرى أين تخبو شعلة الجهاد فأجعلها تتوقد أكثر، وأين يقع عمل خاطىء فأقف مانعاً له، إن هذه الأمور هي المسؤولية الأساسية لهذا العبد القليل»[1].

الإمام الخامنئي ليس عبداً قليلاً كما يقول

رأينا في الفقرة السابقة أن الإمام الخامنئي يصف نفسه بأنه «عبد قليل» والواقع أنه عبد من عباد الله الصالحين، ولكنه ليس قليلاً، لقد أحاط بدين الإسلام علماً، ووقف على كليات وتفاصيل أحكام هذا الدين، ونال أعلى المراتب الدينية العلمية، فهو فقيه مجتهد، وهو ملم إلماماً كاملاً بتاريخ الأديان كجزء من إحاطته بعلوم الدين ويعرف تفاصيل وكليات وصور نظام الخلافة التاريخي الذي حكم باسم الإسلام، وهو ملم بطبيعة الأنظمة السياسية

---

(١) عبر من التاريخ ـ الإمام الخامنئي ص١٧.

الديكتاتورية التي سادت عبر تاريخ البشرية، وقلبه مثخن بجراحاتها، لأنه عاش في ظل ديكتاتورية نظام الشاه وهو ملم أيضاً بالأنظمة التحررية الرأسمالية، وبأنماط حكمها، وبالأنظمة الماركسية الشيوعية وبأنماط حكمها، ومن يقرأ كتابه الحكومة في الإسلام لا يخالجه أدنى شك بهذه الإلمامات والإحاطات والمعارف المتعددة الجوانب. وفوق هذا وذاك فهو خبير بالتاريخ البشري عامة، وبتاريخ المسلمين خاصة من اللحظة التي انتقل فيها الرسول إلى جوار ربه حتى يومنا هذا، ومن يقرأ بحث الإمام الخامنئي عبر من التاريخ لا يخالجه أدنى شك بأن صاحب هذا البحث عبقري في فهم التاريخ واستخلاص عبره. إن الإمام الخامنئي عالم من نوع خاص جداً، ومن النادر أن تجد في أيامنا هذه زعيماً بسعه علمه واطلاعه وشموله.

المثال الأعلى للإمام الخامنئي

هذا الطراز من العلماء والأشخاص لا يتركون أنفسهم بدون مثل أعلى، يقلدونه ويحاكونه، ويقتدون به، ويرونه المثل الأعلى لهم، ويطمحون أن يكونوه إن الإمام الخامنئي مبهور بشخصيات الأنبياء، وعلى الأخص بالشخصية الفريدة من نوعها وهي شخصية الرسول الأعظم خاتم النبيين محمد ﷺ وبشخصية الأئمة الأطهار من أهل بيت النبوة، لقد أسروا قلبه وسمعه وبصره وعقله، حياته ومستقبله فهم مثله الأعلى، ولا هم له إلا أن يفعل كما فعلوا، ويفكر كما فكروا، ويقتدي بهم في كل شيء، أحلامهم أحلامه، وآمالهم آماله، وغايتهم غايته ومتعتهم متعته، وزينتهم زينته، وقيمهم قيمه. حبيبهم حبيبه وعدوهم عدوه. ولقد أبرزنا هذه الملامح والسمات بصورة عفوية من خلال الأبواب الأربعة السابقة، الإمام الخامنئي قائد بطبيعته، ولكنه لا يحب القيادة، وينفر منها، ولا يقبلها إلا إذا تعينت عليه، إنه كالإمام الخميني يقوم بواجبه، ولا ينتظر النتائج، يعمل للآخرة، لأن مستقبله الحقيقي هنالك، ولا يهتم بمستقبله في الدنيا لأن الدنيا لا مستقبل

لها، يعنيه رضوان الله تعالى، ويمكن الحصول على رضوان الله وأنت تابع بيسر أكثر مما لو كنت متبوعاً. إنه يريد أن يكون تابعاً ابتغاء لليسر في الحصول على مرضاة الله، زاهد في دنياه وهو يرأس دولة من أغنى دول الأرض، يأكل رغيفه يابساً وتحت تصرفه نعيم إيران، يحتفظ بوحدانية ملابسه، والمؤمنون رهن إشارته، ولكنه لا يفرض نمط حياته على بنيه، لأنهم لا يطيقونها، يدعو ويبكي، ويتبتل إلى ربه، ويسعى بكل جهده لرضاه. هذه من أخلاق مثله الأعلى، تلك النماذج الإنسانية البارزة الجانحة إلى الكمال الإنساني إن أقصى ما يتمناه الإمام الخامنئي في حياته مجتمعاً مؤمناً يعيش فيه وإماماً يواليه، وأن يعيش في أفياء الحاكمية الإلهية، أو في ظلال حكومة اسلامية. كان الإمام الخامنئي في مرحلة «الجاهزية» والاستعداد للإنطلاق وللعطاء بغير حدود، ولكن كان ينقصه الإمام أو الولي أو القدوة التي تتحرك أمامه، أو توجهه.

ثم وجد الإمام الخامنئي الولي والإمام

في هذه المرحلة وجد السيد الخامنئي الإمام الخميني، ولما تعرّف عليه، وفهم حقيقته أيقن السيد الخامنئي أن الإمام الخميني هو الولي، وهو الإمام، وهو القدوة التي يبحث عنها وهو القائد الذي سيسلمه أعنة حياته ومستقبله كله.

الإمام الخميني يعرف كل المعارف التي يعرفها السيد الخامنئي، الإثنان تلقيا ذات العلوم، وعاشا نفس الظروف، ولهما نفس المثل الأعلى، فليس في مكانة الأنبياء والأولياء والمعصومين أحد، حسب معايير الاثنين والاثنان يحاولان ما وسعهما الجهد الاقتداء بهذا المثل الأعلى، والاثنان فروع شجرة النبوة المباركة، ومن ذرية الإمام الحسين، والاثنان اكتويا بنار استبداد الحكم البهلوي، والاثنان تثقفا بالثقافة العالمية الواسعة، فليس من العجيب أن يتفقا

في الفكر السياسي، حتى لتخالهما بابين لشيء واحد إنما العجيب حقاً أن لا يتفقا!!

كان الإمام الخامنئي مندهشاً ومنبهراً إلى أبعد الحدود بشخصية الإمام الخميني، كان الأمام الخامنئي يقول «حقاً إن شخصية الإمام الخميني العظيمة لا يمكن مقارنتها بعد الأنبياء والأولياء المعصومين بأية شخصية أُخرى، فهو وديعة الله بيننا وحجة الله علينا، ومظهر من مظاهر عظمته»[1].

لو أن السيد علي الخامنئي قد قال هذا الكلام أثناء حياة الإمام الخميني، وجمحت بنا الظنون لما لامنا أحد!! ولكن الإمام الخامنئي قال هذا الكلام وشهد هذه الشهادة بعد موت الإمام الخميني، وهكذا تنهار أساسات الظنون بوثاقة هذه الشهادة، وعلى أية حال فإن شهادة الإمام الخامنئي هذه شهادة صادقة، تعبر عن طبيعة وزن الإمام الخميني في قلب وفي ذات الإمام الخامنئي. . هكذا الأمام الخميني في نظر السيد الخامنئي. . وبناء على هذه القياسات اتخذه الإمام الخامنئي ولياً وإماماً وقائداً له، وسلمه حياته ومصيره كله، ولم يكن للإمام الخامنئي أي مطمع من هذه التبعية إلا رضوان الله. ولأنه وباختصار شديد لا يمكنه العيش، ولا يمكنه إدراك غايته بدون إمام أو ولي.

ثم إنها حكمة الله بأن يكون الإمام الخميني هو الولي، وهو الإمام وهو القائد وأن يكون الإمام الخامنئي هو التابع، وهو المقود، وهو التلميذ الذي يتلقى، ويكتسب في هذه المرحلة، ليتم إعداده للمرحلة الثانية.

الفكرة السياسية الأولى للإمام الخامنئي، الولي

عندما وجد الإمام الخامنئي الإمام الخميني، ورضي به قائداً له، فإن هذا يعنى عند الإمام الخامنئي أمرين:

---

(١) الإمام الخميني كما يراه الإمام الخامنئي ص٢٠ طبعة دار المحجة البيضاء.

١ ـ أن الولي أو الإمام قد تشخص، أو تحدد أو عُرف.

٢ ـ أن عملية بناء مجتمع الإيمان قد بدأت بالفعل.

ما هو دليلنا على ذلك؟

أولاً: تشخيص الولي أو الإمام

في كتاب الإمام الخامنئي «الولاية» يقول الإمام الخامنئي: «إن ولاية المجتمع تكون أولاً في أن يتشخص فيه الولي»(١) هذا الكلام صحيح مائة بالمائة، فإذا أراد الله تعالى أن ينقذ مجتمعاً، فكان أول خطوة هي تحديد النبي، أو الولي أو القائد الذي سيشرف على عملية الانقاذ، ويحدد مساراتها ولوازمها وهذه سيرة كل الأنبياء والرسل، والخطوة الأولى تحديد الرسول أو النبي أو الإمام أو الولي، ثم تأتي الخطوات الأخرى في ما بعد.

النبي أو الرسول أو الإمام هو أساس بناء مجتمع الإيمان وهو أول لازمة من لوازم هذا البناء بعد ذلك يتم استحضار المواد الأولية، وهذا أمر منطقي وعقلاني تماماً، فأي عاقل في الدنيا يحضر المواد الأولية اللازمة للبناء قبل وجود معلم البناء، والمهندس!! هذه الفكرة السياسية الأولى من أفكار الإمام الخامنئي مستمدة من طبيعة قناعته الدينية، ومن رصد تتابع الرسالات الإلهية بل الأهم من ذلك كله أن هذا التشخيص، من ضرورات بناء كل المجتمعات ومن ضرورات المباشرة بكل الاصلاحات، فقد يبدو هذا أمراً مألوفاً بعد هذا الإيضاح، لكن اكتشاف الفكرة، ووضعها موضع التطبيق من قبل الإمام الخامنئي هو العبقرية السياسية بعينها، وهو العلمية الدقيقة في بناء المجتمع، وما يعنينا أن الإمام الخامنئي قد حدد وعين وشخص الولي وحصره بالإمام الخميني فوالاه.

---

(١) دار الهادي، ص٥٥.

ثانياً: ـ نقطة الإستقطاب المركزية ومصدر الإلهام

بعد أن يتم تشخيص وتحديد من هو الولي أو الإمام تأتي الفكرة السياسية المتمثلة بجعل هذا الولي أو الإمام «نقطة الاستقطاب المركزية، أو مصدر الإلهام وينبوعه الصافي ينهل منه الذين والوه».

يقول الإمام الخامنئي حول هذه الفكرة ما يلي وبالحرف «وثانياً أن يكون، «أي هذا الولي»، منشأ الإلهام لجميع القوى والطاقات والتحركات في ذلك المجتمع، وأن يكون قطباً تدور حوله كل التيارات، ومركزاً لاصدار جميع الأوامر والقوانين، وأن تتعلق عيون الجميع به، وأن يكون هو المحرك لماكنة الحياة مثل هذا المجتمع يكون مجتمعاً موالياً»[١].

هذه هي طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تقوم بين الولي ومن والوه قلو أو كثروا، وهذه هي نوعية العلاقة التي ينبغي أن تقوم بين أفراد المجتمع المؤمن وبين الإمام أو الولي أو قائد هذا المجتمع المؤمن، والإمام الخامنئي لم يخترع هذه العلاقة من عنده، إنما اكتشفها في ثنايا الشرع الإلهي الحنيف.

الإمام الخامنئي يقول ويفعل، يفكر وينفذ أفكاره

عندما تشخص الولي أو تحدد، أي عُرف، سار الإمام الخامنئي إلى مبايعته على الفور، وموالاته على الفور، لم ينظر الإمام الخامنئي إلى عدد الذين والوا الإمام الخميني، ولا فكر بانتصار الإمام الخميني أو هزيمته، ولا حسب مقدار مربحه من هذه الموالاة ولا حجم خسائره، كل ما عرفه الإمام الخامنئي أنه قد وجد الولي، أو وجد الإمام الذي سيقوده إلى شاطىء الأمان الأخروي، وينقذه من ضياع الوحدة، لأنه كان موقناً بأن حياته بلا إمام أو ولي لا معنى لها، لقد اكتسبت حياته المعنى والهدف، وعرف الطريق فقط

---

(١) الولاية للإمام الخامنئي ص٥٥ ـ ٥٦ طبعة دار الهادي.

يوم عرف إمامه أو وليه هذا على مستوى التشخيص على حد تعبيره.

أما على مستوى طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تقوم بينه كتابع وبين الإمام أو الولي كمتبوع، فقد اعطى هذه العلاقة بُعدها الشرعي أيضاً فكّون هذه العلاقة بينه وبين إمامه أو وليه الخميني تماماً على الوجه الشرعي. فصار الإمام الخميني مثله الأعلى الحي المتحرك، ومصدر إلهامه وملتقى قواه وطاقته وتحركه، والقطب الذي يدور حوله منه يتلقى الأوامر والقوانين، وتحت إشرافه ينفذها، لأنه المحرك الشرعي لحياته، لذلك وضع الإمام الخامنئي كل طاقاته وامكاناته ومواهبه، تحت تصرف الإمام الخميني، فأحبه حباً يفوق حب الولد لأبيه، وحب التابع المهتدي الواعي للمتبوع الأهدى والأوعى، لقد وضع حياته ومستقبله ومصيره تحت تصرف الإمام الخميني، يرضى إذا رضي، ويغضب إذا غضب، يتكلم إذا أمر ويسكت إذا أمر عدو الإمام الخميني عدوه ولو كان ابن الخامنئي نفسه، وحبيب الإمام الخميني حبيبه، ولو كان قاتل ابن السيد الخامنئي!!! هذا هو مفهوم الإمام الخامنئي لولاية الولي، ولطبيعة العلاقة التي ينبغي أن تسود بين الإمام ومن يواليه لقد نفذ الإمام الخامنئي واجباته تجاه وليه وإمامه، ولم يتزعزع يقينه في كل المراحل التي مر بها الإمام الخميني، كان الإمام الخامنئي سائراً على ذات الوتيرة وبنفس الإندفاع والإخلاص، طوال فترة الثورة المليئة بالآلام والمتاعب وطول الفترة التي جاءت بعد نجاح الثورة وتكوين الحكومة الإسلامية، لقد رافقه هذا النمط من الولاية وهو عضو في مجلس قيادة الثورة، وعضو في مجلس الشورى، ورئيساً للجمهورية، وعضواً من مجلس القيادة ثم خليفة مسمى للإمام الخميني، ويوم انتقل الإمام الخميني إلى جوار ربه أحس الإمام الخامنئي أن ظهره قد انكسر بالفعل، لقد فقد إمامه، لقد هوى البدر الذي كان يستضيء به، فصاح من كل بُعد من أبعاد حياته، وإمامي، واحبيبي!!

ثالثاً ـ الولي أو الإمام يقدم خدمة للموالي أو التابع، الإمام الخميني خدم الإمام الخامنئي!!!

أول ما فعله الإمام الخامنئي، هو تحديد الولي، أو تشخيصه على حد تعبيره وبعد أن حدده والاه ولاية شرعية، أثناء ممارسة هذه الموالاة أحس بحلاوتها فأقر لأهل الفضل بالفضل، بأن الإمام قد قدم له خدمة، وليس العكس، أو بتعبير أدق فإن الإمام أو الولي هو الذي ينقذ الموالي من حيرته، ويدله على الطريق بعد ضيعته، لنترك الإمام الخامنئي ليصف حالته وحالة أي عاقل قبل أن يعثر على الإمام أو الولي أو القائد أو القدوة.

يقول الإمام الخامنئي «فتصوروا ميتاً له مخ إلا أنه لا يؤدي عملاً وله عين لا يبصر بها، وله فم لا يمضغ الطعام وله جهاز هضمي إلا أنه لا يقوم بوظيفته، وله عروق لكن دمه راكد، وله يد إلا أنه لا يستطيع بها دفع الأذى عن نفسه، وله رجل لا تحمله إلى المكان المناسب، إنه فاقد الروح كالميت»[1].

الولي أو الإمام، الولاية هي التي تبعث الروح في الميت، فعندما يكون له ولي أو إمام، وعندما يمارس الموالاة ويذوق حلاوتها، تدب الحياة فيه من جديد.

يتابع الإمام الخامنئي حركة ريشته برسم الصورة الفنية فيقول «عندها ينشط المخ، وتتحرك الأعصاب والأيدي، ويشرع الفم بمضغ الطعام وتشرع المعدة بالهضم، ويتحرك الدم فيقوم بايصال الطاقة إلى جميع انحاء الجسم فيتحرك هذا الأخير، فيصارع الأعداء ويجلب الأصدقاء، ويقوم بتهذيب نفسه، ضعوا هذا المثل الذي يجسد لكم أهمية مقام الولاية في المجتمع

---

(١) الولاية للإمام الخامنئي ص٥٧/ دار الهادي.

نصب أعينكم فضعوا بدلاً من الجسد الميت المجتمع الإسلامي، وضعوا بدلاً من الروح الولاية!! فالمجتمع غير الموالي توجد فيه الطاقات إلا أنها عاطلة ومهدورة ومحطمة»[1] والفرد غير الموالي توجد فيه الطاقات إلا أنها أيضاً عاطلة ومهدورة ومعطلة.

«له مخ إلا أنه يفكر في الإفساد وقتل البشر وتشريد الناس، وتوطيد حكم الإستعمار والاستكبار، وله أُذن لا يسمع بها كلام الحق، ولا يقدم على إحقاقه، في المجتمع غير الموالي لا ترى بريقاً من النور..»[2].

يقول الإمام الخامنئي «إن البعد الآخر للولاية هو الارتباط الوثيق من قبل أفراد الأمة الإسلامية في جميع الأحوال بذلك القائد ارتباطاً فكرياً وعينياً، أي الاقتداء به بشكل صحيح، واتباعه في أفكاره وأفعاله وحركاته، فإذا موالاتك لعلي بن أبي طالب معناها أن تكون تابعاً له بفكرك وسلوكك وأن يكون هنالك ارتباط وثيق بينك وبينه، هذا هو معنى الولاية، ومنه تتعرف على معنى الحديث القائل «ولاية علي ابن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي»[3].

ويقول الإمام الخامنئي: «إن الولاية في الإنسان معناها الارتباط الفكري والعملي الوثيق بالولي، ابحث عن الولي، تعرّف على ولي الله، وبعد أن تعثر عليه صل نفسك به فكراً وعملاً، وروحاً وسلوكاً»[4].

---

(١) الولاية للإمام الخامنئي ص٥٧ ـ ٨٠.

(٢) الولاية للإمام الخامنئي ص٥٧ ـ ٨٠.

(٣) نفس المرجع ص٣٨، وراجع الوسائل ج١٨ ص٩٥ لتجد نص الحديث.

(٤) نفس المرجع ص٤ ـ ٥٥.

رابعاً: لا تناقض بين ولاية الله وولاية الولي حملاً على الأفكار السياسية السابقة وتوضيحاً لها

يقول الإمام الخامنئي: «لقد تدبرت الآيات التي ورد فيها ذكر الولي والأولياء، وطالعتها بأجمعها مطالعة مجملة فوجدت أن مسألة كون الله هو ولي المجتمع وليس للمؤمنين ولي غيره من الأمور المتسالم عليها في القرآن الكريم، وحتى لا يختلط الأمر على بعض الأذهان نشير إلى أن الكلام ليس في الولاية التكوينية لله، فإن هذه واضحة، ومعلومة في محلها وأن الله يسير الأرض والسماء بقدرته القاهرة.

إنما الكلام في قوانين الحياة البشرية، وعلاقات البشر الفردية والجماعية، فإنها يجب أن تُستلهم من الله أيضاً، ومعناها أن المشرّع للقانون والآمر والناهي في المجتمع الرباني الإسلامي القرآني هو الله فقط.

ويتابع الإمام الخامنئي قائلاً والآن يرد هذا السؤال، ما معنى كون الله حاكماً؟ فإن الله لا يتصل مباشرة حتى يقوم بأمرهم ونهيهم، ومن جهة أخرى فإن الناس بحاجة إلى إنسان، يحكمهم، ويوجههم، طبعاً حينما أقول إنسان لا أريد تأكيد حتمية أن يكون واحداً، ولا أريد نفي القيادة الجماعية بل مرادي أنه لا بد من وجود إنسان يُعطيه مقاليد الأمور وإلا لو كان الحاكم بين أفراد البشر فقط هو القانون حتى ولو كان هذا القانون من عند الله ومن قبله إلا أنه ليس هنالك أمير أو قائد أو هيئة إدارية، ولم يكن هنالك منفذ أو مشرف على تنفيذ هذا القانون، فإن المجتمع البشري أيضاً لن يكون منتظماً. . . ولكن من الذي يمكنه أن يكون هذا الإنسان، أو أولئك الذين يراد منهم قيادة المجتمع،؟ وأن يكون، أو يكونوا ولي أو أولياء المجتمع من الناحية العملية؟!

يتابع الإمام الخامنئي قائلاً: طرحت أجوبة مختلفة على هذا

السؤال. . . قال بعضهم الملك لمن غلب، أي حكومة الغالب، وقال بعضهم كل من رضي الناس به، وقال آخرون كل من كان من العشرة الفلانية أو منتسباً إلى فلان.

جواب الدين والعقيدة حول الإنسان الذي يتولى الولاية

يقول الإمام الخامنئي: وأما جواب الدين والعقيدة حول هذا الإنسان أو الولي الشرعي فهو قوله تعالى «إنما وليكم الله ورسوله» ولذا فحينما يحل النبي في المجتمع، فلا معنى لأن يكون الحاكم شخصاً غيره، فالنبي هو ذلك الشخص الذي يجب أن يمسك بزمام الأمور، ولكن ما هو العمل في حالة فقدان الرسول؟ ماذا نصنع لو أن الرسول سلم الروح كبقية الناس؟ تقول الآية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي المؤمنين، فهل كل من اعتنق الدين يكون ولياً للمجتمع الإسلامي؟ إن الآية في معرض تحديد شخص معين، متشخص في نظر الشارع والمقنن الإسلامي تريد الآية بيان علة تنصيبه، وتقوم عن هذا الطريق بإعطاء القاعدة لذلك تقول ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فإذا الشرط الأول أن يكون مؤمناً «طبعاً المؤمن غير المسلم» والشرط الثاني ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لا مجرد أن يكون الشخص مصلياً وإلا لاكتفى بقوله «يصلون» وهو مختصر وأوجز، فإن إقامة الصلاة في المجتمع معناها إحياء روح الصلاة فيه، وأن يكون المجتمع مصلياً، المجتمع المصلي هو ذلك المجتمع الذي يموج بذكر الله، وتعلمون أنه في مثل هذا المجتمع لا تحدث أي فاجعة أو جريمة أو خيانة، ولا تنتهك فيه القيم، ويكون التوجه فيه نحو الله، وأعمال الإنسان كلها لله ومن أجله، وأن كل ما يحدث للناس من عمليات الإذلال والظلم والرضوخ له يعود سببه إلى الأبتعاد عن ذكر الله، إن المجتمع الذاكر لله يكون حاكمه شخص مثل علي بن أبي طالب الذي لا يظلم، والذي يحارب الظلم، وأن المحكوم فيه شخص مثل أبي ذر الغفاري الذي يُغرّب ويبعد، ويهدد ويحتمل الغربة، إلا أنه يقاوم ولا يرضى بالظلم، ولا ينحرف

عن طريق الله. ولا يكتفي الشارع الحكيم بذلك بل يضيف ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، أي يقومون بتقسيم الثروة بشكل عادل، وينفقون الأموال في سبيل الله، ثم يقول الله تعالى بعدها ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ أي أن يكون هؤلاء في حالة ركوع متصل وليس المراد واقعة بعينها، وهذه إشارة إلى مورد خاص، إلا أن العارف بالأساليب يرد هذا القول، والزكاة هنا بمعنى مطلق الانفاق، إذ أن الخاتم الذي أنفقه أمير المؤمنين وهو راكع لم يكن زكاة بالمعنى المصطلح، وإنما هو انفاق في سبيل الله، وأُطلق لفظ الزكاة عليه في هذه الآية، أي أن الإنسان الذي يتأثر برؤية مظاهر الفقر، فلا يتمهل حتى تتم الصلاة، فإذا رأى مظهراً لا يحبه الله فهو أيضاً لا يحبه، ولكن ليس في حوزته غير الخاتم، فقام بالتصدق به راكعاً، إذاً هذه الآية إشارة إلى واقعة تاريخية خاصة أوجدها أمير المؤمنين، فنزلت في حقه هذه الآية، تعرف بأنه ولي الأمر.

إلا أن هذا التعيين ليس من قبيل تعيين معاوية لابنه يزيد، فإن الله لا يعين خليفة الرسول بهذه الطريقة. ولكن بما أنه اجتمعت ملاكات الحكم من الإيمان الكامل بالله وإقام الصلاة في المجتمع، وحب الانفاق في سبيل الله في علي، فإن هذه الملاكات أو المقومات تقوم ببيان فلسفة خلافته ضمن قرار تنصيبه، إذاً الفرض بحسب طبيعة الخلقة أن لا حق لأي إنسان في التحكم بالآخرين، وأن الله فقط هو الذي له هذا الحق، وله أن يُعطي هذا الحق لمن يشاء، وتعلمون أن فعل الله غير خال من المصلحة، وليس فيه دكتاتورية أو تجبر، لهذا فنحن نسلم به فيقوم الله بتعيين الرسول والإمام، ويعين صفات الإمام، وبعد مرحلة الإمامة يعين صفات الحاكم بعد أئمة الهدى، إذاً فإن الله هو الذي يعين الولي، وقد حدد عدد الأئمة باثني عشر إماماً، وبعدهم سيتولى الإمامة من كان جامعاً للمعايير الخاصة. . . .

وما أكده الإسلام هو أن لا يتولى زمام الأمور من يورد الناس إلى جهنم، وقد وردت آيات في ذلك، . . .

آية اخرى عن ولي الأمر

يقول الإمام الخامنئي، موضحاً الصورة، آية أخرى في القرآن الكريم تقول ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فما معنى أصحاب الأمر؟ إن الجاهل فقط هو الذي يتصور أن صاحب الأمر هو كل من كانت له القدرة على إصدار الأوامر وفرضها بالقوة، ونحن نقول: فليس مثل هذا الشخص من أولي الأمر، وإلا لصار كل من يتمكن من اصدار الأوامر ولياً يقره القرآن، فقاطع الطريق المحتمي بالجبال بسلاحه يستطيع أن يصدر الأوامر، فهو ولي على تلك البقعة ويجب إطاعته!!!

إن ولي الأمر الذي تعتقد به الشيعة هو الذي عينه الله، ذلك الإنسان الذي وإن كان «منكم، وجزءاً من البشرية، إلا أنه استلم الولاية من الله تعالى صاحب الولاية الكبرىٰ.

هل يمكن أن يكون هارون الرشيد على ما هو عليه من بذخ واسراف لا حد له، وبقتله الذريع، حيث قام بقتل جعفر البرمكي نفسه والكثير من أقربائه بيوم واحد وقتل الكثير من المؤمنين من أولي الأمر.

كان المفتي الذي عينه هارون الرشيد يقول إن هارون من أولي الأمر، وكانوا يؤاخذون الإمام جعفر الصادق في هذه المسألة قائلين: لماذا تنازع ولي أمر عصرك؟!(١).

يقول الإمام الخامنئي؛ الإمام أو الولي هو القدوة والنموذج والحاكم المعين من الله تعالى، وعندما تقول أن تعيين الإمام أو القائد من الله نريد الإشارة إلى صورتين وهما:

١ ـ أن يعين الله الإمام كما يعين النبي أمير المؤمنين والحسن والحسين وسائر الأئمة الاثني عشر.

---

(١) الولاية للإمام الخامنئي ص٦٨ ـ ٧٢.

٢ ـ أن لا يعينه باسمه بل بصفاته وشروطه «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه متبعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه»[١].

لقد عين الإمام بهذه الرواية وغيرها صفات وشروط القائد ولم يذكر اسماً معيناً فكل شخص تنطبق عليه هذه يكون إماماً فهو صاحب الراية وحاملها، ذلك الذي يتبعه المسلمون أينما سار»[٢].

الولي أو الإمام زمن غيبة المعصوم

يقول الإمام الخامنئي: أما بعد عهد الأئمة المعصومين حيث لا يوجد شخص معين قد نصّب من قبل الله كحاكم للمجتمع فإن المناط في تعيين الحاكم أمران هما:

١ ـ حيازته صفات حددها الإسلام كالعلم والتقوى والاقتدار والاخلاص والمزايا الأخرى للحاكم.

٢ ـ قبول الناس به واجتماع كلمتهم عليه، فإن لم يعرف الناس ذلك الشخص الحائز على مواصفات الحاكم، أو لم يقبلوه على الرغم من توفر الشروط اللازم توافرها فيه، فإنه ليس حاكماً، وإذا كان ثمة شخصان حائزان على تلك المواصفات وقبل الناس أحدهما فإنه هو الحاكم»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة ص٩٥ مجلد ١٨.

(٢) الإمامة والولاية للإمام الخامنئي ص٤٤ ـ ٤٥.

(٣) الحكومة في الإسلام للإمام الخامنئي ص٥٢ ـ ٥٣.

الفصل الثاني

عملية تشكيل وبناء المجتمع في فكر الإمام الخامنئي

لقد بيّن الإمام الخامنئي: بأن تحديد من هو الولي أو الإمام، وتشخيصه ومعرفته هو حجر الأساس لعملية تشكيل وبناء المجتمع الإسلامي أو هو أساس المشروع الإلهي لإنقاذ المجتمع.

وأن موالاة هذا الولي من قبل الفرد هو التعبير العملي، والمعنى المحدد والرمز الواضح للانتماء للمشروع الإلهي، وأن هذه الموالاة هي الخطوة العملية والمساهمة الفعلية الأولى في بناء وتشكيل المجتمع الإسلامي. وأكد الإمام الخامنئي بأن فاعلية الفرد الموالي في هذا المشروع تتحدد بحجم ارتباطه الوثيق بالولي والتزامه بتوجيهات هذا الولي، وحسن الإقتداء به.

أين يمكن بناء وتشكيل المجتمع الإسلامي؟

في أية بقة من بقاع الأرض مسكونة بجماعة بشرية قلّت أم كثرت، يمكن بناء وتشكّل المجتمع الإسلامي فيها، الجماعة يجب أن تكون بشرية لا من الملائكة ولا من الجن، المجتمع الإسلامي يقوم بالضرورة على أنقاض مجتمع غير إسلامي، أي أن أمامنا مجتمع غير إسلامي، وهدفنا أن نحوّله إلى مجتمع إسلامي.

ما معنى تحويل المجتمع البشري القائم الى مجتمع إسلامي؟

تتحقق عملية تحويل المجتمع البشري القائم من مجتمع غير إسلامي إلى مجتمع إسلامي عندما يتم استبدال العقيدة والشريعة السائدة في المجتمع غير الإسلامي بعقيدة الإسلام وشريعته، وتبعاً لذلك تتغير الطواقم غير الإسلامية الحاكمة بطواقم إسلامية بديلة، وتتغيّر أهداف المجتمع ونمط حياته تغيراً جذرياً أو بتعبير أدقّ يتم استبدال حكم الطاغوت بالحكم الإلهي، واستبدال القوانين التي وضعها الطاغوت بالقوانين الإلهية، فيتلاشى المجتمع غير الإسلامي ليحل محلّه مجتمع إسلامي.

ما هي الوسائل والأسباب الشرعية اللازمة لعملية تحويل المجتمع من مجتمع غير إسلامي إلى مجتمع إسلامي؟

يقول الإمام الخامنئي: يجب أن تتم كل هذه الأمور عن طريق الأسباب الطبيعية وأن الأنبياء في الكثير من نشاطاتهم اعتمدوا الأسباب الطبيعية، وإنّما بُعث الرسول ليتمكن من تشكيل المجتمع المطلوب أي مؤسسة صنع الإنسان، ولأنه بحاجة إلى جماعة متآلفة ومتحدة من أعماق قلوبها، وعلى إيمان واعتقاد بما تعتنقه وتسعى إلى تحقيق هدفها بخطوات ثابتة، ولهذا فإن أول شيء ينبغي على الرسول أن يفعله هو إعداد مثل هذه الجماعة، عن طريق آيات القرآن وبالموعظة الحسنة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾[1] وبهذه الطريقة يقوم الرسول بجذب القلوب نحو طريق الله، ويقوم بجمعهم حوله أول الأمر، ثم يقوم بإيجاد جبهة تقف في مواجهة الكفر، وتتشكّل الجبهة الإسلامية من المسلمين المؤمنين المعتقدين ذوي البصيرة النافذة، «مما لا تأخذهم في الله لومة لائم»[2] على غرار المسلمين الأوائل

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) آخر الخطبة القاصعة نهج البلاغة ص٨٠٨.

الذين شكّلوا جبهة وسط المجتمع الجاهلي.

الجبهة الإسلامية المشكلة وسط المجتمع الجاهلي يجب أن تسودها علاقة الولاية، بمعنى أنه لا بد من شدّ أفراد هذه الجماعة مع بعضهم «وأن يُصنع منهم درع فولاذي متين لا يمكن لأية قوة اختراقه، وعلى حدّ تعبير المثقفين في هذه الأيام ينبغي إيجاد حالة من الإنضباط الحزبي بين المسلمين وإبعادهم قدر المستطاع عن التيارات والدوافع المخالفة للإسلام، فهم أقليّة ومن المحتمل أن يضمحلّ فكر الأقليّة تحت تأثير فكر الأكثرية، ومن المحتمل أن تتلاشى حيثيتهم وشخصيتهم في حيثيات وشخصيات وأعمال بقية الناس» ويضرب مثلاً لوحدة المسلمين وتكاتفهم بفريق تسلّق الجبال، ثم يقول الإمام الخامنئي: «فإذاً فإن معنى الولاية التي ينبغي أن تسود بين أفراد الفئة القليلة المؤمنة، معناها هو الإتحاد والتماسك الشديد بين عدد من أفراد الإنسانية لديهم فكرة واحدة، وينشدون هدفاً واحداً ويسيرون في طريق واحد، كان الرسول يوحد جميع المسلمين الأوائل بهذا التماسك، ويؤاخي بينهم، ويجعل منهم جسداً واحداً ويشكّل منهم الأمة الإسلامية، والمجتمع الإسلامي... لأنهم إن لم يكونوا على هذه الحالة، ولم تكن لديهم ولاية، ولم يحصل بينهم تماسك كامل، فسينشب في صفوفهم الخلاف ويعجزون عن حمل الأمانة الملقاة على عاتقهم... وحتى وبعد أن يتحوّل المسلمون الى أمة عظيمة فهم أيضاً بحاجة الى الولاية... الولاية هي التي حافظت على التشيّع، لأن الولاية أوجدت بينهم اتصالاً وتماسكاً عجيباً، حتى يبقى التيّار الشيعي محفوظاً في خضمّ التيّارات الأخرى تحت ظل الولاية»[1].

(١) الولاية للإمام الخامنئي ص١٧ ـ ٢٠/ طبعة دار الهادي.

الإمام الخامنئي لا يؤمن بالعنف، ولا يؤمن بالإرهاب، ولا يؤمن بالقتل كوسائل وأسباب لتحويل المجتمع غير الإسلامي إلى مجتمع إسلامي، لذلك كان حريصاً على ذكر الآية: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ ثم أضاف الإمام الخامنئي بعدها الجملة التالية: «وعن هذا الطريق يؤمر الرسول بجذب القلوب نحو طريق الله»[1] فعملية تحويل المجتمع غير الإسلامي إلى مجتمع إسلامي، لا تحتاج إلى حرب، فكافة الحروب التي خاضها الرسول كانت حروباً دفاعية، لمواجهة تحركات جبهة الشرك العسكرية، ولم يصدف طوال عهد الرسول الزاهر أن بدأ القتال ولا في أي معركة من المعارك التي خاضها ضد المشركين، في كل المعارك كانت جبهة الشرك هي التي تبدأ القتال، كان الرسول يحاول أن يتجنّب القتال لآخر لحظة، فإذا فرضت عليه الحرب حارب بكفاءة، وهذه أيضاً كانت سياسة الإمام علي، وتلك هي أحكام الإسلام، فمن غير الجائز أن يُفرض الدين على الناس بالقوة، ولا إجبار الناس على اعتناقه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ لأن القوة والإجبار على اعتناق الدين وسائل غير شرعية، وغير منطقية. إن سلاح الإسلام لهداية الناس وإنقاذهم من الظلمات الى النور هو الكلمة الطيّبة، والحجّة القويّة، والموعظة الحسنة، والنموذج الصالح، والهدف النبيل الذي يسعى الإسلام لتحقيقه، فكفر الناس لا يضرّ الله ولا ينقص في ملكه لأنه غنيّ عنهم، ولكن الكفر يلحق أفدح الأضرار بالناس أنفسهم.

كذلك فإن إيمان الناس وإسلامهم لا يزيد في ملك الله، ولكنه نفع محض للناس، ثم إن القوة والإكراه لا يجديان في مسائل العقائد، لأن

---

(١) الولاية للإمام الخامنئي ص١٨.

موضع العقيدة هو القلب والعقل، والإنسان أي إنسان قاصر عن معرفة حقيقة ما في القلب والعقل، لأنها أمور خفيّة لا يعلمها إلا الله، فمهمّة الإسلام أن يحدث التغيير في القلب والعقل والقناعة عن طريق الكلمة الطيّبة والموعظة الحسنة بدون قتل ولا قوة ولا إرهاب ولا إكراه، لأن هذه الوسائل تفوّت الحكمة من الدعوة الإسلامية فالإسلام قد جاء ليحافظ على النفس البشرية، وليحول دون إرهابها أو إكراهها، وليوقف مصادرة الطواغيت لحريات الناس وحقوقهم، ومن غير الجائز لأي كان حتى للرسول نفسه أن يقتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض، ومن يقتل نفساً بغير هاتين الحالتين فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن غير الجائز أن يكره إنسان آخر على اعتناق الإسلام ومن يفعل ذلك فهو آثم، ثم إن الإكراه لا فائدة منه، فالرجل الذي تكرهه على دخول الإسلام يصبح منافقاً ظاهره مؤمن وباطنه كافر، وهو أشد خطراً على المجتمع الإسلامي من الكافر، لأن الكافر معروف، وبإمكان المجتمع الإسلامي أن يتجنّب شرّه، أما المنافق فغير معروف لأنه خفيّ، وهو بمثابة قنبلة موقوتة لا تدري متى تنفجر، ولا عن ماذا يسفر هذا الإنفجار، فمن مصلحة المجتمع الإسلامي أيضاً أن لا يكره أحداً على اعتناق الإسلام.

وأقصى ما يستطيع المجتمع الإسلامي أن يفعله هو ضمان حرية الاختيار أمام الناس، وهذا يتحقق عندما يكون المجتمع الاسلامي كياناً سياسياً قوياً ومتماسكاً ومرهوب الجانب، هنا تهابه الكيانات الغير إسلامية، وتخشى ردّة فعله، فتعطى الناس حرية الاختيار، فيكون للفرد الحق بأن يبقى على دينه ومعتقده الفاسد، أو أن يعتنق الإسلام دون خشية من انتقام الكيانات غير الإسلامية، وبتعبير أدقّ فإن الكيان الإسلامي يحمي المسلمين من اعتداءات الكيانات غير الإسلامية، آيات القتال الواردة في القرآن الكريم كانت لإقناع المسلمين بعدالة حربهم الدفاعية العادلة المفروضة عليهم، وطالما أن الحرب قد فُرضت على المجتمع المسلم فيجب أن يخوضها ببسالة الحق،

وأن ينتصر فيها وأن يهزم المعتدين، المشركون هم الذين أخرجوا الرسول والذين آمنوا من بلدهم، والرسول لم يخرجهم، وقادة الشرك هم الذين خططوا لاغتيال الرسول، والرسول لم يخطط أبداً لاغتيالهم، وقادة الشرك هم الذين عذبوا المستضعفين من المؤمنين ولا ذنب لهم إلا أنهم قد اعتنقوا الإسلام بحريتهم التامة وبكامل رضاهم، فهل أجبر المسلمون ـ الذين يفهمون الإسلام ـ إنساناً واحداً على اعتناق الإسلام؟ . . وهل عذبوا أحداً من الناس بسبب اعتناقه لدين آخر؟ هذا لم يحدث طوال التاريخ والفظائع التي ارتكبها بعض الحكام الذين حكموا باسم الاسلام، لا علاقة للإسلام بها، إنما وزرها على الذين اقترفوها.

كان في المجتمع الذي كان يقوده الرسول يهود، ونصارى، وعرب على الشرك، وفئة من المنافقين، فهل طردهم الرسول، وهل حاربهم، وهل استفزهم؟ وهل أجبرهم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام، وهل منعهم من ممارسة شعائرهم؟ الرسول لم يفعل ذلك بل تعايش، ووفى لهم ما وفوا له، فلما خرجوا عليه وحاربوه حاربهم.

إلتزام الثورة الإسلامية بهذه السياسة

لأن الإمام الخميني والإمام الخامنئي وأركان الثورة الإسلامية سائرون على الإسلام، وملتزمون بأحكامه فقد نبذوا العنف والإرهاب والإكراه بكل أشكاله، حتى أنهم لم يحملوا السلاح، كان سلاحهم من أول الثورة إلى آخرها الكلمة المجرّدة الطيّبة والحكمة والموعظة الحسنة، لم يخططوا لاغتيال أحد، لأن الإكراه والإجبار لا يجيزهما الإسلام، لم يوافق الإمام الخميني على اغتيال الشاه، ولم يفكّر أصلاً باغتياله، ولم يوافق على اغتيال أحد من أعوان الشاه، ولا فكّر بذلك، ولم يوافق على اغتيال أحداً من معارضيه بعد نجاه الثورة ولا فكّر بذلك، وحتى بعد أن بدأت موجة إغتيالات

رجالات الثورة من قبل أعدائها، لم يفكّر الإمام الخميني ولا أركان الثورة بفكرة اغتيالهم انتقاماً منهم، لقد حاولت الدولة القبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة ليحاكموا محاكمة عادلة على ضوء أحكام الشريعة الإسلامية، أليس بإمكان الإمام الخامنئي وأركان الحكومة الإسلامية أن يخططوا لاغتيال مسعود رجوي وأركان منظمته، ليريحوا المجتمع الإسلامي الإيراني من نزيف الدم، لكن الإمام الخامنئي وأركان الحكومة الإسلامية لم يلجؤا إلى هذه الأساليب لأنها غير شرعية، وهم أولى الناس بالإلتزام بالشرعية الإلهية، وإلا كان ميسوراً عليهم أن يفعلوا ذلك.

بناء المجتمع الإسلامي

نبسّط الفكرة ونوضّحها على الشكل التالي:

أمامنا مجتمع غير إسلامي، مهمتنا أن نحوّله إلى مجتمع إسلامي، بالوسائل الشرعية الإسلامية.

أولاً: لا بدّ من وجود الإمام أو الوليّ أو القائد.

ثانياً: يتولى الإمام أو الولي أو القائد دعوة أفراد المجتمع غير الإسلامي إلى الإسلام بنفس الوسائل والطرق التي دعا فيها رسول الله المجتمع غير الإسلامي الذي عاصره.

ثالثاً: من الطبيعي جداً أن يستجيب للولي أفراد من المجتمع غير الإسلامي، من أولئك الذين عُرفوا بالحصافة وبعد النظر، هؤلاء الأفراد ينبغي أن يترابطوا بالإمام أو الولي أو القائد برابطة الولاية الحقيقية التي فصلناها بالفقرات السابقة.

وبنفس الوقت فإن عليهم أن يترابطوا في علاقاتهم مع بعض برابطة الولاية ببعدها الآخر، فيصبحوا كالجسد الواحد تماماً.

رابعاً: يتابع الإمام أو الولي جهوده بالدعوة، وينضم إليه بالدعوة الذين اتبعوه.

خامساً: عندما يتكاثرون يكونون جبهة، ومجتمعاً إسلامياً قائماً على الولاية بأبعادها الثلاثة علاقة المؤمنين بالولي وهي البعد الأول، علاقة المؤمنين ببعضهم وهي البعد الثاني من أبعاد الولاية، علاقة المجتمع المؤمن مع المجتمع غير المؤمن وهي البعد الثالث من أبعاد الولاية.

سادساً: تبدأ عملية التآكل الداخلي في المجتمع غير المسلم لأن بنيانه غير سليم وتبدأ مؤسساته بالتداعي والانهيار.

سابعاً: بهذا الوقت تسعى الجبهة المؤمنة بقيادة الولي للسيطرة على آلية المجتمع غير المسلم المتداعي، لتحلّ المؤسسات والقيادات الإسلامية محل المؤسسات والقيادة غير الإسلامية، وهذا ما حدث بالنسبة للثورة الإسلامية.

المجتمع الإسلامي

يقول الإمام الخامنئي: المجتمع الإسلامي هو ذلك المجتمع، وتلك الحضارة التي يكون الله حاكماً عليها، وأن قوانين ذلك المجتمع قوانين إلهية، والحدود التي تقام فيه حدود ربّانية، وأن الله هو الذي يعزل وينصب.. لو فرضنا المجتمع بشكل هرمي... يكون دين الله في قمة ذلك الهرم، وتحته جميع البشر وأفراد الإنسانية، ودين الله هو الذي ينشأ المؤسسات الإدارية، والمقررات الإلهية هي التي تقرر السلم أو الحرب، وهي التي تحدد العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والحكم وكل شيء آخر، والذي يقوم بتنفيذه هو دين الله، والذي يقف وراء هذا القانون هو دين الله.

هذا هو المجتمع الإسلامي، لقد جاء الرسول إلى المدينة وأسس في المدينة مجتمع يحكمه دين الله، وكانت دفة الحكم من ناحية عملية بيد نائب الله أي رسول الله فهو الذي يصنع المقررات، ويقوم بتنفيذها ويتولى هداية

هذا المجتمع وقيادته وإدارته . .

هذا هو المجتمع الإسلامي ووظيفة الأنبياء هي صنع مثل هذا المجتمع وكل من يدخل هذا المجتمع الإسلامي يصبح إنساناً، ولو لم يقدّر له أن يكون إنساناً كاملاً فسيضطرّ إلى أن يسير في ضوء حركة المجتمع . . .

فكل من أراد أن يسلك سلوكاً حسناً في المجتمع النبوي يمكنه أن يكون كذلك، في حين لا يتيسّر هذا في المجتمعات غير الربّانية . . . »[1].

عملية بناء وتشكيل المجتمع الإسلامي في إيران

كان المجتمع الإيراني قبل الثورة مجتمعاً مسلماً، والأغلبية الساحقة جداً من أفراد الشعب الإيراني مسلمون، إن نسبة الذين يدينون بدين الإسلام في إيران تتجاوز ٩٤٪ من الشعب الإيراني، ونسبة الذين يتمذهبون بمذهب أهل البيت المذهب الجعفري تتجاوز ٩٢٪ من الشعب الإيراني، وحسب الدستور الذي كان سائداً ولو من الناحية الشكلية يتوجّب أن يكون رئيس الدولة «أي الشاه» مسلماً جعفرياً وبالرغم من هذا فإن المجتمع الإيراني لم يكن مجتمعاً إسلامياً.

وحسب موازين الإمام الخامنئي فإن الحاكمية في المجتمع الإيراني قبل الثورة لم تكن لله، إنما كانت حاكمية طاغوتية، والقوانين الرسمية السائدة في ذلك المجتمع لم تكن قوانين إلهية، والحدود التي وضعها ذلك المجتمع لم تكن حدود ربّانية.

إسمياً كان دين الدولة هو الإسلام، ولكن فعلياً ورسمياً لم تكن هنالك علاقة للدين، لا بمؤسسات الحكم، ولا بتحديد العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ولا بشؤون الحكم، ولا بالتنفيذ ولا بالقضاء، والأهم من ذلك

---

(١) الولاية للإمام الخامنئي ص١٥ ـ ١٦/ طبعة دار الهادي.

أن نظام الشاه كان يقود الناس عملياً للتخلي عن دينهم، واعتباره مجرد علاقة خاصة بين العبد وربّه ولا علاقة له بشؤون الحياة «دين على النمط الغربي» وكان هذا النظام بكل وسائل إعلامه يغري ويشجّع الشعب الإيراني على الإنحلال والفساد، والتشبّه بعهر الغرب وانحلاله لأن الشاه ونظامه وطواقمه، لا يعرفون من الإسلام إلا إسمه ومن الدين إلا رسمه، هم يعرفون نمط الحياة الغربية، ولو طال المقام بالشاه، ولولا الثورة الإسلامية الإيرانية، لكان الشاه «أتاتورك» إيران، ولأصاب إيران ما أصاب تركيا تماماً، ولكن الله سلّم.

كيف تمّت عملية بناء وتشكيل المجتمع الإسلامي في إيران؟

حسب الفكر السياسي للإمام الخامنئي، فإن عملية بناء وتشكيل المجتمع الإسلامي في إيران تمّت على الشكل التالي ومن خلال الخطوات التالية:

أولاً: تمّ تشخيص وتحديد من هو الإمام أو الولي أو القائد، لقد برز الإمام الخميني كولي وإمام وقائد للأمة الإسلامية، يحمل دعوة الإسلام من جديد، وينادي ببناء المجتمع الإسلامي في إيران ليكون على شاكلة مجتمع الرسول، لقد أعلن الإمام الخميني علناً، بأنه يريد خلع الشاه، وإسقاط نظامه، وإقامة حكومة إسلامية لتحلّ محلّ نظام الشاه، برئاسة الفقيه العادل الذي ينبغي أن يحلّ محلّ الشاه نفسه.

ثانياً: استقطبت دعوة الإمام الخميني طائفة من العلماء الأفذاذ كالإمام الخامنئي، والشيخ هاشمي رافسنجاني، والشهداء بهشتي والمطهري وباهنر، ورجائي وغيرهم، فالتفّوا حول الإمام، وبايعوه، ووالوه موالاة حقيقية بالمعنى الذي وضّحناه للولاية، وتكاتفوا مع بعضهم حتى صاروا كالجسد الواحد تسودهم وتنظمهم الولاية ببعدها الثاني، وكوّنوا جبهة فعلية سليمة تبارز جبهة النظام.

ثالثاً: تابع الإمام دعوته بكفاءة بالغة وبلا كلل ولا ملل، وساعدته الفئة القليلة المؤمنة التي التفّت حوله، ووالته موالاة حقيقية بالدعوة الى خلع الشاه، وإسقاط نظامه، وإقامة حكومة إسلامية برئاسة الفقيه العادل، وتكوين مجتمع إسلامي، وشقّت الدعوة طريقها إلى قلوب أبناء الشعب الإيراني، الذي أقبل على الإمام زرافات ووحداناً معلناً تأييده له، وموالاته للإمام.

رابعاً: خلال مدة خمسة عشر سنة تقريباً، تمكّن الإمام والقلّة المؤمنة التي التفّت حول الإمام ووالته من إقناع الأكثرية الساحقة من الشعب الإيراني، بضرورة، خلع الشاه وإسقاط نظامه، ورضيت بإقامة الحكومة الإسلامية لحلّ محلّ نظام الشاه، ورضيت بالفقيه العادل ليحلّ محلّ الشاه.

لم تكن هنالك حاجة لا للسلاح ولا للإكراه، ولا للعنف، ولا للإرهاب لأنها وسائل غير إسلامية، وغير مجدية، كانت الكلمة والموعظة الحسنة والإقناع هي الوسائل التي استعملها الإمام وأركان ثورته لإقناع الشعب الإيراني المسلم.

خامساً: أصبح من الواضح للشاه ولنظامه وللعالم كله أن الإمام الخميني هو المالك لقلوب الإيرانيين، وهو الولي والإمام والقائد الفعلي لهم، مثلما أصبح واضحاً للشاه ولأركان نظامه وللعالم كله بأن الشعب الإيراني لا يريد الشاه، ولا يريد نظامه، وأن المطلب الوحيد للشعب الإيراني هو إقامة الحكومة الإسلامية برئاسة الفقيه العادل، وبناء وتشكيل المجتمع الإسلامي في إيران.

سادساً: بمعنى آخر أن العقيدة التي قام عليها نظام الشاه سقطت، وفقدت مبررات وجودها، وأن العقيدة الإسلامية التي يحمل رايتها الإمام الخميني وأصحابه ومن ورائهم الأكثرية الساحقة من الشعب الإيراني حلّت محلّ عقيدة الشاه ونظامه الطاغوتي.

سابعاً: من اليوم الذي أعلن فيه الإمام الخميني وأصحابه الثورة، بدأت عملية التآكل الداخلي للمجتمع غير الإسلامي، وللنظام الطاغوتي الحاكم، وكلما اشتدت الثورة وقوي ساعدها كانت تزداد عملية التآكل الداخلي فتنخر كيان المجتمع غير الإسلامي، والنظام الطاغوتي.

ثامناً: عندما وصل الإمام الخميني من باريس إلى طهران، وحتى قبل وصوله أي يوم أعلن قراره بالعودة إلى طهران كانت مؤسسات النظام الطاغوتي قد وصلت إلى أعلى درجات التآكل، وتحولت الى هياكل عظميّة بالية، لا تقوى على حمل نفسها فانهارت دفعة واحدة، وسقطت الى غير رجعة.

تاسعاً: بادر الإمام وأصحابه بتكوين حكومة مؤقتة لإدارة شؤون البلاد، وأجروا انتخابات لانتخاب هيئة تأسيسية مهمتها وضع دستور الحكومة الإسلامية ووضع الخبراء المنتخبون دستور الجمهورية الإسلامية، وطرح الدستور للإستفتاء فنال موافقة ٩٨,٢٪ من الشعب الإيراني، ثم جرت إنتخابات رئاسة الجمهورية ومجلس الشورى، ومجلس القيادة، وهكذا تحوّلت الثورة إلى دولة، وتمّ تكوين الحكومة الإسلامية، وبناء وتشكيل المجتمع الإسلامي، بموافقة ورضى الأكثرية الساحقة من أبناء الشعب الإيراني المسلم.

ولاية الطاغوت

يقول الإمام الخامنئي: ان القرآن الكريم يرى كل ولاية غير ولاية الله ولاية للطاغوت، وكل من لم يكن في ولاية الله، فهو في ولاية الطاغوت.

ويتساءل الإمام الخامنئي عن معنى الطاغوت، ثم يجيب قائلاً الطاغوت مشتقّ من الطغيان، أي التمرّد، والخروج من دائرة فطرة الإنسان، إن الإنسان خُلق لكي يتكامل، وإن الذي يحدّ من تكامله، أو يمنع منه هو الطاغوت،

على الإنسان أن يحيا بدين الله، وهذا أمر مفطور عليه الإنسان، ولو أن أحداً ربّى الناس على نحو يعيشون فيه بغير دين الله فهو طاغوت، وعلى الإنسان أن يسعى دائماً ليكون وجوده نافعاً، وكل عامل يحفز الإنسان على عدم الجدّ والسعي وطلب الراحة والكسل فهو طاغوت.

على الإنسان أن يكون تحت حكم الله، كل ما يستوجب معصيته وعدم طاعته فهو طاغوت.

فإذاً ليس للطاغوت إسماً خاصاً، . . . الطاغوت صنم وكلغة ليس صنماً محدداً، فربما كان الصنم هو الإنسان نفسه، وربما كان هو المال والمادة وأحياناً يكون هو طلب العافية، أو تشتهيه النفس، أو يكون هو من سلّمت إليه أمرك، وربما كان هو نظام المجتمع.

وعلى هذا الأساس فإن كل من يخرج من دائرة ولاية الله، يدخل قهراً في دائرة ولاية الطاغوت والشيطان. . .

يقول الإمام الخامنئي: إن الإرتباط بين الشيطان والطاغوت أعمق من النسبة، فالشيطان هو الطاغوت والطاغوت هو الشيطان يقول القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ ثم يقول: ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1].

لقد تمّ استخدام كلمة الطاغوت بدلاً من الشيطان، والشيطان للدلالة على الطاغوت. إذاً فإن الشيطان عنصر يقوم بدعوة الإنسان من الخارج للأعمال الشريرة والإفساد والإنحطاط، والذلّ، والظلم، والإنحراف. . . وبشكل عام فكل ولاية غير ولاية الله هي ولاية شيطانية وطاغوتية.

ما هي المفسدة المترتبة على الدخول في ولاية الشيطان والطاغوت؟

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

يجيب الإمام الخامنئي على هذا التساؤل قائلاً «إنك إذا خضعت لولاية الشيطان فإنه سيسيطر على جميع قابلياتك الخلاّقة والمبدعة والمثمرة، ولو أنك مددت عنقك ليضع حوله حبل ولايته، لن تحصل على منقذ للخلاص، وسيكون بيده كل ما عندك من طاقة على الإبتكار، وعندها يمكنه أن يسيّرك كيف يشاء، ومن الواضح أن الشيطان والطاغوت لا يهديان الإنسان الى النور والمعرفة والراحة والرفاه المعنوي، فليست هذه الأشياء هدفهما، وإنما هدفهما هو الأطماع الشخصية، فيقومان باستخدامك لمصلحتهما الخاصة. . . فلو أسلمت القيادة للطاغوت فستضع جميع طاقاتك في قبضته.

هل من الممكن المحافظة على إسلامنا مع ولايتنا للشيطان؟

ولاية الشيطان تعني أن يسيطر على جميع قوى الإنسان واستعداداته الخلاّقة ليكون ما يفعله الإنسان منسجماً مع الخطوط البيانية التي يرسمها الشيطان. يفكّر في ضوء رغبات الشيطان، كما لو كان في تيّار مائي ينحدر من مكان مرتفع وهو مع ذلك لا يريد أن يصطدم بالصخور فتهشّم عظمه ولا يريد أن يوقعه هذا التيّار في الرمال المتحركة، ولا يريد أيضاً أن يغرق. إن ولايته الطاغوت الشيطان من هذا القبيل لذلك تقول الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[1] وآية أخرى ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾[2]. قام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بتلاوة هذه الآية على هارون الرشيد، وأفهمه أنه هو الذي يقوم بإحلال قومه دار البور، لأن هارون قد سأله، فهل نحن كافرون؟ وكان مراده أفلسنا نعتقد بالله ورسوله ودينه، لذا أجابه الإمام بهذه الآية بأن الكافر ليس فقط، الذي يقول صراحة، ليس

(١) سورة القصص، الآية: ٤١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨ ـ ٢٩.

الله موجوداً، والقرآن كتاب كاذب وأن النبي أسطورة، فهذه أحد مصاديق الكافر، وهو الذي يصرّح بكفره فيتعرّف الإنسان عليه، وينظم معه علاقته بشكل حميم، إلا أن الكافر الأسوء منه هو الذي يكفر بالنعم التي وضعت بيده، ويصرفها في غير محلها الصحيح، وبذلك لا يقوم بتدمير نفسه فقط، بل يقوم بتدمير جميع من هم تحت ولايته، ويدخلهم جهنّم إن ولاية الطاغوت تستبع مثل هذه النتيجة.

هل سرتم في طريق مزدحمة، تريد أن تذهب إلى هذه الجهة، لكن الجموع تقذف بك إلى الجهة الأخرى، كذلك من يعيش تحت ولاية الطاغوت، يريد أن يكون صالحاً، وأن يحيا حياة شريفة، وأن يكون إنساناً، إلا أنه لا يستطيع لأن تيّار المجتمع يقوم بجرفه دون أن يستطيع المقاومة، أحياناً تقع آلاف الأسماك في الشباك، فيقام بسحبها من وسط البحر إلى الساحل، من دون أن تعلم أي سمكة بالجهة التي تسير إليها!! وكل منها تعتقد أنها متخذة طريقاً تسير فيه باختيارها غافلة عن أنها في الواقع مسيّرة، وأن مقصدها هو مقصد الصيّاد!! كذلك فإن شبكة النظام الجاهلي الخفية تقوم بسحب الإنسان إلى الجهة التي يقصدها أصحاب هذا الشباك، ويتخيّل الواقع فيها أنه يتجه إلى مقصده، غافلاً عن أنه متجه إلى جهنم.

هل يمكن البقاء على الإسلام تحت ظلّ الطاغوت؟

يقول الإمام الخامنئي: . . . انظروا إلى عصر بني أمية وبني العباس كم كان العالم الإسلامي يتحرك بنشاط، وأي أمواج متلاطمة من المعلومات ظهرت في المجتمع الإسلامي آنذاك كم برز من الأطباء الكبار والمترجمين العظام. . . والمعارف العالمية العامة، . . . بحيث لو نظر مستشرق مثل «جوستاف لوبون» لاعتقد أن القرون الثاني والثالث والرابع قرون تشعشع الإسلام. . . ولاعتبرها قروناً عظيمة، . . . ولكن هل عادت بنفع على المجتمع الإسلامي والإنسانية؟ لقد مضت الآن قرون، وليس لدينا تعصّب

تجاهها!! يمكننا القول للعالم غير الإسلامي أن العالم الإسلامي قد أوجدها... ان العالم الإسلامي هو الذي فعل هذا الشيء في الطب والطبيعة...

مفتخرين!! ولكن هل ما نقوله إنصافاً؟ هل أن تلك القدرات قد أعطت ثمارها وانتهت لصالح المجتمع الإسلامي؟ ما الذي ورثه المجتمع الإسلامي من ذلك بعد مرور عشرة قرون، لماذا لم تبقَ تلك الثورة العلمية والثقافية لنا؟ هل لذلك سبب سوى أن هذه الأنشطة وإن كانت إنسانية إلا أنها مغطاة، وتحت ظل الطاغوت؟

إن الشياطين هي التي كانت تلعب بمقدّرات المجتمع الإسلامي، ولأجل إعلاء إسمهم وشهرتهم، وأنه قد حدث هذا الشيء على عهد الخليفة العباسي الفلاني... ولو أنهم بدلاً من جميع هذه النشاطات... قد أقدموا على تخلية المكان للحكومة العلوية، وتنصيب الإمام الصادق مثلاً ليمسك بزمام الأمور، فحتى لو فرضنا محالاً أن قطف الثمار من هذه الأمور العلمية والأدبية والتي يفتخر بها العصر الحاضر تأخر مائة سنة، لكان أصلح للإنسانية، ولتطوّرت البشرية، وصُرفت الطاقات في طريقها الصحيح، فلا يقدم على ترجمة الكتاب الفلاني، ويقام بإيصال الطب إلى أعلى مراتبه، بينما يتدنى مستوى الأخلاق الى درجة الصفر، تماماً كحضارتنا في العصر الحاضر، حيث توصّلت القوى العظمى الى اختراعات واكتشافات محيّرة للعقول وهم يفخرون بذلك...

إلا أنهم بالنسبة إلى الأخلاق ما زالوا يعيشون أخلاق القرون الوسطى وما زال الغنى الفاحش ضارباً أطنابه إلى جانب الفقر المدقع، وما زال الإنسان الواحد منفرداً بكل الحصص التي هي ملك لملايين الفقراء في البلدان المحرومة إلا أن هؤلاء يفخرون بتقدمهم العلمي بالضبط كما حصل في القرن الثاني والثالث والرابع في المجتمع الإسلامي، فالتقدم العلمي كبير، إلا أن

البذخ وإغفال الفضائل والقيم الإنسانية، والإنحلال والتفاوت الطبقي كان ضارباً أطنابه بنحو شديد.

وكان المشاهد يبصر حالتين من الموت في آن واحد، أحدهما من شدة الجوع، والثانية من البطنة.

لماذا لم يتمكن المجتمع الإسلامي آنذاك مع كل تلك القابليات العلمية من أن يكون زهره في بستان الفضيلة والإنسانية؟ هنالك أشخاص عظام حاربوا بشدة ذلك النظام كالمعلّى بن خنيس الذي عمدوا الى شنقه في السوق، أو يحيى ابن أم طويل الذي قطعوا يديه ورجليه ولسانه، ومحمد بن عمير الذي جلدوه أربعمائة جلدة، ويحيى بن زيد الذي قتلوه في باكورة شبابه وله من العمر ثمانية عشر عاماً، وزيد بن علي الذي بقي مصلوباً أربع سنوات.

هؤلاء لم تربطهم أية أواصر بتلك الحضارة العظيمة التي يذكرها السيد «جوستاف لوبون» بل كانوا ضدها.

إذن فأنتم تشاهدون أن ولاية الطاغوت والشيطان على مجتمع وتسلّطه على مقاليد الأمور يؤدي إلى استنزاف الطاقات، وأن ما يحققه من إنجازات لا يساوي شيئاً، قبال القيم والموازين التي ضيّعها!!

فمع كل هذا أفيمكن العيش في ظل ولاية الطاغوت والبقاء على الإسلام؟ وأساساً ما هو العيش مع البقاء على الإسلام؟ إنه وضع جميع الإمكانيات والقدرات والقابليات تحت اختيار الله عزّ وجلّ... في مجتمع كمجتمع المدينة، العابد لله، المسلم، الذي كانت كل خطوة ترفع في سبيل الله وهنالك حتى اليهودي أو المسيحي لو عاش تحت ظلّ الإسلام، لكانت حياته حياة إسلامية.

في المجتمع الإسلامي كان اليهود والنصارى في ذمة الإسلام،

يتحرّكون بشكل عملي في طريق الإسلام، إنه شخص يهودي ومن ناحية كونه عضواً في المجتمع هو أكثر إسلاماً من ذلك المسلم الذي يحيا تحت ظل النظام الجاهلي، كان في عهد رسول الله كل شيء في سبيل الله، النقود والسيوف والأفكار، والعواطف والأحاسيس، وكذلك الوضع تقريباً في زمن أمير المؤمنين، لأن أمير المؤمنين بما أنه وليّ الله، والحاكم الإلهي لم يكن يختلف عن رسول الله، إلا أنه قد ورث ذلك المجتمع السيىء، وتلك الإضطرابات والمعوّقات، ولو أن الرسول أيضاً كان في مكانه لواجهته نفس المشاكل في هذا المجتمع.

الهجرة

يقول الإمام الخامنئي: تقوم ولاية الطاغوت والشيطان في النظام الجاهلي بربط المؤمن بحبال شتى بقدرة الطاغوت، وتحاصره بشباك خفية، وتسلبه حريته وتجرفه مرغماً نحو النهاية المأساوية التي ستحلّ بذلك النظام، وتمنعه من الإستفادة من قواه في سبيل الله، وفي الطريق التي يرسمها الإسلام، وهذه الحالة التي لا خلاف عليها تؤدي الى التفكير في الهجرة، ومعناها الهروب من قيود النظام الجاهلي إلى محيط الحرية الإسلامي، حيث تقوم جميع العوامل بتقريبه من الهدف الذي يرضى الله، وحيث يجري التيار الطبيعي للمجتمع نحو الله تعالى، والفكر والروح والمادة وحالة التكامل، وحيث تُفتح أبواب الصلاح، وتُغلق أبواب الشر والفساد في المجتمع الإسلامي.

فإذن تعدّ الهجرة في أصل الولاية أمراً ضرورياً للمؤمن، ليتعلّق بالانتقال من المحيط الجاهلي، إلى المجتمع الإسلامي، وأن يطأ أرض الله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن

وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[1].

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٧٢ ـ ٧٤. وراجع الولاية للإمام الخامنئي ص١١٧ ـ ١١٨.

الفصل الثالث

الخواص والعوام في فكر الإمام الخامنئي

فكرة سياسية كبرى: الخواص هم المحرّك الحقيقي لأحداث التاريخ

يرى السيد الخامنئي، وهو مصيب في رؤياه أن المحرّك الحقيقي لأحداث التاريخ في كل مجتمع هم الخواص، أو خواص ذلك المجتمع، سواء أكانت هذه الحركة بالاتجاه الصائب، فخواص أهل الباطل إن نجحوا وأُتيحت لهم الفرصة سيحركون أحداث التاريخ نحو اتجاه الباطل، وخواص أهل الحق إن اتحدوا وتمسكوا بالحق سيحولون دون نجاح أهل الباطل بمسعاهم، وبالتالي سيدفعون أحداث التاريخ لتتجه نحو خدمة الحق.

إن بناء المجتمعات وهدمها يتوقف على نتيجة الصراع بين فئتي خواص المجتمع ـ أي مجتمع ـ وإن كان الخواص كلهم على الباطل كحالة المجتمعات الطاغوتية، فسيسفر هذا الصراع بين خواصه بوقت يطول أو يقصر عن تدمير المجتمع الطاغوتي، ما لم يتفق خواصه على صيغة معيّنة للتعايش بينهم.

ونضرب مثلاً على ذلك بخواص المجتمع المكي قبل البعثة النبوية،

حيث كان الخواص فيه بحالة خلاف دائم وصراع مستمر، ولولا أنهم قد وجدوا الصيغة السياسية الجاهلية القائمة على اقتسام مناصب الشرف بين البطون، لانهار المجتمع المكّي سريعاً، ولما احتمل حدّة الخلاف والصراع، ولكن تقسيم المناصب السياسية بين خواص بطون قريش، لجم الخلاف والصراع إلى حين.

خواص أهل الباطل في المجتمع الواحد

في المجتمع الذي وقع بكامله في قبضة الطاغوت يدور الصراع بين خواص الباطل أنفسهم، ويسفر هذا الصراع عن انتصار فريق من خواص أهل الباطل على الفريق الآخر من خواص أهل الباطل نفسه، فيهدأ الصراع إلى حين بين الفريقين، ثم يشتد عود الفريق المهزوم، ويبدأ الصراع من جديد بين الفريقين الخ . . . ، ويستمر هذا الصراع الخفي والدائم حتى يتهدم المجتمع نفسه على يد الخواص من أهل الباطل.

خواص أهل الحق وخواص أهل الباطل في المجتمع الواحد

لقد عالج الإمام الخامنئي حالة وجود خواص لأهل الحق، وخواص لأهل الباطل في المجتمع الواحد، وهذه هي الحالة الشائعة في المجتمعات الاسلامية قديمها وحديثها بل هذه هي الحالة الشائعة، في المجتمعات التي جاءها الأنبياء. ويأخذ الصراع بين خواص الحق وخواص الباطل بعداً خاصاً يختلف جذرياً عن الصراع الذي يدور بين خواص الباطلِ أنفسهم لاقتسام الغنيمة في المجتمعات الطاغوتية، لأن الصراع بهذه الحالة يجري في دائرة الباطل نفسه الخالية تماماً من أي مظهر من مظاهر الحق.

أما الصراع بين خواص الحق وخواص الباطل، فيجري بين دائرتين متناقضتين، دائرة الحق بكل أنوارها الساطعة، ودائرة الباطل بكل ظلماتها الدامسة، أو شئت فقل ان هذا الصراع يجري بين جبهتين مختلفتين تماماً في

كل شيء هذه هي معالم مداخلة الإمام الخامنئي في معرض استعراضه لخواص الحق وخواص الباطل.

صورتا هذا الصراع

يأخذ الصراع بين خواص الباطل وخواص الحق صورتين:

الصورة الأولى واضحة ومحددة ولا التباس فيها: وذلك عندما تتزيّل، أو تتحدّد جبهة الباطل عن جبهة الحق، كالصراع الذي دار بين جبهة الإيمان بعوامها وخواصها وبين القبائل اليهودية التي كانت تشكّل شرائحاً من المجتمع الإسلامي، ثم مزّقت عهد التعايش وخرجت على المجتمع الاسلامي الذي قبلها، ثم أعلنت حربها عليه بقيادة خواص تلك القبائل اليهودية وبهذه الحالة فلا يختلف إثنان من خواص أهل الحق بأن القبائل اليهودية مبطلة لذلك يتحد أهل الحق ويقفون وقفة رجل واحد بقيادة خواص أهل الحق ويتصدون للباطل ويهزمونه، لأنهم يد واحدة، وقيادة واحدة، ثم إن طبيعة الخلاف واضحة. هذه الصورة مبسّطة وغير معقّدة، يسهل فيها التمييز بين خواص أهل الحق وخواص أهل الباطل.

يقول الإمام الخامنئي إن حال أهل الباطل معلوم فإنهم يتحركون نحو الباطل الذي يعرفونه، كما أن خطرهم واضح، لأنهم أظهروا أنفسهم...[1].

الصورة الثانية: يقول الإمام الخامنئي: إن الخطر الأكبر الذي يتهدّد المجتمع الإسلامي هو من خواص أهل الحق الذين يمكن أن ينقلبوا في أية لحظة، ولأنهم معدودون من زهرة أهل الحق، ولأن الناس تتبعهم على هذا الأساس فإن انحرافهم وسقوطهم يؤدي الى كارثة كبرى، تحلّ على المجتمع الإسلامي بأسره.

---

(١) عبر من التاريخ المقدمة ص٧ ـ ٨.

وهذا ما يفسّره قعود الناس عن الرزية الكبرى التي حدثت يوم الخميس[1] عندما أراد النبي أن يكتب وصيته وتوجيهاته النهائية للأمة وهو على فراش الموت، فقال بعض خواص الحق للرسول «لا حاجة لنا بوصيّتك، أنت تهجر، لأن المرض قد اشتد بك، وحسبنا كتاب الله[2]»، هذا الكلام صدر من بعض خواص أهل الحق أمام آخرين من الخواص، ولكن الآخرين لم يحرّكوا ساكناً، على الرغم من تكرار الرسول لطلبه وتكرار بعض خواص الحق لرفض طلب الرسول بأسلوب وقح ومبتذل!!

لم يحرّك الخواص الآخرون ساكناً بل تركوا الكارثة تتشكّل وتأخذ مداها كله!! وحتى يومنا هذا فإن هذه الرزية لا تحرّك استنكار أحد، بل تثير إعجاب القوم بذلك النفر من خواص الحق الذين كسروا خاطر النبي الشريف وفتحوا أبواب الإستخفاف بالشرع الحنيف، وأرسوا جذور وقواعد الكارثة التي نسفت جوهر دين الإسلام في ما بعد، ومكّنت أعداء الله الواضحين من أن يجلسوا مكان رسول الله، لقد كانت خطوة رئيسية نحو السقيفة، فهي التي مهّدت الطريق الى السقيفة.

«إن حجم هذه الكارثة لا يمكن قياسه بأية كارثة أخرى، لأن ما حدث من مصائب في ما بعد كان بسببها، ولكننا لو كنا هنالك في قلب الأحداث بما نحن فيه، وعليه هل كنا سنتخذ الموقف الذي نعتقد اليوم أنه الصحيح، وأنه الحق!! إننا قد ابتعدنا عن ذلك الحدث المفجع أكثر من ألف سنة، ونحن نمتلك اليوم اطلاعاً كلياً لما جرى بعده، بحيث لم نعد نشك لحظة أن خواص أهل الحق كان الواجب عليهم أن يتخذوا موقفاً حازماً، ولو استلزم

---

(١) عبر من التاريخ المقدمة ص٨.

(٢) راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة، وكتابنا المواجهة مع رسول الله وآله، وكتابنا أين سنّة رسول الله وماذا فعلوا بها، تعرف هذا الخواص وتقف على توثيقاتنا التي تجاوزت مائة مرجع من المراجع المعتمدة عند أهل السنّة.

أقصى درجات التضحية، وأن لا يتركوا النبي، يموت كسير الخاطر، وأن لا يتركوا علياً بن أبي طالب وحيداً قائلاً:

«وطفقت أرتئي أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على صخيّة عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير... فرأيت أن الصبر على هاتا أحجي، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً... نهج البلاغة»[1].

هذه الصورة معقّدة كما سنرى، فكل فريق من خواص الحق يرى أن الحق معه، الثابت يرى أن الحق معه وهو على حق، والمنقلب يرى أن الحق معه، وينفي واقعة انقلابه على الحق!! هذه هي الكارثة، والأعظم من الكارثة أن الفريق غير المنقلب على الحق من الخواص لم يكلّف نفسه استعمال الموازين الشرعية، واكتشاف حالة الإنقلاب.

الفتنة لا تقول أنا فتنة

إن الفتنة عندما تقبل لا تقول لنا أنا فتنة، والشبهات عندما تعرض، فإنها لا تظهر بصورة الباطل، «وإنما سميت شبهة لأنها تشبه الحق» وحوادث التاريخ لا تتكرر بأشخاصها وظواهرها وأمكنتها وأسمائها، ولن يرجع التاريخ الى الوراء، وما يتكرر هو الدروس والقواعد والسنن.

عبر التاريخ

وما لم نعرف سنن الماضي، لم نتمكن من إدراك سنن الحاضر، والأهم بعد هذه المعرفة، أننا إذا لم نعرف موقعنا وموقفنا في الماضي، فإننا لن نعرف موقفنا الحاضر، إن التاريخ يقدم صورة للحاضر والمستقبل، هي باطن مسيرة البشرية.

---

(١) عبر من التاريخ للإمام الخامنئي ص ٨ ـ ٩ .

كما أنه يقدم لنا صورة شخصية نحتاجها للموقف والعمل، ولكي نتمكن من التقاط هذه الصورة، ينبغي أن نتقمّص شخصيات الماضي وظروفهم وعوامل ثباتهم أو سقوطهم، وننظر فيما لو كنّا مكانهم كيف سيكون مصيرنا[1].

الخواص والعوام

يقول الإمام الخامنئي: لو نظرتم أيها الأعزاء الى المجتمع البشري للاحظتم أن الناس في كل مجتمع ينقسمون إلى فئتين:

١ ـ فئة تمثل الشريحة التي تتصرّف بعد تفكير وفهم وإرادة فتعرف طريقها وتسير عليه سواء أكانت صالحة أم لا وهذه هي فئة الخواص.

٢ ـ فئة تمثل الشريحة التي لا تتحرّك لمعرفة الطريق التي ينبغي اتباعها، فلا ينطلق أفرادها في أعمالهم من التفكير والتحليل والإدراك، ولكن حركتهم تكون وفقاً لما يجري على الساحة كيفما كان وهؤلاء هم فئة العوام.

إذاً فالمجتمع يتألف من فئتين خواص وعوام.

المعيار في تحديد الخواص من العوام

الخواص ليسوا من طبقة واحدة، نحن في محيطنا نطلق كلمة خواص على الأشخاص المتعلمين وأمثالهم، ولكن من الممكن أن يكون أحد الأشخاص من الخواص وهو ليس متعلماً، وذلك لأنه يقوم بأعماله عن معرفة وإدراك وعزم حتى ولو لم يذهب إلى المدرسة، ولم يحصل شهادة جامعية، أو لم يكن من رجال الدين لكنه يقوم بأعماله من منطلق الوعي والفهم.

وهكذا فالمعيار في تحديد الخواص من العوام هو هذا الأمر، الخواص

---

(١) عبر من التاريخ للإمام الخامنئي ص٩ ـ ١٠ .

لا يتميزون بلباس خاص، وقد يكون الواحد منهم رجلاً أو امرأة، متعلماً أو غير متعلّم، غنياً أو فقيراً، عاملاً في جهاز الدولة أو معارضاً لها.

الخواص هم الذين يحددون مواقفهم والطريق الذي ينبغي أن يسلكوه قبل القيام بالفعل، وهم يختارون الطريق التي ينبغي أن يسيروا عليها عن تفكيره وتحليل وعزم.

وفي مقابلهم تماماً يكون العوام، فهؤلاء يتحركون كيفما تحرّكت الريح، في أية جهة كانت وهم لا ينطلقون في أفعالهم من وعي وتفكير وتحليل، فإذا سمعوا الناس يقولون فليحيا فلان، قالوا معهم فليحيا وإذا سمعوهم يقولون فليمت فلان، قالوا معهم فليمت[١].

نموذج من أفعال الخواص والعوام

ويسوق الإمام الخامنئي صور من مواقف العوام والخواص فيقول:

«ففي وقت من الأوقات يقولون ـ أي العوام ـ لمسلم بن عقيل الذي قدم إلى الكوفة يا ابن عم الإمام الحسين، وحينما يأتي يعلنون عن إرادتهم للقيام والثورة، ويجلسون حوله، ويستمعون إليه ويبايعونه حتى يبلغ عددهم ثمانية عشر ألف رجل، ولكن بعد خمس أو ستّ ساعات، وبعد أن يأتي رؤساء القبائل، وينكرون فعلهم، ويخوفونهم، ويحذرونهم مما يفعلون وممن يبايعون، وممن يحاربون، يتراجعون دفعة واحدة عائدين الى بيوتهم تاركين مسلماً وحيداً!!

ولا يكتفون بذلك بل ينخرطون في جيش ابن زياد، ويحاصرون بيت طوعة ويقبضون على مسلم، هؤلاء الذين بايعوا مسلماً بن عقيل هم أنفسهم الذين عادوا ليحاربوه!!

---

(١) عبر من التاريخ للإمام الخامنئي ص ٢٥ ـ ٢٦.

هؤلاء هم العوام لا يتحركون من منطق الوعي أو التفكير، وهم لا يشخصون الأمور، بل يتحرّكون كما يتحرّك غيرهم وهكذا[1].

خواص جبهة الحق وخواص جبهة الباطل

يقول الإمام الخامنئي: ينقسم الخواص بالطبع الى قسمين:

١ ـ خواص جبهة الحق.

٢ ـ خواص جبهة الباطل.

يمثل القسم الأول مجموعة الأشخاص الواعين العاملين في طريق الحق، فهم ممن عرف الحق، وعرف أهله، فتحرّكوا وانطلقوا لأجله، إنهم أهل التشخيص وفي المقابل تقف مجموعة أعداء الحق والرافضين له.

فإذا عدنا إلى تاريخ صدر الإسلام لوجدنا مجموعة من أصحاب أمير المؤمنين والإمام الحسين وبني هاشم كخواص للحق.

وفي المقابل تجد مجموعة من أصحاب معاوية، فهؤلاء أيضاً من الخواص إنهم واعون مدركون لما يقومون به.

وهكذا فالخواص على نحوين في المجتمع. لكن ما الذي تتوقعون أن يصدر عن خواص أهل الباطل؟ لا يُتوقع منهم إلا الوقوف في مواجهة الحق ووضع البرامج والخطط للقضاء عليه، وعليكم الآن أن تنظروا لتحددوا في أية جبهة تقفون؟

منهجية التفكير

يتابع الإمام الخامنئي قائلاً: «ما الذي نتحدث عنه هو منهجية التفكير أي يجب علينا أن نفرّق بين التاريخ والقصة، فالتاريخ هو شرح لأحوالنا

---

(١) عبر من التاريخ الإمام الخامنئي ص ٢٥ ـ ٢٦.

ولكن في ساحة أخرى والتاريخ يعني أن ننظر اليوم جميعاً في أحداثه، لنعرف أين نحن في قصصه، ثم ندقق أكثر في أفعال من كانوا في الجبهة التي اخترناها «جبهة الحق أو جبهة الباطل» ونرى ما آلت إليه أحوالهم، ونعتبر منهم فلا نقع في نفس الأخطاء.

وهذا ما يحصل تماماً في صفوف تعلم التكتيك مثلاً، حيث تشخصون جبهة عدو مفترضة، وجبهة أخرى لكم، وبعد تنفيذ «المناورة أو التكتيك» تبدأون بالبحث عن الأخطاء التي حصلت، وتحديد أسبابها، فهل الخطأ الحاصل كان بسبب القادة أم التكتيك المتبع، وعليه ينبغي إعادة برمجته، أم أن عامل الإشارة، هو الذي أخطأ، أو مدير المدفعية، أو ربما المقاتلون على الجبهة، وبذلك يتحدد سبب الخطأ فيتم تلاشيه في المرة الأخرى!! وهكذا بالنسبة للتاريخ، الآن وبعد أن اتضح لكم الأمر عليكم أن تحددوا مواقفكم اليوم من الحوادث التي جرت في تاريخ صدر الإسلام[1].

مصير العوام وعاقبتهم

يقول الإمام الخامنئي: نعم إن العوام ليس لديهم وعي أو قرار، ولكن بما أنهم مرتبطون بحظوظهم فقد يصادف أن تعيش مجموعة منهم في عهد حاكم مثل أمير المؤمنين، أو في عهد مثل عهد الإمام الخميني ففي هذه الحالة سيأخذ هذا الحاكم أولئك العوام الى الجنة، وببركة هدايته سيهديهم ويقودهم الى النعيم، وإن شاء الله سيصلون إليها، ولكن إذا صادف وعاشوا في زمن حكام هم مصداق للآية الكريمة القائلة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ والآيــة ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ فدار البوار هم جهنم ﴿يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ حينها سيقودهم حاكمهم إلى النار.

---

(١) عبر من التاريخ، ص٢٩ ـ ٣٠.

يجب أن ننتبه حتى لا نكون من العوام

ويتابع الإمام الخامنئي توغله في هذا الموضوع فيقول: «يجب أن تنتبهوا حتى لا تكونوا من العوام»، وليس معنى ذلك أن تذهبوا لتحصيل الدراسات العليا، فعدم تحصيل الدراسات العليا لا يعني أنكم من العوام، فكم من أشخاص قد حصلوا معارف عليا وهم من العوام، وكم من أشخاص حصلوا العلوم الدينية وهم أيضاً من العوام وكم من الأغنياء والفقراء عوام أيضاً، أن نكون عوام أو لا نكون أمر بأيدينا ولذلك يجب أن نكون منتبهين، لئلا نكون من العوام، وهذا يحتم أن نقوم بكل عمل من أعمالنا عن بصيرة، ولهذا نرى أن القرآن الكريم عندما تحدّث عن الرسول قال﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[1].

إذاً لنرى منذ البداية إن كنا من العوام أم لا، وإذا كنا منهم علينا أن نسارع، لإخراج أنفسنا من هذه الطائفة، فلنبدأ بالبحث والتفكير لنقتفي أثر الخواص، وعندما نصبح من الخواص علينا هذه المرة أن ندقق هل نحن من خواص الحق أم من خواص الباطل[2].

حب الدنيا آفة خواص جبهة الحق

يقول الإمام الخامنئي: إن الخواص في مجتمعنا هم من خواص طريق الحق، فهم يدعون إلى القرآن والسنّة واتباع أهل البيت، وإلى طريق الله والقيم الإسلامية، وواقع الجمهورية الاسلامية اليوم هو كذلك، خواص طريق الباطل حسابهم على حده، جميع المشاكل تنبع من أن بعض خواص أهل الحق يتركون طريق الله تحت وطأة أشغالهم أو أموالهم أو تعلقهم

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) عبر من التاريخ للإمام الخامنئي ص٣١ ـ ٣٢.

بأولادهم وعوائلهم وأقربائهم والأصدقاء.

فإن كان عدد هؤلاء الخواص كبيراً في المجتمع «فويلاه!!» حينها سيذهب أمثال الإمام الحسين إلى كربلاء، ويذبحون، ويستلم أمثال يزيد بن معاوية الحكم، بل يستمرون في ذلك ألف شهر، كما حكم بنو أمية البلاد الإسلامية التي أسسها الرسول، وتستبدل جراء ذلك الإمامة بالسلطنة!!

المجتمع الإسلامي هو مجتمع الإمامة أي المجتمع الذي يحكمه الإمام، ذلك الرجل المقتدر، الذي يتبعه الناس عن إيمان ويقين، بينما السلطان أو الملك هو الشخص الحاكم القاهر الذي يحكم الناس بالقوة، ولذلك فالناس لا يحبونه ولا يتقبلونه، وهذا ما فعله بنو أمية، فهم قد بدلوا نظام الإسلام الى نظام الملكية وحكموا الوطن الإسلامي ٩٠ سنة (ألف شهر).

بهذا النظام وكثرة عدد خواص أهل الحق المحبين للدنيا، لم تنجح الثورات التي قام بها البعض، ولم تحقق أهدافها، بل كان من نتيجة ذلك أن جاء بنو العباس وحكموا العالم الإسلامي ستة قرون بعنوان إنهم خلفاء النبي يمارسون دور النبي، مع أنهم ملوك شرب الخمر والفساد والفحشاء المتعالين المتكبرين مثلهم مثل بقية سلاطين العالم الآخر[1].

الاعتقادات الخاطئة وخواص الحق المنحرف

وبالرغم من حال ملوك بني أمية وبني العباس التي أشرنا إليها إلا أنهم كانوا يذهبون إلى المساجد، ويؤمون الناس بالصلاة، والناس بدورهم أيضاً كانوا يأتمّون بهم اضطراراً بسبب الاعتقاد الخاطىء لأنه لم يكن هناك اضطرار، بالمعنى الذي يفهم من هذه الكلمة.

---

(١) عبر من التاريخ عوام وخواص للإمام الخامنئي، ص٣٤.

بل لأن معتقد الناس قد أصبح خراباً، وعندما تصير حال خواص أهل الحق بهذا الشكل، بحيث يهتمون بدنياهم، ويخافون من فقدان أرواحهم وأموالهم ومناصبهم، أو يخافون من الإقصاء والعزلة، يصيرون بالتالي حاضرين للقبول بحاكمية الباطل.

إذاً ينقسم خواص أهل الحق إلى فئتين: الأولى هي التي يستسلم أفرادها للدنيا والمقام والأموال والشهوة والراحة، ولكل تلك الأشياء الجميلة في الحياة، والتي يعبّر عنها القرآن بمتاع الدنيا... المتاع الجيّد الذي خلقه الله لأجلنا لا المتاع السيّىء!!

لكن إذا تعلقنا بهذا المتاع، فإننا سنستثقل أداء التكاليف ونستصعب ذلك، ولا نعود قادرين على ترك ملذاتها، أما إذا استفدنا من هذا المتاع، بحيث أننا إذا امتحنّا بأداء هذه التكاليف نستطيع أن نتخلّى عنه مباشرة، ونؤدي تكاليفنا ففي مثل هذه الحالة نكون من الفئة الثانية من خواص الحق أي الفئة التي لم تنقلب على أعقابها.

ولأن خواص الحق ينقسمون إلى هاتين الفئتين علينا أن نترفّق دائماً في هذه المسائل حتى نحافظ على المجتمع والثورة والنظام[١].

حتمية وجود خواص الحق، القلة والكثرة

يؤكد الإمام الخامنئي على هذه الحقيقة قائلاً: فهاتان الفئتان موجودتان في كل مجتمع وعندما تكون الفئة الصادقة التي تستطيع ترك متاع الدنيا وتؤدي تكليفها كثيرة في المجتمع حينها لن يبتلي المجتمع الإسلامي بما حدث في عهد الإمام الحسين وكونوا واثقين من ذلك تماماً.

وعلى العكس، فإذا كان خواص أهل الحق من الذين أودعوا قلوبهم

---

(١) عبر من التاريخ، عوام وخواص للإمام الخامنئي، ص٣٥.

الدنيا رغم معرفتهم للحق وجبهته كثيرين، أو كان عدد الفئة الأخرى من خواص أهل الحق قليلاً حينها سيحدث ما جرى في عهد الإمام الحسين مرة أخرى وسيخسر أولئك الذين تعلّقوا بالدنيا أنفسهم.

كيف تنحرف فئة خواص الحق ثانية

ما هي الدنيا؟ إنها المال، إنها الشهوة والمقام، والاسم والشهرة والحرص على الحياة، إذا ترك الأشخاص (الخواص) الحريصون على أرواحهم طريق الله، فإنهم لن يستطيعوا قول الحق، عندما يجب عليهم ذلك، فهم يرون حياتهم في خطر، أو أنهم يسكتون لأجل الحفاظ على مناصبهم، ولا يقفون في وجه الباطل ولا يدافعون عن الحق، فهم غير مستعدين لأن يعرّضوا حياتهم للخطر.

وحينما تصير الأمور بهذا الشكل، فإن أول ما يحدث هو سقوط الإمام الحسين شهيداً، وآخر ما يحدث هو تسلّم بني أميّة الحكم على كافة تراب الوطن الإسلامي ومن بعدهم بني العباس، وبعد بني العباس سلسلة من السلاطين في عالم الإسلام إلى يومنا هذا[١].

إنحراف خواص الحق من الأسباب والنتائج

يقول الإمام الخامنئي بدأ عهد إنحراف خواص جبهة الحق بعد وفاة النبي، بسبع أو ثماني سنوات، ولن نتعرّض الآن إلى مسألة الخلافة لأنها مسألة منفصلة عن هذا البحث، فكل المصائب بدأت بعد وفاة النبي بسبع أو ثماني سنين، أولها كان بإشاعة مقولة يلزم بموجبها أن يصبح الأشخاص الذين جاهدوا مع النبي وكان لهم دور في حياته، من ذوي الامتيازات، وأن لا يكونوا سواسية مع بقية الناس، بل كان ينبغي أن يملكوا امتيازات، وقد

---

(١) عبر من التاريخ خواص وعوام الإمام الخامنئي ص٣٦ ـ ٣٧.

أعطيت لهم مالية من بيت المال، وعلى هذا النحو كانت كل حركات الانحراف تبدأ من نقطة صغيرة، وتتحوّل كل خطوة تقدم تجاهلها بعد ذلك إلى سبب في تسارع بقية الخطوات، وهذا ما جرى بالفعل بعد وفاة النبي، إذ وصل الأمر في عهد عثمان الخليفة الثالث، أن أصبح الذين لعبوا دوراً مهماً في حياة النبي من الأثرياء الكبار جداف، رغم أنهم كانوا من أصحاب المقامات الذائعة الصيت، أمثال طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وغيرهم فكل واحد منهم كان له تاريخ مليء بالمواقف البطولية في بدر وحنين وأُحد وغيرها.

غير أنهم أصبحوا في ما بعد من الأثرياء الكبار، وأحد هؤلاء حينما أراد أولاده أن يتقاسموا الذهب الذي ورثوه عنه، والذي كان على شكل مكعبات احتاجوا للفأس ليكسروا بها هذا الذهب. . . وقد وصل مقدار دراهم أولئك ودنانيرهم إلى حدّ الأسطورة.

وعندما أتى عهد أمير المؤمنين، كان الوضع لا يزال على ما هو عليه، ولأجل ذلك وقعت الحرب والصدامات بين أمير المؤمنين وتلك المجموعات التي كان همّها المنصب والرئاسة، وتراكمت المصائب والأخطاء خلال الـ٢٥ سنة التي تلت وفاة الرسول. ولولا إبعاد أمير المؤمنين عن قيادة المجتمع طوال فترة الـ٢٥ سنة لم يكن ليواجه أية مشكلة في إصلاح الأمور، إلاّ أنه قد واجه الأمر الصعب حينما تسلّم الخلافة، . . . فكل القيم كانت مطوّقة، بحب الدنيا والانكباب عليها، . . . أما خواص المجتمع «الخواص من أهل الحق» فهؤلاء رغم أنهم قد عرفوا الحق، فإن أكثرهم كان يرجح الدنيا على الآخرة، هذا الوضع السيّىء الذي وصل إليه المجتمع أجبر أمير المؤمنين أن يخوض ثلاثة معارك، فأمضى فترة حكمه التي امتدت أربع سنوات وتسعة أشهر منهمكاً فيها الى أن قتله في النهاية أخبث خلق الله، فسقط في المحراب شهيداً، ودمه الذي سال لا يقلّ عظمة وقيمة عن دماء الحسين التي أريقت في

كربلاء، وأنتم تقرؤون في زيارة وارث السلام عليكم يا ثأر الله وابن ثاره أي أن الله هو الذي سيثأر لدماء الحسين ولدماء أبيه، . . . وبالانتقال إلى عهد الإمام الحسن نرى أنه قد أصبح وحيداً بعد ستّة أشهر من تولّيه الخلافة وعليه رأى الإمام الحسن أن ذهابه مع قلّة قليلة لمحاربة معاوية وسقوطه شهيداً في المعركة ليس له تلك الأهميّة في ذلك المجتمع المنحطّ أخلاقياً، ولا حتى في ما بين الخواص، لأنهم لن يستفيدوا من تلك الدماء الطاهرة!!

فمعاوية بإعلامه وأمواله ومكره كان قادراً على أن يفقد هذه الدماء مؤثريّتها، والناس بعد سنة على خلافة الإمام الحسن كانوا يقولون، لا ينبغي لك أن تقف في وجه معاوية وتقاومه، في ظل هذا الوضع رأى الإمام الحسن، أن دمه سيذهب هدراً، من دون فائدة، فقاوم كل المتاعب والمصائب، ولم يدفع بنفسه إلى ساحة الجهاد. . .

لقد كان خواص الحق في ذلك الزمان مستسلمين، وغير مستعدين للتحرك[١].

ثورة الإمام الحسين والموقف المخجل لخواص أهل الحق

يقول الإمام الخامنئي:

عندما استلم يزيد الحكم اختلف الأمر بالنسبة للإمام الحسين، فيزيد لكثرة فساده وفحشه العلني، كان يمكن الاستفادة من محاربته حتى لو أدى ذلك الى القتل، والدم لن يذهب حينها هدراً.

لم يكن هناك إلا خيار واحد وهو خيار الثورة، بخلاف الإمام الحسن الذي كان أمامه خيارين إما الشهادة وإما البقاء حياً، والخيار الآخر هو الأصوب آنذاك مع أنه الأصعب.

---

(١) عبر من التاريخ خواص وعوام ص٤١ ـ ٤٢.

الإمام الحسين لم يكن لديه خيار آخر وأفضل، فخيار البقاء حياً لم يكن له أي معنى آنذاك، بل كان يجب عليه القيام والثورة سواء وصل إلى الحكومة أم لا، ولو أدى ذلك الى قتله كما حصل، كان يجب عليه أن يشير إلى الطريق، ويضع الراية التي كانت تحدد الطريق.

فقام الإمام الحسين وأعلن الثورة، ولكن عندما قام الحسين بقي الكثير من الخواص جانباً دون أن ينصروه رغم عظمته ومقامه في المجتمع الإسلامي، فانظروا إلى مستوى أصبح فيه المجتمع بحالة خراب وذلك بواسطة الخواص، الذين لأجل الدنيا قاموا بترجيح راحتهم على المجتمع الإسلامي ومستقبله في القرون القادمة مع أن الإمام الحسين كان عظيماً ومعروفاً بينهم![1].

لقد وصل الوطن الإسلامي إلى الحد الذي يجتمع فيه المسلمون أنفسهم وزراء وأمراء وقادة وعلماء، وقضاة وقرّاء، حتى الغرباء والأوباش في الكوفة يجتمعون ويريقون، دم فلذة كبد الرسول بهذه الطريقة المفجعة!! على الإنسان أن يفكّر عميقاً ليعرف لمَ وقع هذا وبهذا الشكل!!

لقد وصل الأمر إلى درجة تساق فيه حُرم الرسول أمام أعين الناس في الأزقة والأسواق، وفوق ذلك كله، يتهمون بأنهم خوارج!! والمقصود من الخارجي في ذلك الزمان هو المصنف من فئة الخوارج.

ففي الفكر الإسلامي كل من يخرج ويقوم على إمام عادل فعليه لعنة الله والرسول والمؤمنين، وهذا هو معنى الخارجي، لذلك كان جميع المسلمين في ذلك الوقت مستائين من الخارجين الذين أهدر الإسلام دمهم لخروجهم على الإمام العادل، الإسلام الذي يُعطي أهمية كبيرة لدماء الناس قد جعل دم

---

(١) عبر من التاريخ خواص وعوام للإمام الخامنئي ص٤٣ ـ ٤٤.

الخارج على الإمام العادل مهدوراً.

وهكذا جاؤوا بابن النبي ابن فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين تحت عنوان الخروج على الإمام العادل الذي كان عندهم هو يزيد بن معاوية، وفعلوا ما فعلوا[1]!!!

الغفلة عن أمة الرسول ﷺ

نتساءل الآن لماذا صدق الناس أجهزة الحكومة الظالمة والتي كانت تقول كل ما تشاء؟ لماذا بقي الناس ساكتين!! إن هذا ما يجعلنا نقلق فالقضية تكمن هنا ما هو الأمر الذي يوصل إلى هذا الوضع؟ ما الذي يجعل الأمة الإسلامية والتي كانت على درجة كبيرة من المعرفة والدقة في جزئيات الأحكام الإسلامية والآيات القرآنية تغفل وتتساهل في هذه القضية الواضحة جداً. إن هذا الأمر يقلق الإنسان!! ماذا نفعل حتى لا نقع في مثل هذا الأمر!!

وإذا لم نتحد جميعاً... فمن الممكن بعد خمسين سنة أو خمس سنوات أو عشر سنوات أن نرى مجتمعنا الإسلامي قد وصل الى نفس الوضع!! لا تستغربوا، لكن إذا كانت لدينا عين ثاقبة، نرى الأعماق، وحارس أمين يدلّنا على الطريق، ومفكّرون يوجّهون العمل، وإرادات محكمة تدعم هذه الحركة، حينها سيكون لدينا ساتر محكم، وحصن منيع، يحول دون نفوذ أي كان...

وإلا فإذا تراخينا فستتكرّر المسألة ذاتها وستذهب بذلك دماء الشهداء هدراً.

لقد وصل الأمر في ذلك العصر حداً إلى أن يجلس حفيد أولئك الأشخاص الذين لاقوا حتفهم في معركة بدر على يد أمير المؤمنين وحمزة

---

(١) عبر من التاريخ ص١٩ ـ ٢٠.

سيّد الشهداء. . . في مكان النبي ويضع أمامه رأس فلذة كبد الرسول، يضربه على فمه وأسنانه بعصا من خيزران ويقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   وقع الخزرج من وقع الأسل

هذا ما يريدنا القرآن أن نعتبر منه. . .[1]

ضرورة البحث حول الحوادث المميزة

يقول الإمام الخامنئي: ينبغي البحث حول الحوادث المميزة في التاريخ فنوضحها، حتى نعلم أين كان ينبغي للخواص أن يتدخلوا ولم يفعلوا ذلك، ونعرف أسماءهم ومن كانوا.

وثانياً يجب العمل على تطبيق هذه الفوائد والعبر في كل زمان وليس في زماننا فقط، ففي كل زمان ينبغي أن نعلم كيف يجب أن يتصرف الخواص، وما هو التكليف الملقى على عاتقهم، فعندما ذكرنا أن على الخواص أن لا يكونوا أسرى لهذه الدنيا، فهذه مجرد عبارة واحدة، ولكن كيف لا يكونوا كذلك، وما هي الأمثلة والمصاديق. . .

على أي حال ان أي حركة تسير في طريق الله لها معارضون ومخالفون، فهؤلاء هم الخواص الذين تحدثنا عنهم. . .[2].

(١) عبر من التاريخ خواص وعوام ص٢١ ـ ٢٣.

(٢) عبر من التاريخ خواص وعوام ص٦٨.

الفصل الرابع

نماذج من مواقف الخواص والعوام

نماذج من مواقف بعض خوصا الحق ببعض الأحداث الكبرى

النموذج الأول: يوم الرزية

اليوم الذي سمّاه ابن عباس بيوم الرزية، اليوم الذي حالت فيه الأكثرية الساحقة من خواص الحق بين الرسولﷺ وبين كتابة وصيته وتوجيهاته النهائية للأمة أثناء قعود النبي على فراش المرض.

مرض الرسول الأعظم

مرض رسول اللهﷺ ليس مفاجأة، لقد أعلن الرسول في غدير خم وبعد عودته الى المدينة مراراً وتكراراً بأنه سيمرض سريعاً، ويموت من مرضه، وأنه قد خيّر فاختار ما عند الله، فقال للناس في حجّة الوداع «لن ألقاكم بعد عامكم هذا»، وقال للناس يوم غدير خم «يوشك أن أدعى فأُجيب. . . لقد قعد الرسول على فراش المرض، وأحيط الناس علماً بأن الرسول سيموت من مرضه هذا.

وضوح كل شيء

كل شي واضح تماماً لقد أكمل الله الدين، وأتمّ النعمة، وعرف

المسلمون الإمام من بعد النبي، وبايعته الخاصة والعامة في غدير خم، وكان أول المبايعين الخلفاء الثلاثة الأول، وكبار أعوانهم وأنصارهم في ما بعد.

الرغبة في الوصية وتلخيص الموقف للأمة

لقد جرت العادة أن تجتمع الأسرة عند مريضها، وأن تستمع إليه ليلخّص لها الموقف، وجرت العادة أن تجتمع عليّة القوم عند زعيمها إذا مرض، وأيقنت أنه ميت لا محالة، ليلخص لها الموقف، وليعطي لهم توجيهاته النهائية، وليعبروا له عن ارتباطهم، وعن تقديرهم لجهده المميّز، الذي بذله طوال فترة قيادته لهم، وهذا أمر طبيعي قد ألفته المجتمعات البشرية كلها، وحدث ويحدث دائماً مع أرباب الأسر وزعماء العالم، فكيف بسيّد ولد آدم رسول الله الأكرمﷺ، وهو قائد الدعوة الإسلامية ورئيس الدولة الاسلامية، العارف بماضيه وحاضره ومستقبله المشفق على أمته الرؤوف الرحيم بها، فهو الأولى بتلخيص الموقف، وإصدار التوجيهات النهائية للأمة بالوقت الذي يراه مناسباً.

ولما لا فمحمدﷺ سيبقى رسول الله رسمياً، ومتمتعاً بحقوق الرسالة وقائداً للدولة وإماماً للأمّة، ومالكاً لكافة صلاحياته واختصاصاته حتى اللحظة التي تصعد فيها روحه الطاهرة إلى بارئها، ثم إن رسول الله ـ على الأقل ـ رجل مسلم، ومن حقّ كل مسلم، بل وكل إنسان من بني البشر أن يكتب وصيته، وأن يعطي توجيهاته النهائية!! من هذه المنطلقات، ومن منطلق العالم بما لا يعلمه الناس، ورغبة بتجنيب المسلمين شرور الأعاصير والمحن التي تتربّص وتنتظر موت النبي بفارغ الصبر حتى تنقضّ على الأمة، فتقلع كل شيء من مكانه الشرعي، لتضعه في مكان آخر لقد أحبّ الرسول الأكرم كثيراً أن يكتب وصيّته وأن يصدر توجيهاته النهائية للأمة.

الرسول الأكرم ﷺ يضرب موعداً لكتابة وصيته وتوجيهاته النهائية

من المؤكد أن الرسول قد حدد موعداً لكتابة توجيهاته النهائية، وتلخيصه للموقف، ومن المؤكد أنه قد طلب حضور عدد من أهل ثقته ومن خواصه ليشهدوا كتابة وصيته وتوجيهاته، حتى يكونوا عوناً لولي الأمر من بعده، وحجّة على خصمه.

تسرب الخبر

من المؤكد أن هذا الخبر قد ترسب إلى بعض خواص أهل الحق، ثم إلى بعض خواص أهل الباطل، ثم إلى العوام، ومن المؤكد أن الذي قد سرّب الخبر يقيم مع النبي في بيته وملازم له، وعلى صلة خاصة ببعض خواص الحق وخواص الباطل!! ولسنا معنيين في هذا المقام بالتفصيل.

حضور الذين اصطفاهم رسول الله ﷺ ليشهدوا كتابة وصيته وتوجيهاته النهائية

حضر الذين اصطفاهم رسول الله ﷺ ليشهدوا كتابة وصيته وتوجيهاته النهائية، وليلخص أمامهم الموقف وجلسوا في حضرة الرسول بالفعل ومن المؤكد أنهم قلّة يعدّون على أصابع اليد الواحدة أو اليدين على الأكثر.

المفاجأة بقدوم زعامة بطون قريش برئاسة بعض خواص الحق

بينما كان الرسول ﷺ جالساً مع الذين اصطفاهم ويهمّ بكتابة وصيّته وتوجيهاته النهائية للأمة، فجأة وبدون مقدمات، وبدون إذن دخلت زعامة بطون قريش، وطائفة من خواص الأنصار يتقدّمهم الخليفة الثاني في ما بعد ومعهم مجموعة من العوام، فجلسوا في حضرة الرسول، وغصّ منزل النبي بهم.

كيف فعل النبي لمواجهة المفاجأة وماذا قال بالضبط

كيف يفعل النبي، هل يلغي الموعد ويضرب موعداً جديداً، أو يمضي قدماً إلى حيث أمره الله لقد اختار النبي الأكرم الحلّ الثاني، فقال للصفوة الذين اختارهم ليشهدوا كتابة وصيّته وتوجيهاته.

«قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً» وفي رواية ثانية أنه قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»، وفي رواية ثالثة «ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» وفي رواية رابعة «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً» وفي رواية خامسة «ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» وفي رواية سادسة «ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً»، وفي رواية سابعة «هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده».

هذا ما قاله الرسولﷺ بالضبط حسب كل الروايات.

هل ما قاله الرسول ﷺيوجب المواجهة معه؟!!

أنظر بربّك مليّاً إلى هذه الروايات السبع التي أُسندت للرسول، هل فيها خطأ!! هل فيها غلط!! هل فيها إساءة لأحد!! من يرفض التأمين ضد الضلالة!! ولماذا!! ولمصلحة من!! ثم إن الرسول في بيته، ومن حق الإنسان أن يقول في بيته ما يشاء!! ثم إن الرسول مسلم ومن حق المسلم أن يوصي والذين يسمعونه أحرار باعمال هذه الوصية أو إهمالها!! ثم إن الرسول ما زال رسولاً وقائداً للدولة ووليّاً للأمر، وسيبقى كذلك على الأقل حتى تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها!! ثم إنه وبكل المعايير العقلية والإنسانية والدينية لا يوجد ما يبرر مواجهة الرسول بسبب القول الذي ذكرناه!!

المواجهة

ما أن أتمّ الرسول جملته: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» حتى تصدّى له الخليفة الثاني، وقال متجاهلاً وجود النبي وموجهاً كلامه للحضور «إن النبي قد اشتدّ به الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله» أو إن النبي يهجر!! ما باله استفهموه!! ما له أهجر!! وفي نهاية كل جملة كان يقولها عمر: كان الذين أحضرهم يرددونها بصوت عال «هجر رسول الله!! إن رسول الله هجر!! ما شأنه أهجر!! استفهموه!! ما له أهجر!! وردد أتباع عمر مع كل جملة من الجمل الأربعة لازمه «القول ما قاله عمر»، متجاهلين بالكامل وجود النبي!!

النسوة يتدخّلن

إرتفعت الأصوات، وسمعت النسوة من وراء الستر ما قاله الطرفان، فقالت النسوة «ألا تسمعون رسول الله!! قربوا يكتب لكم كتاباً» فصاح بهنّ عمر وهو جالس بحضرة الرسول قائلاً: «إنكنّ صويحبات يوسف...».

ونازعوا النبي نفسه!!

الكثرة من الخواص والعوام الذين أحضرهم عمر تقول: إن الرسول قد اشتد به الوجع، أو يهجر،... الخ حسبنا كتاب الله والقلة من الخواص تقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله، لقد كثر اللغط، وكثر الغلو، وكثر الاختلاف، وارتفعت الأصوات، وبدأ التنازع، وصارت الكتابة بهذا الجوّ مستحيلة، فلو كتب الرسول، لقالوا أن الرسول قد كتب وهو يهجر!! ومع ما يجره هذا القول الفاحش من خطر على الدين نفسه صاحت النسوة من وراء الستر وقالت: ألا تسمعون رسول الله، قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً... فصاح بهنّ عمر «... إنكن صويحبات يوسف...».

الرسول يحسم الموقف وينصرف الجميع

عندما صاح عمر بالنسوة وقال لهنّ: إنكنّ صويحبات يوسف. . . ومن المؤكد أن أصحاب عمر رددوا اللازمة المعروفة القول ما قاله عمر!! عندئذٍ خرج الرسول عن صمته وقال: «دعوهنّ فإنّهنّ خير منكم»، ثم قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»، أو ذروني فالذي أنا فيه خير ممن تدعوني إليه، أو قال قوموا عنّي ولا ينبغي عندي تنازع، أو قال قوموا عنّي.

وهذا ما تمنّته زعامة بطون قريش، لقد نجحت بالحيلولة بين الرسول وبين ما أراد كتابته، لقد تحققت الغاية من اقتحامهم لبيت رسول الله، ولم يعد هنالك ما يبرر البقاء.

ثبوت هذه الوقائع

هذه الوقائع التي سقنا تفاصيلها بإيجاز وقعت بالفعل، واجتمعت الأمة على وقوعها وذكرها البخاري في خمسة روايات، في صحيحه، وذكرها مسلم في صحيحه، وأحمد بن حنبل في مسنده، والطبري في تاريخه، وابن الأثير في تاريخه، وابن الجوزي في التذكرة وأبو حامد الغزالي في سر العالمين، وقد وثقناها في كتابنا نظرية عدالة الصحابة، وفي كتابنا المواجهة مع رسول الله وآله، وفي كتابنا أين سنّة رسول الله، وماذا فعلوا بها. ثم إن القوم لا ينكرون وقوع هذه الكارثة، بل إنهم لا يعتبرونها كارثة!! إنما هي مظهر من مظاهر بطولة وعظمة الخليفة الثاني!!

كيف يعتذرون عنها!!

كيف يعتذرون عمّا يفعله الخواص والعوام معاً!! كيف يبررونها إن أحسنهم مقالة يقول «هذا غير معقول، ولولا أن بخاري ومسلم قد رويا هذه الوقائع المخجلة لأنكروا وقوعها، ولكنهم ملزمون بالتصديق لأن الاثنين قد روياها!! ومع هذا يمرّون عنها كراماً!! وسريعاً.

حوادث مشابهة

مرض الخليفة الأول واشتد به الوجع وأراد أن يكتب وصيته وتوجيهاته النهائية فقال: اكتبوا إني قد ولّيتُ عليكم. . . ثم أغمي، وانتظروه حتى فاق من غيبوبته فأكمل الجملة، وكان عمر وأصحابه موجودين فلم يقل أي واحد إن المرض قد اشتد بالخليفة، أو حسبنا كتاب الله، أو أن الخليفة قد هجر، مع أن المرض قد اشتدّ به أكثر مما اشتدّ المرض برسول الله.

ومرض الخليفة الثاني، واشتد به المرض، ومع هذا كتب وصيته، وأصدر توجيهاته النهائية، ومع هذا لم يقل له أحد أن المرض قد اشتدّ به أو حسبنا كتاب الله لقد نفذت الوصيتان كأنهما وحي من الله!!

لم يصدف طوال التاريخ

لم يصدف طوال تاريخ دولة الخلافة أن عومل ولي الأمر سواء أكان خليفة أو ملك وهو مريض بالقسوة والجلافة التي عُومل بها رسول الله ﷺ أثناء مرضه!! لم يقل أحد لأي خليفة أن المرض قد اشتد به ولا حاجة لنا بوصيتك، لأن القرآن عندنا هو يكفينا.

بل الأعظم من ذلك أنه لم يصدف طوال التاريخ أن حيل بين مسلم وبين ذكر وصيته أثناء مرضه!!»[١].

نموذج آخر ثاني من مواقف الخواص والعوام

باليوم التالي لوفاة الرسول الأعظم، وبينما كان بيت فاطمة بنت محمد غاصاً بالمعزّين الذين جاؤوا لتقديم التعازي بوفاة الرسول الأعظم، صممت زعامة بطون قريش أن تحرق بيت فاطمة بنت رسول الله على من فيه، وفيه

---

(١) لقد اقتطفنا بعض هذه الفقرات من كتابنا «المواجهة مع رسول الله وآله» القصة الكاملة ص٤٩٩ وما فوق، ومن كتابنا نظرية عدالة الصحابة.

علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين، والعباس وطائفة من الأنصار والمهاجرين وأحضرت سرية عسكرية لهذه الغاية، وطلبت من الموجودين في داخل منزل الزهراء عليها السلام ، أن يخرجوا من البيت ويبايعوا، وإلا فإن السرية التي أرسلها الخليفة بقيادة نائبه ستحرق البيت على من فيه، وتحرقهم وهم أحياء!!

بيت فاطمة الزهراء يقع وسط المدينة المنوّرة، لقد تمّت العملية جهاراً نهاراً وأمام أعين أهل المدينة، الخواص والعوام، ومع هذا لم يأمر أحد من أهل المدينة بمعروف، ولم ينه عن منكر، ولو لم يخرج من كانوا في بيت فاطمة الزهراء ويبايعوا لتمّ حرقهم أحياء، ولما سمع بهم أحد، ولما وجدوا أحداً يستنكر مثل هذه الجريمة الشنعاء!».

لقد صاحت الزهراء يا أبتي يا رسول الله!! ماذا لقينا بعدك، وسمع الخواص والعوام صياحها، ولكنهم لم يحرّكوا ساكناً!![1].

نموذج ثالث من مواقف الخواص والعوام

لقد قررت بطون قريش: أن تحرم أهل بيت النبوة من تركة النبي، وتصادرها، وأن تحرم أهل بيت النبوة من المنح التي منحها إياهم رسول الله حال حياته، وأن تصادرها، وأن تحرمهم من حقهم في الخمس الوارد في القرآن الكريم، فاحتجّ أهل بيت النبوة، ولم يصغ أحد لاحتجاجهم، فذهبت الزهراء بنفسها وطرحت ظلامتها أمام وجهاء المهاجرين والأنصار، وأقامت الحجة على الجميع، فأصرّ الخليفة على رأيه، ولم يدافع عنها أحد من الخواص والعوام، إنما تركوها تقف وحيدة مع زوجها وابنيها!![2]

---

(١) راجع كتابنا المواجهة مع رسول الله وآله القصة الكاملة ص٥٢٩ وما فوق.

(٢) راجع كتابنا المواجهة مع رسول الله وآله، القصة الكاملة ص٥١٣ وما فوق.

نموذج رابع من مواقف الخواص والعوام

حمل الإمام علي بن أبي طالب زوجته السيدة الزهراء، وقاد بيديه الحسن والحسين إبنا رسول الله، وطاف على بيوت الأنصار بيتاً بيتاً، طالبين منهم النصرة لأنه مظلوم، ومع هذا لم ينصره أحد منهم، لا من الخواص ولا من العوام[1].

نموذج خامس من مواقف الخواص والعوام

لقد همّوا بقتل الإمام علي نفسه، ولم يعترض أحد من الخواص ولا من العوام، ولو قتلوه، ما استنكر أحد[2].

نموذج سادس من مواقف الخواص والعوام

ولما خرج الإمام الحسين ليبارز الظالمين، وخرج معه أهل البيت، سار من المدينة الى مكة إلى العراق علناً وفي الطريق العام وسمع المسلمون كلهم بخروجه وسمعوا أن الخليفة يجهز جيشاً لمقاتلة الحسين، ونادى، الحسين بأعلى صوته هل من ناصر، وهل من معين، ورغم هذه النداءات المتلاحقة إلا أن الذين جاؤوا لنصرته ونصرة آل محمد لم يتجاوزوا الستّين رجلاً!!

ودارت المعركة بين جيش «المسلمين» من جهة وبين ابن النبي وآل النبي من جهة أخرى، لقد شاهد الخواص والعوام أحفاد النبي وبني عمومته يتساقطون كالفراقد الدرية فرقداً فرقداً، ويذبحون واحداً بعد الآخر كما تذبح الضحايا، وكان المسلمين يتابعون هذا المشهد المفجع فصلاً فصلاً، ولكنهم لم يحرّكوا ساكناً.

وبقي الحسين لوحده، كان بإمكان الجيش الإسلامي أن يأسره، لو كان

---

(١) راجع كتابنا المواجهة مع رسول الله، القصة الكاملة ص٥١٣.

(٢) راجع كتابنا المواجهة مع رسول الله، القصة الكاملة ص٥١٣.

ابن النبي حبراً يهودياً لاستفضح جيش المسلمين قتله، ولو كان عالماً من علماء النصارى، لاستثقل الجيش الاسلامي قتله، ومع هذا أصرّ جيش المسلمين على شنّ هجوم شامل على رجل واحد، فقطعوه إرباً، وفصلوا رأسه عن جسده على مرأى ومسمع من كل المسلمين!!

ثم قطعوا رؤوس كل الشهداء من أهل بيته وأصحابه، وجاءت كل قبيلة من قبائل العرب!! برؤوس الذين قتلتهم لتحصل على المكافأة!!!

ولم يكتفوا بذلك، إنما نهبوا ثياب وأحذية الشهداء، !! وساقوا بنات الرسول وحفيداته كما تساق الأسارى!! ومرّ موكب الرؤوس المقطعة يتقدمها رأس الحسين عليه السلام، وخلف الموكب بنات الرسول وبنات عمومته يُسقن حفايا أسارى، وخلف الموكب سارت كتائب الجيش الإسلامي المنتصرة، وشق الجميع صفوف خواص المسلمين وعوامهم الذين جاؤوا ليتفرجوا على هذا الموكب المهيب.

كان من الطبيعي أن يبكي البعض، فنحن عندما نتابع فلماً مصوراً محزناً، فإننا نبكي، مع أننا لا نعرف الضحايا، ولا تربطنا بهم أية صلة سوى أننا جميعاً من ذرية آدم!!

وبعد أن تمّت المذبحة على الصورة الرهيبة التي رسمتها الأحقاد الأموية، عاد ضبّاط وضبّاط صف وأفراد الجيش الإسلامي الذي قتل ابن النبي، وأباد آل محمد إلى بيوتهم، وعاد المتفرجون على المنظر إلى بيوتهم أيضاً، وكأن لم يفعلوا شيئاً، وكأن شيئاً لم يحدث!! لقد فقدوا الاحساس تماماً وأصبحوا دمى يحركها الطاغوت كيفما يشاء.

والأنكى من ذلك أن رؤساء قبائل العرب الذين اشتركوا في المذبحة، قد جزّوا رؤوس الشهداء الذين قتلوهم، وطالبوا الطاغوت بمكافأة جزيلة تتناسب مع عدد الرؤوس التي أحضروها، وحصلوا على المغنم الخسيس

بالفعل، ثم عادوا إلى بيوتهم فرحين بالأموال التافهة التي أعطاهم لهم الطاغوت ومارسوا حياتهم المعتادة كأن شيئاً لم يحدث، لقد تلبّدت مشاعر العامة والخاصة، وانحصرت أهدافهم «بما يأخذون من المال وكم يأخذون».

ولتعرف حجم المستوى المنحطّ الذي وصلت إليه حالة المجتمع أن علية القوم والأوباش معاً كانوا يقطعون اصبع الشهيد وهو ميت حتى يتمكنوا من انتزاع خاتم الحديد من يده!! وكانوا ينزعون جبّة الشهيد الملوّثة بالدم، ويغسلونها، ويلبسونها، وبكل أعصاب هادئة!!

ثم وضعت رؤوس الشهداء التي فصلها جيش الخليفة عن أجساد أصحابها بين يدي الخليفة، ويتقدم هذه الرؤوس رأس الإمام الحسين عليه السلام فيضرب الخليفة أسنان رأس الإمام وشفتيه، ثم يقل بأعصاب باردة أمام خواص المسلمين وعامتهم، بأنه قد ثأر بالفعل من علي بن أبي طالب ومن النبي ومن حمزة الذين قتلوا أشياخه على الكفر في معركة بدر!![1].

كيف نستفيد من عبر التاريخ؟

لقد استعرضنا في هذا الفصل نماذج من المواقف المخجلة لخواص الأمة وعوامها، والتي مُورست في أيام سوداء من تاريخنا، ومع أن هذه المواقف كانت لطخات عار، وشارات خزي، ستبقى ملتصقة في جبين هذه الأمة إلى يوم الدين.

إلا أننا يمكن أن نوظف هذه المواقف المخزية التي جرت في الماضي، لمصلحة المستقبل.

والمهم الآن أن نعرف كما يقول الإمام الخامنئي بأية فئة من فئات

---

(١) راجع كتابنا المواجهة مع رسول الله، القصة الكاملة. وكتابنا الهاشميون في الشريعة والتاريخ وكتابنا كربلاء والثورة والمأساة.

الخواص نحن؟ وأننا لو كنا مكانهم ماذا سنفعل!! لأن حوادث التاريخ الماضية تتكرر، ولكن بصورة مختلفة، وبواسطة أشخاص آخرين.

ففي النموذج الأول لو أن خواص الحق الصادقين لما سمعوا خبر ما فعلته زعامة بطون قريش بالنبي وهو على فراش الموت، جمعوا أنفسهم وما استطاعوا من العوام وذهبوا الى بيت الرسول؛ واعتذروا عمّا فعله الذين ارتدوا على أعقابهم، ثم وضعوا أنفسهم تحت تصرّف الرسول، ورجوه أن يكتب وصيته وتوجيهاته النهائية للأمة لو فعلوا ذلك لتغيّر مجرى التاريخ، ولما استطاع الذين انقلبوا على أعقابهم أن يفعلوا شيئاً أو أن يتابعوا مخططهم المرسوم ولفشل هذا المخطط حتماً!!

وفي النموذج الثاني لو أن بعض الخواص وقليل من العوام عندما شاهدوا زعامة بطون قريش تشرع في حرق بيت فاطمة بنت الرسول على ما فيه من المعزّين، نهضوا، وقالوا لزعامة البطون أنه ليس من الخلق الإسلامي ولا من أخلاق الجاهلية أن تحرقوا بيت بنت الرسول باليوم الثاني لوفاة أبيها، ارفعوا أيديكم وكفّوا ناركم، وإلا فسيكون لنا ولكم شأن عندها ستعرف زعامة بطون قريش أن هنالك من يراقب تصرفاتها وأن عليها أن لا تتجاوز حدوداً معيّنة!! ولكن حتى من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقل أي واحد من خواص أهل الحق ولو كلمة اتقوا الله بابنة الرسول وابن عم الرسول، وسبطي رسول الله، ولو أن زعامة بطون قريش ركبت رأسها وحرقت بنت الرسول وابن عمه وسبطيه وأبناء عمومته والمعزّين، لما حرّك أحد ساكناً!!

وفي النموذج الأخير

لو أن خاصة الجيش الإسلامي وعامته الذي جهّزه الخليفة لقتال ابن النبي وآل محمد، قد ألقوا سلاحهم أمام عبيد الله بن زياد وأمام عمر بن سعد

بن أبي وقاص، وقالوا لهما «لا نريد أن نقاتل ابن الرسول وآل محمد».

فهل كان الإثنان قادرين على جرّ الجيش بالسلاسل وإجباره على هذا القتال القذر!! وهل لهما القدرة على تفجير قنبلة ذرية بهذا الجيش لأنه قد عصاهما، وما عسى إثنان أن يفعلا بجيش قوامه ثلاثين ألف مقاتل!!

لأن الخاصة والعامة يريدون المال، فهم مرتزقة يقاتلون من أجل المال نفسه!! فلو بعث رسول الله نفسه، وكان من مكان الإمام الحسين لقاتلوه مقابل المال ﴿بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

ولو أن بعض خواص الحق، وبعض العوام قد أطاعوا الإمام علي الذي جعله الله ورسوله ولياً للمسلمين، لتمكّن الإمام علي من التصدّي للإنحراف، وإعادة الأمور الى الجادة، ولكن الجميع تخلّوا عنه وتركوه وحيداً ولما جدَّ الجدّ لم يقف معه إلا أهله وثلاثة من المسلمين، والأعظم من ذلك أن الإمام علي والسيدة الزهراء ومعهما سبطا رسول الله الحسن والحسين قد طافوا على بيوت الأنصار بيتاً بيتاً يطلبون النصرة والعون منهم إلا أنه لم يلبّي طلبهم ولم ينصرهم أي واحد من الأنصار، ولو أن ثلاثين رجلاً من الأنصار قد استجابوا لهذه الدعوة المباركة ووضعوا أنفسهم تحت تصرّف الإمام لحسم بهم الموقف، ولما حدث ما حدث.

هذه المواقف ستؤدي حتماً إلى أن يتولى أعداء الله قيادة أمة الرسول، وأن يُهمّش المخلصون من أصحاب الرسول وأن يتمّ التعامل معهم كأفراد، ويخضعونهم رغبة أو رهبة وأن يرفع الإسلام عملياً من القلوب ومن واقع الحياة، فلا يبقى منه إلا الإسم والرسم.

الفصل الخامس

أفكار سياسية تبنّاها الإمام الخامنئي

أفكار سياسية للإمام الخامنئي أفصح عنها بمناسبات الحديث عن شخصية الإمام الخميني[1]

«تأسيس نظام مبني على أسس الدين والقيم الأخلاقية والمعنوية»

قال الإمام الخامنئي: «في عهد تسعى فيه الأيادي السياسية المقتدرة لانزواء الدين والقيم الأخلاقية والمعنوية استطاع الإمام الخميني أن يوجد نظاماً مبيناً على أساس الدين والقيم الأخلاقية والمعنوية، وأن يؤسس دولة وسياسة إسلامية.

لقد أعزّ الإمام الخميني الإسلام، ورفع راية القرآن، وخلّص الشعب الإيراني من أسر القوى الأجنبية، وجعل منه شعباً معتمداً على نفسه...

«... إحياء الإسلام والقيم الدينية من أوليات أعمال الإمام العظيمة»

قال الإمام الخامنئي: ... كان أول إنجاز عظيم للإمام هو إحياء الإسلام قبل انتصار الثورة لم يكن أحد يستطيع أن يأخذ بيد أحد الشباب

---

(١) راجع كتاب الإمام الخميني كما يراه الإمام الخامنئي - دار المحجة البيضاء.

الذين تأثروا بالفكر الشيوعي، ويعطيه كتاباً حول الإسلام، ليطلع عليه، ونحن سعينا كثيراً آنذاك إلى طرح بعض الأفكار الاسلامية.. على مجموعة من الشباب المتأثرين بالماركسية، ولكن لم نصل معهم الى نتيجة... وأخيراً وببركة نهضة الإمام تغيّر الشعب الإيراني بأجمعه، وحصل تحوّل عظيم في أفكار الشعب والشباب... نحن نعرف أن الدور الرئيسي في انتصار الثورة للشعب، ولكن من الذي أفاض في الشعب تلك الينابيع، وأحيا فيه تلك القدرات، وأرشده وحرّك فيه الشوق؟ هل من أحد سوى تلك الروح الكبيرة والإنسان العظيم...».

«إرجاع العزة للمسلمين»

قال الإمام الخامنئي: «إن من الأعمال العظيمة الأخرى للإمام الخميني كانت إعادة العزّة للمسلمين... نتيجة نهضة الإمام الخميني قد أحس المسلمون وفي جميع أنحاء العالم بالعزة والكرامة... أحد المسلمين الذين ينتمون إلى إحدى الدول التي فها أقلية مسلمة قال لي «قبل انتصار الثورة الاسلامية لم نكن نظهر إسلامنا... ولم نكن نجرؤ على البوح بأسمائنا الإسلامية.. أما بعد انتصار الثورة الاسلامية، أصبح الناس يعلنون إسلامهم، ويفتخرون بأسمائهم الاسلامية... إن العمل الذي أنجزه الإمام هو الذي استطاع أن يطرح القيم الاسلامية القويمة، ويرفع راية الإسلام في دنيا الخبائث، في الوقت الذي كان فيه المسلم يخجل أن يطرح اسم الدين والقيم الإلهية، ولا يمكن مقارنة عمل الإمام سوى بعمل الأنبياء...

«معرفة المسلمين لمعنى الأمة الإسلامية»

قال الإمام الخامنئي: لقد أعطى الإمام الخميني المسلمين الشعور بالأمة الإسلامية، حيث كان المسلمون وفي كل بقعة من العالم لا يعرفون شيئاً عن الأمة الإسلامية، أو لم يكونوا يهتمون بمسألة الأمة الإسلامية...

أما اليوم فالمسلمون من أقصى آسيا وافريقيا وتمام الشرق الأوسط وحتى في أوروبا وأمريكا يشعرون بأنهم ينتمون إلى مجمع عالمي كبير هو الأمة الاسلامية. . . إن الإمام أوجد الشعور بالأمة الاسلامية، وهذا الشعور هو أكبر سلاح من أجل الدفاع عن المجتمعات الاسلامية ضد الاستكبار.

«تاسيس الحكومة الاسلامية»

قال الإمام الخامنئي؛ ان العمل الآخر الذي قام به الإمام الخميني هو تأسيس حكومة على أساس الإسلام، فكان هذا الإنجاز العظيم لا يخطر على بال أحد، وكان حلماً يجول في مخيّلة المسلمين السذّج لقد كان هذا الإنجاز كمعجزة استطاع الامام أن يخرجها إلى واقع الحياة.

إن تأسيس الحكومة الاسلامية لم يكن تأسيس حكومة جديدة وإزالة حكومة سابقة، فالأمر كان أصعب مما نتصوّر فتأسيس حكومة إسلامية وفي منطقة حساسة من العالم وفي وقت كان العالم فيه يغرق بالماديات، وبمحاربة الأديان وبالأخص الدين الإسلامي. . . لم يكن أمراً سهلاً، وعادياً بل كان إنجازاً يشبه المعجزة، فاستطاع الإمام بإرادته، وبقوة الشعب أن يحقق هذه المعجزة الكبيرة بعون الله تعالى.

إيجاد تحرك إسلامي عظيم

قال الإمام الخامنئي: . . . قبل الثورة الاسلامية. . . كان الشباب والمعارضون والطامحون للحرية يخوضون الصراع بعقائد غير سليمة، أما بعد انتصار الثورة الإسلامية، أصبح الاسلام هو أساس التحركات والنهضة الاسلامية ونرى اليوم وفي كل نقاط العالم الإسلامي تحركات ونهضات أو جماعات إسلامية، تبارز الاستكبار أو تقاومه على أسس الاسلام وعقائده.

الإشارة إلى رؤى جديدة في الفقه الشيعي

قال الإمام الخامنئي: لقد أشار الإمام الخميني إلى رؤى جديدة في الفقه الشيعي، صحيح أن الفقه الاسلامي الشيعي قد قام ولا يزال على أسس ثابتة وقوية، ولكن الإمام الخميني قد نظر إلى هذا الفقه القويم لرؤية عالمية، وأوضح لنا أموراً في هذا المجال لم تكن معروفة من قبل.

فقبل انتصار الثورة لم تكن الحوزات العلمية تتمتع بالحركة والمرونة... ولم يكن محورها ومدارها قائماً على أساس إيجاد الحاكمية للإسلام وحكومته... لقد أغدق الإمام الخميني روح الحياة والتحرك على الحوزات العلمية».

«تغيير شعب إيران من شعب مستسلم وخاضع للاستبداد الى شعب مقاوم وشجاع، وزرع الأمل في قلوب الشعوب الأخرى»

قال الإمام الخامنئي: إن إمامنا العزيز وقد أرجع الثقة والفخر في نفوس الشعب وقوّى فيه روح الإرادة والعزيمة، فشعبنا اليوم متكاتف لا يخاف مؤامرة الشرق والغرب، شعب لا يشعر بالضعف وشبابه يمتلكون القدرة والقوة أمام ضغوطات ومؤامرات الشرق والغرب، فالإمام هو الذي بعث روح العزة والكرامة والثقة الواقعية والأصيلة في روح شعبنا والإحساس بالفخر...

في الواقع: كنا ميّتين فأحياناً، كنّا ضالين وهدانا الإمام، كنا غافلين عن الواجبات الإنسانية العظيمة، فأيقظنا الإمام، وهدانا الطريق، وأخذ بيدنا وشجّعنا وسبقنا في جهاده وعلمه...

إذا اعتبرنا نظام الجمهورية الإسلامية، والثورة العالمية، والتغيير العظيم الذي حدث في العالم وفي النفوس... كلمة طيبة وشجرة مباركة، فجذور هذه الشجرة الطيبة هي هذه الشخصية العظيمة التي نبت فيها كل شيء...

ولولا وجوده الشريف بيننا لما كان عندنا أي شيء».

تثبيت واقعية شعار لا شرقية ولا غربية

قال الإمام الخامنئي: ... الآخرون يعتقدون بأن عليهم إما الاتكاء والاعتماد على الشرق أو الغرب، أي أن يمجّدوا ويتابعوا هذه القوة أو تلك، ولم يكونوا يتصوّرون بأن شعبنا يستطيع أن يقول لا لكليهما، ويستطيع أن يكبر يوماً بعد يوم، لكن الإمام أثبت هذا الأصل لا شرقية ولا غربية.

إن العداء الذي كان يوجه إلى نظام حكمنا لم يسبق له مثيل في تاريخ الأنظمة الثورية، متى سمعتم أن الجناح الشرقي والغربي يتفقان بالرأي على عدم مساعدة دولة ما، وعلى مساعدة أعداء هذه الدولة؟!! وكان السائد إذا تعرضت دولة ما إلى ضغوطات أحد الجناحين يسعى الآخر إلى مدّ يد المساعدة لإبطال هذه الضغوطات الموجهة إليها، لكن بلادنا كانت تحت ضغوطات الجناحين معاً، وسنين الحرب الثمانية شاهد على ما نقول.

... لم يكن الإمام الخميني مجرد زعيم سياسي أو صاحب مقام منصب في الهيكلية الحاكمة، لكنه كان دعامة معنوية وأساس الأمل، كان جبلاً شامخاً عظيماً دائم الشموخ، وكان كل واحد منا على قدر استيعابه يروي عطشه في شخصية الإمام.

«الوفاء للإمام هو السير على نهجه ونحو هدفه»

قال الإمام الخامنئي: إذا كنا نحب الإمام ـ والواقع هو كذلك ـ... فيجب أن نحيي نهجه وعقائده، وأن نعتبر أهدافه أهداف الثورة الحقيقية، وأن نسير الى تحقيقها، وأن لا نختلق أهدافاً من عندنا، إن أهداف الإمام واضحة وليست بحاجة الى توضيح...

... إن الشعارات والأهداف التي طرحها الإمام كانت أسمى وأرقى

الأهداف ويجب علينا اتباعها. . .

. . . لا بدّ أن يسير هذا الشعب على نهج الإمام الذي أحبه لجهاده ومقاومته.

«يجب أن يتطلع الشعب بوعي إلى كل جملة من جمل الإمام البنّاءة لأن نداءات الإمام هي صحيفة ثورتنا»

قال الإمام الخامنئي: إن نداءات الإمام هي صحيفة ثورتنا، فهذه النداءات توضح المسيرة الثورية للشعب المسلم الإيراني من البداية حتى النصر، ومن النصر إلى يومنا هذا، هذه النداءات تبني المسيرة المستقبلية للشعب، ومحتواها يبيّن الواجب الملقى على عاتقنا، ويذكرنا به. . . والشعب الإيراني يجب أن يتطلّع وبوعي إلى كل كلمة من هذه النداءات البنّاءة، ويعتبر الانحراف عنها غير جائز لأن الاستقلال والحرية والجمهورية الاسلامية من هذه النداءات.

«الاستمرار على نهج الإمام بنفس الإرادة والعزيمة»

قال الإمام الخامنئي: إن فقدان الإمام الخميني لا يعني وبأي شكل من الأشكال نهاية تحمّل الواجب أو فقدان الأمل. . . لقد رحل الرسول الأعظم وبعد رحيله بدأت الفتوحات العظيمة. . . ولو لم يفسد الحكام الذين نسبوا أنفسهم للإسلام بعد وفاة الرسول لاستمرّت حركته لقرون متمادية أخرى، ولوصلت إلى يومنا هذا، . . .

نحن نستطيع بعد رحيل الإمام أن نسير على نهجه، وكما أن الرسول لم يبقى بين أمته إلا عشر سنوات وبضعة أشهر، كذلك لم يبق الإمام الذي هو تلميذ الرسول والسائر على خطاه وخطى الأنبياء والأولياء إلا عشر سنوات وبضعة أشهر.

نحن إذا اتبعنا أصول وخطوط نفس القاعدة والبيان وبالصورة الصحيحة وبكل معنى الكلمة وبجديّة وبنفس الإرادة والأمل نستطيع أن ننهج نفس نهج الإمام. .

«لا يمكن التراجع عن خط الإمام»

قال الإمام الخامنئي: . . . إذا كانت المرحلة الجديدة هي المرحلة التي تعني التراجع عن الخطوط الثابتة المعيّنة من قبل الإمام العزيز التي تعتبر خطوط ونهج الثورة والإسلام ولا غير.

فاعلموا أن هذه المرحلة سوف لا تتحقق ولا تأتي طالما الشعب يتمتع بروح واعية، والبلاد لا تخلو من المسؤولين الملتزمين والعارفين بالإسلام وبالإمام.

فعلى أمريكا والعدو والاستكبار العالمي والمنافقين أن يدفنوا آمالهم المتمثلة في تراجع الشعب عن المنهج الخميني. . .

قال الإمام الخامنئي: إن الإمام هو أصل وجذور الثورة ولا يمكن للثورة أن تنفصل عن جذورها وأساسها.

. . . كان الإمام مفتاحاً وجذراً لهذه الشجرة، ويجب أن يحفظ هذا الجذر، وإذا فصلت الثورة عن الإمام تكون مثل الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض ومثل فصل الجذع عن جذوره، . . .

نحن يجب أن لا نسمح بانفصال الثورة عن جذورها وهو الإمام، صحيح أن الإمام قد انتقل الى الرفيق الأعلى، ولا ارتباط بيننا وبينه، لكننا نقول أن شخصية الإمام مثل شخصية الأنبياء ليست بوجودها الخارجي. . إن وجود وهوية الشخصيات المعنوية ليس بحجمها وحضورها المادي، لكنها موجودة بفكرها وإرشاداتها.

قال الإمام الخميني: لا تسمحوا للسحاب والغبار أن يغطي هذه الأهداف.

نحن بفقداننا الإمام اليوم قد فقدنا العين المبصرة للثورة الإسلامية لهذا يجب علينا أن نتصرف وبغياب هذه النعمة بشكل دقيق، بأن نستعمل كل قوانا، وكل أحاسيسنا وشعورنا بشكل أوسع من قبل...

... إن ثورتنا بحاجة الى منابع صافية ومتدفقة من القدرات البشرية، ويجب علينا أن نسعى لتسديد هذه الحاجة وأن نعمل بوصية هذا الرجل العظيم...

إن الخطر الأكبر لا يكمن بتراجعنا أو تعبنا، الخطر الأكبر هو أن نضيع الهدف المرسوم وأن لا نراه، ... علينا أن لا نسمح للغبار والسحاب أن يخفي هذه الأهداف والقيم.

«حماية الجمهورية الاسلامية الإيرانية»

قال الإمام الخامنئي: «إن طريق النجاح والصلاح والنصر على العدو الخبيث والمناور هو طريق رضوان الله تعالى، والتوفيق لتحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة هو عبارة عن وصايا الإمام الخميني العزيز حيث كان يدعو كل فرد من أفراد الشعب الى المحافظة على الارتباط بالله تعالى، والتوكل عليه، وعدم الخوف من أعداء الله، وكان يدعوهم أيضاً إلى الذود عن الجمهورية الاسلامية.

«التواجد في الساحة والوفاء للأصول الثورية الاسلامية»

قال الإمام الخامنئي: إن تواجد الشعب في الساحة الثورية، وإيمانه بالله قد جعل العدو يشعر باليأس، إن اليد الإلهية هي التي جعلت القلوب تتجه نحو الاسلام، والثورة، والقائد العظيم الفريد وإلى نظام الجمهورية

الاسلامية، فالإمام كان يعرف قدر هذا التوجه والإهتمام العام، وقلّما نجد أحداً يكنّ المحبّة العميقة والثقة الكبيرة للناس كالإمام والشعب في نفس الوقت قد بيّن وأثبت للإمام وفاءه وصدقه.

«اتحدوا واعتمدوا على الله»

قال الإمام الخامنئي: عندما أصيب الإمام بمرض القلب قلقنا جداً عليه، وعندما كنا نذهب كان يتوقع حدوث احتمالات نتيجة تدهور وضعه الصحي، ولهذا كان يذكر ما يراه مهماً... كان يقول كونوا أقوياء، ولا تكونوا ضعفاء، واعتمدوا على الله، إذا كنتم معاً لا يستطيع أحد أن يوصل إليكم ضرراً، وأعتقد أن الثلاثين صفحة من وصية الإمام يمكن تلخيصها بهذه الكلمات التي ذكرناها عنه...

يجب المحافظة على الوحدة والأخوّة والنقاء والتواجد بوعي وإخلاص.

قال الإمام الخامنئي: اليوم يعتبر الواجب الملقى على عاتق الشعب هو أولاً المحافظة على الوحدة، والنقاء، والأخوة، وغضّ النظر عن الأذواق والميول والدوافع المتشعّبة.

لا نعني أن توضع الأذواق جانباً بل إن اختلاف الأذواق، لا يكون سبباً للمخالفة وهجاء الآخرين.

يجب أن يعيش الشعب بأخوّة، وثانياً يجب أن يكون الشعب الإيراني على أهبة الاستعداد، إذا احتاج النظام والثورة تواجدهم في الساحة...

كان الإمام يوصي الشعب بحماية ومساندة مسؤولي البلاد، فكرّر الإمام هذه العبارة كثيراً، ولذلك يجب أن يكون الشعب كذلك.

إنه وبتواجدكم على الساحة سوف تحلّ كل المشاكل الصغيرة منها

والكبيرة، نحن كشعب لدينا إمكانيات واسعة، ونستطيع أن نتمتع بحياة مادية ومعنوية مرفهة.

نستطيع أن نكون أحراراً وسادة وأعزاء ومرفهين وفي نفس الوقت مؤمنين ومتقين وصادقين، فهذه الحياة هي التي يريدها الإسلام لمعتنقيه، ونحن نستطيع أن نوجد حياة كهذه.

الإصلاح وعدم الاستسلام لمطامع العدو

قال الإمام الخامنئي: إن الواجب الأول هو المحافظة على حزم وعزم الثورة، والاستمرار وبثبات وحزم على نهج الإمام ومسيرته، وعدم الاستسلام لمطامع أعداء الإسلام

على القوى الاستكبارية أن تعلم أن ثورتنا كالصخرة لا يمكن أن توجه إليها ضربة، أو تنقص منها شيئاً، يجب علينا أن نحفظ اقتدار وأبهة هذه الثورة، إن أمل الشعوب الاسلامية بالثورة والجمهورية الاسلامية يرجع إلى صلابة وحزم الثورة.

والواجب الثاني: الاتجاه نحو إصلاح وبناء البلاد، إذا لم نستطيع أن نبني بلادنا، سوف تفقد الشعوب الاسلامية أملها بنا وسوف يتجرّأ عدونا علينا وسوف يسخر منا...

يجب علينا أن نسعى لاصلاح البلاد وبنائها في كل الأبعاد الطبيعية، المدن والقرى والاقتصاد والصناعة والزراعة... وواجبنا القضاء على الفقر والحرمان في بلادنا وأن نهتمّ بهذه الطبيعة، فهذا واجبنا ومن وصايا الإمام أيضاً... إن الإصلاح والبناء يجب أن يكون في كل الأبعاد المادية والمعنوية.

نداءات الإمام الخميني

قال الإمام الخامنئي: «إن نداءات الإمام الخميني كانت ولا زالت سكينة لقلوب المجاهدين ومصدراً لإبقاء الروح الجهادية مشتعلة وفعّالة، فلهذه النداءات صفات ثلاث وهي:

١ ـ أعطت الحياة البشرية هدفاً ومعنى.

٢ ـ قيادة ورسم معالم خط الثورة.

٣ ـ دوّنت تاريخ النهضة والجهاد..

إن من أهم مميزاتها كانت التأثير الفعّال على نهوض الحركة الشعبية ولا زالت تبعث بأثرها الى يومنا هذا...

فالشعب كان يتصف ولسنين متمادية بالسكون كالمحيط الهادي الساكن الخالي من أمواج الفعالية والنشاط، لم يستطع أحد أن يغيّر هذه الطبيعة التي لازمت الشعب إلا نداءات الخميني العظيمة، التي أوجدت هذه الحركة والأمواج العاصفة في هذا البحر الساكن.

لقد حطّم الإمام الخميني جدار السكوت الذي ظلّ طوال القرون المتمادية قائماً، واستطاع أن يُعرّي وأن يُظهر الظالمين والجلادين أمام أعين الشعب المستضعف بمظهر الكيان الحقير الذليل...

... لقد نوّرت الطريق أمام القلوب اليائسة في لحظات صنع القرار الحاسمة.

الباب السادس

دراسة تركيبية
لأفكار الإمام الخامنئي السياسية

الفصل الأول

فكر الإمام الخامنئي والعالم

معنى الدراسة التركيبية ونطاقها

في الباب الخامس، تناولنا بعض الأفكار السياسية، أو سلسلة مترابطة من أفكار الإمام الخامنئي السياسية، وأخضعناها للبحث والتأصيل، بشكل يظهر هذه الأفكار كما هي، وتعمدنا في حالات معينة أن يكون دورنا مقتصراً على عرض هذه الأفكار لتحتل الجزء الأكبر من البحث وفي حالات أخرى تدخلنا بما تمليه ضرورة تأصيل أفكار الإمام وتجذيرها تاريخياً، لأن الإمام في جانب من جوانب شخصيته الفذة عالم وداعية، وهو معني بشيوع هذه الأفكار، وبربطها بالحادثات التاريخية ربطاً يمكننا من أن نوظف عبر التاريخ في خدمة الحاضر والمستقبل على حد تعبيره.

أو إن شئت فقل أننا قد حاولنا في الباب الخامس، أن نبرز نماذجاً من أفكار الإمام الخامنئي التي تشكل مساهمات فعّالة وكبرى في نظام أو بنية فكرية سياسية قائمة، أو بدأت بالقيام والتكوّن على مرأى ومسمع من الإمام الخامنئي، فساهم فيها تطوعاً أو بناءً على طلب الإمام الخميني، كما ساهم غيره من أركان الثورة الإسلامية، وبدت مساهمات الإمام الخامنئي واضحة المعالم تحمل سماته الخاصة، لقد تناولنا في الباب الخامس بعض هذه

المساهمات، أو سلسلة من تلك المساهمات، ونعني بالنظام أو البنية السياسية هي مجموعة الأفكار المترابطة التي تبنّتها الثورة الإسلامية، ثم حولتها الى بنى دستورية عندما تحولت الثورة إلى دولة، وتمّ تدوين الدستور الإيراني، ووضعه موضع التنفيذ من خلال نظام الحكومة الإسلامية الإيرانية، ذلك النظام المدين بوجوده الفكري السياسي «البنيوي» أو الأساسي للإمام الخميني شخصياً وبالدرجة الأولى، وللإمام الخامنئي وأركان الثورة الإسلامية، فالدستور هو ثمرة تلاقح أفكار الإمام الخميني مع أفكار الإمام الخامنئي، مع أفكار أركان الثورة الاسلامية.

وما يعنينا في هذا المقام أن ما ذكرناه في الأبواب السابقة يمثل مساهمات الإمام الخامنئي الفكرية السياسية في إقامة النظام الإسلامي أو نظام الحكومة الإسلامية.

أما في هذا الباب فستقوم بتركيب الأفكار السياسية السابقة التي صدرت من الإمام الخامنئي قبل أن يتولى الإمامة أو ولاية الأمر مع الأفكار السياسية التي صدرت منه بعد توليه لهذا المنصب الرفيع لنرى هل تشكل هذه الأفكار السياسية بنية سياسية متكاملة ومتميزة لها القدرة على تقديم الأجوبة لكافة التساؤلات السياسية المطروحة أو التي ستُطرح؟ هذا هو نطاق هذا الباب.

رؤية الإمام الخامنئي الشمولي والكلية، ما يميز الإمام الخامنئي وفكره السياسي

إن أهم ما يميز الإمام الخامنئي عن غيره من قادة الأمم وزعماء العالم، وما يميز فكره السياسي عن غيره من مفكري عصره، هي تلك الرؤية الكلية الشمولية للكون، للحياة، للآخرة، للإنسان، لمظاهر الكون. . . فالإمام الخامنئي يعتبر الكون بكل ما فيه، وحدة متكاملة، متجانسة، لا نشاز فيها، تسير مجتمعة ومنفردة وفي كل مرحلة من مراحلها، وكل طور من أطوارها،

وفق نظام دقيق، وتسعى مجتمعة ومنفردة لتحقيق هدف معيّن، تشارك في تحقيقه بنسب متفاوتة، محددة ومبرمجة، وفق تقدير إلهي محكم. فالكائنات تعمل بروح الفريق الواحد!!

منابع هذه الرؤية الشمولية الكونية

الرؤية الكونية الشمولية للإمام الخامنئي تنبع من يقينه المطلق بالدين الإسلامي، وبعقيدة التوحيد الإلهية، القائمة على وحدة الخالق، جلّ وعلا فهو الذي خلق كل كالمخلوقات، ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وهو تعالى الآخذ بناصية كل شيء، وإليه مصير كل شيء... فالإمام الخامنئي عالم دين من أبرز علماء الإسلام في العصر الحديث، وهو محيط بكليات الإسلام وتفاصيله، وعلى بيّنة من ربّه، ومتيقّن من عقيدة التوحيد الإلهية، تلك العقيدة التي تنبثق عنها النظرة والرؤية الشمولية، للحياة والآخرة، للبداية والمسيرة، والنهاية!!! والإيمان بكليات وتفاصيل عقيدة التوحيد الإلهية والتبحّر بهذه العقيدة يسفر بصورة حتمية عن رؤية شمولية للحياة!!

الرؤية الإسلامية الكونية هي الميزان

الإمام الخامنئي مؤمن ومتيقّن من صواب ويقينية الرؤية الإسلامية للكون، لذلك فهو يتبناها بكلياتها وتفاصيلها ويعتبرها الميزان الأوثق والأوحد، لبيان حقيقة كل شيء.

يقول الإمام الخامنئي: ... فعلى ضوء الرؤية الكونية الإسلامية «يُفسر الإنسان والتاريخ، وتفسّر أحداث الماضي والحاضر والمستقبل، كما تُفسر الطبيعة، والعلاقات التي تربط بين الإنسان وبين العالم الخارجي، الكون، وما فيه، والأشياء وعلى ضوء هذه الرؤية الكونية يدرك الإنسان وجوده، وبشكل عام يفسر بالرؤية الكونية الإسلامية، كل ما يكون، ويؤلف للمجتمع

نظام قيمه، ويمكن المجتمع من تسيير شؤونه على ما يرام. . .»[1] وقد أفصح الإمام الخامنئي عن هذه الرؤية الشمولية في كلمة له أمام أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة وعلى النحو التالي:

النتائج المترتبة على هذه الرؤية الكونية

الإنسان أشرف المخلوقات

يقول الإمام الخامنئي: وبناءً على التفكير الإلهي الإسلامي يُعتبر:

١ ـ الكون برمته مخلوقاً لله سبحانه وتعالى، ومظهراً لعلمه وقدرته، وصائراً إليه، وكل ما في السماء والأرض مسخر لخدمة الإنسان.

٢ ـ ويعتبر الإنسان أشرف المخلوقات، وخليفة الله في الأرض، إن الإنسان بإمكانه أن يبني ويزيّن نفسه والعالم المخلوق من أجله على أجمل ما يكون وذلك بتفجير المواهب الكامنة في وجوده، كما أنه يستطيع أن يصعد بجناحي العلم والإيمان إلى أشمخ القمم في المجالين المادي والمعنوي، وبإمكان الإنسان أيضاً أن يخلق في هذا العالم جحيماً من الظلم والفساد، وذلك بإهدار المواهب الكامنة في وجوده، أو حرفها عن مسارها الصحيح.

الإيمان بالله هو مصباح الهداية والموت بوابة الأبدية

ويتابع الإمام الخامنئي قائلاً: إن مصباح الهداية للإنسان هو إيمانه بالله سبحانه وتعالى، وامتثاله لما أمر الله به، وابتعاده عمّا نهى عنه، ثم إن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الموت ليس نهاية الحياة، وإنما بوابة الأبدية، وبداية النشأة الجديدة.

---

(١) من كلمة الإمام الخامنئي في الجمعية العامة للأمم المتحدة التي ألقاها في ٢٢ أيلول ١٩٨٧.

أبناء البشر أخوة وأخوات والإعتداء على واحد منهم اعتداء على الجميع

يقول الإمام الخامنئي: وانطلاقاً من التفكير الإلهي الإسلامي يعتبر أبناء البشر إخوة وأخوات الجميع عباد الله، وليس هنالك أي امتياز لعرق دون عرق أو للون دون لون، أو لشعب دون شعب... فلا تشكل مثل هذه الإعتبارات عامل لتفضيل أي فرد أو شعب على غيره.

إن البشرية وحدة متماسكة متلاحمة، ومن ثم فإن الاعتداء على فرد واحد من بني الإنسان يعتبر اعتداء على الإنسانية برمّتها، بغض النظر عن كل الفوارق الجغرافية والعرقية...

الإثرة والاستعلاء هما سبب أنهار الدم وبحاره

ويتابع الإمام الخامنئي قائلاً:

«إن دافع الإستعلاء والإثرة، هو السبب في اعتداء الأخ على أخيه...، والدم الذي أريق على أثره لم ينته عند هذا الحد، وإنما ظلّ الدافع مستمراً... وأصبحت الضربات المماثلة تتوالى لتجري أنهار من الدماء... وتتحول الى بحور من الدماء، يغرق فيها أصحاب الاستعلاء وضحاياهم معاً، مما أفقد الإنسان الراحة والطمأنينة...».

مضامين رسالات الأنبياء

ويقول الإمام الخامنئي: «لقد دعا الأنبياء أبناء الإنسان إلى عبادة الله، لأنها تقضي على الإثرة والإستعلاء وعرض الأنبياء على الإنسان طريقاً يؤدي الى جنة الآخرة، بعدما يصل به في حياته الدنيوية أيضاً إلى جنة ملؤها الصفاء والهدوء، وحثوه على التحكم في غريزة التكاثر والتسلّط لديه، كما حذروه من مغبّة ضياع المواهب وهدرها، ومن خطر الانزلاق إلى أعماق مستنقع الفساد الأخلاقي، وفجّروا فيه عيون الفضيلة والصدق والأمانة، والمحبة،

وينابيع العمل والإبداع والمعرفة، ولقّنوه ذكر الله وحبه، الأمر الذي يضمن له تحقيق كل ذلك، ويسمو بروحه إلى ما لا يمكن تصوّره.

وعلم الأنبياء الإنسان أن يقوى ساعده، ليذود عن هذه القيم، بسد الطريق بوجه شياطين الشر والفساد والإنحلال، وأن يقارع الجهل والظلم والاستعباد، ويدافع عن العلم والعدالة والحرية.

وعلم الأنبياء الإنسان ألاّ يظلم، ولا يرضخ للظلم، عليه أن ينهض لإقامة العدل والقسط.

وعلم الأنبياء الإنسان أيضاً أن لا يترك قطّاع طريق الصلاح والفلاح أن يعيشوا آمنين، فالاستسلام أمام أعداء الفضيلة والعدالة والصلاح، هو القبول بفناء هذه القيم، وانتفاء هذه المثل، والرضوخ للرذيلة والظلم والفساد».

ما يقدمه الدين للإنسان

ويتابع الإمام الخامنئي قائلاً

«إن الدين لا يقدم للإنسان سلسلة من العبادات والعادات فقط، وإنما يُعطي له نظاماً اجتماعياً منبثقاً من نفس الرؤية الكونية، ومبنياً على شكلها، وإن كانت العبادات والعادات نفسها مفعمة بروح الحياة، وسائرة باتجاه ذلك النظام الاجتماعي نفسه» فضلاً عن مضامين رسالات الأنبياء التي نوّه عنها بالفقرة السابقة.

مما يقدمه دين الإسلام للإنسان

يقول الإمام الخامنئي مستطرداً لحديثه السابق «إن مبادىء كالحرية والمساواة بين أبناء الإنسان، والعدالة الاجتماعية، وتكوين الوعي الذاتي لدى أفراد المجتمع، ومكافحة ما فيه من الانحراف والاعوجاج، وتفضيل القضايا الإنسانية على الأماني الفردية، والتوجه إلى البارىء وذكره، ورفض أنواع

الهيمنة الشيطانية، وغير ذلك من المبادىء الإجتماعية الخاصة بالنظام الإسلامي، . . .

بالإضافة الى حسن الأخلاق والسلوك الفرديين، وممارسة السياسة والعمل على ضوء تقوى الله، كل ذلك مستقى ومستوحى ووليد تلك الرؤية الكونية، وذلك الاستنباط العام عن الوجود للعالم والإنسان.

إن الإسلام يرفض النظم المبنيّة على أساس القهر والجبروت والتي لا تثمر إلا الظلم والجهل والإرهاب والإستبداد والاستخفاف بكرامة الناس والتمييز بين مختلف العناصر والجنسيات والشعوب على أساس الدم أو اللغة، فيعتبر كل ذلك من الخطأ.

كما أن الإسلام يقف بوجه كل نظام أو فرد يُعادي النظام الإسلامي. . .».

الإسلام يأمر بالمحبة والتسامح مع كافة الناس

يقول الإمام الخامنئي:

«إن الإسلام يأمر بالتعامل على أساس المحبة والتسامح مع كافة الناس سواء أكانوا من أبناء الإسلام أو غيره»[١].

وانسياقاً مع هذا المفهوم فقد نصّت المادة ١٢ من الدستور الإيراني على ما يلي «الإيرانيون الزرادشت واليهود والمسيحيون هم وحدهم الأقليات الدينية المعترف بها، وتتمتع بالحرية في أداء مراسمها الدينية ضمن نطاق القانون، ولها أن تعمل وفق قواعدها في الأحوال الشخصية والتعاليم الدينية»[٢].

(١) المرجع السابق ص١٠ ـ ١١.

(٢) المرجع السابق ص١١.

ونصّت المادة الرابعة عشر من الدستور الإيراني على ما يلي:

«بحكم الآية الكريمة ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ * وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ على حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وعلى المسلمين أن يعاملوا الأشخاص غير المسلمين بالأخلاق الحسنة، والقسط والعدل الإسلامي، وأن يراعوا حقوقهم الإنسانية وتسري هذه المادة على الذين لا يتآمرون، ولا يقومون بأي عمل ضد الإسلام أو ضد جمهورية إيران الإسلامية».

الثورة الإسلامية الإيرانية إحدى نتائج الرؤية الكونية

ويتابع الإمام الخامنئي كلمته قائلاً:

إنطلاقاً من مثل هذه المبادىء، ووصولاً إلى مثل تلك الغايات والأهداف قامت الثورة الإسلامية في إيران وآلت إلى تأسيس النظام الجمهوري الإسلامي، والواقع أن هنالك جمعاً غفيراً ممن بحثوا عن جذور ثورة شباط ١٩٧٩ الإسلامية، فلم يصل كثير منهم إلى فهم صحيح لها، حيث وقعوا في أخطاء كبيرة، ونحن نرى من جانبنا أن هذه الظاهرة يرجع سببها في ما يرجع إلى النقص الذي تعاني منه النظم القائمة في عالمنا المعاصر، وعقم الشعارات التي رفعتها هذه النظم من قبيل الحرية والديمقراطية والمساواة.

وفي خضمّ ظلام دامس رهيب استطاع الإسلام أن يلوح كبرق وضّاء من وراء ما أثاروا حوله عبر القرون من غبار التحريف والتضليل، وما أحاطوه به من غيوب الأوهام... فما أن لاح هذا البرق حتى أضاء الأفق في إيران ثم جاء بعاصفة... ما زالت تفرض علينا أن نتوقع أحداثاً في مناطق عديدة من العالم... وتقع إيران في إحدى أكبر المناطق الاستراتيجية في العالم، ولها ما لها من تاريخ وتراث علمي حضاري فضلاً

عما وهبها الله من ثروات يندر لها مثيل.

وقد انفجرت الثورة الاسلامية في إيران ضد نظام سخّر كل هذه الإمكانيات المتاحة لخدمة مصالح القوى المسيطرة على العالم ولا سيما الولايات المتحدة التي نالت منها حصة الأسد طوال الـ٢٥ سنة الماضية.

فما كان هنالك أحد أحوج إلى ثروات إيران المادية والمعنوية من الشعب الإيراني نفسه الذي كانت هذه الثروات محرّمة عليه، إن كل ما يتشدّقون به من ادعاءات لم يكن إلا أكاذيب وخداع...

لقد قامت الثورة الاسلامية ضد نظام كهذا متطلعة الى أهداف سامية مستقيمة...

إن لثورتنا عدة مميزات خاصة بها يمكن اعتبارها استثناء عن المميزات المتعارف عليها للثورات»[١].

الإمام الخامنئي يبرز ملامح الثورة الإسلامية التي قامت لتعبر عن هذه الرؤية الكونية

يقول الإمام الخامنئي في كلمته أمام ممثلي حكومات وشعوب الكرة الأرضية:

«١ ـ إن هذه الثورة منذ بدايتها كانت شعبية مئة بالمائة، فلم يكن هنالك وجود أو نشاط لمجموعة مسلّحة من أفراد حزب العصابات، أو حزب سياسي نشط، أو مجموعة من الضباط الثوريين الأحرار، أو أي نوع آخر من الأنواع المتعارف عليها التي توجد التغييرات الثورية في الدول.

لم يكن هنالك إلا الشعب نفسه «الأعزل تماماً بدون سلاح» فقد

(١) كلمة الإمام الخامنئي في الجمعية العمومية للأمم المتحدة ص١١ ـ ١٣.

نزلت الجماهير الشعبية في طهران وكل مكان إلى الشوارع، فملأت الفضاء الرحب وأجواء الحياة في المدن بتواجدها في الساحة بالشعارات الثورية، بشكل لم تجد معه الطغمة الحاكمة وحكمها مجالاً للبقاء... فقد اضطروا أن يتركوا قصورهم ومراكز نفوذهم، ثم يغادروا البلد زرافات ووحداناً، ابتداء بالشاه والوزراء وكبار ضباط الجيش وغيرهم من أصحاب السلطة والقدرة فهرب كل من استطاع أن يهرب من قبضة الشعب، وذلك بعد فترة طالت أكثر من سنة ونصف استخدموا فيها كافة ما لديهم من قدرات سياسية وعسكرية وبوليسية، في تفتيت صفوف الجماهير وإعادتها الى البيوت أو أماكن العمل.

وخلال هذه الفترة قتل الآلاف من الجماهير أمام أعين الآخرين... في الشارع... في المسجد... في الجامعة... في مكان العمل... إلا أن التواجد الشعبي كان يتزايد يوماً بعد يوم.

وقد ازداد النظام في الشهور الأخيرة من حياته عنفاً وبطشاً كما ازداد التواجد الشعبي في المقابل أيضاً.

وبعد أن عجز النظام من التصدي لتيّار غضب الشعب المضحّي بحياته اضطرّ يائساً أن يقدم أكبر التنازلات فرحل الشاه.

وبعد ذلك أخذ النظام يتراجع عن مواقعه بشكل متلاحق وسريع. واعتماداً على قدرة الله العلي القادر على كل شيء وعلى الإرادة الجماهيرية الصلبة، قام زعيم ثورتنا العظيم بتأليف حكومة الثورة، وهو يضفي على الشعب الروح والوعي والدروس مع كل كلمة يقولها، فلم يرَ الحكم الملكي الغاشم سبيلاً أمامه إلا أن يترك السلطة ويولّي هارباً...

إن الشعب بشبابه وشيبه، ونسائه ورجاله هو الذي استطاع أن يسقط النظام البهلوي الذي كان يظهر قوياً ومسلحاً تماماً ويحظى بحماية القوى

الكبرى، وهو الذي استطاع أن يقيم النظام الجمهوري الإسلامي.

لقد كان سلاحه إيمانه وإرادته الصلبة، ودمه الذي يجري في شرايينه فكان أن انتصر الدم على السيف.

إن سياسة انتصار الدم على السيف هي سياسة المقاومة المظلومة التي أعلنها قائدنا الأعظم قبل انتصار الثورة.

وأول معجزة أتت بها تجسدت في الانتصار على نظام الشاه المسلّح من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه، والمتمتع بالدعم الأمريكي الغربي، وبعد ذلك أيضاً حققت الثورة ما يعتبر بعضها أكبر حتى من الانتصار على الشاه.

إنها تجربة لا مثيل لها على الأقل في القرن الأخير، وحبّذا لو وُضعت قيد الدرس بإمعان وتأمّل من قبل الدول الرازحة تحت الهيمنة ومن قبل قوى الهيمنة العالمية على حد سواء.

ويتابع الإمام الخامنئي حديثه عن الثورة الإسلامية قائلاً:

٢ ـ قيام هذه الثورة على أساس الدين: على أساس الإسلام، هناك ثورات عديدة ارتوت جذورها النضالية من الإيمان الديني، ولم يحسب لها حساب يذكر في البنية الثورية، إن لم تقل لم يؤخذ في الحسبان مطلقاً.

إلا أن ثورتنا الإسلامية قد اشتقّت من الإسلام كل شيء ابتداءً بالأهداف والمبادىء، ومروراً بأساليب النضال وانتهاءً بشكل النظام الجديد ونوعية أدائه.

كل ذلك يعطي الثورة أبعاداً مدهشة، ويقدم تفسيراً جديداً لانتصارها لقد ظلّ الإسلام يتعرّض لهجوم القوى الاستعمارية وعملائها الرجعيين الحقيرين، وذلك لما يحتوي عليه الإسلام من طاقة هائلة للثورة والبناء وبالإضافة إلى ذلك يعتبر الإسلام إيماناً مقدساً، وديناً إلهياً لأكثر من خمسين دولة، ومليار إنسان، فإذا انتصرت الثورة بروح ومضمون إسلاميين فذلك في

الحقيقة يعد انتصاراً على كل هؤلاء المهاجمين ولحساب هذه الساحة المليارية كلها.

٣ ـ كان عدم الاعتماد على الشرق والغرب ميزة أخرى من المميزات الاستثنائية لهذه الثورة، كما تشكل اليوم السياسة الحازمة التي يتبنّاها نظامنا الثوري.

إن ذلك من معالم إيماننا بالله سبحانه، واعتمادنا عليه في كل مجالات حياتنا الفردية والإجتماعية.

الفكرة المسيطرة اليوم على الساحة الدولية في كافة أنحاء العالم هي التي تقول: باستحالة مواصلة الحياة على المسرح السياسي المعاصر دون الاتكاء على إحدى الكتلتين، وإذا كان هنالك خلاف على مستوى هذا الاعتماد وحجمه، فلا يوجد خلاف على أصله!!

حتى أولئك الذين تبنّو ـ فكرياً ـ مبدأ عدم الاتكاء وعدم الانحياز يرون عدم إمكانه عملياً.

في مثل هذه الأجواء جاءت ثورتنا الإسلامية بفلسفة جديدة، وبقيت ملتزمة بها حتى اليوم، لقد أثبتت ثورتنا بأنه من الممكن الوقوف بوجه قوى الهيمنة، وعدم التأثر بجدوتها وطغيانها، وعدم الاستسلام أمام ابتزازها على شرط أن نمتلك الإيمان بوجود وقدرة من هي أقوى من كل قدرة مادية يُعتمد عليها ألا وهي قدرة الله سبحانه وتعالى.

لقد كنا نعلم بأننا يجب أن ندفع ثمناً باهظاً لهذه العقيدة ولهذا الطريق وقد هيّأنا أنفسنا لذلك.

لندع هذه التجربة تهدي الشعوب إلى الإستقلال الحقيقي الذي لا يتزعزع، وبالتالي إلى رفض قوى الهيمنة العالمية الكبرى رفضاً تاماً. لأن

الاتجاه الحالي بتوزيع القوى يهدد البشرية بمستقبل أكثر مرارة.

ويتابع الإمام الخامنئي سرده لمميزات الثورة الإسلامية أمام أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة قائلاً:

٤ ـ كذلك امتازت ثورتنا وما زالت بميزة استثنائية أخرى: تتمثل في ما واجهته من مواقف عدائية حاقدة، وما تعرضت له من ضربات لا مثيل لها، . . . لقد بدأ العداء للثورة من قبل انتصارها، وكانت أمريكا هي السبّاقة في هذا المجال. إن المسؤولين الذين اعتبروا انقضاء الزمن مبرراً لكشف الأسرار الخفية نراهم اليوم يعترفون بأن إدارة جمهورية الولايات المتحدة ومستشار الأمن القومي ورئيس الجمهورية نفسه، كانوا يطمئنون الشاه، ويحرّضونه على العمل بحزم، والمقصود من هذا الحزم هو ما صرّح به شخص اسمه الجنرال «هويزر» من أنه يجب الحفاظ على نظام الشاه حتى بثمن قتل عشرات الآلاف من أفراد الشعب الإيراني!! . . .

. . . ولقد ظهر التآمر المعادي للثورة بعد انتصارها بأشكال مختلفة منها. . . غرس أيادي العدو في مراكز الإدارة الثورية، فقد تمكن أحد العملاء خلال عدة أسابيع من انتصار الثورة عبر استخدام الوسائل والوساطات من أن يصبح قائداً للقوّة الجويّة.

أما بالنسبة للخطوة الثانية يكفي أن نقول أنه في غضون الشهور الأولى لانتصار الثورة ظهرت على الساحة في إيران أكثر من أربعمائة حزب ومجموعة تضم في مجموعها مزيجاً متناقض الأجزاء ابتداءً بأنصار الملكية وانتهاءً بالشيوعيين ومروراً بالانفصاليين بجانب جماعة القوميين المتطرفين، . . . ومن الضروري أن لا ننسى أن بعض السفارات المعتمدة في طهران ومنها السفارة الأمريكية كانت مركزاً لتوجيه ودعم بعض هذه الجماعات.

لقد كان الإرهاب الدموي هو أحد أوجه العداء الانتقامي الذي واجهته الثورة، بحيث أن الفصائل التي تمكنت عن طريق سرقة السلاح والعتاد. . . وبدعم من الدول الأجنبية تمكّنت من تأسيس أكبر شبكة إرهابية في إيران، والاقدام على الاغتيال الفردي والجماعي، واختطاف الطائرات والمواطنين، وممارسة التعذيب والمذابح الرهيبة في إيران. . .

وكانت ضحايا هذا التيّار الدموي العنيف من مختلف الطبقات ابتداءً من كبار رجال قيادة الثورة والبلاد، وانتهاءً بالمواطنين العاديين في المجتمع كالعمال الكادحين والنساء والأطفال، وعابري السبيل الأبرياء.

واليوم نرى نفس الإرهابيين أعضاء وقادة والذين قد اعترفوا في الغالب بجرائمهم، متحملين مسؤوليتها نراهم يتمتعون اليوم في أمريكا وفرنسا وبعض الدول الغربية بالحصانة والعيش الرغيد ويطلقون عليهم اسم «معارضي الثورة»!!

تلك الدول التي ما زالت تتهم الجمهورية الاسلامية الإيرانية بالإرهاب!! وإن من أدهش اللعب السياسية هو أن يُتهم بالإرهاب نفس المظلومين الضحايا للإرهاب العشوائي، وذلك من قبل دول لعبت دوراً كبيراً في دعم الإرهابيين في عملهم ثم آوتهم!!

إنني بصفتي رئيساً للجمهورية وخادماً لبلدي وكوني قد تعرّضت شخصياً لإحدى هذه الجرائم الدموية التي أحبطها الله تعالى أعتزّ بأن هذه الجرائم لم تتمكن من زعزعة إرادة شعبي، . . .

أما الإنقلاب العسكري الذي يعتبر تجربة دموية مألوفة من طرف القوى العظمى لمواجهة كل الثورات فقد دبّر لمرّات عديدة، وفي إحدى المرّات تطور حتى وصل الى مرحلة بالغة الخطورة وقريبة النجاح ولولا عين

الساهرين على هذه الثورة ودعم الشعب. . . لأدّى ذلك لوقوع حمامات الدم والمجازر المليونية. . .

إن أكبر وأفجع عداء واجهنا به أعداؤنا هو شنّ هذه الحرب المفروضة من خلال إثارة نزعة الجاه والسلطان لدى أحد الجيران، وتشجيعه على شنّ الهجوم، وتطمينه بأنواع الدعم والمساعدات. . .(1).

محاولة وأد هذه الرؤية الكونية من خلال الحرب العراقية الإيرانية

وضع الإمام الخامنئي أمام أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة مسألة الحرب العراقية الإيرانية التي فرضت على إيران بقصد القضاء على الثورة الإسلامية التي تمثّل هذه الرؤية الكونية الآنفة الذكر.

قال الإمام الخامنئي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة:

واليوم وبعد مضي سبع سنوات بإمكان الجميع أن ينظروا إلى الهجوم العسكري العراقي الذي بدأ في ٢٢ أيلول ١٩٨٠ أي بعد تأسيس الجمهورية الإسلامية بتسعة عشر شهراً، والذي استخدم فيه عشر فرق عسكرية منظمة ومئات الطائرات الحربية بهجوم برّي وجوّي وبحري، وأكدوا أن هذا الهجوم قد استهدف إحباط الثورة وإسقاط نظام الجمهورية الإسلامية، «الأمر الذي صرحت به الكتب والصحافة العراقية مراراً» بالإضافة الى تحقيق نوايا توسعية عراقية في ضم أجزاء من الأراضي الإيرانية.

والنتائج الكبيرة التي بإمكان النظام العراقي الحصول عليها في حالة نجاحه في هذا الهجوم هي الظهور على صعيد المنطقة وحتى في الساحة العربية بمظهر قوة فائقة بالإضافة إلى تكريس موقفه الداخلي، وهذا يعتبر شيئاً كبيراً جداً لحكام العراق السفلة، أضف إلى ذلك سيطرة النظام العراقي على

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي في الجمعية العمومية للأمم المتحدة ص٢٠ ـ ٢٥.

حدود لا يستهان به في منطقة الخليج الفارسي الهامة.

ومع أن هذا الانتصار كان سيؤدي ولا بدّ إلى هزيمة إيران وتقسيمها والإحاطة بنظام الجمهورية الإسلامية فيها، ونرى أن القوى المهيمنة أيضاً كانت في ذلك تحقق لنفسها هدفاً كبيراً هو إسقاط نظام غيّر بظهوره المعادلات السياسية والاقتصادية في المنطقة، وقطع أيدي الاستكبار خاصة أمريكا من بلد كبير كإيران.

وفي حالة هزيمتنا كانت المياه ستعود إلى مجاريها بالنسبة لأمريكا والبعض الآخر وتتكرر من جديد قصة النفوذ السياسي والاقتصادي على شكلها المعتاد.

نحن نعترف بأننا في البداية فوجئنا بمباغتة فرضها علينا انصرافنا الى القضايا الداخلية الناتجة عن الثورة والتي لا تعدّ ولا تحصى فضلاً عن عدم وجود التجربة الكافية لدينا.

ولكن مميزات ثورتنا هي التي أنجدتنا، إذ في غضون عدة أشهر صنع الشعب والقوات المسلحة ملحمة كبيرة عبر تواجدهم في الساحة، وسعيهم الدؤوب فاستردّوا أجزاء هامة من الأراضي المغتصبة.

والمأساة التي حلّت بنا خلال هذه الفترة لا يمكن وصفها حقاً... فكم من مدن عامرة مثل خرمشهر وآبادان والهويزة وقصر شيرين قد تمّ تدميرها وسوّيت مع الأرض، وقد أطلقت على مدينة دزفول وحدها ١٧٣ صاروخاً أرض أرض وكم من قرى آهلة لم يبقَ منها حتى جدار متصدع، وكم من معامل تحوّلت إلى ركام من حديد وكم من مزارع لم يبقَ فيها أثر الإخضرار، وكم من آثار ثقافية حضارية تعرضت لأضرار، والأعز والأغلى من كل هذا كم من أرواح زاكية زهقت، وكم من مواطنين قتلوا أبرياء...

إن ارتكاب الجرائم الحربية بدءاً بالهجوم على المناطق المدنية الآهلة

بالسكان حتى المجازر الوحشية التي قتل خلالها ألوف الأطفال والنساء العزّل، وأُسر المسافرون العاديون على قارعة الطريق في المناطق المحتلة، وهذا الأخير تمّ في الأسابيع الأولى للحرب. . .

وانتهاءً بخرق الإلتزامات وانتهاك القرارات الدولية واستخدام الأسلحة الكيماوية على نطاق واسع، وضرب السفن التجارية، ومهاجمة الطائرات المدنية وطائرات نقل الركاب، وقطارات الركاب العاديين كل ذلك من الأعمال المعروفة التي ارتكبها العراق بشكل مستمر طوال هذه الحرب.

وعندما استطاع الشعب الإيراني، أن يستوعب ما حدث، ويستخلص منه النتائج خلال المرحلة الأولى من جهوده الأولية في الحرب، عرف حقيقة مرّة ألا وهي ان أساس الأمن الذي وضع بنيانه على وعد وضمان من عنصر معتدٍ شرّير، يكون بنيانه وهناً لا تصح الثقة فيه، فالثقة في مثل هذا الأمن تكون في غاية السذاجة وبعيدة عن المنطق والصواب.

لقد قال رئيس النظام العراقي بصراحة بأن الاتفاقية التي وقعها مع الحكومة الإيرانية سنة ١٩٧٥ والمعروفة باتفاقية الجزائر، تمّ توقيعها في ظروف كان العراق فيها ضعيفاً، فلم تعد هذه الإتفاقية نافذة، ثم مزّق الاتفاقية، وبعد أيام معدودة شنّ هجومه على إيران!!

لقد تلقّى شعبنا من ذلك درساً مرّاً استخلص منه العبر، . . . ومنذ تلك اللحظة اتخذ شعبنا الثائر والواعي قراره وحدد هدفه الذي لم يقتصر على استعادة الأراضي المحتلة أو التعويض عن الخسائر الحربية فحسب، وإن كان الأمرين الأخيرين من الحقوق المسلّم بها للشعب الإيراني، رغم أن الكثير من الخسائر لا يمكن التعويض عنها، وإنما الهدف الأهم هو معاقبة المعتدي، واقتلاع جذور العدوان.

إننا لم نكن من خلال موضوع معاقبة المعتدي نبحث عن رصيد

مضمون لأمننا الوطني فحسب، وإنما نؤمن بأن ذلك يضمن الأمن والاستقرار لكل المنطقة أيضاً.

فإذا عُوقب معتدي بسبب اعتدائه لمرة واحدة من قبل العائلة الدولية يمكن التأكد بأن هذا الدافع الذي تواجد دوماً في العناصر الشريرة الانتهازية سيضع أوزاره على الأقل لسنوات عديدة، وان المنطقة وربما العالم لن يتحمّل مصائب وويلات حرب عدوانية قد تشنّ بدون مُبرر[1].

لقد استطاعت محكمة «نورنبرغ» أن تضمن الأمن والسلامة لأوروبا التي كانت قد تحولت إلى مسرح للحروب منذ أكثر من أربعين سنة، فلماذا لا نستفيد من تجربة محكمة نورنبرغ؟

وحتى عندما كانت آلاف الكيلومترات المربعة من ترابنا تحت وطأة احتلال المعتدين، وضعتنا القوى العظمى عبر وسائلها الإعلامية القوية جداً تحت الضغوط لإرغامنا على القبول بوقف إطلاق النار، ووعدونا بتشكيل لجنة تعمل على انسحاب المعتدي إلى الحدود الدولية! وهذا كان يعني أننا نترك قسماً من وجودنا وجزءاً من شرفنا تحت أقدام العدو، على أمل أن نستعيدها عن طريق الاستجداء واللهاث وراء هذه اللجنة أو تلك وليست هنالك إهانة أكبر من ذلك لشعب ثوري كبير مليء بالمفاخر والانجازات. . .

واليوم نعتبر تأديب المعتدي أهم هدف لنا في الحرب، وبفضل الجهاد البطولي لشعبنا وتضحية الآلاف من أعزائنا تمكّنا من أن نحرر القسم الأكبر من ترابنا المغتصب، رغم أن أجزاء من ترابنا مثل تفت شهر ما زالت تحت وطأة الجيش المعتدي واليوم عندما ننظر إلى الرصيد الهائل الذي أخذته

---

(١) لو أن العالم وعلى الأخص هيئة الأمم المتحدة قد حملوا هذا التخذير على محمل الجد، لما وقعت حرب الخليج الثانية، ولما تجرأ النظام العراقي على احتلال دولة الكويت مع ما جرّه على الاحتلال من مصاعب وويلات على الجميع.

الحرب المفروضة منا والذي لا يمكن تعويضه نولي هذا الهدف أهمية أكبر من أي وقت مضى.

إن أية نتيجة يحصل عليها الشعب ما عدا ذلك تعتبر خسارة له، فنحن الذين تحمّلنا أعباء الحرب سبع سنوات نتعطّش للسلام أكثر من غيرنا، ولكن السلام الحقيقي الدائم لا يكون إلا في إطار معاقبة المعتدي، الذي أردف بجريمة اعتدائه جرائم كثيرة أخرى في الحرب.

إن العراق يقف اليوم في موقف ضعف كما هي حالة عام ١٩٧٥، وهذا الشيء يعرفه العالم أجمع، وإن السلام الذي سيقبل به هذا النظام، سيتبخر خلال لحظات عندما يرى في نفسه شيئاً من القوة، بعد مضي عدة سنوات وعندئذٍ تلتهم نيران الحرب المنطقة بأسرها ثانية، فالضمان الوحيد للمستقبل هو معاقبة المعتدي.

لا شك أن السلام كلمة جميلة نشد إليها القلوب، لدرجة أن كبار مؤججي نار الحرب في العالم ومنتجي الأسلحة الفتّاكة أيضاً لا يسعهم إلا أن يظهروا الودّ والحب لهذه الكلمة، وأن يتشدقوا بها رياءً، ولكننا نرى أن العدالة ـ هذه الكلمة التي ينظر لها الطغاة والمعتدون بخوف وحذر ـ هي أسمى وأهم من السلام، وكم من مظلومين ضحّوا بالحياة والرفاه والسلام في سبيل تحقيق العدالة، ودائماً اعتبر هؤلاء أبطالاً.

إن المدن الأوروبية ما زالت تفخر بمقاومتها للعدوان الهتلري، وأن مدينة «لينينغراد» ما زالت تفخر بإحراق نفسها فأصاب جيش نابليون اليأس والذهول وكذلك ما زالت تفخر بصمودها أمام حصار المعتدين النازيين أربع سنوات[١].

---

(١) من كلمة الإمام الخامنئي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.

موقف هيئة الأمم المتحدة التي تسيطر عليها الدول الكبرى من هذه احرب المفروضة

كشف الإمام الخامنئي أن الدول الكبرى هي التي تهيمن على المنظمة الدولية وتحول بينها وبين أداء رسالتها النبيلة.

يقول الإمام الخامنئي:

«إن منظمة الأمم المتحدة كلّفت بأن تؤمن العدالة في شكلها الخاص وهو التصدي للمعتدين، وتحملها المادة الأولى من ميثاقها هذه المسؤولية على وجه خاص، وهذا ما نطلبه من العالم ومن منظمة الأمم المتحدة.

إن القوى العظمى تسمى رياء هذه الحرب المفروضة علينا «حرباً بلا مبرّر» بينما أنها تقوم دائماً بدعم ومساعدة الطرف البادي والمعتدي، عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، ولا شك أن شن حرب كهذه يبقى دائماً بلا مبرر، ولكنهم لم يلجأوا إلى هذا التعبير، طالما كان للمعتدي أمل في تحقيق أهدافه المنشودة!!!

أما اليوم فلقد أصبح لهذه الحرب مبرر هام جداً لدى شعبنا وهو العمل الجهادي المصحوب بالتضحية والفداء لغرض اقتلاع جذور العدوان والبرهنة على أن الشعب أي شعب يستطيع أن يدافع عن ثورته واستقراره وكرامته رغم أنف القوى العظمى.

لقد بدأ شعبنا بما قدم من تضحيات وعطاء في إسقاط المعادلة التي شجعت دائماً على الحرب والعدوان، والتي تقول بأن ضمان النجاح والانتصار يكمن في الاعتماد على الأسلحة المتطورة والاستناد الى تأييد ودعم القوى.

إن الشعب الإيراني خلال هذه السبع سنوات بحث عن إجابة على

سؤال كبير، أود أن أطرحه من على هذا المنبر، إن السؤال يتلخّص في ما يلي: لماذا نرى الدول التي تعلم جيداً أن النظام العراقي هو المؤجج لنار الحرب وهو الطرف المعتدي، وما أكثر عدد هذه الدول، نعم لماذا نرى أنها التزمت الصمت عن هذه الجريمة الكبرى، وهذا الذنب العالمي العظيم؟ ولماذا تتناسى أجهزة الإعلام العالمية مسؤوليتها العظمى تجاه الضمير الإنساني، وتساؤل التاريخ؟

ربما يكمن مفتاح هذا اللغز في التعرّف على العلاقات السياسية في عالمنا المعاصر، والمعادلة الخاطئة التي أوجدتها سيطرة القوى العظمى في العلاقات الدولية، وهذا شيء لا يخفى على شعبنا!!

أما السؤال الذي لا يمكن أن نجد له جواباً مقنعاً هو ما يلي: لماذا نسى مجلس الأمن الدولي الذي أنشىء أساساً لمواجهة العدوان وتحقيق الأمن العالمي، لماذا نسي تماماً واجبه هذا تجاه الاعتداء، بل وقد عمل باتجاه معاكس لهذا الواجب؟!!

لا بأس أن يعلم الجميع بأن مجلس الأمن عند بداية الهجوم العراقي الذي شنّ على جبهة عرضها ألف كيلومتر لم يقم بأي ردّ فعل تجاه ذلك.

لقد اجتاز الجيش العراقي خلال أسبوع الحدود الدولية وفي بعض المناطق تقدم في عمق الأراضي الإيرانية لمسافة ٧٠ ـ ٨٠ ـ ٩٠ كيلومتر واستقر فيها بغية أن لا ينسحب أبداً حسب ما صرّح به قادة النظام العراقي!!

وبعدئذ أصدر مجلس الأمن أول قرار له حول الحرب في ٢٨ سبتمبر ١٩٨٠، إلا أنّ هذا القرار لم يشر إلى الاعتداء، ولا إلى الاحتلال، ولا إلى ضرورة العودة إلى الحدود الدولية، وإنما دعا بدلاً من ذلك كله وبشكل غريب جداً ـ إلى عدم اللجوء إلى العنف «أكثر من ذلك» فهذه العبارة في الحقيقة قد تجاهلت ما تمّ احتلاله حتى ذلك اليوم من قبل القوات العراقية

الغازية، وكلما طُلب منها هو أن لا تتقدم أكثر من ذلك، بينما تطلب من إيران أيضاً أن تمتنع عن القتال لطرد المعتدي.

هذه كانت أول مبادرة قام بها مجلس الأمن، والتي أهملت من خلالها المهام الرئيسية الموكولة إلى المجلس وبشكل مؤسف وبشع وهذه المهام هي الحفاظ على السلام والأمن الدوليين.

وبعد ذلك التزم مجلس الأمن الصمت القاتل متناسياً الحرب الدامية المستمرة، والتي كانت أخبارها على صدر الأنباء العالمية، إلى أن تمّ تحرير «خرمشهر» من خلال معركة قصمت العمود الفقري للقوات الغازية، وأسر فيها الآلاف منهم في ذلة ومهانة!!... على ضوء هذا تذكر مجلس الأمن الحرب العراقية الإيرانية ثانية فبعد مضي عدة أسابيع على تحرير «خرمشهر» أصدر المجلس قراره الثاني في ١٣ تموز عام ١٩٨٣ والذي دعا فيه إلى العودة الى الحدود الدولية، وهو ما كان قد تحقق معظمه فعلاً بعد تضحيات شعبينا...

ولم يذكر هذا القرار شيئاً عن العدوان ولا المعتدي ولا الخسائر ولا طريقة التعويض عن تلك الخسائر، ولا تحدث عن ضمان للأمن والاستقرار الحقيقيين، ولا معاقبة المسبب في اضطراب الاستقرار والأمن.

مرّة ثانية وجدنا أنفسنا وحيدين في سعينا لاستعادة حقنا.. بعد أن وقف مجلس الأمن الدولي هذا الموقف...

هل يستطيع مجلس الأمن أن يبرر عدم قيامه بواجبه الأول وهو التصدي للعدوان؟

هذا الواجب الذي فصلته المادة الأولى لميثاق الأمم المتحدة على سائر الأهداف أي ضغوط يا ترى مارسها مجلس الأمن على العراق، تصدياً لتهديد السلام، وانتهاك السلام، واللجوء إلى القوة «اتهام الفصل السابع!!».

إن الإلتزام بموقف الحياد هو أقل شيء يمكن أن تتوقعه الجمهورية الاسلامية من مجلس الأمن بعد أن أصبحت ضحية لعدوان دموي بشع، وتكبّدت خسائر فادحة من جرّائه!!

وان واجب مجلس الأمن يقضي بمواجهة العدوان، وحماية ضحية الاعتداء، وليس اتخاذ موقف حيادي من الجانبين!!

ولكن هل يستطيع مجلس الأمن أن يدعي حتى بأنه محايد في هذه القضية؟

الذي نشعره هو أن إرادة بعض القوى الكبرى، وخاصة أمريكا أثّرت على مجلس الأمن وأرغمته على اتخاذ موقف غير لائق ومدان وهنا لا بدّ من القول بأن الأمن الذي بني أساسه على مجلس الأمن ليس إلا قصراً مزخرفاً من الورق.

إن الشعوب وعلى وجه الخصوص التي ترغب في حياة مستقلة بعيدة عن هيمنة القوى العظمى لن تستطيع أبداً أن تطلب من مجلس الأمن ضماناً لأمنها!

إن الامتناع عن إدانة العراق كمعتدي كان سبباً في أن تبقى نيران الحرب مشتعلة، بل قد توسّعت رقعتها!![1].

الإمام الخامنئي يفضح نظام الهيمنة العالمية

أمام أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة، فضح الإمام الخامنئي نظام الهيمنة العالمية وأثبت أنه وراء كل الكوارث التي لحقت بالبشرية، ويقصد بنظام الهيمنة الدول الكبرى التي تفرض سيطرتها على العالم. يقول الإمام الخامنئي:

---

(١) من كلمة الإمام الخامنئي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.

«ولينظر العالم اليوم إلينا ليرى ـ وهو يرى ـ أننا نعيش ولا نزال رغم أنف قوى السيطرة فتلك سنّة الله عبر التاريخ ولن تجد لسنّة الله تبديلاً، وهذا أوضح وأبلغ نداء نوجهه للعالم.

لقد أراد نظام السيطرة دوماً أن يثبت عكس ذلك، وأن يظهر إرادته للعالم الثالث شعوباً ودولاً، وكانت هذه الإرادة هي التي تحدد مصير الجميع.

إننا رفضنا ذلك، لا شك أن نظام السيطرة لم يرد للجمهورية الإسلامية حياة واستمرارية، غير أن إرادتنا هي التي انتصرت في النهاية.

نداءنا الموجه إلى كافة الشعوب والحكومات التي تريد البقاء مستقلة وبعيدة عن إرادة قوى السيطرة العالمية الكبرى، لا تخافوا من هذه القوى، وثقوا في أنفسكم وشعوبكم.

. . . إن نداءنا الرئيسي يتلخّص في رفض نظام السيطرة في العالم، فعالمنا اليوم تمّ تقسيمه ـ عملياً ـ بين القوى المهيمنة الكبرى، التي تعتبر نفسها صاحبة القرار في العالم، وبتعبير أدق انقسم العالم الى جزئين.

١ ـ قوى الهيمنة.

٢ ـ والرازحين تحت الهيمنة.

ويعتبر الجزء الأول نفسه مالكاً للجزء الثاني وصاحب قرار في مصيره. هذه العلاقات غير العادلة، وغير المتكافئة بين الجزئين هي التي تشكل نظام التسلّط، الذي يرفض الثورات، ويخلق العقبات في طريق الأنظمة الثورية فتعتبر «نيكاراغوا» والدول الثورية في جنوب القارة الإفريقية نماذج حيّة لهذا الواقع.

إن نظام الهيمنة يقرر مصير الشعوب رغم إرادتها، وتعتبر فلسطين

المظلومة نموذجاً كاملاً لهذا الواقع، كما تعتبر أفغانستان نموذج آخر من ان نظام الهيمنة يتلاعب بالمفاهيم والمعاني، فيحرّف الكلم عن مواضعه حسبما تقتضيه مصالحه، ويجنّد كل ما لديه من الامكانيات لتكريس هذه المفاهيم المنحرفة، فأمامنا الإرهاب وحقوق الإنسان. . . كنموذجين من المفاهيم المنحرفة المتلاعب بها.

إن نظام الهيمنة يهاجم الدول التي يغضب عليها حتى بشكل مباشر، ويمكن الإشارة الى الهجوم التي شنته أمريكا على كل من «ليبيا وغرانادا» كنموذجين لذلك.

إن نظام الهيمنة يسمح لنفسه أن يتخذ القرارات للعالم بأسره، ونيابة عن جميع الشعوب، بالأمس كان النموذج هو الغارة الأمريكية على «هيروشيما» واليوم يأتي الرئيس الأمريكي ليعتزّ بالعمل الرهيب الذي ارتكبه أسلافه، مبرراً ذلك بأنه لو لم تقتل هذه الألوف من البشر لكان من المحتمل أن يقتل أكثر من هذه المجموعة في العالم كافة!! وبهذا يمنّ على الجميع بالحرص الأمريكي على العالم بأسره، وكأن أمريكا هي الوصية على جميع العالم!!

إن نظام الهيمنة يدعم ويحمي الأنظمة العنصرية الغاشمة كالكيان الإسرائيلي ونظام جنوب إفريقيا، ويسخّر هذه الأنظمة ضد الشعوب المظلومة كأذرع مسلحة سفّاكة له. . .

إن نظام الهيمنة يسمح لنفسه أن يمارس الضغوط على المنظمات الدولية والضغوط الأمريكية على كل من مجلس الأمن ومنظمة اليونسكو تمثل النموذج الحي لذلك.

إن نظام الهيمنة يعتبر مصالح أصحاب الهيمنة مصالح مطلقة دون قيد ولا شرط، ويمكن من أجلها تجاهل مصالح الآخرين، والنموذج هو تواجد السفن الحربية الأمريكية في الخليج الفارسي بشكل يخلق التوتر ويهدد

بالخطر، هذا التواجد الذي تمّ تبريره بحجّة «الحفاظ على المصالح الأمريكية» دون أن تؤخذ مصالح دول المنطقة بعين الاعتبار.

وأخيراً يسيطر نظام الهيمنة على الإعلام العالمي يظهر كل الحقائق مشوهة، ويظهر كل هذه الأعمال الشيطانية بمظهر الخدمة، فيسدّ الطريق بوجه كل معارضة له من قبل الرأي العام العالمي!!»[1].

الإمام الخامنئي يقدم لائحة إتهام بحق حكومة الولايات المتحدة

الإمام الخامنئي يعتبر الولايات المتحدة هي رأس القوى المهيمنة التي جلبت الشقاء للعالم عامة وللشعب الإيراني خاصة، لذلك تعمد الإمام الخامنئي أن يقدم هذه اللائحة للجمعية العامة:

يقول الإمام الخامنئي:

«لقد تحوّل الخليج الفارسي الى مستودع بارود خطر، وذلك من جراء التواجد العسكري لأمريكا، وسائر الدول التي جاءت الى المنطقة من وراء أمريكا، وبناءً على إصرارها وضغوطها.

وليس ذلك إلا إحدى المضاعفات المشؤومة للحرب المفروضة ونتيجة عجز مجلس الأمن عن مواجهة العدوان العراقي.

لا بدّ أن أعلن للعالم وخاصة للشعب الأمريكي العظيم بأن الوجود العسكري الأمريكي المهدد في الخليج ليس إلا وجهاً من أوجه العداء العلنية للولايات المتحدة ضد شعبنا.

يمر تاريخ شعبنا بحقبة سوداء مريرة ملطخة بالدماء ملؤها العداء والحقد الذين يكنهما النظام الأمريكي ضدنا، فما قامت به الولايات المتحدة من دعم

---

(١) من كلمة الإمام الخامنئي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.

للنظام البهلوي الديكتاتوري الجلاد الذي اقترف المجازر الرهيبة بحق شعبنا المظلوم لفترة ٢٥ عاماً ونهبه أموال شعبنا. . . وتحريض النظام الأمريكي لنظام الشاه لقمع المظاهرات المليونية للشعب، وخلق العقبات في طريق ثورتنا بشتى الوسائل في السنوات الأولى لانتصار الثورة، والاتصالات الاستفزازية للسفارة الأمريكية في طهران بمناوئي الثورة، ومساندة عناصر الانقلاب العسكري، والدعم المستمر للإرهابيين ومناوئي الثورة الموجودين خارج البلاد، وتجميد أرصدة وأموال الشعب، والامتناع عن تسليم البضائع التي دفعت أثمانها سلفاً، وعدم إعادة الأموال التي سرقها الشاه من خزانة الشعب، والتي أودعها باسمه شخصياً لدى البنوك الأمريكية، والعمل على فرض حصار اقتصادي علينا، وفتح جبهة متحالفة مع الغرب ضد شعبنا، وحماية العراق بشكل علني وفعّال، في حربه ضدنا، وأخيراً الغزو الأمريكي اللامنطقي الناتج عن نزعة الطغيان للخليج الفارسي، وتعريض أمن المنطقة وسلامتها لخطر جدي كل ذلك يشكل جزءاً من لائحة الاتهام التي يُقدمها شعبنا ضد الولايات المتحدة، هذه اللائحة التي تلقي ضوء الشك على ما يدعيه رؤوس النظام الأمريكي من سعيهم وراء السلام وما يصرحون به حول نواياهم الحسنة نحو الجمهورية الإسلامية.

أرى من الضروري أن أُؤكد بأن لائحة الاتهام المذكورة موجهة ضد رموز النظام الأمريكي، وليس ضد الشعب الأمريكي، الذي سيوقع هو بلا شك على هذه اللائحة.

لقد أثبت شعبنا أنه يؤمن بأهدافه، وأنه مستعد ليضحّي في سبيلها كل ما لديه من غال ونفيس، وشعب كهذا لا يخاف من أمريكا ولا من أية قوة أخرى، وسوف يثبت بعون الله بأن النصر حليف الحق، ومن يؤمن بالحق»[١]

(١) من كلمة الإمام الخامنئي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.

الإمام الخامنئي يوجه نداءً علنياً للعالم للاتحاد بوجه قوى الهيمنة

يقول الإمام الخامنئي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة:

«ندائنا الى دول العالم الثالث بأن يعملوا على التحالف والتلاحم مع بعضهم، ما دام الوضع على ما هو الآن، ونظام الهيمنة باق على حاله، هذه أحسن طريقة لكي يصبحوا أقوياء.

إن قوى الهيمنة العالمية لا تعرف شيئاً سوى القوة والقدرة، لهذا وإزاء منطق القوة الذي يستخدمونه يجب التحدث بنفسه المنطق.

إن صحوة الشعوب ووعيها بطبيعة ودور نظام الهيمنة يشكلان أكبر رصيد لدول العالم الثالث، كما أن في ذلك عامل قدرة حقيقي أمام أصحاب الهيمنة، إن قادة هذه الدول ليست لديهم أية يد طولى، وكذلك ليست لديهم أية وسيلة إلا الفكر النيّر والإرادة القوية لشعوبهم.

إن التحالف الذي نقترحه على دول العالم الثالث ليس تحالفاً لمحاربة القوى العظمى، وإنما هو تحالف للدفاع عن أنفسنا، وللحيلولة دون إضاعة حقوقنا الثابتة.

نداؤنا إلى كل شعوب دول العالم الثالث وكذلك إلى الشعوب التي تقيم حكوماتها نظام الهيمنة نداؤنا الى الجميع هو «ان العالم يجب أن لا يحتمل هذا الوضع الغير مقبول أكثر من هذا، يجب أن يقول الجميع للدول الكبرى، اجلسوا في بيوتكم، واتركوا العالم لشعوب العالم، أنتم لستم بأوصياء على هذه الشعوب...».

إن القوى المهيمنة هي أكبر عامل لتبرير الفساد ونشره، فالفساد في أنواعه الأخلاقية والجنسية والعقائدية يجد له المساندون والمؤيدون والمروّجون الرئيسيون من خلال الدوافع السياسية والاقتصادية والتجسسية

لهذه القوى ولهذا السبب نرى اليوم بأن هذه الحياة المرّة المعتمة، والتي تطال هذه المرة، شعوب الدول العظمى أيضاً، قد سقطت فيها القيم الأخلاقية وتضعضعت الرابطة العائلية، وسيطر غولا الادمان على الكحول والمخدرات أكثر من قبل، كما أن التأثير المعنوي والأخلاقي أصبح أقل من أي وقت كان.

يجب أن نقوّي بناء العائلة، وأن نجعل من العائلة التي هي أول مدرسة حقيقة للإنسان مركزاً للمحبة والصفاء والعاطفة والمعنوية. يجب التأكيد على الحفاظ على الحقوق والمثل الخاصة بالمرأة، يجب أن نعيد النظر في القيم والمعايير الحالية للمرأة والتي وضعتها نفس الأنظمة المهيمنة.

وتحرر المرأة بصورة جدية من كونها «أداة للاستمتاع» الأمر الذي فرضته الثقافة الغربية. المرأة هي العالمة والسياسية والمديرة والشخصية البارزة وأرفع من هذا كله هي الزوجة والأم، نعم ولكن أن تكون أداة لكسب اللذة والتسلية فلا، هذا ما يستطيع أن يُعطي لنصف البشرية هويته وشخصيته الحقيقية ويجعل العائلة بنياناً راسخاً ومقدساً.

هذه هي نداءاتنا ثورتنا، ليست فقط لأولئك الذين لديهم الاستعداد لسماعنا، ولكن لكل أولئك الذين يستطيعون أن يزيحوا الحجب عن مسامعهم، ويقبلوا على الحكم العادل!!»[1].

الإمام الخامنئي والسياسة الخارجية

قلنا ان الدستور الإيراني هو التعبير الشرعي أو القانوني عن وجود الحكومة الإسلامية في إيران، تلك الحكومة التي كانت الهدف الأول والأخير من قيام الثورة الاسلامية الإيرانية.

---

(١) من كلمة الإمام الخامنئي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ص ٤٨ ـ ٥١.

الإمام الخميني كان قائد الثورة، والإمام الخامنئي كان هو الرجل الثاني وقد تمّ تدوين الدستور الإيراني من قبل خبراء اختارهم الشعب لهذه الغاية وتمّت عملية تدوين الدستور تحت إشراف قائد الثورة ونائبه الإمام الخامنئي، وإشراف أركان الثورة.

وبعد أن تمّت عملية تدوين الدستور، طُرح للاستفتاء الشعبي فنال موافقة ٩٨,٢٪ من أبناء الشعب الإيراني، وصادق عليه الإمام الخميني ووضع موضع التنفيذ، وبعد عشر سنوات جرى تعديل هذا الدستور، من قبل لجنة فنية منتخبة من قبل الشعب، ثم عرض الدستور للاستفتاء فنال موافقة الأكثرية الساحقة من أبناء الشعب الإيراني.

ولأن القيادة قد آلت إلى الإمام الخامنئي بعد رحيل الإمام الخميني إلى جوار ربه، فقد صادق الإمام الخامنئي على هذا الدستور المعدل بوصفه الإمام أو القائد أو ولي الأمر ووضع هذا الدستور موضع التنفيذ.

الدستور الإيراني تعبير قانوني عن فكر الإمام الخميني والإمام الخامنئي وأركان الثورة الإسلامية

كل مواد دستور الجمهورية الإسلامية جاءت تعبيراً قانونياً أو شرعياً عن فكر الإمام الخميني وفكر الإمام الخامنئي، ولو كانت مواد هذا الدستور متعارضة كلياً أو جزئياً مع الإسلام، أو مع فكر الإمام الخميني، لما طرحه للإستفتاء، ولما صادق عليه لأن الإمام الخميني هو قائد الأمة، والمؤتمن على مصالحها، كذلك بعد رحيل الإمام الخميني، وتسلم الإمام الخامنئي منصب القيادة أو ولاية الأمة، جرى الاستفتاء على الدستور الإسلامي وصادق عليه الإمام الخامنئي، فلو كان هذا الدستور متعارضاً جزئياً أو كلياً مع الإسلام، أو مع فكر الإمام الخميني، أو مع فكر الإمام الخامنئي لما صادق عليه، لأن الإمام الخامنئي كقائد منتخب من قبل الأكثرية الساحقة من أبناء

الشعب الإيراني وهو الأمين على مصالحه.

وقد فوّض الشعب الإيراني للإمام الخميني، ثم للإمام الخامنئي مهمة وضع ورعاية والإشراف على دستور الحكومة الإسلامية، فهذه عمليات فنية صاحبا فكرة الحكومة الإسلامية وهمّا الإمام الخميني والإمام الخامنئي أدرى بكلياتها وتفاصيلها الدقيقة ولكن الاثنين الخميني والخامنئي قد حرصا دوماً على اطلاع وإشراك الشعب الإيراني بكل شيء عملاً بالثقة القائمة بين الشعب والإمام، وإعمالاً لقواعد الشرع الحنيف وما يعنينا في هذا المقام هو التأكيد على أن كافة مواد الدستور الإسلامي الإيراني ما هي إلا التعبير القانوني عن فكري الإمامين الخميني والخامنئي، وعن عقيدة الشعب الإيراني.

فعندما تعبّر القاعدة الدستورية عن فكرة معيّنة، فإن هذه الفكرة تتفق حتماً وبالضرورة مع الشرع الحنيف، ومع فكر الإمام الخميني وفكر الإمام الخامنئي.

السياسة الخارجية في دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية

نصّت المادة ١٥٢ من الدستور الإسلامي الإيراني على ما يلي وبالحرف «تقوم السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية على أساس الإمتناع عن أي نوع من أنواع التسلّط أو الخضوع له.

والمحافظة على الاستقلال الكامل، ووحدة أراضي البلاد، والدفاع عن حقوق جميع المسلمين، وعدم الانحياز مقابل القوى المتسلطة، وتبادل العلائق السلمية مع الدول غير المحاربة».

هذه المادة تعبر عن فكر الإمامين الخميني والخامنئي، بل هي جزء لا يتجزّأ من فكريهما، أو إن شئت فقل إنها التعبير الدستوري عن هذين الفكرين في المجالات التي تناولتها المادة ١٥٢ والأهم انها التعبير الدستوري عن منطق الإسلام وجوهر مفاهيمه. ذلك الإسلام الذي استمد منه الإمامان أفكارهما.

ونصّت المادة ١٥٤ من دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية على ما يلي وبالحرف:

«تعتبر جمهورية إيران الإسلامية سعادة الإنسان في المجتمع البشري كله قضية مقدّسة لها.

وتعتبر الاستقلال والحرية وإقامة حكومة الحق والعدل حقاً لجميع الناس».

وعليه فإن جمهورية إيران الإسلامية تقوم بدعم النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين في أية نقطة من العالم. وفي الوقت نفسه لا تتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى.

١ ـ إذاً فإن سعادة الإنسان في أي مجتمع بشري في أي مكان في العالم قضية مقدسة في نظر الإسلام ونظر الإمامين الخميني والخامنئي ونظر حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٢ ـ إن الاستقلال، والحرية، وإقامة حكومة الحق والعدل حقاً لجميع الناس على مختلف أعراقهم وألوانهم ومعتقداتهم والجمهورية الإسلامية الإيرانية من منطلق إيمانها بالإسلام ورسالته ستدعم نضال المستضعفين في أي مجتمع من مجتمعات العالم، وترى أن هذا الدعم من صميم واجباتها الدينية والإنسانية نحو أبناء الجنس البشري.

وبالرغم من ذلك وفي الوقت نفسه فإن الجمهورية الإسلامية لا تتدخّل بالشؤون الداخلية للشعوب الأخرى، ولا تفرض قناعاتها على تلك الشعوب.

ونصّت المادة ١٥٥، بأن الجمهورية الإسلامية ستمنح حق اللجوء السياسي لكل الذين يطلبونه، باستثناء الذين يعتبرون وفقاً لقوانين إيران مجرمين خونة.

الفصل الثاني

الإمام الخامنئي والأمة الإسلامية

الأمة الواحدة

يقول الإمام الخامنئي:

«. . . المسألة الأخرى التي أريد عرضها عليكم هي حفظ الوحدة بين البلدان الإسلامية، منظمة المؤتمر الإسلامي ساحة جيدة لحلّ الخلافات بين البلدان الإسلامية، أو للحدّ منها على الأقلّ ويسرّنا أن نكون من الأعضاء الفاعلين في المنظمة، وفي هذه الدورة التي تتولى إيران رئاسة المنظمة نشعر بمسؤولية أكبر، ونأمل بأن تحلّ الخلافات، ونعلم أن الخلافات بين البلدان الإسلامية سطحية ناشئة عن سوء تفاهم غالباً، أعداء الإسلام يسعون دائماً إلى إثارة الخلافات بين المسلمين، بين بلدين جارين، بين بلدين متباعدين، بين عرب وغير عرب، بين العرب أنفسهم وبين غير العرب أنفسهم، نحن قطعنا أشواطاً في طريق الوحدة، أشواطاً بعيدة والحمد لله. . .».

أطلب منكم أن تنظروا إلى دنيا الإسلام بصورة أمة واحدة، نحن أمة واحدة والذي يجمعنا إيرانيين وعرباً وباكتسانيين وهنوداً كوننا مسلمين، نحن جميعاً أمة إسلامية واحدة، مجموعة واحدة، بهذه الرؤية انظروا الى عالم

الإسلام، واعملوا لدنيا الإسلام. . . »[1].

الإمام أو الولي هو الركن الأول من أركان الوحدة الإسلامية

قال الإمام الخامنئي:

«الولاية أعظم النعم الإلهية، تلا أبو عبدالله عليه السلام هذه الآية ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] وقال لأحد أصحابه: أتدري ما آلاء الله؟ فقال لا!! قال الإمام الصادق: «هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا»[3].

ويتابع الإمام الخامنئي قائلاً:

قال أمير المؤمنين عليه السلام «ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعدلوا عن وصية لا يتخوفون أن ينزل بهم العذاب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[4] ثم قال «نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده وبنا يفوز من فاز يوم القيامة»[5].

ويتابع الإمام الخامنئي قائلاً:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بني الإسلام على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم ينادى بشيء كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع، وتركوا هذه يعني الولاية»[6].

---

(١) كلمة الإمام القائد في اللقاء الذي جرى مع أعضاء لجنة تنسيق العمل الإسلامي، رسالة التقريب العدد ٢٩ الدورة الخامسة ـ محرم جمادي ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ص١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٩.

(٣) الأصول من الكافي كتاب الحجة، طبعة دار الكتب الإسلامية ج١ ص٢١٧، حسبما ذكر الإمام الخامنئي في كتابه. تذكرة لمن يشاء ص٧ دار الهادي.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨.

(٥) الأصول من الكافي، كتاب الحجة ج١ ص٢١٧، تذكرة لمن يشاء ص٨.

(٦) الأصول من الكافي، كتاب الإيمان والكفر، تذكرة لمن يشاء ص٩.

ويقول الامام الخامنئي:

قال علي بن موسى الرضا عليه السلام «إن الإمام زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين، إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج والجهاد»[1]. ويتابع الإمام الخامنئي قائلاً: الولاية قطب رحى الوحدة، والأمة شعث الطاقات.

قال أمير المؤمنين عليه السلام «مكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه، فإذا انقطع النظام تفرق الخرز وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً»[2].

ويقول الإمام الخامنئي: الولاية مصداق الاعتصام بحبل الله قال تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[3] قال الباقر عليه السلام «آل محمد صلوات الله عليهم ـ هم حبل الله المتين الذي أمر بالاعتصام به فقال «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»، وقال أيضاً: «إن الله تبارك وتعالى علم أنهم سيفترقون بعد نبيهم فيختلفون، فنهاهم عن التفرقة كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمد صلوات الله عليهم ولا يتفرقوا...»[4].

---

(١) تذكرة لمن يشاء للإمام الخامنئي.

(٢) نهج البلاغة ترتيب الدكتور صبحي الصالح الخطبة ١٤٦ ص٢٠٣ وتذكرة لمن يشاء للإمام الخامنئي ص١٥.

(٣) تذكرة لمن يشاء الإمام الخامنئي ١٦ ـ ١٧.

(٤) تذكرة لمن يشاء الإمام الخامنئي ١٦ ـ ١٧.

قال الإمام الخامنئي في تعريف الوحدة بمناسبة الأربعينية الأولى لوفاة الإمام الخميني

«إن وحدة المجموع تعني التفاف ذوي الطباع والسلوكيات المختلفة حول محور الإسلام ونهج الإمام وولاية الفقيه، وهذا هو ذات الاعتصام بحبل الله الذي أُمر به المسلمون كافة، وحبل الله هو الاسم الأعظم، الذي يحل جميع العقد، ويزيل جميع العوائق، ويحقق النصر المؤزر على الشياطين كافة وعليه فإن الأقوال والأفعال التي تبث روح الفرقة، وتشيع اليأس والقنوط تُعد خيانة للإمام وللإسلام أياً كان مصدرها»[1].

العقوبة الأخروية لترك الانضواء تحت لواء الولاية

قال الإمام الخامنئي، قال الإمام الصادق عليه السلام «من فارق جماعة المسلمين، ونكث صفقة الإمام جاء إلى الله عز وجلّ أجذم» وقال الإمام علي عليه السلام الزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه»[2]

مخالفة حكم الولي الفقيه على حد الشرك

قال الإمام الخامنئي: قال الإمام الصادق: «من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حاكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا، فلم يقبل منه، فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والراد علينا الراد على الله وهو على الشرك بالله»[3].

---

(١) تذكرة لمن يشاء ١٧ ـ ١٨.

(٢) تذكرة لمن يشاء للإمام الخامنئي ص١٩، نهج البلاغة الخطبة ١٢٧.

(٣) تذكرة لمن يشاء للإمام الخامنئي ص٢٠ وسائل الشيعة كتاب القضاء أبواب صفة القاضي باب ١١.

يقوم الإمام الخامنئي: إن أصل ولاية الفقيه، والتقاء جميع سبل النظام الرئيسية بقطب الولاية، يعد النقطة المضيئة في النظام الإسلامي...»[1].

إن الخدش في الإلتزام بولاية الفقيه وطاعة القيادة يُعد خدشاً في النظام الإسلامي كلاً، وإني سوف لن أتحمّل ذلك من أي فرد أو أية مجموعة أو فئة كانت»[2].

صلاح الدين والدنيا

يقول الإمام الخامنئي: «إن صلاح ديننا ودنيانا هو بانتهاج النهج الذي أرسى دعائمه لنا إمامنا العظيم... وإنا لعلى هذا النهج ما دامت الأرواح في أبداننا، وسوف لن نتخلّى عن أي هدف من الأهداف التي حددها لنا الإمام الخميني»[3].

قال الإمام الخامنئي: «إن النموذج المقتدى في الحياة السياسية والاقتصادية وفي المسيرة العامة لثورتنا هو تماماً الأفكار العظيمة والسياسة المثلى لإمام الأمة قدس الله سرّه»[4].

من أقوال الإمام الخميني حول الوحدة

قال الإمام الخميني «يجب أن يكون المسلمين يداً واحدة ضد كل الظالمين، إن الدعوة إلى الإسلام في الأساس دعوة الى الوحدة، إن القرآن يحكم بأن جميع المؤمنين في العالم هم أخوة وأخوات متكافئون، الأخوة الإسلامية منشأ كل الخيرات، لقد ذكرت مراراً أن لا أهمية للعنصر واللغة

(١) تذكرة لمن يشاء ص٢٦.
(٢) تذكرة لمن يشاء ص٢٦.
(٣) تذكرة لمن يشاء للإمام الخامنئي ص٣٥.
(٤) تذكرة لمن يشاء ص٣٧.

القومية والإقليم في الإسلام، فجميع المسلمين ـ سنّة كانوا أم شيعة ـ هم أخوة متكاتفون متساوون في المزايا والحقوق الإسلامية، ليس في الإسلام سنّي وشيعي أو كردي وفارسي فالكلّ أخوة، ما دمتم متمسكين بوحدتكم، علينا جميعاً أن نفهم أن وحدة كلمتنا هي سرّ انتصارنا، اليوم هو يوم الإتحاد والوحدة، وهذا من الألطاف والتأييدات الإلهية العظيمة، ولو كان المسلمون يداً واحدة لما تمكّن أحد من مواجهتهم، لو اتحد المسلمون جميعاً لما تغلبت عليهم أية دولة.

لقد نزل الإسلام ليوحّد جميع شعوب العالم من عرب، وعجم وترك وفرس وليقيم في هذا العالم أمة عظيمة هي الأمة الإسلامية علينا نحن، ـ السنة والشيعة ـ أن نتآخى فيما بيننا، لنقطع الطريق على الساعين لنهب ما لدينا. الوحدة واجب على جميع المسلمين، لو أن الشعوب المسلمة والتي يبلغ تعدادها المليار نسمة تقريباً اتحدت مع بعضها وتآخت لتعذر على أعدائهم إلحاق الضرر بهم.

إنني أمد يدي وبمنتهى التواضع نحو جميع التجمعات العاملة لخدمة الإسلام، طالباً إليهم السعي لتحقيق الاتحاد في ما بينهم في جميع المجالات.

لقد بذلت ـ وما زلت ـ قصارى جهدي من أجل تحقيق الوحدة، لا تكثروا من الدعوة الى الوحدة قولاً ثم تتركوا السعي في تحقيقها عملاً، اتحدوا عملياً فأنتم أخوة، لنكن إخوة فالخصام صفة أهل جهنّم، إن سرّ الإنتصار يكمن في وحدة الكلمة، إن حاجتكم اليوم إلى وحدة الكلمة أمسّ من الأمس، وغداً أمسّ من اليوم.

إن المسلمين جميعاً أخوة متكافئون، لا إنفصال لأي منهم عن الآخر وعيهم جميعاً الانضواء تحت راية الإسلامة وراية التوحيد.

الإمام الخامنئي يتبنّى هذه الأقوال حرفياً، ويعتبرها جزءاً لا يتجزّأ من معتقده»[1].

مسالة القدس

قال الإمام الخامنئي:

«إن مسألة القدس هي مسألتنا القديمة، وقد قلنا مراراً، إنها مسألتنا الاستراتيجية، فنحن لا نتكلم عن القدس في وقت ما من أجل مصلحتنا، فالقدس بالنسبة لنا مثل مدينة طهران ومشهد، إنها بيتنا، ولا ندعي ملكية القدس، ولا نسمح بأن يؤخذ هذا الكلام مستمسكاً على أن إيران تريد القدس ويبدو أنه قد قيل في مؤتمر «فاس» ان إيران تريد الإستيلاء على القدس هم إخواننا وهم مسلمون ومدينة القدس لأهل القدس وهي مدينة إسلامية، وكما أننا نعتبر مدن اصفهان، وشيراز، وطهران ومشهد مدناً إسلامية، وعندما كانت بأيدي العدو، كنا نحاول إخراجها من سيطرته، كذلك بالنسبة لمدن فلسطين، القدس وكل المدن الموجودة نشعر بأنها مدن إسلامية تقع تحت سيطرة أعداء الإسلام، ويجب أن تخرج من أيديهم، وتُعطى لأهلها، وطبعاً أهلها ليسوا كلهم من المسلمين، ولكن أكثرهم مسلمين، ويمكن أن يتعايش المسلمون والنصارى واليهود هناك، ونعتقد بأن على الدول الإسلامية أن تقوم بحركة جدّية ضد العدو الصهيوني»[2].

الأمـــة

قال الإمام الخامنئي: إن ثورتنا ليس ثورة قومية جافة وفارغة، طبعاً كنا نريد أن نحرر إيران، ونبني نظاماً حراً بدل النظام الاستعبادي والإستبدادي

---

(١) الكلمات القصار للإمام الخميني ص١٣٣ ـ ١٣٨.

(٢) آراء القائد ـ الإمام الخامنئي ص١٧٨ ـ ١٧٩، دار الهادي.

والإستغلالي السابق، كنا نريد أن يصل المستضعفون إلى الإمامة ولكن الإمامة تقترب بالأمة.

والأمة هي تلك المجموعة التي لها جهة واحدة فما هي تلك الجهة؟ وما هو المعيار الذي تسعى على ضوئه هذه الجماعة نحو تلك الجهة؟ هذه مسائل يجب أن يوضحها الإسلام لنا لأن الإسلام هو أيديولوجيتنا[١].

الوحدة على أساس الإسلام الصحيح

قال الإمام الخامنئي: الإسلام هو أيديولوجيتنا، . . . علينا أن نسعى لكي لا نطبق الأفكار الإسلامية على المعايير والضوابط غير الإسلامية، وهذه قاعدة مهمة جداً. . . تعرفون أننا قد تعرضنا إلى التحريف سنين، وقد تعرض إدراكنا وفهمنا إلى التحريف في أكثر المفاهيم والمصطلحات لقاموس الإسلام ان لم أقل في جميعها. . . لماذا لم يفهم الإسلام بشكل صحيح في الماضي؟ إن السبب الرئيسي والأساسي ولعله الأهم هو أن الأفكار الإسلامية اختلطت بالثقافات الأخرى الغربية الغريبة عن روح الإسلام، كان المفكر الإسلامي يدخل الإسلام بأرضية ذهنية خاطئة، فيفهم الإسلام خطأً، كان المفكر الإسلامي يدخل الإسلام بذهن ممزوج بأفكار المتكلمين مثل الأشعرية أو المعتزلة يدخل الإسلام بذهن ممزوج بالأفكار الفلسفية اليونانية ويفهم الإسلام بشكل آخر. . .

نحن اليوم في حالة ولادة فكرية، وتلك النطفة الفكرية الإسلامية المنفتحة، قد بدأت تأخذ بالانفلاق حالياً، وفي هذه المرحلة من اللازم أن نبعد أنواع العروق الأجنبية عن هذه النطفة. . .».

. . . الإسلام نفس الإسلام، النبوة نفس النبوة، التوحيد نفس

---

(١) آراء القائد ص٥٠.

التوحيد، ولكن الشيء الذي نفهمه اليوم عن التوحيد وعن النبوة يختلف تماماً عن الشيء الذي كانوا يفهمونه قبل خمسة قرون... يجب أن نسعى إلى أن نفهم الإسلام بشكل صحيح، ولا توجد أرضية في أذهاننا من الثقافات والعقائد الأجنبية لفهم الإسلام، ولا نخلط الإسلام بالعروق الأجنبية والخلاصة أن نفهم الإسلام ولا شيء آخر سواه...»[1].

تهمة تصدير الثورة تعيق من الاستفادة من اندفاع إيران الإسلامية نحو الوحدة

«من الأمور التي أثارت ارتياب ومخاوف الأنظمة المجاورة، ووحدت بينها على الرغم من الخلافات، ودفعتها للوقوف صفاً واحداً بوجه الحكومة الإسلامية الإيرانية هو تصديق تلك الأنظمة بشائعة مفادها أن إيران تنوي تصدير ثورتها الى الدول المجاورة وإلى العالم الإسلامي كله، وأنها تنوي من خلال الدعوة إلى الإسلام وإلى الوحدة الإسلامية السيطرة على العالم الإسلامي كله.

ولقد أثارت هذه الشائعة ردّة فعل تركت آثاراً عميقة وجراحات تحتاج إلى عقود من الزمن حتى تندمل، وحوّلت إيران من دولة مظلومة حقيقة إلى دولة ظالمة، ومن ضحية إلى معتدية، ومن حسن الحظ أن هذا التحول كان إعلامياً، ولم يكن له أساس في الواقع الملموس.

وشائعة تصدير الثورة من اختلاق الدول الكبرى «أو التي يسميها الإمام الخامنئي بدول الهيمنة، تلك الدول التي فقدت مواقعها ومصالحها في إيران فحاولت بكل قواها أن تجهض الثورة، وأن تحرفها عن مسارها، أو تستبدل أهدافها الخطرة على هذه الدول الكبرى، إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً، مما اضطرها للتفكير بطرق وأساليب شيطانية تستطيع من خلالها الوقيعة بين

---

(١) آراء القائد ـ للإمام الخامنئي ص٥٥ ـ ٥٦.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وبين شقيقاتها الدول الإسلامية وذلك لتوفر الدول الكبرى على نفسها مشقة الخوض بصراع جديد مع الثورة الإسلامية، لا تعرف عواقبه، ولا تضمن نتائجه، وهي غير مستعدة لدفع تكاليفه الباهظة.

ولو أن الجمهورية الإسلامية في إيران ودول العالمين العربي والإسلامي قد بذلت قليلاً من الجهد لما وقعت بالشرك الذي نصبته الدول الكبرى، ولكانت بغنى عن المواجهة في ما بينها مع ما جرّته هذه المواجهة من آثار مؤلمة للطرفين، إيران والدول الإسلامية على حدّ سواء، وعلى العكس فقد كان ينبغي على الدول العربية خاصة أن تتقبّل الثورة الإيرانية بقبول حسن، لأن إيران دولة عظمى وقد انتقلت من سياسة معادية واقعياً للعرب إلى سياسة جديدة موالية للعرب.

الحكومة الاسلامية في إيران وتهمة تصدير الثورة

دولة الحكومة الإسلامية في إيران لم تفكّر على الإطلاق بتصدير الثورة إلى أي مكان، لأنه كما قال الرئيس هاشمي رافسنجاني «فرض الثورة على الناس أمر مرفوض، فضلاً عن أنه متعذّر، وكان هدف الثورة الإيرانية أن توصل صوتها إلى الناس، وهذا هدف لا تجد الثورة حرجاً من الجهر به والسعي إليه ما وجدت إلى ذلك سبيلاً.

ويضيف هاشمي رافسنجاني قائلاً: «إن الدعوة في الإسلام تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، وهو ما نحاول أن نتمثّله، مدركين أننا من خلال هذا الأسلوب نستطيع ليس فقط أن نوصل صوتنا إلى الناس في هدوء ولكن أيضاً أن نوفّر إمكانية الاستماع إليه وقبوله من جانبهم.

ويضيف قائلاً، إن الثورة منذ بدايتها أحيطت بمخططات رهيبة لحصارها وتشويهها من جانب أعداء الثورة وأعداء الإسلام معاً وكان الاعلام الطاغي والمسيطر هو أحد أسلحة تلك المخططات، وقد حاول الأعداء إيهام

من حولنا بأننا نسعى إلى إثارة القلاقل في بلادهم، وقلب الأوضاع بها من خلال مقولة تصدير الثورة، ويتابع هاشمي رفسنجاني قائلاً:

إن بعض الشعوب الإسلامية تعاني من مظالم حكامها، الأمر الذي يدفع البعض من أبناء هذه الشعوب لمعارضتهم بصورة أو بأخرى، ولأن الحكام يرفضون الاعتراف بأن المظالم الواقعة على الناس هي سبب تذمرهم أو معارضتهم، فإنهم يلقون باللائمة على الثورة الإيرانية وينضمون الى القائلين بأننا نحاول تصدير الثورة إلى تلك البلدان.

ويضيف أيضاً: إن عمليات التخريب الداخلية، أو خطف الطائرات تعدّ من قبيل الإرهاب، الذي لا تتردّد الثورة الإسلامية في معارضته، وما جرى في بعض دول الخليج والكويت بالأخصّ من عمليات إرهاب، لم نكن طرفاً فيه بأي صورة، وقد أبلغنا ذلك الى الحكومات المعنية، وأثبتت التحقيقات اللاحقة أن غيرنا هو الذي كان وراء تلك العمليات، إننا لا ندين تفجير مقرّ مشاة البحرية الأمريكية في بيروت، لكننا نعرب عن دهشتنا وإنكارنا لحماقة زرع القنابل في بعض مقاهي الكويت.

قال الدكتور علي شمس الدين أردكاني مساعد وزير الخارجية «لقد تعبنا من إبلاغ حكومات الخليج بأن الذين يتحدثون عن تصدير الثورة في إيران، لا يعبرون عن وجهة نظر الثورة، ولكنهم يمثلون تياراً داخل خط الثورة، وهم لا يدلون ببيانات سياسية، ولكنهم يلقون خطباً حماسية في المناسبات المختلفة فتنقل الوكالات كلامهم على الفور إلى أنحاء العالم، وتركّز عليه بشدة لتخيف الآخرين من الثورة الإسلامية، وفي مقدمتهم أهل الخليج، وكثيرون لا يريدون أن يفهموا أن الثورة ليست خطاً واحداً ولكنها خطوط متنباينة متوازية ومتعارضة أحياناً، وليس لنا حزب له سياسة يعبر عنها كل زعمائه، فكل فقيه حزب مستقل يعبر عن قناعاته وثوريته بطريقته وأسلوبه!!

ويقول أردكاني «هنالك من يقول بتصدير الثورة، لكن تلك المقولات ينبغي أن تحسب لأصحابها أولاً، وأن تُفهم باعتبارها أحد الآراء، وليس الرأي الأوحد، وينبغي أن لا نستكثر على جماعتنا في نشوة الانتصار الكبير أن يتمنوا للعالم الإسلامي ثورة شاملة تعلي كلمة الله، وتقتدي بالثورة الإسلامية.

وأضاف: نحن نتمنّى ذلك لكن الذي أستطيع أن أقطع به هو أننا لا نفعل شيئاً خارج إيران لبلوغ ذلك الهدف، بل ان شواغلنا الملحّة وعلى رأسها الحرب والبناء الداخلي، تمنعنا من فعل شيء حتى لو أردنا ذلك.

وقال أيضاً أن الجدل بين التيارات المختلفة في هذا الصدد حسمه الإمام الخميني في مستهلّ عام ١٩٨٤ عندما طلب من وزير الخارجية أن يعمل من خلال وزارته وسفاراتها على تحسين العلاقات مع جميع الدول باستثناء الولايات المتحدة وإسرائيل وجنوب إفريقيا.

وقال أيضاً إن الجميع قد أبلغوا في أوائل الثمانينات بأن الثورة لا ترغب أن تكون طهران مركزاً لأي نشاط موجّه لأية دولة أخرى في الخارج إلا في حدود الجهد الإعلامي الذي يصبّ باتجاه المطالبة برفع المظالم عن المسلمين عامة، وعن الشيعة خاصة باعتبارهم أقلية لها تاريخ في الاضطهاد.

كان أعلام الثورة قبل سلسلة الاغتيالات، وقبل تصفية أوكار المنافقين مزيجاً من صنع أولياء الثورة ومن صنع أعدائها المندسّين فيها، وكان أولئك الأعداء يتعمّدون نشر الآراء التي تثير العالم ضد الثورة الإسلامية وقادتها الحقيقيين.

في كل دولة من دول العالم تنشر آراء وتمنيّات حول سيادة الرأسمالية التحررية على العالم أو الماركسية الشيوعية، فهل نحمّل تلك الدولة مسؤولية أصحاب تلك الآراء والتمنيات، وهل نتّهمها بتصدير الرأسمالية والشيوعية!!

ثم إن تصدير الثورة تدخّل في شؤون الآخرين، وطالما ردّد الإمام

الخميني «إننا لا نتدخّل في الشؤون الداخلية لأية دولة ولن نسمح لأية دولة أن تتدخّل في شؤوننا الداخلية. . .»[1].

حول تصدير الثورة

قال الإمام الخامنئي:

إنهم لم يدركوا بشكل صحيح معنى تصدير الثورة، أو هم يفسرونه بشكل مغرض فقد قلنا مراراً.

إن تصدير الثورة معناه تصدير ثقافة الثورة، وهذا أملا لا يستطيع شخص أن يحول دونه، أو يستطيع أن يغضّ الطرف عنه، فعندما تدركون حقيقة من الحقائق أو تتعرّفون على شيء جميل فإنكم تسعون إلى عرضه على كل الناس الذين تحبونهم، فعندما يدرك المجتمع الإسلامي حقيقة مجال الإسلام والتوحيد، يرغب أن يفهمه للجميع ولا يمكن لأي شخص أن يقول لماذا تريدون أن تعلموا الآخرين الشيء الذي فهمتموه أنتم فنحن لو لمن نرد أن نعلمه فإن هذه الفكرة وهذه الحفيفة سوف تفرض نفسها بالنتيجة على جميع الناس الراغبين بالمعرفة وسوف تستقرّ في أذهانهم.

وأما أننا نتدخّل في الشؤون الداخلية للآخرين ونقوم بتأجيج الثورة أو أن نقدم على إثارة أوضاع الشغب هناك فهذا ليس معنى تصدير الثورة. . .

إننا لا نريد أن ندفع حركة تحررية أو فئة مسلّحة في بلد من البلدان إلى إسقاط نظام، كلا لا نقوم بهذا العمل، ولا نعتبر هذا العمل من شأن الجمهورية الإسلامية»[2].

---

(١) راجع كتابنا «الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران ص٢٣٩ وما فوق، الطبعة الثانية دار الغدير.

(٢) آراء القائد للإمام الخامنئي ص١٢٠.

قال الإمام الخامنئي في معرض جوابه عن السياسة الخارجية والتعامل الصحيح مع بقية الدول ومعرفة الأصدقاء مِن الأعداء:

يجب الأخذ بعين الاعتبار عدة عناصر، يجب أن ننظم سياستنا الخارجية على أساسها، أو بعبارة أفضل «علاقتنا الخارجية مع الدول».

أحدهما: أن لا نقيم علاقة بالدول غير الإسلامية التي تعادينا، ولكن نقيم مع الذين لا يعادوننا ولا يعتدون علينا وعلى حقوقنا علاقة سلمية.

ثانيهما: بالنسبة للدول الإسلامية نجعل الأصل هو إقامة العلاقات معها وتخليصها من جميع أخطائها، فنحول دون وقوعها في شرك الرزوح تحت قبضة الإستعمار من حيث السياسة الخارجية، وإذا كانت على وشك الوقوع في أحضان الدول الكبرى بسبب مساعدتهم لها فنقدم لها العون، ولا نسمح للمستعمرين بإغراقها، وإذا كانت عرضة لاعلام خاطىء نسعى إلى فضح هذا الاعلام، وإذا كانت علاقة تلك الدولة بشعبها سيئة، نسعى لإقامة العلاقة الحسنة بين تلك الدولة وشعبها، والعامل الأخير عامل حسن الجوار فيجب أن تكون لنا علاقات سلمية مع جيراننا سواء أكانوا مسلمين أو كافرين...، ولكن في الشكل العام والمثالي لنا فإن المطلوب أن تكون لنا علاقات حسنة مع جيراننا»[1].

نكرر مرة ثانية بأن الدستور الإيراني ما هو إلا التعبير القانوني عن أفكار الإمامين الخميني والخامنئي وأركان وقيادة الثورة الإسلامية الإيرانية فكل ما ورد في الدستور الإيراني ما هو إلا تجسيد لفكر الإمامين الخميني والخامنئي. ومن هذا المنطلق نتابع فنقول أن المادة ١٥٢ من الدستور قد نصّت على ما يلي: إن السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلام تقوم... والدفاع عن

(١) آراء القائد للإمام الخامنئي ص١١٩.

حقوق جميع المسلمين، وعدم التبعية للقوى المتسلّطة، وتبادل العلاقات السلمية مع الدول غير المحاربة.

وجاء في المادة ١١ على حكومة جمهورية إيران الإسلامية إقامة سياستها العامة على أساس تضامن الشعوب الإسلامية ووحدتها وأن تواصل سعيها من أجل تحقيق الاتحاد السياسي والاقتصادي والثقافي في العالم الإسلامي.

وجاء في مقدمة الدستور التي تعتبر جزءاً لا يتجزّأ منه ما يلي وبالحرف «ونظراً للمستوى الإسلامي للثورة الإسلامية في إيران التي كانت تستهدف النصر لجميع المستضعفين على المستكبرين، فإن هذا الدستور سيعدّ الظروف لاستمرارية هذه الثورة داخل البلاد وخارجها بالنسبة لتوسيع العلاقات الدولية حيث سيسعى مع سائر الحركات الإسلامية والشعبية إلى بناء الأمة الواحدة في العالم ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ ٢١/ ٩٢ ويعمل على مواصلة الجهاد لإنقاذ الشعوب المحرومة والمضطهدة في جميع أنحاء العالم»[١].

وجاء في مقدمة الدستور «عند تعبئة القوات المسلحة، يتركز الاهتمام على جعل الإيمان والعقيدة أساساً وقاعدة، وهكذا يتم تأسيس الجمهورية الإسلامية وقوات حرس الثورة على أساس الهدف المذكور، ولا تلتزم هذه القوات المسلحة بمسؤولية الحماية وحراسة الحدود فحسب، بل تحمل أعباء رسالتها الإلهية وهي الجهاد في سبيل الله، والنضال من أجل نشر أحكام الشريعة الإلهية في العالم»[٢].

---

(١) راجع مقدمة الدستور ص٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٢ وكتابنا مرتكزات الفكر السياسي ص٢٧٦.

(٢) مقدمة الدستور ص٣٢.

نداء إلى جميع المسلمين

قال الإمام الخامنئي:

إحدى البركات التي منّ الله تعالى بها على المسلمين هو أن جعلهم يلتقون حول محاور مشتركة مقبولة لديهم، وإذا ما توفّرت مثل هذه الغاية لمجموعة ما فعليهم أن يعتبروها من نعم الله التي توجب الشكر، وعلى هذا الأساس نعتقد اعتقاداً جازماً بأن الأمة الإسلامية الكبرى، والأخوة والأخوات من أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة يجب أن لا يدعو الاختلاف يدخل في تعاملهم مع بعضهم، وأن ينظروا بعين الاهتمام إلى المشتركات التي تجمع بينهم ويلتفّوا حول بعضهم.

لقد حملت الثورة الإسلامية هذا النداء إلى جميع المسلمين قبل انتصارها، واستمرت من بعد انتصارها حتى يومنا هذا توصي وتطلب من جميع الأخوة المسلمين في مختلف بقاع الأرض أن يعملوا على توحيد وتلاحم الأمة الإسلامية بعيداً عن الاختلافات العقائدية والمذهبية والكلامية والفقهية، ويقفوا صفاً واحداً بوجه العالم الذي يناهض الإسلام بشدة، ويسخروا مما يبلغونه من وحدة وعظمة لصالح الإسلام والمسلمين.

ومن هذا المنطلق جاء اجتماع الأخوة من أتباع مذهب أهل البيت، إذ لم يأت في سبيل مجابهة غيرهم من المسلمين، أو لاصطناع الحواجز بين أتباع المذاهب الفقهية والكلامية، وإنما جاء في سبيل الحفاظ على كيان أتباع أهل البيت.

أتباع أهل البيت مظلومون في معظم بقاع العالم. . . ومظلومية الشيعة لا تنحصر في الأماكن التي يكونون فيها أقلية. . . وسبب ذلك هو أن مذهب أهل البيت قد قام منذ البداية بمكافحة التحريف، ومجابهة محاولات تطويع الاسلام لرغبات السلطات الحاكمة، ومن يتقصّى حياة الأئمة يلمس هذه

الحقيقة جليّة فيها، حيث كانوا في عهد خلفاء بني أمية وبني العباس كالأعلام والرايات الدالة على الإسلام الحقيقي النقي من التحريف، وهو الإسلام الذي لم تكن السلطة قادرة على الأنقاص منه، أو إضافة شيء إليه في سبيل بسط هيمنتها أو ضمان مصالحها وترفها. . . لا نقول أن الشيعة هم وراء ذلك لوحدهم بل يمكن العثور على امتداد التاريخ على أمثلة لمن كانوا يضعون الأحاديث ويحرّفون تفسير الآيات القرآنية الشريفة خدمة لأغراض بعض السلاطين والحكّام فكان الأئمة يجابهونهم، والظلم يقع على كل من يقف بوجه ذلك التحريف. . .

نحمد الله أن أصبح لواء مقارعة أعداء الإسلام اليوم بيد أتباع مذهب أهل البيت، وبيد هذا الشعب الإيراني العظيم الشجاع الذي لا يخشى أحداً غير الله. . .

الشعب الإيراني يسير فقط نحو أداء تكليفه ومسؤوليته ومواصلة طريقه النيّر ويحارب الشياطين ويقف بوجه مطامعهم. . .»[١].

---

(١) الشيعة والوحدة للإمام الخامنئي بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي لأهل البيت.

الفصل الثالث

الحقوق الأساسية، والحرية، والمرأة في فكر الإمام الخامنئي

الحقوق الأساسية للأفراد في فكر الإمام الخامنئي

تحدث الإمام الخامنئي عن الحقوق الأساسية للأفراد المتعارف عليها في المجتمعات البشرية، وعالجها من خلال رؤياه الكونية، ثم تمت ترجمة هذه الحقوق إلى واقع قانوني، وشقت طريقها إلى التطبيق في دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لأن هذاالدستور نفسه ما هو إلا ترجمة قانونية لأفكار الإمامين الخميني والخامنئي.

لقد تضمن الدستور الإيراني النص على بعض هذه الحقوق بعينها، ربما إعلاءً لشأنها، وتأكيداً على خصوصياتها وأهميتها وربما تأثراً بالدساتير المعاصرة التي دأبت على إفراد فصل من كل هذه الدساتير ليكرّس الحقوق الأساسية للأفراد، مع أن الوضع في نظام الحكومة الاسلامية مختلف جداً، في كل قاعدة من قواعد الشريعة الإسلامية، تكريس ملحوظ لحق الفرد، وتكريس ملحوظ لحق الجماعة وتكريس ملحوظ لحق السلطة، إذ يتعذر تماماً الفصل بين الحقوق الفردية والحقوق العائدة للجماعة والحقوق العائدة للسلطة فكل قاعدة من قواعد الشريعة معدة على أساس صيانة كل حق من هذه الحقوق، وعلى أساس أنها المسرب الوحيد للغاية الشرعية التي وضعت

من أجلها تلك القاعدة القانونية، وبالنتيجة فإن الشريعة الإسلامية وأية قاعدة من قواعدها تؤدي بالنتيجة إلى حماية كافة حقوق الأفراد وحقوق الجماعة وحقوق الدولة المنبثقة عن الجماعة، وتشمل مع هذا القدر المنسجم حوافز تحرّك الأفراد والجماعة والدولة على خط واحد، ولهدف واحد. وعلى أي حال فإنه لا حرج لو أبرز الدستور الإسلامي الإيراني ما اصطلح وضعياً على تسميته بالحقوق الأساسية للأفراد، ولذلك فإننا سنجاري الدساتير المعاصرة، ونبرز ما أبرزه الدستور الإسلامي الإيراني على أنه حقوق أساسية للأفراد.

جاء في المادة ١٥٤ من الدستور الإسلامي الإيراني ما يلي:

تعتبر جمهورية إيران الإسلامية سعادة الإنسان في المجتمع هدفاً رئيسياً لها، وتعتبر الإستقلال والحرية وإقامة حكومة.

١ ـ الحق والعدل حقاً لجميع الناس في كافة أرجاء العالم وعليه فإن جمهورية إيران الإسلامية تقوم بحماية النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين، في أية نقطة من العالم.

وجاء في المادة ٥٦ من الدستور: السيادة المطلقة على العالم وعلى الإنسان لله تعالى.

٢ ـ وهو الذي منح الإنسان حق السيادة على مصيره الاجتماعي، ولا يحق لأحد سلب هذا الحق الإلهي أو استغلاله، والشعب يمارس هذا الحق بالطرق المبيّنة في الدستور.

٣ ـ جاء في المادة الثانية من الدستور ما يلي: . . . الإيمان بكرامة الإنسان وقيمته الرفيعة وحريته الملازمة لمسؤوليته أمام الله.

وأنت تلاحظ من هذا النص أنه في حالة انعدام الحرية فإن الفرد ليس مسؤولاً لا أمام الله ولا أمام الجماعة، ولا أمام الدولة، وهذه قمة تجتاح

الدساتير الوضعية لمدة طويلة حدّ تبلغ شأوها، وهذه القاعدة مكرّسة بالشريعة الإسلامية ومدعّمة بمئات النصوص التي تعتبر هذه القاعدة من أساسيات الحياة.

٤ ـ يجب أن تدار شؤون البلاد في جمهورية إيران الإسلامية بالاعتماد على رأي الأمة الذي يتجلّى بانتخاب رئيس الجمهورية وأعضاء مجلس الشورى، وأعضاء سائر مجالس الشورى ونظائرها، أو عن طريق الاستفتاء في المواد التي نصّ عليها الدستور.

والأمة هي مجموعة الأفراد، وهذه المادة تكرّس حق كل فرد بالاشتراك بإقامة السلطة أو حكم نفسه عن طريق الإنتخاب.

٥ ـ وجاءت المادة ١٩ من الدستور لتبيّن ما يلي وبالحرف «يتمتع أفراد الشعب الإيراني من أية قومية أو عشيرة كانوا بالمساواة في الحقوق ولا يعتبر اللون أو العنصر أو اللغة أو ما شابه ذلك سبباً للتمييز.

٦ ـ ونصّت المادة ٢٠ من الدستور الإيراني على ما يلي: حماية القانون تشمل جميع أفراد الشعب رجالاً ونساءً، بصورة متساوية وهم يتمتعون بجميع الحقوق الإنسانية والسياسية والاقتصادية والثقافية ضمن موازين الإسلام.

حقوق المرأة والأسرة

٧ ـ ونصّت المادة ٢١ على ما يلي: الحكومة مسؤولة في إطار الإسلام عن تأمين حقوق المرأة في كافة المجالات وعليها القيام بما يلي:

١ ـ إيجاد الظروف المساعدة لتكامل شخصية المرأة وإحياء حقوقها المادية والمعنوية.

٢ ـ حماية الأمهات ولا سيّما في مرحلة الحمل وحضانة الطفل ورعاية الأطفال الذين لا معيل لهم.

٣ ـ إيجاد المحاكم الصالحة للحفاظ على كيان الأسرة واستمرار بقائها.

٤ ـ توفير تأمين خاص للأرامل والنساء العجائز وفاقدات المعيل.

٨ ـ شخصية الأفراد وحياتهم وأموالهم وحقوقهم ومساكنهم ومالهم مصونة من التعرض إلا في المواد التي يجيزها القانون (م٢٢).

٩ ـ العقائد مصونة ولا يجوز التعرض لأحد لمجرد اعتناقه عقيدة معينة (م٢٣).

١٠ ـ حرية الصحافة والمطبوعات مكفولة ما لم تخلّ بالقواعد الإسلامية والنظام العام (م٢٤).

١١ ـ الرسائل والمكالمات الهاتفية والمخابرات البرقية والتلكس لا يجوز فرض الرقابة عليها أو منع إيصالها أو إفشائها إلا بقانون (م٢٥).

١٢ ـ الأحزاب والجمعيات والهيئات السياسية والنقابية والهيئات الإسلامية والأقليات الدينية المعترف بها تتمتع بالحرية بشرط أن لا تتعارض أو تناقض أسس الإستقلال والحرية والوحدة الوطنية والقيم الإسلامية، وأساس الجمهورية كما أنه لا يمكن منع أي شخص من الاشتراك فيها أو إجباره على الاشتراك في إحداها (م٢٦).

١٣ ـ يجوز عقد الإجتماعات والمسيرات بدون حمل السلاح ويشترط أن لا تكون مخلّة بالأسس الإسلامية (م٢٧).

١٤ ـ لكل شخص الحق في اختيار المهنة التي يرغب فيها ما لم يخالف الإسلام أو المصالح العامة أو حقوق الآخرين، والحكومة مسؤولة عن توفير فرص العمل للجميع، وإيجاد الظروف المتكافئة للحصول على العمل (م٢٨).

١٥ ـ على الحكومة أن توفر وسائل التربية والتعليم بالمجّان لكل أفراد الشعب حتى نهاية المرحلة المتوسطة، وعليها أن توسع مجال التعليم العالي بصورة مجّانية حتى تبلغ البلاد حدّ الاحتفاء الذاتي (م٣٠).

١٦ ـ الضمان الاجتماعي من الحقوق العامة يتمتع به الجميع في مجال التقاعد والبطالة والشيخوخة والعجز عن العمل وفقدان المعيل، وحالة ابن السبيل والحوادث الطارئة والخدمات الصحية كافة (م٢٩).

١٧ ـ امتلاك المسكن المناسب عند الحاجة حق لكل فرد إيراني، ولكل أسرة إيرانية، والدولة ملزمة بتنفيذ هذه المادة حسب أولوية الأكثر حاجة إلى السكن سيّما أهل القرى والعمال (م٣١).

١٨ ـ لا يجوز اعتقال أي شخص إلا بحكم القانون، وبالطريقة التي يعينها، وعند الاعتقال يجب تفهيم المتهم فوراً، وإبلاغه تحريراً بموضوع الاتهام مع ذكر الأدلّة، ويجب إرسال ملف التحقيقات الأولية إلى المراجع القضائية المختصة خلال ٢٤ ساعة كحد أقصى ويلزم بإعداد مقدمات المحاكمة بأسرع وقت ممكن ومن يفعل خلاف هذه المادة يعاقب وفق القانون (م٣٢).

١٩ ـ لا يجوز إبعاد أي شخص عن محل إقامته أو منعه من الإقامة في مكان يرغب فيه أو إجباره على الإقامة في محل ما إلا في المواد التي يقررها القانون (م٣٣).

٢٠ ـ التحاكم حق مسلّم به لكل واحد، ويجوز لكل فرد مراجعة المحاكم المختصة، ويجب تيسير ذلك لكل أفراد الشعب، ولا يجوز منع أحد من مراجعة المحاكم التي يحق له مراجعتها وفق القانون (م٣٤).

٢١ ـ لكل من طرفي الدعوى الحق في اختيار محام عنه في جميع المحاكم، وإذا تعذّر عليه ذلك يلزم توفير إمكانية تعيين من يدافع عنه أمامها (م٣٥).

٢٢ ـ لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص وتختص المحاكم ذات الصلاحية بإصداها.

٢٣ ـ الأصل البراءة فالمتهم بريء حتى تثبت إدانته من قبل المحكمة المختصة (م٣٧).

٢٤ ـ يمنع أي نوع من التعذيب لأخذ الاعتراف أو الحصول على المعلومات ولا يجوز إجبار الشخص على أداء الشهادة أو الإقرار أو اليمين، ومثل هذه الشهادة أو الإقرار أو اليمين لا يعتد بها (م٣٨).

٢٥ ـ يمنع انتهاك كرامة أو شرف من أوقف أو سجن أو أبعد بحكم القانون والمخالف يستحق العقوبة (م٣٩).

٢٦ ـ لا يحق لأحد أن يجعل من ممارسته لحق من حقوقه وسيلة للإضرار بغيره أو الاعتداء على المنافع والمصالح العامة (م٤٠).

٢٧ ـ الجنسية الإيرانية حق لكل فرد ولا يجوز للحكومة سحب الجنسية من أي إيراني إلا في حالة طلبه أو في حالة حصوله على جنسية دولة أخرى (م٤١).

٢٨ ـ توفير الحاجات الأساسية للجميع وهي السكن والمأكل والملبس والوقاية من المرض والعلاج والتربية والتعليم والامكانيات اللازمة لتشكيل الأسرة وتوفير فرص وإمكانيات العمل للجميع بهدف الوصول إلى التشغيل الكامل وكذلك وضع وسائل العمل تحت تصرّف جميع الأشخاص القادرين على العمل والفاقدين لوسائله وذلك بصورة تعاونية عن طريق الإقراض بدون فائدة أو أي طريق مشروع آخر (م٤٣).

٢٩ ـ كل فرد يملك حصيلة كسبه وعمله المشروع ولا يجوز لأحد على أساس ملكيته لكسبه وعمله أن يمنع عن الآخرين القدرة على الاكتساب والعمل (م٣٦).

٣٠ ـ الملكية الخاصة عن طريق مشروع مصونة والقانون يتولى تطبيق ذلك (م٤٧).

٣١ ـ لا تفرض أية ضريبة إلا بموجب القانون ويتولى القانون تحديد مجالات الإعفاء من الضرائب أو خفضها»[١].

معالم الحرية في فكر الإمام الخامنئي

وقد توقف الإمام الخامنئي عند مصطلح الحرية من خلال رؤياه الكونية، فعالج هذا المصطلح معالجة شمولية، بأسلوب علمي وواضح، ونحن نضع تحت تصرّف عشّاق الحقائق المجرّدة المعالم الرئيسية التي عالج من خلالها الإمام الخامنئي فكرة الحرية.

مفهوم الحرية

قال الإمام الخامنئي: إن مسألة الحرية هي من الأمور التي أكد عليها القرآن الكريم وكلام الأئمة، وتكرر التأكيد عليها... وتعبير الحرية ليس المقصود الحرية المطلقة التي لا يؤيدها أحد في الدنيا... والمقصود من كلمة الحرية هي الحرية الاجتماعية أو الحرية التي هي بمثابة حق إنساني في التفكير والقول والاختيار.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

الرسول يرفع الغل والقيود عن أعناق البشر، والأمر يعني الإلتزامات

(١) راجع كتابنا مرتكزات الفكر السياسي ص٢٨٠ وما فوق.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

المفروضة على البشر من عقائد باطلة وخرافية وكثير من القيود الاجتماعية الخاطئة. . . وهكذا بالنسبة للأغلال والقيود»

الحرية الإجتماعية مفهوم إسلامي

قال الإمام الخامنئي: لاحظوا أن الحرية الاجتماعية بمعناها الذي اصطلح عليه في الثقافة السياسية العالمية الحاضرة لها جذور عميقة في القرآن، ولا داعي لأن تراجع الليبرالية الغربية في أوروبا إبان القرن الثامن عشر وتنشر ما قال «كانت» و«جان استيوارت مل». . . فالحرية هي مفهوم إسلامي. . .

هنالك جماعتان تعملان وتتعاونان معاً لمواجهة أسلمة مفهوم الحرية وإعطائها هوية محلية:

١ ـ **الجماعة الأولى**: هم أولئك الذين يأتون في كلماتهم دوماً بشواهد مما قاله فلاسفة القرون الماضية في الغرب. . . فيساهمون بإيجاد تصور بأن مفهوم الحرية الاجتماعية هو فكر غربي وقد أهدانا إياه الغرب!!. . .

٢ ـ **الجماعة الثانية**: فهي تقدم العون للجماعة الأولى دون أن تدري، لأنهم ما أن تطرح كلمة الحرية حتى يدبّ الرعب فيهم ويملأهم الخوف ويصرخون ذهب الدين. . .

يقول الإمام الخامنئي: كلا إن الدين هو أكبر داعية للحرية، فلماذا يذهب الدين، إن الحرية الحقيقية والحرية المعقولة هي أهم هدية يقدمها الدين لشعب، ببركة الحرية تنمو الثقافات وتتفتح الطاقات وتتفجر. الإستبداد هو الذي يعادي الاستعداد. . . إن الطاقات الإنسانية يجب أن تستخرج كما تستخرج الطاقات الطبيعية، لتتمكن تلك الطاقات من إعمار الدنيا، وهل يمكن ذلك دون الحرية، . . .

والخلاصة إن مفهوم الحرية مفهوم إسلامي، . . . والإسلام يولي هذه الحرية اهتماماً أكثر من المذاهب الفردية.

مفهوم الحرية في الغرب

يقول الإمام الخامنئي:

. . . منذ نشأت الحرية في فرنسا، ثم في أوروبا، ثم انتشرت في العالم وحتى الثورة الفرنسية، وحروب الاستقلال الأمريكية، والبيان الأمريكي للحرية وحتى يومنا هذا، فإن الليبرالية أظهرت عدة تفاسير وتحاليل للحرية وهم يعانون مشكلة في تقديم فلسفة الحرية، لماذا يجب أن يكون البشر أحرار وما هي فلسفة الحرية؟ وقد قيل الكثير، الفائدة، والخير العام، واللذة العامة، واللذة الفردية، والحد الأقصى لكل حق من الحقوق المدنية. . . وهذه كلها قابلة للطعن. . . وما كتب حول هذا الموضوع هو كلمات تستهلك الوقت ولا طائل ولا فائدة منها.

والحد الأقصى الذي بلغته تلك البحوث والتفاسير حول منشأ الحرية وفلسفة الحرية هي أنها حق إنساني.

مفهوم الحرية في الإسلام

يقول الإمام الخامنئي:

الإسلام يعتبر الحرية أمراً فطرياً لدى الإنسان، نعم إنه حق، ولكنه أسمى من سائر الحقوق، كحق الحياة وحق العيش، وكما أن حق الحياة لا يمكن أن يعد في مستوى حق المسكن وحق الاختيار وغير ذلك، بل انه أسمى من كل ذلك وهو الأساس لكل الحقوق، وكذلك هي الحرية في الإسلام. . .

وبناءً على هذا فإن من الخطأ أن تتصوروا أن فكرة الحرية الإجتماعية مهداة لنا من قبل الغرب.

الفرق بين الحرية في منطق الإسلام والحرية في منطق الغرب

يقول الإمام الخامنئي:

وأشير في هذا المجال إلى فرقين أساسيين أو ثلاثة بين الحرية في منطق الإسلام والحرية في منطق الغرب.

١ ـ في رسالة الغرب الليبرالية: تعد حرية الإنسان مجردة عن حقائق اسمها الدين والله لهذا فهي لا تعتبر أن الحرية عطاء رباني، ولا تعتقد أن الله قد أعطى الإنسان حريته، لذلك هي تبحث عن منشأ وأسس فلسفية للحرية... استناداً لمنطق الإسلام فإن التحرك ضد الحرية يعد تحركاً ضد ظاهرة إلهية، وهو يستدعي بالمقابل وجود تكليف ديني.

أما في الغرب فإن هذا الأمر لا وجود له.

الحرية في الفكر الإسلامي

في الفكر الإسلامي ليس الأمر هكذا، فالمواجهة من أجل الحرية تكليف، لأنه نضال من أجل أمر إلهي، كذلك إذا رأيت شخصاً تسلب روحه فمن واجبك أن تتوجه لمساعدته، إنه واجب ديني، وإذا لم تؤديه تكون قد أذنبت، وهكذا الأمر بالنسبة للحرية، عليك أن تتوجه لمساعدته لأنه واجبك.

وتتشعّب من هذا الفارق فوارق.

أ ـ الليبرالية الغربية تعتبر أن الحقيقة والقيم الأخلاقية نسبية، ولهذا يعتبرون أن الحرية غير محدودة، لماذا؟ لأنك إذا كنت تعتقد مجموعة من القيم الأخلاقية وهاجم شخص آخر هذه القيم فليس لك حق في توجيه اللوم له، وعلى هذا فإنه ليس للحرية حد، لماذا؟ لأنهم لا يعتقدون بوجود حقيقة ثابتة...

في حين أن الحرية في الاسلام ليست كذلك، لأن في الإسلام قيم مسلمة وثابتة والتحرك باتجاه تلك الحقيقة قيمة بحد ذاته وكمال، وعلى هذا فإن الحرية محدودة بهذه القيم. . .

القيم الأخلاقية لا تشكل في الغرب أي مانع للحرية!!

يقول الإمام الخامنئي:

القيم الأخلاقية لا تشكل هناك أي مانع للحرية، فمثلاً حركة الشذوذ الجنسي في أمريكا هي من الحركات الرائجة، ويفخرون بذلك، ويقيمون التظاهرات في الشوارع، ويفخرون بأن التاجر الفلاني والرجل الفلاني والسياسي الفلاني هم من أعضاء الحركة، ولا يخجل أحد بذلك، ولا ينكره أحد، بل أكثر من ذلك فإن الصحف وسائر المطبوعات تشنّ هجوماً شديداً ضد بعض الأشخاص لمعارضتهم لهذه الحركة، ويستهجنون وجود معارض لحركة الشذوذ الجنسي. . .

هناك مثال آخر في الدول الأوروبية «إن حرية البيان تقف عند حد الترويج للفاشية، لأنه أمر مادي وحكومي!! أما الترويج للعراة فإنه لا يحدّه شيء، فحدود الحرية في الغرب حدود مادية وليست حدوداً أخلاقية.

أما في الإسلام فإن هنالك حدود أخلاقية أيضاً، فالحرية في الإسلام لها حدود معنوية مضافة إلى تلك الحدود المادية.

لا حرية للكذب

قال الإمام الخامنئي:

لا حرية للكذب، لا حرية لبثّ الشائعات لا حرية للإرجاف قال تعالى ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ فقد ذُكر المرجفون إلى جانب المنافقين ومرضى القلوب، وهم بدورهم

جماعتين، فالمنافقون جماعة، ومرضى القلوب جماعة أخرى، وجعل المرجفين إلى جانب أولئك. . .

تنافي الحرية عند الغرب مع التكليف

يقول الإمام الخامنئي:

الفرق الآخر هو أن الحرية تتنافى في الفكر الليبرالي الغربي مع التكليف فالحرية عندهم تعني التحرر من التكليف.

في حين أن الإسلام يضع الحرية على سكة التكليف، بل أساساً الناس أحرار لأنهم مكلّفون، ولو لم يكونوا مكلّفين لما لزمت الحرية بل كانوا كالملائكة.

فالحرية بهذه القيمة أعطيت للإنسان من أجل التكامل ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

ففي الغرب بلغوا حداً من نفي التكليف جعلهم يرفضون الفكر الديني، بل وحتى الأفكار غير الدينية وكل العقائد التي تقول بالواجب والحرام.

الإسلام يعتبر أن الحرية مصحوبة ومتلازمة مع التكليف الإنساني، ليتمكن الإنسان بهذه الحرية أن يؤدي تكاليفه بشكل صحيح ليقوم بأعمال كبيرة، ليكون اختياره كبيراً ويتمكن من التكامل. . .

مقولة الحرية هي مقولة إسلامية

يقول الإمام الخامنئي:

إن ما أريد تلخيصه اليوم هو أن مقولة الحرية هي مقولة إسلامية، وعلينا أن نتدبّر فيها إسلامياً، وأن نعتقد جميعاً بنتائج ذلك على أساس أنها حركة إسلامية وتكليف شرعي، وأن نقدر ما هو موجود في ساحة المجتمع،

وأن نستفيد منه أقصى الإستفادة. . . »[1].

المرأة في فكر الإمام الخامنئي

لولا المرأة لما انتصرت الثورة

يقول الإمام الخامنئي: ان المرأة من بعد انتصار الثورة قد حظيت بالتكريم وكان رائد هذا التكريم والسباق إليه هو الإمام القائد الذي كان يحترم المرأة الإيرانية المسلمة كمال الاحترام، وهذه النظرة هي التي استقطبت النساء لمناصرة الثورة الإسلامية، بحيث يمكن القول أنه لولا مشاركة النساء لكان من المحتمل أن لا يكتب النصر بتلك الكيفية أو لا تنتصر أساساً، أو تعترضها مشاكل أخرى، وعلى هذا الأساس أدى حضور النساء إلى تهافت المعوقات أمام طريق الثورة، وهكذا كان موقفها أيضاً طوال فترة الحرب، وفي كافة قضايا الثورة الأخرى منذ انطلاقتها وحتى الآن.

الغاية من السعي والكفاح من أجل المرأة

يقول الإمام: إننا نسعى ونكافح ونقول من أجل بلوغ المرأة كمالها أي أن تنال المرأة في المجتمع حقوقها الإنسانية والحقيقية أولاً، وثانياً من أجل إزدهار طاقاتها ولتبلغ نضجها الحقيقي والإنساني لتصل في نهاية المطاف إلى كمالها الإنساني، ولتتخذ المرأة في المجتمع صورتها الإنسانية الكاملة، وتصبح إنسانة قادرة على المساهمة في تقدّم الإنسانية وتقدّم مجتمعها، ولتعمل في حدود إمكانياتها لتحويل العالم إلى بناء مزدهر وجميل.

حرية المرأة في الغرب

يقول الإمام الخامنئي: إن الشعار المرفوع في الغرب هو حرية المرأة،

---

(١) مقتطفات من كلمة الإمام القائد التي ألقاها أمام طلاب جامعة إعداد الأساتذة الجامعيين بتاريخ ٣/٩/١٩٩٨، بعنوان نداء الحرية، الوحدة الإعلامية لحزب الله.

. . . ومن المؤسف أن أكثر ما يفهم من الحرية في العالم الغربي هو معناه المغلوط والضار أي التحرر من القيود العائلية، ومن الهيمنة المطلقة للزوج، والتحرر حتى من التزامات الزوج وتشكيل الأسرة، وتربية الأولاد، . . . وليس هذا هو المعنى السليم لحرية المرأة.

موقع المرأة في الغرب

الإفراط

يقول الإمام الخامنئي:

. . . إن الثقافة الغربية في القرون الوسطى وما سبقها وإلى أواخر القرن الحالي كانت تنتظر إلى المرأة على أنها موجود من الدرجة الثانية، وكل ادعاء يخالف هذه النظرة هو إدعاء باطل.

الرجل في الآداب الأوروبية هو السيد وهو المالك لناصية المرأة وما زالت بعض هذه النماذج ماثلة حتى الآن، فعندما تتزوّج المرأة في الغرب تفقد لقبها وتكسب لقب زوجها، . . . ولا تصبح وحدها ملكاً للزوج وإنما تصبح جميع ممتلكاتها ملكاً للزوج أيضاً، وهذا ما لا يمكن للغربيين إنكاره، لأنه في صلب ثقافتهم، بل وحتى روح المرأة كانت تحت تصرّف الزوج، فكثيراً ما يقتل زوجته لأدنى اختلاف يقع بينهما ولا يمكن لأحد أن يتوجه إليه باللوم، . . . وكان قرار الزوج واختيار الزوج بيد الأب. . . وقد استمرت هذه الثقافة تسير على هذه الوتيرة حتى أواسط القرن الحالي. . . وهذا هو الإفراط بعينه.

تفريط الغرب بحق المرأة

يقول الإمام الخامنئي: ففي أوروبا حتى حينما شرّعوا للمرأة حق الملكية فقد كان الدافع إليها وفقاً للدراسات التي أجراها علماء الاجتماع

الأوروبيين هو حاجة المصانع الى المزيد من الأيدي العاملة، في وقت كانت فيه التقنية الحديثة والصناعات وقد اتسع مداها وتطورت، وكان هذا الاجراء بمثابة حافز لاستقطاب الأيدي العاملة التي كانوا يدفعون لها عادة أجور زهيدة. . .

القيود السابقة التي كانت مفروضة على المرأة فجأة تداعت كلها وحلّ محلها حرية مفرطة للمرأة، فنتج عن ذلك الفساد والتحلل الذي تفشّى في الغرب على مدى عقود عديدة.

دعاة هذه الحرية المفرطة كانوا يعتقدون أنهم يقدمون خدمة للمرأة، إلا أنهم في الحقيقة ألحقوا بها أكبر الضرر لأن إشاعة الفساد والتفسخ الخلقي والحرية المطلقة في العلاقات بين الرجل والمرأة أدى إلى زعزعة بناء الأسرة. . . ويباح للمرأة الإتصال برجال من شتّى المشارب بلا أية مؤاخذة، ولا يكون الزوج زوجاً صالحاً ولا الزوجة كذلك، ومن هنا ينهار صرح الأسرة. . .

حركة الدفاع عن المرأة في الغرب كانت حركة مضطربة وبعيدة عن المنطق وقائمة على الجهل ومجردة من القيم الإلهية والإستناد إلى الفطرة. . . فلحقت أضرارها في نهاية الأمر بالجميع رجالاً ونساءً وأكثر ما لحق ضررها بالنساء. إن حركة كهذه غير جديرة بالتقليد.

المرأة في الإسلام

يقول الإمام الخامنئي:

الإسلام يدعو إلى تكامل الإنسان، ولا فرق في هذا عنده بين الرجل والمرأة، وهو يمجّد مكانة المرأة تارة ومكانة الرجل تارة أخرى حسب ما يقتضيه الموقف باعتبارهما يشكلان ركني الكيان البشري وهما لا يختلفان عن بعضهما قيد أنملة من حيث الصفة الإنسانية والبعد الإلهي. . .

الإسلام لا يعير أهمية بجنس الإنسان كأن يكون رجلاً أو امرأة، وإنما المهم لديه هو الأخلاق الإنسانية، وإزدهار الطاقات وأداء التكاليف الملقاة على عاتق كل شخص أو على عاتق كل واحد من الجنسين الذكر والأنثى.

والإسلام يعرف طبيعة كل من الرجل والمرأة حق المعرفة، وينصبّ اهتمام الإسلام على مبدأ التوازن أي رعاية مبدأ العدالة التامة بين أبناء البشر، ومن جملة ذلك التوازن بين الرجل والمرأة.

وينصب اهتمام الإسلام أيضاً على المساواة في الحقوق بيد أن الأحكام قد تتفاوت أحياناً بينهما حسبما تقتضيه الخصائص المتفاوتة بين طبيعتيهما.

هدف الإسلام من الدفاع عن المرأة

يقول الإمام الخامنئي: إن هدف الإسلام في الدفاع عن حقوق المرأة أن لا تقع فريسة الجور، وأن لا يرى الرجل ذاته حاكماً عليها، وأن للأسرة حدوداً وحقوقاً، وللرجل حقوقه، وللمرأة حقوقها، وأن حقوق كل منهما قد جعلت بشكل متوازن وعادل، ونحن نرفض كل أمر مغلوط ينسب إلى الإسلام، ورأي الإسلام في هذا الشأن واضح وبيِّن، ويعتبر حقوقاً متوازنة لكل من الرجل والأنثى في إطار الأسرة.

ما يعتبره الإسلام ظلماً للمرأة

يقول الإمام الخامنئي:

الطبيعة التي أودعت في الرجل والمرأة في ظلّ الجوّ الأسروي، توجب قيام علاقة محبة ومودّة في ما بينهما، ويحدث الظلم إذا طال هذه العلاقة التغيير.

كان يتصرف الرجل في البيت وكأنه المالك، أو ينظر إلى المرأة بعين الاستغلال والاستخدام فهذا ظلم، ومما يؤسف له أن الكثيرين يمارسون هذا الظلم.

وهكذا الحال أيضاً خارج إطار الأسرة، فإذا لم تتوفر للمرأة أسباب الأمن للدراسة والعمل والكسب أحياناً والاستراحة، فهذا ظلم يجب أن يتصدى القانون والمجتمع لكل من يقترفه.

وإذا لم يسمح للمرأة بالتعلم والحصول على التربية السليمة فهذا أيضاً ظلم. وإذا لم تجد نفسها قادرة على التصرف بممتلكاتها الخاصة بحريتها وإرادتها فهذا ظلم.

وإذا فرض على المرأة عند الزواج زوج لا دور لها باختياره، ولم تؤخذ إرادتها ورغبتها فيه بالحسبان فهذا ظلم.

وإذا لم تشبع عاطفتها من تربية أولادها حينما تكون في دارها وفي ظل الأسرة أو حالة الانفصال عن الزوج فهذا ظلم.

وإذا كانت لدى المرأة طاقات في المجال العلمي أو في مجال الاختراع والاكتشاف، أو قدرات سياسية أو اجتماعية ولكن لا يسمح لهذا باستثمار هذه الطاقات فهو ظلم.

قد توجد أنواع من المظالم فيجب إزالتها، ولكن في الوقت ذاته يجب النظر بعين الاعتبار إلى مسؤولية المرأة وإلى مسؤولية الرجل اللذين يتحمّل كل منهما إزاء الآخر مسؤولية تشكيل الأسرة، لأنها موئل سعادة الرجل وسعادة المرأة.

عمل المرأة

يقول الإمام الخامنئي:

إن الإسلام لا يمنع عمل المرأة إلا في حالات استثنائية ولكن المسألة الأساسية للمرأة ليست أن يكون لديها عمل أو لا يكون إنما المسألة الأساسية والتي فقدها الغرب اليوم تتلخّص في استشعارها الأمن والسكينة، وإتاحة

الفرصة لازدهار طاقاتها وأن لا تقع ضحية لظلم المجتمع والزوج والأب وما شابه ذلك هذه هي الحقول التي ينبغي أن يركّز عليها العاملون في مجال قضية المرأة.

نقاط تستدعي الاهتمام

يقول الإمام الخامنئي:

أشير هنا إلى بعض النقاط الأساسية التي تستدعي الاهتمام وهي:

أولاً: تنمية فكر المرأة معنوياً وأخلاقياً، والنساء أنفسهنّ مطالبات في إشاعة الأفكار السليمة بينهنّ، والاتجاه صوب المعارف والمطالعة والشؤون الأساسية في الحياة. . .

ثانياً: إصلاح القوانين حيث أن بعض القوانين التي تتعامل مع الرجل ومع المرأة تتطلّب الإصلاح. هذا يفرض على ذوي الاختصاص دراسة تلك القوانين وإصلاحها.

ثالثاً: ثمة قضية أخرى تستدعي الاهتمام بها وهي وجوب الدفاع الأخلاقي والقانوني عن المرأة خاصة داخل الأسرة، والدفاع القانوني يتم عبر إصلاح القوانين.

رابعاً: جانب العفاف عند المرأة وهو أهم عنصر في شخصيتها يجب أن لا يكون عرضة للإهمال. . . الإسلام يُعنى كثيراً بعفاف المرأة، كما أن عفاف الرجل مهم بطبيعة الحال. . . إن الاهتمام بموضوع العفاف والتمسك بالحجاب من الأمور التي يؤكد عليها الإسلام. . .

خامساً: وهنالك موضوع تربية وتعليم المرأة وهو ما أكدت عليه مراراً.

سادساً: الموضوع الأخير وهو وجوب التصدي لها قانونياً وأخلاقياً لمن يبيح لنفسه التجاوز على المرأة، والقانون يجب أن يتضمن عقوبات

صارمة لمثل هذه المخالفات»[1].

يقول الإمام الخامنئي:

انظروا إلى هذه الآية الشريفة وما فيها عن المرأة والرجل في أجواء الأسرة على وجه الحقوق تقول الآية ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي جعل لكم أيها الرجال نساء، وجعل لكنّ أيّتها النسوة رجالاً ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي ليس من جنس آخر، ولا من مرتبتين متفاوتتين بل من حقيقة واحدة، ومن جوهر واحد ومن ذات واحدة، ومن الطبيعي أنهما يختلفان في بعض الخصائص بسبب تفاوت وظائفهما.

ثم يقول تعالى ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ أي جعلت الزوجية في الطبيعة البشرية لهدف أكبر، وذلك هو الاستقرار والسكينة إلى جانب الزوج ذكراً كان أو أنثى»[2].

---

(١) مقتطفات من كلمة السيد الخامنئي بمناسبة ولادة الصدّيقة الطاهرة ويوم المرأة التي ألقاها ١٩ جمادى الثاني ١٤١٨ في ستاد الحرية الرياضي بطهران.

(٢) مقتطفات من كلمة السيد الخامنئي بمناسبة ولادة الصدّيقة الطاهرة ويوم المرأة التي ألقاها ١٩ جمادى الثاني ١٤١٨ في ستاد الحرية الرياضي بطهران.

فهرس بطائفة من المراجع التي رجعنا إليها

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
١ ـ	الحكومة في الإسلام	الإمام علي الخامنئي	دار الروضة
٢ ـ	آراء القائد	الإمام علي الخامنئي	دار الهادي
٣ ـ	تذكرة لمن يشاء	الإمام علي الخامنئي	دار الهادي
٤ ـ	الولاية	الإمام علي الخامنئي	دار الهادي
٥ ـ	عبر من التاريخ عوام وخواص	الإمام علي الخامنئي	الدار الإسلامية
٦ ـ	الفكر الأصيل	الإمام علي الخامنئي	دار الهادي
٧ ـ	الإمام الخميني كما يراه الإمام الخامنئي	إعداد مركز منارة الإمام المهدي	دار الرسول الأكرم
٨ ـ	خطاب القائد	الوحدة الإعلامية المركزية لحزب الله	إعلام حزب الله
٩ ـ	كلمة رئيس الجمهورية الإيرانية في الجمعية العامة للأمم المتحدة	الإمام علي الخامنئي	سفارة الجمهورية الاسلامية بيروت
١٠ ـ	شخصية الإمام علي في نظر السيد الخامنئي	إعداد مؤسسة قدر الولاية	دار الهادي
١١ ـ	الشيخ المفيد وهوية التشيّع	الإمام علي الخامنئي	مؤسسة الصديق بيروت

١٢ ـ إرشادات وتوجيهات القائد	الإمام علي الخامنئي	دار الهادي
١٣ ـ مرجعية سماحة آية الله العظمى	مكتب الاعلام في الحوزة العلمية في قم	المكتب الإعلامي الإسلامي
١٤ ـ شمس الولاية	مركز بقية الله	الدار الإسلامية
١٥ ـ الحكومة الاسلامية	الإمام الخميني	الدار الإسلامية
١٦ ـ الإمامة والولاية	الإمام علي الخامنئي	الدار الإسلامية
١٧ ـ الوصية الخالدة	آية الله العظمى الإمام الخميني	الدار الإسلامية
١٨ ـ دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية	العلامة الطباطبائي	منظمة الاعلام الاسلامي
١٩ ـ حول الدستور الإسلامي في مواده العامة	الشيخ محمد علي التسخيري	رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية
٢٠ ـ الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران	المحامي أحمد حسين يعقوب	الدار الاسلامية
٢١ ـ الخواص واللحظات المصيرية	آية الله السيد علي الخامنئي	دار الهادي
٢٢ ـ الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت	الإمام علي الخامنئي	الدار الإسلامية
٢٣ ـ رسالة التقريب العدد ١٩ و٢٠ سنة ١٩٩٨	مجلة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية	
٢٤ ـ مرتكزات الفكر السياسي	المحامي أحمد حسين يعقوب	الدار الإسلامية
٢٥ ـ المواجهة مع رسول الله وآله القصة الكاملة	المحامي أحمد حسين يعقوب	الغدير
٢٦ ـ كربلاء الثورة والمأساة	المحامي أحمد حسين يعقوب	الغدير
٢٧ ـ النظام السياسي في الإسلام	المحامي أحمد حسين يعقوب	الدار الإسلامية

٢٨ ـ نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام	المحامي أحمد حسين يعقوب	الدار الاسلامية
٢٩ ـ الهاشميون في الشريعة والتاريخ / طبعة ثانية	المحامي أحمد حسين يعقوب	دار الطباعة والتجليد عمان
٣٠ ـ إيران اليوم	منظمة الاعلام الإسلامي	وزارة الاعلام
٣١ ـ إيران وفلسطين	د. علي أكبر ولايتي	دار الحق بيروت
٣٢ ـ حديث الإنطلاق	حميد الأنصاري	دار الوسيلة
٣٣ ـ حديث القدر	نداءات الإمام الخامنئي إلى حجاج بيت الله الحرام	
٣٤ ـ نداء الإمام الخامنئي إلى الحوزات العلمية	الإمام علي الخامنئي	
٣٥ ـ الإسلام وحقوق المرأة في رحاب الولاية	الإمام علي الخامنئي	
٣٦ ـ نداء الحرية	الإمام علي الخامنئي	الوحدة الإعلامية المركزية لحزب الله
٣٧ ـ الشيعة والوحدة	الإمام علي الخامنئي	سلسلة في رحاب الولاية
٣٨ ـ الكلمات القصار	للإمام الخميني	دار الوسيلة
٣٩ ـ البنى الدستورية	د حسن الحلبي	محاضرات

محتويات الكتاب

الفصل الثالث:

الفصل الأول:

الفصل الثاني:

الفصل الثالث:

الفصل الرابع: